غلامرضا محمدی‌پور

۱۳۸۵/۱۰/۱۳

كتاب أدب القاضي

قوله ويعرف منها الخاص [illegible]

والعام ما لم يتبين [illegible] لقوله تعالى واتقوا ربكم [illegible] الآية [illegible]

والمجمل وهو ما يحتاج الى التفسير كقوله تعالى اقيموا الصلوة وآتوا الزكوة منه

والمبين وهو الذي لا يحتاج الى التفسير كقوله تعالى ثلثة ايام في الحج وسبعة اذا رجعتم تلك عشرة كاملة

والناسخ وهو الذي [illegible] حكمه [illegible] كقوله تعالى [illegible]

والمنسوخ وهو [illegible] الحكم [illegible] كقوله تعالى [illegible]

والمحكم ما [illegible] كقوله تعالى حرمت عليكم امهاتكم

والمتشابه وهو ما لا يعلم تأويله الا الله كقوله تعالى [illegible]

والمطلق وهو ما لم يتقيد بصفة كقوله تعالى فتحرير رقبة في بعض الكفارات

والمقيد ما تقيد بصفة كقوله تعالى فتحرير رقبة مؤمنة [illegible]

كتاب ادب القاضي

قوله ويعرف منها الخاص [illegible]

والعام ما لم يبين فصاعدا كقوله تعالى واتقوا ربكم حق تقاته الآية واتقوا [illegible] اطيعوا الله واطيعوا [illegible]

والمجمل وهو ما يحتاج الى التفسير كقوله تعالى اقيموا الصلوة واتوا الزكوة [illegible]

والمبين وهو الذي لا يحتاج الى التفسير كقوله تعالى [illegible] اذا رجعتم تلك عشرة كاملة

والناسخ وهو الذي [illegible] حكمه [illegible] كقوله تعالى لكم دينكم ولي دين

والمنسوخ وهو رافع الحكم السابق كقوله تعالى فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم

والمحكم ما لم ينسخ كقوله تعالى حرمت عليكم امهاتكم

والمتشابه وهو ما لا يعلم تأويله الا الله كقوله تعالى [illegible]

والمطلق وهو ما لم يقيد بصفة كقوله تعالى فتحرير رقبة [illegible]

والمقيد ما يقيد بصفة كقوله تعالى فتحرير رقبة مؤمنة [illegible] فصيام شهرين متتابعين

كتاب أدب القاضي

قوله ويعرف منها الخاص

والعام ما عم شيئين فصاعدا كقوله تعالى واتقوا ربكم ... الآية واتقوا ... واطيعوا الله واطيعوا الرسول

والمجمل وهو ما يحتاج الى التفسير كقوله تعالى اقيموا الصلوة واتوا الزكوة

والمبين وهو الذي لا يحتاج الى التفسير كقوله تعالى ثلثة ايام في الحج وسبعة اذا رجعتم تلك عشرة كاملة

والناسخ وهو القول الذي يرفع حكما ... كقوله تعالى ...

والمنسوخ وهو ما رفع الحكم الثابت كقوله تعالى ...

والمطلق وهو ما لم يقيد بصفة كقوله تعالى فتحرير رقبة ...

والمقيد ما تقيد بالصفة كقوله تعالى فتحرير رقبة مؤمنة ...

هذه كتاب شرح القصيدة الموسومة بام القرى في مدح سيدنا محمد
خير الورى نظم الامام شرف الدين ابي عبد الله محمد بن سعيد البوصيري
تغمده الله برحمته والمسلمين الذي المسمى بالمنح المكية في شرح
الهمزية والمسمى ايضا بافضل القرى للعلامة
المحقق المدقق الشيخ شهاب الدين احمد
بن حجر الهيتمي المكي الشافعي.
تغمده الله تعالى برحمته
امين امين

المتواتر ... رويه واحد من الصحابة من غير خلاف الصحابة كقوله ع الا بحقها رواه ابا بكر رضي الله عنه

والاحاد

والمرسل ما بلغ رواته رواية الى التابعي والتابعي لم يذكر الصحابة كقوله صلى الله عليه وسلم لا يرو رجل هدية الا حضر ثم الايعد لو دعيت لاجبت

والمسند اي ما اتصل الى النبي صلى الله عليه وسلم كقوله ع يتوضأ فليستنثر من اكبر فليوتر

والعام اي ما يعم بشيء فصاعدا كقوله تعالى تناكحوا تكاثروا فاني اباهي بكم الامم يوم القيمة ولو بالسقط

والخاص كقوله ع نصرت بالصبا يوم الخندق اي حرب هم

والناسخ كقوله ع اذا التقى الختان بالختان فقد وجب الغسل

والمنسوخ كقوله ع الماء من الماء وجوب الغسل

والمجاز كقوله تعالى واسئل القرية تقديره واسئل اهل القرية

والامر كقوله تعالى وامر اهلك بالصلوة منه

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله الذي اختص نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم بكتاب اخرس الفصحاء واعجز
البلغاء عن التفوه بمثل اقصر سورة من سوره بل اية من اياته وبجوامع الكلم
وبدائع الحكم وعظيم الخلق في سائر اقواله وافعاله وحالاته وخرق له خوارق
الوجود بمعجزات بهرت العقول وقصر عن احصائها استقصاء المادحين لسيره وايامه
وبخصوصيات قطعت اعناق الخلائق عن ان يصلوا الى شاو علاه وكمال شرفه وشرف كماله ترويانه
سطع عليها بدر وجوده في افق سعوده وافاض عليها فائض جوده في عالم شهوده فانار
من اخلاقها وعقولها وكمل من اقبالها وقبولها وزين من بديع فصاحتها وعجيب بلاغتها
وراض ما استصعب من اباتها واغاض ما اشرأبت من شوائها ما صارت به خير الامم و
العدول الشهود على من عليهم تقدم بنص القران القطعي البرهان القاصم لظهور
المعاندين او تزهاتهم واوجب على الكافة غاية تعظيمه ومنه ذكر مناقبه ومآثره وبيان
اوصافه السنية واحواله العلية وخصائصه ومعجزاته ولذلك ذهب كثير من الناس في هذه
الفنون كل مذهب اظهروا تعظيمه نظما ونثرا سرا وجهرا كما وجب فجاءهم بلحظه واعم

الشواهد الامر المهيمن ... والبلدان والرجلان والاطراف وتحت الراس ...

واطاعة

واطاعة واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة انتظم بها في سلك اهل عنايته
واشهد ان سيدنا محمدا عبده ورسوله المحبو من خوارق هباته والمفوض اليه امداد الانبياء
والمرسلين والملائكة المقربين بمعالي القرب بتيناته صلى الله عليه وسلم وعلى اله واصحابه
حماة الدين القويم من زيغ كل زائغ وتحريفاته وهداة الخلق الى الصراط المستقيم بايضاح
كلياته وجزئياته صلوة وسلاما دائمين بدوام نعم الله تعالى على خواصه واهل طاعته
وبعد فمما يتعين على كل مكلف ان يعتقد ان كمالات نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
لا تحصى وان احواله وصفاته وشمائله لا تستقصى وان خصائصه ومعجزاته لم تجتمع قط
في مخلوق وان حقه على الكل فضلا عن غيرهم من اعظم الحقوق وانه لا يقوم احد ببعض
ذلك الا من بذل وسعه في اجلاله وتوقيره واعظامه واستجلاء مناقبه ومآثره وحكمه
واحكامه وان المادحين لجنابه العلي والواصفين لكماله الجلي لم يصلوا الا الى قل من كل ما
لا حد لنهايته وغيض من فيض لا وصول الى الغاية ومن ثم كان ابلغ بيت هنا المطلع الاول الذي
كما يعلم مما ياتي فيه وفي بردة المديح فان فضل رسول الله ليس له حد فيعرب عنه ناطق بفم ثم
ما يليه **شعر** دع ما ادعته النصارى في نبيهم واحكم بما شئت مدحا
فيه واحتكم ثم ما يليه **شعر** فمبلغ العلم فيه انه بشر وانه خير خلق الله كلهم
ثم ما يليه **شعر** فاق النبيين في خلق وفي خلق ولم يدانوه في علم و
لا كرم فهم مقصرون عما هنالك قاصرون عن اداء كل ما يتعين من ذلك كيف واي
الكتاب فصحة عن علاه بما يبهر العقول ومصرحة عن صفاته بما لا يستطاع اليه الوصول
وقد قيل **شعر** ماذا عسى الشعراء اليوم تمدحه من بعد ما مدحته تم تنزيل

فعلم ان بالغ الاولون والآخرون في احصاء مناقبه لعجزوا عن استقصاء ما حباه به مولاه الكريم من مواهبه ولكان المسلم بساحل بحرها مقترا من حصر بعض فخرها ولقد صح لمجيبيه ان ينشدوا فيه هذا البيت شعر وعلى تفنن واصفيه بوصفه يفنى الزمان وفيه ما لم يوصف وانه يحقق بقول القائل شعر فما بلغت كف امرئ متناولا من المجد الا والذي نال اطول ولا بلغ المهدون في القول مدحة ولو حد الا الذي فيه افضل ولابن خطيب الاندلس شعر مدحتك آيات الكتاب فما عسى يثني على علياك نظم مديحي واذا كتاب الله اثنى مفصحا كان القصور قصار كل فصيح وقد رؤي العارف المحقق السراج ابن الفارض السعدي رحمه الله في النوم فقيل له لم لا مدحت النبي عليه الصلوة والسلام اي بالتصريح والا فنظمه في الحقيقة اما في الحضرة الالهية او فيه صلى الله عليه وسلم فقال شعر ارى كل مدح في النبي مقصرا وان بالغ المثني عليه واكثرا اذا الله اثنى بالذي هو اهله عليه فما مقدار ما يمدح الورى قال البدر الزركشي ولهذا لم يتعاط فحول الشعراء المتقدمين كابي تمام والبحتري وابن الرومي مدحه صلى الله عليه وسلم وكان مدحه عندهم من اصعب ما يحاولونه فان المعاني وان جلت دون مرتبته والاوصاف وان جملت دون وصفه وصفته وكل غلو في حقه تقصير فيضيق على البليغ النطاق فلا يبالغ الا قليلا من كثير هذا وان من ابلغ ما مدح به صلى الله عليه وسلم من النظم الرائق البديع واحسن ما كشف عن كثير من شمائله من الوزن الفائق المنيع واجمع ما حوته قصيدة من مآثره وخصائصه ومعجزاته وافصح ما اشارت اليه منظومة من بديع كمالاته ما صاغه صوغ التبر الاحمر ونظمه نظم الدر والجوهر الشيخ الامام العارف الكامل الهمام المتقن المحقق البليغ الاديب المدقق امام الشعراء واشعر العلماء وبليغ الفصحاء

وافصح

وافصح الحكماء الشيخ شرف الدين ابو عبد الله محمد بن سعيد بن حماد بن محسن بن عبد الله بن صنهاج بن هلال الصنهاجي كان احد ابويه من ابو صير الصعيد والآخر من دلاص فركبت النسبة منهما فقيل الدلاصيري ثم اشتهر بالبوصيري قيل ولعله بلد ابيه فغلبت عليه ولد سنة ثمان وستمائة واخذ عن الامام ابو حيان والامام اليعمري ابو الفتح بن سيد الناس ومحقق عصره العز بن جماعة وغيرهم وتوفي سنة ست او سبع وتسعين وستمائة على ما قاله المقريزي لكن صوب شيخ الاسلام العسقلاني انه سنة اربع وتسعين وستمائة وكان من عجائب الدهر في النظم ولو لم يكن له الا قصيدته المشهورة بالبردة التي تسبب نظمها عن وقوع فالج به اعيى الاطباء ففكر في اعمال قصيدة يتشفع بها اليه صلى الله عليه وسلم ثم به الى ربه فانشاها فرآه ماسحا بيده الكريمة عليه فعوفي لوقته ثم لما خرج من بيته لقيه صالح فطلب منه سماعها فعجب منه اذ لم يخبر بها احدا فقال سمعتها البارحة تنشد بين يديه صلى الله عليه وسلم وهو يتمايل كتمايل القضيب فاعطاه اياها وقيل انه اشتد رمد عينيه بعد نظمها فرأى النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقرأ عليه شيئا منها فتفل منه فبرئ لوقته لكفاه بذلك شرفا وتقدما كيف وقد ازدادت شهرتها الى ان صار الناس يتدارسونها في البيوت والمساجد كالقرآن وكان يعاني صنعة الكتابة على الحانات ويباشر بلبيس الشرقية ثم ترك ذلك وصحب القطب ابا العباس المرسي رضي الله عنه وارضاه وجعل جنات المعارف منقلبه ومثواه فعادت عليه بركته وساعده لحظه وهمته الى ان فاق اهل زمانه ورزقه الله من الشهرة والحظ ما لم يصل اليه احد من اقرانه فرحمه الله ورضي الله عنه من قصيدته الهمزية المشهورة العذبة الالفاظ الجزلة المباني العجيبة الاوضاع البديعة المعاني العديمة النظير البديعة التحرير اذ لم ينسج احد على منوالها ولا وصل الى حسنها وكمالها حتى ان الامام البرهان القيراطي المولود سنة ست وعشرين وسبعمائة والمتوفى سنة احدى وثمانين وسبعمائة فانه مع جلالته وتضلعه من العلوم العقلية

النقلية وتقدمه على اهل عصره في العلوم العربية والادبية لاسيما في علم البلاغة ودقة الشعر واتقان
صنعته وتمييز حلوه من مره وغاية من سلمته ارادان يحاكيها ففاته ان ضرب وانقطعت به الحيل عن
ان يبلغ من معارضتها اد في ادب وذلك لطلاوة نظمها وحلاوة رسمها وبلاغة جمعها وبداعة
صنعها وامتلاء المخافقين بانوار جمالها ودحاض دعاوى اهل الكتابين ببراهين جلالها
فهي دون نظائرها الاخذة بازمة العقول الجامعة بين المعقول والمنقول والحاوية لاكثر
المعجزات والحاكية للشمائل الكريمة على سنن قطع اعناق افكار الشعراء عن ان تشرئب الى محاكاة
تلك المحكيات والسالمة من عيوب الشعر من حيث فن العروض كادخال عروض على اخرى وضرب على اخر
ومن حيث القوافي كالايطاء وهو تكرير لفظ القافية بمعناه قبل سبعة ابيات وقيل عشرة وكالاكفاء
وهو اختلاف حرف الروي والاقواء وهو اختلاف حركتها لكنها وان شرحت وتعاورتها الا
وحكمت تحتاج الى شرح جامع ودستور رائع يجلو عرائس ابكارها على منصات الالبا مع الاختصار
ويظهر محتجبات اسرارها ظهور الشمس في رابعة النهار ويفتح مغلقات معمياتها عما قد يوجب القصور
والعثار وينبه على نفائس فرائدها وينوه بجلالة عرائس فوائدها ويعرب عن غرائب نفعها
ويفصح عن فنون بلاغتها وبدائع تاليفها وتشييدها فاستخرت الله تعالى في شرح كذلك وان
هنالك راجيا ان اندرج به في سلك خدمة جنابه صلى الله عليه وسلم وان الحق بسببه سوابغ مدد
ولحظه الاعظم مستعينا بالله متوكلا عليه ومفوضا سائر اموري اليه وسائلا منه بدائع
الطافه وتتابع انعامه وتيسير هذا المطلب وانجاح هذا المارب انه الجواد الكريم الرؤف الرحيم

وسميته المنح المكية في شرح الهمزية

ثم بلغني ان الناظم سماها ام القرى تشبيها لها بمكة بجامع انها حوت بطريق التصريح والايماء لاكثر المدائح
النبوية ومن ثم سميته افضل القرى لقراء ام القرى وقد بين شارحها الامام المحقق في العلوم

الاولية

الاولية والشرعية الشمس الجوهري شيخ مشايخنا رحمه الله وشكر سعيه ولا اعلم لها شارحا غيره
بحرها وعروضها وقافيتها وما يدخلها من العلل والزحاف بما طال فيه لكنه ليس له كبير جدوى فيما
لان من يعرف فن العروض وتوابعه لا يحتاج اليه الا لمجرد التذكير ومن لا يعرف لا يستوي عنده
ذكر ذلك وحذفه في العسير منه والكثير وخلاصة شيء منها انها من بحر الخفيف وهو مركب من ستة اجزاء
سباعية الحروف فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن مرتين وقد يدخل الخبن في مستفعلن فيصير متفعلن
فينقل الى مفاعلن لانه اخف بلفظه في جميع اجزائه فيحذف ثاني كل وهو حسن والكف وهو حذف
سابعه من البعض والكل غير السابع اذ لا يوقف على متحرك وهو صالح وقد يجتمعان وهو
ويدخله التشعيث بان تفقد سورة الوتد فيصير مفعولن على صورة ثلثة اسباب خفيفة
ويقع في كثير من ابيات هذه القصيدة وهو من جملة الزحاف وان اجري مجرى العلل في قافيتها
من المتواتر وهو ما فصل بين ساكنيها حرف واحد متحرك اذ ليس هنا بين الالف والواو
سوى الهمزة التي هي الروي والقافية قيل اخر كلمة من البيت والاصح انها من اخر حرف متحرك
منه قبل ساكنين فقافية البيت الاول على الاول لفظ سماء وعلى الاصح من الميم منه وسترى
ما راعاه الناظم من انواع البديع لاسيما الاقتباس القرآني لكن فيه كلام منتشر للعلماء وخلاصة
الحق منه انه مجمع على جوازه كما قاله بعض المتاخرين المطلعين قال وقد استعمله العلماء قاطبة
في خطبهم وانشائهم واستنكره قوم جهلا منهم بالنصوص والنقول فقد استعمله النبي صلى الله عليه وسلم
في غير حديث والصحابة والتابعون والعلماء قديما وحديثا ونصوا في كتبهم الفقهية على جوازه وزعم
بعض المالكية امتناعه منعه برده استعمال مالك رضي الله تعالى عنه له ونص على جوازه غير واحد منهم
كابن عبد البر وعياض وقد نقل الشيخ داود المناخلي اتفاق المالكية والشافعية على جوازه وفي
شرح مجمع البحرين لابن الساعاتي التصريح بجوازه ولا فرق فيه بين ان يزاد فيه على لفظ القرآن او ينقص

منزلة لغيره اعرابه وان لا وقال السكاكي اعلم ان شأن الاعجاز عجيب يدرك ولا يمكن وصفه كالاستقامة
الوزن تدرك كالملاحة ولا طريق لتحصيله لغير ذوي الفطر السليمة الا بالتمرن في البيان وقال غيره
لا يدرك معرفة الفصيح والافصح والرشيق والارشق الا بالذوق ولا يمكن اقامة الدليل عليه كما ان
التي ادون في المحاسن قد تكون احلى منها في العيون في القلوب ولا يدرك سبب ذلك ولكنه يدرك
بالذوق والمشاهدة واهل الذوق ليسوا الا الذين اشتغلوا بعلم البيان وراضوا انفسهم بالرسائل و
الخطب والكتابة والشعر وصارت لهم بذلك دربة وملكة تامة فاليهم يرجع في فضل بعض الكلام على بعض
ولكون علم المعاني والبيان والبديع بهذه المثابة كان يسمى قديما صنعة الشعر ونقد الكلام
وتسميته بالمعاني والبيان والبديع حادثة من المتأخرين كما اشار لذلك الكمال ابن الانباري
والعسكري وغيرهما وقد حصلت لي رواية هذه القصيدة وغيرها من شعر الناظم من طرق متعددة
منها بل اعلاها اني ارويها عن شيخنا شيخ الاسلام خاتمة الحفاظ المتأخرين ابي يحيى زكريا الانصاري
الشافعي عن العز ابي محمد ابن الفرات عن العز ابن عمر ابن بدر بن جماعة عن ناظمها وعن حافظ
العصر ابن حجر عن الامام المجتهد السراج البلقيني والسراج ابن الملقن والحافظ زين الدين العراقي
عن العز ابن جماعة رحمهم الله تعالى عن الناظم وارويها ايضا عن شيخنا عن الحافظ السيوطي
عن جماعة منهم الشمني بعضهم قراءة وبعضهم اجازة عن علي بن عبد الله الحنبلي كذلك عن العز ابن جماعة
عن الناظم وقد راعى الناظم رحمه الله تعالى امرين مهمين احدهما البداية بالبسملة للحديث الحسن
اما الصحيح كل امر ذي بال اي حال يهتم به لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو اجذم اي
مقطوع البركة ولا ينافيه رواية الحمد لله لان القصد البداية باي ذكر كان كما افادته رواية
لا يبدأ فيه بذكر الله فذكر البسملة والحمدلة لبيان افضل الذكر لا غيره من ثم ابتدأ القرآن
بهما ولم ينظر الناظم الى ما قيل ان الشعر لا يبدأ فيه بالبسملة لان محله على ما فيه فيما ليس كهذه

القصيدة

القصيدة لانها اشتملت على افضل العلوم والمعلومات فهي احق بالبداية بالبسملة من
كثير من العلوم ثانيهما ما هو الاحق بالرعاية على كل بليغ من براعة المطلع وهو سهولة
اللفظ وصحة السبك ووضوح المعنى ورقة التشبيب وتجنب الحشو وتناسب المعاني
وعدم تعلق البيت بما بعده ويسمى حسن الابتداء وقد انضم لهذا براعة الاستهلال
في النظم والنثر بان يكون مبتدأ الافتتاح دالا على ما بني ذلك النظم او النثر عليه من الغرض
المسوق اليه كقول ابي تمام السيف اصدق انباء من الكتب لما كان غرضه ذكر الفتح و
التحريض على الحرب وما افتتح به الناظم هذه القصيدة فيه جميع تلك الشروط وزيادة كما لا يخفى
على متأمل لغرضه وهو ذكر اوصافه صلى الله عليه وسلم التي ارتقى فيها الى الغاية لم يبلغها غيره ولذلك
كان جميع ما بعده من المدح الى اخر القصيدة كالشرح والبيان لما تضمنه هذا المطلع فلله دره من
مطلع جامع بديع لم يسبق ناظمه بمثله **كَيْفَ تَرْقَى رُقِيَّكَ الأَنْبِيَاءُ يَا سَمَاءً**
مَا طَاوَلَتْهَا سَمَاءُ كيف هي في الاصل اسم مبني لتضمنه معنى حرف الشرط او الاستفهام
على الفتح لخفته وعلى الحركة لالتقاء الساكنين وترد للشرط وخرج عليها نحو ينفق كيف
يشاء وجوابه محذوف لدلالة ما قبله عليه وللاستفهام وهو الغالب اما حقيقيا نحو كيف زيد
او غيره كما هنا اذ هي للانكار المشوب بالتعجب المتضمن للنفي كما يعلم مما ياتي وكما في الاتيين
الاتيين ويقع خبرا قبل ما لا يستغني نحو كيف انت وحالا قبل ما يستغني نحو كيف جاء زيد
اي على اي حالة جاء ومنه ما هنا في النظم اذ هي حال من فاعل ترقى اي على اي حالة ترقى الانبياء
رقيك اي لا يكون ذلك ولا كان وعند سيبويه انها ظرف فموضعها نصب دائما وتقديرها
في اي حال وعلى اي حال وجوابها المطابق على خيره نحوه وانكر ذلك الاخفش والسيرافي
فموضعها رفع مع المبتدأ نصب مع غيره وتقديرها في نحو كيف زيد اصحيح زيد ونحو كيف جاء

اراكبا جاء زيد ونحوه وجوابها صحيح ونحوه وقال ابن مالك لم يقل احد ان كيف ظرف اذ ليست
زمانا ولا مكانا ولكنها لما كانت تفسر بقولك على اي حال لكونها سؤالا عن الاحوال العامة سميت ظرفا
لانها في تاويل الجار والمجرور واسم الظرف يطلق عليهما مجازا قال ابن هشام وهذا حسن انتهى
ويعلم من قوله لكونها الخ انه يستفهم بها عن حال الشيء لا عن ذاته قال الراغب وانما يسأل بها عما
يصح ان يقال فيه شبيه وغير شبيه ولهذا لا يصح ان يقال في الله كيف قال وكلما اخبر الله به بلفظ
كيف عن نفسه فهو استخبار على طريق التنبيه للمخاطب او التوبيخ والانكار كما في كيف تكفرون بالله
كيف يهدي الله قوما وفرق الزمخشري بين كيف والهمزة بان كيف سؤال
تفويض لاطلاقه فكان الله في الاية الاولى فوض اليهم الامر في ان يجيبوا باي شيء اجابوا له
كذلك الهمزة فانه سؤال حصر وتوقيت فانك تقول اجئتك راكبا ام ماشيا فتوقت وتحصر
معنى الاطلاق ما قال صاحب المفتاح كيف سؤال عن الحال وهو ينتظم جميع الاحوال كلها والكفار حين
صدور الكفر عنهم لا بد ان يكونوا على احدى الحالتين اما عالمين بالله او جاهلين به واذا قيل
كيف تكفرون بالله افاد في حال العلم تكفرون ام في حال الجهل هذا معنى التفويض في الاية ترقى
رقيتك الخ الحتف ماضيه مكسور القاف من رقي في السلم وهو رقيه صلى الله عليه وسلم ببدنه يقظة
بمكة المشرفة ليلة الاسراء قبل الهجرة الى السماء ثم الى سدرة المنتهى ثم الى المستوى الذي سمع فيه
صريف الاقلام في تصاريف الاقدار ثم الى العرش والرفرف والرؤية وسماع الخطاب بالمكافحة
والكشف الحقيقي وغير ذلك مما لم يصل اليه ملك مقرب ولا نبي مرسل والمعنوي مصدر رقي بالفتح
وهو التنقل من صفة كاملة وخلق عظيم الى صفة اخرى وخلق اخر اكمل واعظم وهكذا الى ما لا غاية
له ففي كلامه استعمال المشترك في معنييه او الجمع بين الحقيقة والمجاز وهو الاصح عند ناقل
الاصول وعلى مقابله المنقول عن الاكثر يكون هذا من عموم المجاز الانبياء جمع نبي فعيل

بمعنى

بمعنى الفاعل او المفعول من النبأ بهمز وقد لا يهمز تخفيفا وهو الخبر فانه مخبر عن الله تعالى
او من النبوة فلا يهمز لانه مرتفع او مرفوع الرتبة على غيره من الخلق ونهيه صلى الله عليه وسلم عن المهموز
بقوله لا تقولوا يا نبيء الله اي بالهمزة بل قولوا يا نبي الله اي بلا همز لانه قد يرد بمعنى الطريد
فخشي صلى الله عليه وسلم في الابتداء سبق هذا المعنى الى بعض الاذهان فنهيهم عنه فلما قوي الاسلام
وتواترت به القراءة نسخ النهي عنه لزوال سببه وهو حر ذكر من بني آدم سالم من منفر كعمى
وما وقع ليعقوب وشعيب لم يكن عمى حقيقيا وكذلك بلاء ايوب على نبينا وعليه الصلوة
والسلام لم يستقر بل حصل بدنه بعد انقضائه اكمل منه قبله اوحي اليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه
فان امر فرسول الله ايضا وان لم يكن له كتاب ولا نسخ لشرع من قبله على الاشهر فالرسول اخص
مطلقا من النبي ولا يطلق على غير الادمي كالملائكة والجن الا مقيدا ومنه جاعل الملائكة رسلا
الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس على ان معنى الارسال فيهما غيره في الاول اذ هو فيه
ايحاء ما يتعبد به هو وامته وفيهما مجرد الارسال للغير بما يوصل اليه فان قلت نفي رقي الانبياء
رقيه لا يستلزم نفي رقي الرسل رقيه لتصريحهم بان الاعم لا يدل على الاخص والمراد انما هو نفي
رقي كل منهما رقيه ولم نقف به عبارته قلت ممنوع بل هي وافية بل هي صريحة به لان قوله لما طاولتها سماء
صريح في نفي رقي الكل رقيه كما يعلم مما ياتي في شرحه لان النكرة في حيز النفي للعموم وفي انه المراد بالانبياء
هنا ما يشمل الرسل على ان المحقق الكمال ابن الهمام نقل في مسايرته ان المحققين على ترادف النبي
والرسول فلعل الناظم ممن يرى ذلك وان كنت رددته في شرح المنهاج لمخالفة ذلك الاحاديث
الصريحة الصحيحة في عدد الانبياء والرسل وياتي بعضها وايضا فنفي الحقيقة مطلقة كالنبوة
التي تضمنها لفظ الانبياء هنا يستلزم نفيها مع قيدها ولا عكس كما صرحوا به ما ذكره الناظم ولا
يصح ذكر الرسل فتامل تنبيهات منها ما صرح به كلامه لما من معنى كيف انه استفهام فتعين

متضمن لنفي وقيتهم كرقية وللتعجب ممن يتشكك في ذلك وهذا اولى ممن قال وللتعجب من قومه
لو وقع من اختصاص نبينا صلى الله عليه وسلم بذلك الرقي بجنبيه السابقين وانه المنفرد بها
بكمال الشرف والرفعة اجماعا اما الاول فواضح واما المعنوية الثاني فكذلك عند من تامل اي
القران وما اشتملت عليه اما تصريحا او تلويحا من الاشارة الى نافه قدره العلي عنده وانه لا يجد يساوي
مجده وقال المفسرون في ورفع بعضهم درجات يعني محمدا صلى الله عليه وسلم قال الزمخشري في
هذا الابهام من تفخيم فضله واعلاء قدره ما لا يخفى لما فيه من الشهادة على انه العلم الذي لا يشتبه
والمتميز الذي لا يلتبس ومن تلك الدرجات ان اياته ومعجزاته اكثر وابهر اذ ما من معجزة لنبي قبله
الا وله مثلها او ابهر منها كما بينه الائمة وسياتي بعضه وزاد عليهم بمعجزات لم يقع نظيرها لاحد منهم
وناهيك بكتابه القران فانه لا تتناهى معجزاته ولا تنقضي اياته ازكى وان امته اكثر واخير و
اطهر من بقية الامم بنص كنتم خير امة اخرجت للناس وخيرية الامة يستلزم خيرية نبيها و
افضلية دينها اذ لا شك ان خيريتهم بحسب كمال دينهم المستلزم لكمال نبيهم وان صفاته اعلى و
اجل وذاته افضل واكمل صرح به قوله تعالى فبهداهم اقتده لانه تعالى وصف الانبياء بالاوصاف
الحميدة ثم امره ان يقتدي بجميعهم وذلك يستلزم ان ياتي بجميع ما فيهم من الخصال الحميدة
فاجتمع فيه ما تفرق فيهم وفي حديث الشفاعة العظمى وانتهائها اليه بعد تنصل كل منها
ما علم انه باته ليس اهلا لها التصريح بذلك ايضا وكذلك الحديث الصحيح انا سيد ولد ادم
وفي رواية انا اكرمهم على ربي وفي حديث الترمذي انا سيد ولد ادم يوم القيمة ولا فخر وبيدي
لواء الحمد ولا فخر وما من نبي ادم فمن سواه الا تحت لوائي وهو صريح في دخول ادم تحت
النجاري وغيره انا سيد الناس يوم القيمة وحديث انا سيد العالمين صححه الحاكم واعترض
وبذلك يعلم افضليته على الملائكة لان ادم افضل منهم بنص الاية ويؤيده الحديث الآتي

عل

على انه ليس احد من الملائكة وحديث الترمذي الحسن كما بينه البلقيني في فتاويه رادا
على الترمذي وانا اكرم الاولين والاخرين وهذا صريح في شموله للانبياء والملائكة جميعهم
وحديث قال ادم يا رب اسئلك بحق محمد صلى الله عليه وسلم الا ما غفرت لي الحديث وفيه انه
قال تعالى يا ادم كيف عرفته ولم اخلقه قال يا رب لما خلقتني بيديك اي قدرتك الباهرة
ونفخت في من روحك اي سرك العجيب الذي لا يعلم حقيقته احد غيرك رفعت راسي فرايت
على قوائم العرش مكتوبا لا اله الا الله محمد رسول الله فعلمت انك لم تضف الى اسمك الا
احب الخلق اليك قال الله تعالى صدقت يا ادم انه لاحب الخلق الي واذ اسئلتني بحقه
فقد غفرت لك ولولا محمد ما خلقتك صححه الحاكم واعترض لكن صح عن ابن عباس رضي الله
عنهما وله حكم المرفوع ولولا محمد ما خلقت ادم ولولا محمد ما خلقت الجنة ولا النار ولقد
خلقت العرش على الماء فاضطرب فكتب عليه لا اله الا الله محمد رسول الله فسكن وفي
روايات اخر ولولاه ما خلقت السماء ولا الارض ولا الطول ولا العرض ولا وضع
ثواب ولا عقاب ولا خلقت جنة ولا نارا ولا شمسا ولا قمرا وصح انا اول من تنشق
الارض عنه فالبس الحلة من حلل الجنة ثم اقوم عن يمين العرش ليس احد من الملائكة
يقوم ذلك المقام غيري وفي رواية ذكرها السراج البلقيني في فتاويه انه تعالى قال له
قد مننت عليك بسبعة اشياء اولها اني لم اخلق في السموات والارض اكرم منك علي
وفي اخرى ذكرها ايضا ان جبريل قال له ابشر فانك خير خلقه وصفوته من البشر حباك
الله بما لم يحب به احدا من خلقه لا ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا الحديث وصح عن كعب
وهو من علماء اهل الكتاب الذين لا يقولون شيئا الا عنه هذا سيد العالمين وصح ايضا
عن عبد الله بن سلام الصحابي الجليل امام اهل الكتاب بشهادته صلى الله عليه وسلم انه

ذكر بالمسجد يوم الجمعة امورا منها ان اكرم خليقة الله على الله ابو القاسم صلى الله عليه وسلم فقيل له فاين الملائكة فضحك وقال للسائل يا ابن اخي هل تدري ما الملائكة انما الملائكة خلق كخلق السموات والارض والرياح والسحاب والجبال وسائر الخلق التي لا تعصي الله شيئا وان اكرم الخلق على الله ابو القاسم صلى الله عليه وسلم وبين السراج البلقيني ان هذا الحكم المرفوع وهو كذلك فانه من اجل الصحابة فلا يقول الا عنه صلى الله عليه وسلم او عما صح عن التورية قال واختيار الباقلاني والحليمي افضلية الملائكة يمكن حمله على غير نبينا وهذا جزم بعض اجلاء تلامذته كالبدر الزركشي او على تفضيل في نوع خاص اي لانه قد يوجد في المفضول مزية بل مزايا لا يوجد في الفاضل ثم قال ولا نظن باحد من ائمة المسلمين انه يتوقف في افضلية نبينا على جميع الملائكة وكذلك سائر الانبياء وما طال في الحط والرد على من يتوقف في ذلك ويزعم ان هذا ليس مما كلفنا بمعرفته ثم قال وهذا الزعم باطل فان هذا من مسائل اصول الدين الواجبة الاعتقاد على كل مكلف والبيان لبسوقاته وايضاحها على كل من تاهل لذلك وقد صح في الحديث المشهور ثلث من كن فيه وجد حلاوة الايمان من كان الله ورسوله احب اليه مما سواهما فتامل قوله مما سواهما تجده ظاهرا بل صريحا في كل ما ذكرناه ومنها ان ما افاده كلامه من جواز التفضيل بين الانبياء هو ما عليه عامة العلماء لما مر من الادلة الصريحة فيه واما قوله تعالى لا نفرق بين احد منهم فهو باعتبار الايمان بهم وبما انزل اليهم واما الاحاديث الصحيحة لا تفضلوني على الانبياء لا تفضلوا بين الانبياء لا تخيروا بين الانبياء فهي اما قبل علمه بالتفضيل وانه افضلهم واما محمولة على التواضع لتصريحه بالتفضيل او على تفضيل يؤدي الى تنقيص او الى حط من مقام احدهم وعليهما يدل سياق الحديث او على التفضيل في ذات النبوة

الرسالة

الرسالة فانهم كلهم مشتركون في ذلك لا يتفاوتون فيه وانما يتفاوتون في زيادة الاحوال والمعارف والخصوصيات والكرامات لهم ونزعم حملها على التفضيل بالرأي اذ ليس في محله لان تفضيل ذلك بالرأي المحض مجمع على منعه وبالدليل الدال عليه لا وجه لمنعه واما الحديث الصحيحان لا ينبغي لاحد ان يقول انا خير من يونس بن متى من قال انا خير من يونس ابن متى فقد كذب فحكمة التخصيص فيهما بيونس نفي توهم التفاوت بينهما في القرب من الحق لاختلاف محلهما الصوري برفع نبينا محمد صلى الله عليه وسلم الى قاب قوسين ونزول يونس صلى الله عليه وسلم الى قعر البحر اي لا تتوهموا من هذا التفاوت الصوري تفاوتا في القرب والبعد من الله تعالى بل نسبة كل اليه واحدة وان تفاوت مكانهما لتعاليه عن الجهة والمكان فهو نهي عن تفضيل مقيد بالمكان لا مطلقا ومنها ان قوله الانبياء يشمل من عرفناهم ومن لم يعرف قال تعالى منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك واختلفوا في عدد من عرف منهم والمشهور فيه ما ورد في حديث ابي ذر عند ابن مردويه في تفسيره قال قلت يا رسول الله كم الانبياء قال مائة الف واربعة وعشرون الفا قلت يا رسول الله كم الرسل منهم قال ثلث مائة وثلثة عشر جم غفير فقلت يا رسول الله من كان اولهم قال آدم ثم قال يا ابا ذر اربعة سريانيون آدم وشيث ونوح واخنوخ وهو ادريس وهو اول من خط بالقلم واربعة من العرب هود وصالح وشعيب ونبيك يا ابا ذر واول نبي من بني اسرائيل اي من بعد اولاد اسرائيل وهو يعقوب صلى الله على نبينا وعليهم وسلم موسى واخرهم عيسى واول النبيين آدم واخرهم نبيك وروى هذا الحديث بطوله الحافظ ابو حاتم بن حبان في كتابه الانواع والتقاسيم وصححه لكن خالفه ابن الجوزي فذكره في موضوعاته وانهم به ابراهيم بن هشام قال الحافظ ابن كثير ولا شك انه تكلم فيه غير واحد من ائمة الجرح

والتعديل من اجل هذا الحديث والله اعلم وبينت في شرح المنهاج في الخطبة ان حديث كون
الانبياء مائة الف واربعة وعشرين الفا وحديث كون الرسل ثلثمائة وخمسة عشر صحيحان
فاعلمه وروى ابو يعلى كان فيمن خلا من اخواني من الانبياء ثمانية الاف نبي ثم كان عيسى بن
مريم ثم كنت انا يا حرف النداء للبعيد والقريب المنزل منزلته وهو هنا اشارة الى بعد
مرتبته صلى الله عليه وسلم عن ان تلحق او تساوى سماء بالتنوين والنصب لانها نكرة
موصوفة وهي من حيز التشبيه بالمضاف فينصب لا غير على الاصح وقال الكسائي يجوز فيها
النصب والضم وفصل الفراء فاوجب النصب اذا كان العائد من الصفة اليها ضمير غيبة
كما هنا وكيا رجلا ضرب زيدا والضم اذا كان ضمير خطاب كيا رجل ضربت زيدا **تنبيه**
لا ياتي هذا الخلاف في النكرة غير المقصودة وهو قول الاصمعي لا ينادى مطلقا والمازني
لا يتصور نداؤها لانه يقتضي الاقبال عليها وعدم قصدها يقتضي عدمه وقال وما جاء
منونا فضرورة والكوفيون شرطوا صحة ندائها ان تكون صفة في الاصل حذف موصوفها
نحو يا ذاهبا والمنع ان لم يكن كذلك وذلك لان محل هذه الاقوال الاربعة حيث لم توصف
النكرة بمفرد او جملة او ظرف والا جاز ندائها مطلقا اتفاقا فان قلت ما هنا نكرة مقصودة
قطعا كما يعلم مما ياتي وموصوفة بجملة ما طاولتها سماء كما تقرر وحكمهما متناف فان
قصدها يوجب بناءها على الضم ووصفها يوجب نصبها على الاصح كما تقرر فما المغلب منهما
ح قلت لم ار للنحاة في مثل هذه الصورة نصا وانما اطلقوا في المقصودة البناء وفي الموصوفة
النصب ومفهومهما متخالف اذ اطلاق الموصوفة يقتضي انه لا فرق بين المقصودة وغيرها
واطلاق المقصودة يقتضي انه لا فرق بين الموصوفة وغيرها لا يقال الوصف يستلزم القصد
ومع ذلك لم ينظروا للقصد معه لانا نمنع استلزامه له اذ لا بدع ان الاعمى يقول يا رجلا

صالحا

صالحا خذ بيدي من غير ان يقصد احدا بعينه ولكن لا يبعد ان يدار الامر في هذه الصورة
على نظر الناظر فان اعتبر الوصف اجرى عليه حكمه السابق او القصد اجرى عليه حكمه وهو ان
يجوز تنوينها للضرورة اجماعا ثم اختلفوا هل الاولى بقاء الضم او الاولى النصب فالخليل
وسيبويه والمازني على الاول علما كان او نكرة مقصودة وعيسى بن عمر والجرمي والمبرد على
الثاني ردا الى اصله كما رد غير المنصرف الى الكسر عند تنوينه في الضرورة واختار ابن مالك في
شرح التسهيل ابقاء الضم في العلم والنصب في النكرة المعينة لان شبهها بالمضمر اضعف
وبعض المتاخرين عكسه وهو اختيار النصب في العلم لعدم الالباس فيه والضم في النكرة
المعينة لئلا يلتبس بالنكرة غير المقصودة اذ لا فارق حينئذ الا الحركة لاستوائهما في التنوين
اذا تقرر ذلك فالاولى هنا على الاول والرابع الضم وعلى الثاني والثالث النصب الذي اقوله
ان الضم يتعين هنا على الكل لان الظاهر خلافا لما يوهمه الرابع ان محل الخلاف حيث
لا الباس يتولد منه محذور وهنا النصب يترتب عليه محذور وهو ايهام ان السماء الاولى نكرة
غير مقصودة وح يفسد المعنى اذ النكرة غير المقصودة لا يصح نفي مطاولة نكرة غير مقصودة
ايضا لها بخلاف ما اذا كانت الاولى نكرة مقصودة كما هو المراد هنا اذ هي اسم جنس يشمل سائر الاجرام
العلوية فان هذه بهذا المعنى هي التي لا يطاولها سماء اي مرتفع غيرها لانه لم يوجد في هذا
الوجود ارفع منها فتامل ذلك حق التامل واحفظه فانه مما يتعين استفادته لا سيما مع النظر
لما قاله الشارح مما يعثر فيه على شيء مما ذكرته ما نافية **طاولتها** اي غالبتها في الطول والارتفاع
سماء وهذا الشطر الثاني كالتعليل للشطر الاول اذ التقدير لم يرتق احد منهم ارتقاءك
لانه لم يستطع مطاولتك في ارتقائك الحسي ولا المعنوي وان كانت درجاتهم كلها ومراتبهم
وصفاتهم باسرها ارفع الدرجات واكمل المراتب واجل الصفات قال الله تعالى ولقد اخترناهم

على علم على العالمين وهذه الاية صريحة في فضلهم على جميع الملائكة بل الخلق اذ العالم ما سوى
الله تعالى وانما جمع جمع العقلاء تغليبا لهم وفيه استعارة لفظ السماء الاول لنبينا
صلى الله عليه وسلم والثاني لبقية الانبياء لان السماء على ما يرى من الاجرام الحسية كما انهم اعلى الخلق
ورشح لذلك بذكر الارتقاء الملائم للمستعار منه **لم يساووك** استئنافية على ما بقي فيكون
من اسلوب الحكيم او حال من فاعل ترقى **في علاك** جمع عليا تانيث الاعلى من علا بالفتح
يعلو علوا في المكان او علي بالكسر يعلى وعلا بالفتح يعلى علاء في الشرف قال الشارح ولما كان
نفي المطاولة لا يلزم منه نفي المساواة وكان المعنى لا يتم الا بنفيها اصرح بذلك وتبعه غيره فقال
ولما لم يلزم من نفي المطاولة نفي المساواة اشار الى نفيها وان كان يوخذ مما تقدم لكن لا بطريق
التصريح انتهى وهو عجيب مع ما مر في كيف ثم افاد بطريق التصريح نفي رقي احد منهم رقيه
وهذا مساو لقوله لم يساووك فالحق انه تاكيد واطناب فقط على ان لذكره فائدة اخرى هي البرهان
عليه بطريق اخرى ويحتمل ان يكون ما سلكه من ذكر الجملة الاولى في شطر البيت الاول والبرهان
عليها بما في الشطر الثاني ثم اعادتها بمعناها بما في اول البيت الثاني والبرهان عليها بما في
بقيته من بديع تحقيقه وكمال بلاغته **وقد حال** اي حجز ومنع جملة مستانفة او حالية
من الفاعل او المفعول وقد هنا واجبة الذكر او التقدير عند البصريين قالوا لتقرب الماضي من
الحال واعترضهم السيد المحقق الجرجاني وتبعه المحقق الكافيجي وغيره بان هذا غلط منهم نشا من اشتباه
لفظ الحال عليهم فان الحال الذي تقربه قد حال الزمان والحال المبين للهيئة في حال
الصفات ولك ان ترده بانهما وان تغايرا لكنهما متقاربان كما هو شان الحال وعاملها ولا ح
لزم من تقريب الاولى تقريب الثانية المقارنة لها في الزمن فتامله فانه مهم اذ تغليط اولئك
الائمة الذين لا يتحررون مع امكان تاويل كلامهم تساهل واقتصار الشارح على الاول بعيد

كتخصيصه

كتخصيصه له بفاعل ترقى البعيد دون فاعل يساووك القريب وان كان متحدا والاول اولى لما
قدمته هناك ان هذه الجملة كالبرهان والتعليل لما قبلها كذا قيل وفيه نظر لان الحالية تفيد ذلك
ايضا على انها الظاهر المتبادر **سنا** بالقصر اي ضوء عظيم ظاهر **منك** خصك الله به
هو مجاز عن علوم القران المحيطة بعلوم الاولين والاخرين وغيرها التي اختصه الله بها وامره
ان يستدل بان يزيده منها وهذا مقتبس من تسميته تعالى للقران نورا في ايات كثيرة من كتابه نحو قوله تعالى
واتبعوا النور الذي انزل معه وعما اختصه الله من جماله الظاهر بما اتاه من الحسن في خلقه
بما لم يلحقه فيه يوسف فضلا عن غيره كما اخبر به صلى الله عليه وسلم وفي خلقه بما ابان الله تعالى
رفعته فيه الى الغاية بقوله عز قائلا وانك لعلى خلق عظيم وهذا مقتبس من تسميته تعالى نورا في نحو
قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين وكان صلى الله عليه وسلم يكثر الدعاء بان الله يجعل كلا من حواسه
واعضائه وبدنه نورا اظهارا لوقوع ذلك وتفضل الله عليه به ليزداد شكره وشكر امته على ذلك
كما امرنا بالدعاء الذي في اخر البقرة مع وقوعه وتفضل الله به لذلك علينا ومما يؤيده ذلك انه
صلى الله عليه وسلم صار نورا انه كان اذا مشى في الشمس او القمر لا يظهر له ظل لانه لا يظهر الا للكثيف
وهو صلى الله عليه وسلم قد خلصه الله من سائر الكثائف الجسمانية وصيره نورا صرفا لا يظهر له ظل
اصلا خرقا للعادة كما خرقت له في شق صدره وقلبه وارادوا لم يناف لذلك **دونهم و**
سناء بالمد اي رفعة عظيمة او منتهيا ولم ينته اليها مخلوق اي انتفت مساواتهم له لمانع منعهم عن اللحوق به
سناء او سناء ظلمه
هو ما اختص به من ذلك النور وتلك الرفعة اللذين لم يصل احد الى ادنى مبادي شيئا وهما فضلا
عن كماله وفي جعله هذين حاجزا استعارة تجريدية كما ان في جمعهما الجناس المذيل ويعبر عنه
بالمطرف لان الزيادة وقعت ذيلا وطرفا وهو ان يتماثل اللفظان وينفرد احدهما بزيادة حرف
في اخره كقولهم العارف ذل العارف وهو احد اقسام الجناس الناقص منها نحو الساق والمساق يعني

بالمردوف لان حرف الزيادة مردوف بما وقع فيه التجانس ونحو دآء ودواء ويسمى بالمكتنف لان
حرف الزيادة مكتنف اى متوسط بين ما اكتنفاه وقد يقع الاختلاف باكثر من حرف نحو من امن ويسمى
متوجا نحو جهد ومجاهد وجوا وجوانح وحوا وحوائج وسماه فى التلخيص مذيلا واهل البديع يسمونه
ملحقا لان الزائد من اخره حرفا واكثر مذيلا ومن اوله كذلك يسمى مطرفا **تنبيه** الجناس تشابه
اللفظين من حيث اللفظ وفائدة الميل الى الاصغاء اليه فان مماثلة الالفاظ تحدث ميلا واصغاء
اليها فلذا اكثر منه الناظم فى هذه القصيدة وربما تركت التنبيه على كثير منه فى محله استغناء بظهوره
او تقدم التنبيه على نظيره ومع كون الجناس يوجب الميل والاصغاء فمحل مراعاته ما لم يعارضه فوت
ويمكنه مع فقده والا لم يراع ومن ثم قال الله تعالى وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ فلم يقل
مصدق رعاية لجناس الاشتقاق لان معنى قولك فلان مصدق لى انه يقول لى صدقت ومعنى صادق
لى انه صدقنى والمنزلى والمقصود الثانى لا الاول فترك الجناس لذلك وترك ايضا فى قوله تعالى
أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ اما لان التجنيس تحسين وانما يستعمل فى مقام الوعد
والاحسان لا فى مقام التهويل او لان يدع اخص من يذر لانه ترك الشئ مع سبق الاعتناء به فلو قيل
تدعون لتوهم انهم كانوا معتنين بالاله الحق ثم تركوه وليس كذلك بل كانوا تاركين له مطلقا
فتعين تذرون مبالغة فى التشنيع عليهم بانهم بلغوا الغاية فى الاعراض عن ربهم وامتنع تدعون
لايهامه وبهذا يظهر غباوة بعض الادباء فى قوله لو قال وتدعون لداعى الجناس وبقيت جوهرة اخرى ليت
بذلك فلذا تركناها فى قوله الى وقد اخره التذييل وهو ان يؤتى بعد تمام الكلام بجملة تشتمل على
معناه تجرى مجرى المثل لتوكيد ما قبلها وتحققه كقوله تعالى وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ بعد ذلك
جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وقول النابغة اى الرجال المهذب بعد قوله بمستبق ولست اى اخره
تنبيه ثانٍ سيمر بك ذكر استعارات بليغة تحتاج الى معرفتها فى هذه القصيدة فلا باس

بالاشارة

بالاشارة الى بعض شئ مما يتعلق بها وحدها انها مجاز يتضمن تشبيه ما عنى به بما وضع له فهى مجاز
لغوى لانها لفظ استعمل فى غير ما وضع له لعلاقة المشابهة ومن ثم احتاجت لقرينة كرايت اسدا
يرمى ثم ما قصد اشتراك طرفيها المستعار والمستعار منه اما داخل فيهما كاستعارة الطيران للعدو
بجامع ان فى كل قطع المسافة او لا كاستعارة الاسد للشجاع اذ الشجاعة عارضة للاسد وهى باعتبار
طرفيها والجامع اقسام كثيرة باعتبار ان كلا اما عقلى واما حسى ثم اللفظ المستعار ان كان اسم جنس ولو
تاويلا كعلم اشتهر بوصف سميت اصلية او فعلا او مشتقا منه بان يقصد به المعنى القائم بالذات
او حرفا فتبعية لان الاستعارة تعتمد التشبيه المقتضى لكون المشبه موصوفا بوجه الشبه او بشئ كما
للمشبه به فيه وانما يصلح للموصوفية الحقائق اى الامور الثابتة دون معانى الافعال ونحوها ومتى
لم تقترن بما يلائم احد طرفيها سميت مطلقة او بما يلائم المستعار له فمجردة او بما يلائم المستعار منه
فمرشحة وهى ابلغ لان مبنى الاستعارة على تناسى التشبيه وادعاء ان المستعار له نفس المستعار منه او شئ
يشبهه ومهما كان وجه الشبه فيه منتزعا من عدة امور يسمى استعارة تمثيلية كما يقال للمتردد فى امر انى
اريك تقدم رجلا وتؤخر اخرى وبقى من اقسامها الاستعارة بالكناية والاستعارة التخييلية
وبيانهما عند صاحب التلخيص معنويان غير داخلين فى تعريف المجاز فاذا اضمر التشبيه فى النفس ولم
يصرح بشئ من اركانه سوى المشبه ودل على ذلك التشبيه بذكر شئ من خواص المشبه به سمى ذلك
التشبيه المضمر استعارة بالكناية واثبات تلك الخاصة استعارة تخييلية لانه تخيل ان المشبه من جنس
المشبه به **انما مثلوا صفاتك للناس كما مثل النجوم الماء** انما للحصر وهو عند
الجمهور قيل بالمنطوق وقيل بالمفهوم ويقال له الاختصاص والقصر خلافا لمن فرق وهو تخصيص
امر باخر بطريق مخصوص ويعبر عنه ايضا بانه اثبات الحكم المذكور ونفيه عما سواه وينقسم الى قصر
الموصوف على الصفة وعكسه وكل اما حقيقى واما مجازى فالحقيقى نحو ما زيد الا كاتب اى لا صفة له غير ذلك

وهو كالمحال لتعذر ان يكون لذات صفة واحدة فقط ولم يقع منه شئ في القران والمجاز في نحو
قوله تعالى وَمَا مُحَمَّدٌ اِلَّا رَسُولٌ اى مقصور على الرسالة لا يتعداها الى التبرى من الموت الذى استعظمو
ذهولا عن كونه من شان الاله وانكر قوم افادة انما له ويرد عليهم ايات كثيرة نحو قوله تعالى اِنَّمَا
الْعِلْمُ عِنْدَ اللهِ اِنَّمَا يَاْتِيكُمْ بِهِ اللهُ واعلم ان المحصور فيه هو الاخير ومن ثم كان مفاد انما قام زيد
اثبات القيام لزيد ونفيه عن غيره وانما زيد قائم اثباته له ونفى غيره عنه مَثَّلُوا اى صور الانبياء
او الواصفون لشمائلك وهو الاقرب وان لم يجر له ذكر لانه معلوم على حد حتى توارت بالحجاب
صِفَاتِكَ جمع صفة وهي ما دل على معنى زائد على الذات محسوس كالابيض ومعقول كالعالم
لِلنَّاسِ من الانس فيختص ببني ادم فاصله الاناس حذفت همزته تخفيفا والتعويض ال عنها
للجمع بينهم او من نوس اذا تحرك ويعم الجن كذا قيل والذى في القاموس الناس يكون من الانس و
الجن من جمع انس اصله اناس جمع عزيز ادخل عليه ال ثم قال و ناس الابل ساقها وانا سيرحركه
لـ نعت لمصدر محذوف مفعول مطلق لمثلوا اى تمثيلا مثل ما مصدرية مَثَّلَ النُّجُومَ
الْمَاءُ واصله موه بالتحريك فهمزته بدل من الهاء وهو جوهر قيل لا لون له وانما يتكيف
بلون مقابله والحق خلافه فقيل ابيض وقيل اسود والمعنى على ان الضمير للانبياء ان ما شاركهم
فيه من الصفات وان كملت لم يصل لادناها غيرهم الا انها قد بلغت من الكمال ما لم يبلغه مخلوق فهي فيهم
حقيقة كالنجوم الحقيقية المرئية من غير حائل وفيهم كصور النجوم التى ترى فى الماء دون حقيقتها او شتان
ما بينهما واسناد ذلك التصوير اليهم على هذا مجاز عقلي كقول الموحد انبت الربيع البقل ويحتمل
انه لمح بذلك الى ما علم من حال الانبياء انهم نعتوا صفاته الكريمة لاممهم وصوروها لهم لكنهم مع ذلك
لم يصلوا التصوير كنهها لعدم احاطتهم بها وانما غاية ما وصلوا اليه تصوير صورها الحاكية لها
كما ان الماء لم يحك من النجوم الا مجرد صورها لا غير و فى هذا من الابلغية فى المدح ما لا يخفى لان الانبياء

مع كمالهم كبرا اذا عجزوا من ادراك حقائق صفاته العلية كان غيرهم اعجز لا يقال هذا يستغنى عنه بما اتى
فى قوله الا بشرية قوم مهابك الانبياء لان ذلك فى مطلق تبشيرهم به لانه سيوجد وهذا فى بيان صفات ذلك
المبشر به وعلى انه للواصفين انهم وان اكثروا الاوصاف وتفننوا فى ايرادها على ابلغ انواع البلاغة
واكمل قوانين الفصاحة فغاية ما وصلوا اليه ان ادركوا اللوائح منها وعجزوا عن ادراك شئ من حقائقها
كما ان غاية من يرى النجوم فى الماء انه يدرك مبادئ وصافها ويعجز عن ادراك حقائقها وقد شرح الناظم
هذا بقوله فى بردة المديح اعيى الورى فهم معناه البيتين وهذا البيت من جملة التذييل ايضا بناء
على المعنى الاول لانه برهان ظاهر على ما قدمه من نفى المساوات بل فى الحقيقة القصيدة كلها برهان على ذلك
وشرح وبيان له كما مر ولما تقرر ان ما اوتيه من المزايا لا تدرك غاياتها بل ولا حقائقها اراد ذلك تقريرا
وتمكينا فى النفوس فقال اَنْتَ مِصْبَاحُ كُلِّ فَضْلٍ فَمَا يَصْدُرُ اِلَّا عَنْ
ضَوْئِكَ الْاَضْوَاءُ انت ايها العلم المفرد الذى لا يساوى بل ولا يدانى مِصْبَاحُ
اى سراج فهو مقتبس من قوله تعالى وسراجا منيرا كُلِّ اسم موضوع لاستغراق افراد المنكر المضاف
هو اليه كما هنا والمعرف المجموع نحو وكلهم اتيه يوم القيمة فردا واجزاء المفرد المعرف نحو يطبع الله
على كل قلب متكبر جبار باضافة قلب الى متكبر اى على كل اجزائه وقراءة التنوين لعموم افراد القلوب
ثم ان لم يكن نعتا للنكرة ولا توكيدا للمعرفة بان تلاها العامل كما هنا جازت اضافتها كما هنا وقطعها
نحو وكلا ضربنا له الامثال واعلم انها حيث اضيفت لنكرة وجب فى ضميرها مراعاة معناها نحو وكل
فعلوه وعلى كل ضامر ياتين او لمعرفة جازت مراعاة لفظها فى الافراد والتذكير ومراعاة معناها و
كذا اذا قطعت نحو قوله تعالى قل كل يعمل على شاكلته وكل اتوه داخرين وانها حيث وقعت فى حيز نفى
بان سبقتها اداته او فعل منفى نحو ما جاء كل القوم وكل الدراهم لم اخذ لم يتوجه النفى الا لسلب شمولها
فيفهم اثبات الفعل لبعض الافراد ما لم يدل الدليل على خلافه نحو قوله تعالى كل مختال فخور ومفهومه

اثبات المحبة لاحد الوصفين لكن لا نظر اليه للاجماع عليه على تحريم الاختيال والفخر مطلقا وحيث وقع
النفي في حيزها كقوله صلى الله عليه وسلم في خبر ذي اليدين كل ذلك لم يكن توجه النفي على كل فرد فرد
كذا ذكره البيانيون وانما سقت هذا جميعه هنا لانه لنفاسته وكثرة الاحتياج اليه مما ينبغي ان
يستفاد ويحفظ **فصل** وكمال بروز لغيرك في الوجود لانك الخليفة الاكبر الممد لكل موجود وشاهده
ما صح من خبر آدم فمن دونه تحت لوائي وخبر انما انا قاسم والله يعطي وخبر لو كان موسى حيا لما وسعه
الا اتباعي وخبر ان ابراهيم قال انما كنت خليلا من وراء وراء وافاد التشبيه بالسراج على القمر من انه
يقتبس منه الانوار لسهولته وتخلفه قربه فيبقى بعلاه ووجه الشبه ان نوره صلى الله عليه وسلم يظهر الانوار
المعنوية كنور البصائر ونور السراج يظهر المحسوسة كنور البصر ولا ريب ان المحسوس اظهر من المعقول
من حيث هو معقول فلذا شبه نوره صلى الله عليه وسلم لكونه معقولا بنور السراج لكونه محسوسا فلا ينافي
ذلك ان السراج دونه صلى الله عليه وسلم بلا نسبة ويمكن انه من التشبيه المقلوب كما في قوله تعالى افمن
يخلق كمن لا يخلق واذا تقرر ان كمالات غيره المشبهة بالاضواء مستمدة من كماله الذي هو الضوء الاعلى
ف بسبب ذلك **ما يصدر** اي يبرز في الوجود من شيء عند احد مطلقا **الا** عن ضوئك
فانت المخصوص بانك الذي يبرز **عن ضوئك** الذي اكرمك الله به **الاضواء**
كلها من الآيات والمعجزات وسائر المزايا والكرامات وان تأخر وجودك عن جميع الانبياء
لان نور نبوتك مقدم عليهم بل وعلى جميع المخلوقات وشاهده حديث عبد الرزاق بسنده
عن جابر رضي الله عنه يا رسول الله اخبرني عن اول شيء خلقه الله قبل الاشياء قال يا جابر ان
الله تعالى خلق قبل الاشياء نور نبيك من نوره فجعل ذلك النور يدور بالقدرة حيث شاء الله
تعالى ولم يكن في ذلك الوقت لوح ولا قلم ولا جنة ولا نار ولا ملك ولا ارض ولا شمس ولا قمر ولا
انس ولا جن فلما اراد الله تعالى ان يخلق الخلق قسم ذلك النور اربعة اجزاء فخلق من الجزء الاول

القلم

القلم ومن الثاني اللوح ومن الثالث العرش ثم قسم الجزء الرابع اربعة اجزاء فخلق من الجزء الاول السموات
ومن الثاني الارضين ومن الثالث الجنة والنار ثم قسم الرابع اربعة اجزاء فخلق من الاول نور ابصار
المؤمنين ومن الثاني نور قلوبهم وهي المعرفة بالله ومن الثالث نور انسهم وهو التوحيد لا اله الا الله
محمد رسول الله الحديث وصح حديث اول ما خلق الله القلم وجاء باسانيد متعددة ان الماء لم يخلق
شيء قبله ولا ينافيان ما في الاول في نور نبينا لان الاولية في غير نبينا وفيه حقيقية فلا تعارض وفي حديث
عند ابن القطان كنت بين يدي ربي نورا قبل خلق آدم باربعة عشر الف عام وفي الخبر لما خلق الله تعالى
آدم جعل ذلك النور في ظهره فكان يلمع في جبهته فيغلب على سائر نوره الحديث وصح خبر متى
كنت نبيا قال وآدم بين الروح والجسد وليس المراد من ذلك التقدير لان غيره كذلك بل الاشارة
الى كون روحه العلية ثبت لها ذلك الوصف دون غيرها في علم الارواح اذ ورد ان الارواح خلقت
قبل الاجسام بالفي عام وفي حديث عبد الرزاق السابق تأييد لما قيل انه تعالى لما خلق نور نبيه محمد صلى الله عليه وسلم
امره ان ينظر الى نور الانبياء عليهم الصلوة والسلام فغشيهم من نوره ما انطقهم الله به وقالوا يا ربنا
من غشينا نوره فقال هذا نور محمد بن عبد الله ان امنتم به جعلتكم انبياء فقالوا امنا به وبنبوته
فقال الله تعالى اشهد عليكم قالوا نعم فذلك قوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من
كتاب وحكمة الى من الشاهدين وفي هذه الآية كما قال السبكي من التنويه بقدره العلي ما لا يخفى وفيها
مع ذلك انه على تقدير مجيئه يكون مرسلا اليهم والى اممهم فيكون رسالته عامة لجميع الخلق فهو نبي الانبياء
ولذا كانوا كلهم يوم القيمة تحت لوائه صلى الله عليه وسلم فاستعارة المصباح للفضل المنبي به على تشبيهه
ببيت واسع يحتاج اليه الناس الى دخوله وسراج فيه استعارة بالكناية يتبعها استعارة بالكناية و
الضوء الذي هو اعلى من النور بدليل جعل الشمس ضياء والقمر نورا الصفات الكمال استعارة مصرحة الظاهر
بجامع ان كلا من الضوئين المعقول والحسي يهدي الى المقصود وايضا الكمالات الدينية تنور

والباطن **لك** لا لغيرك **ذات** اصلها مؤنث ذى المقتضية لموصوف واللازمة للاضافة غالبا
كرجل ذى مال ثم استعملوها استعمال الاسماء فقالوا ذات قديمة ونسبوا للفظها فقالوا ذاتى وقد
تستعمل بمعنى نفس الشئ وحقيقته كما هنا وكما فى قول خبيب رضى الله عنه وذلك فى ذات الاله **علم**
جمع علم وهو هنا صفة يتجلى بها المذكور لمن قامت به انجلاء تاما او الادراك الجازم الذى لا يحتمل
النقيض حد بعد واخرى كلها مدخولة ايضا ويرادفه المعرفة لكن لا يقال الله عارف لانها تستدعى
سبق جهل بخلاف العلم واليقين لكن فرق بينهما بعض المحققين بان اليقين خاص بما من شانه
ان يتطرق اليه شك فلا يقال تيقنت ان الواحد نصف الاثنين وقال الراغب اليقين من صفة العلم فوق
المعرفة والدراية واخواتها يقال علم يقين ولا يقال معرفة يقين وهو سكون النفس مع اثبات الحكم حال كو
واصلة اليك على لسان الملك او بالالقاء فى الروع او بخلق العلم الضرورى او بسماع الكلام النفسى **من**
فيض **عالم الغيب** مصدر وصف به للمبالغة بمعنى اسم الفاعل اى الغائب وهو ما لم يشاهد لكن بالنسبة
الينا واما بالنسبة اليه تعالى فالكل من عالم الشهادة او المفعول اى المغيب خلافا لمن زعمه لان غاب لازم وخص
بالذكر على حد قوله تعالى عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الاية لان العلم به افخم واظهر ولان اكثر علوم
نبينا صلى الله عليه وسلم تتعلق بالمغيبات بدليل فعلمت علم الاولين والاخرين فى الحديث المشهور ولانه
اختص به لكن من حيث الاحاطة والشمول لعلمه بالكليات والجزئيات فلا ينافى ذلك اطلاع الله تعالى
لبعض خواصه على كثير من المغيبات حتى من الخمس اللاتى قال فيهن صلى الله عليه وسلم فى خمس لا يعلمهن الا
الله لانها جزئيات معدودة لا غير وانكار المعتزلة لذلك مكابرة فقد وقع للانبياء والاولياء
من ذلك ما لا يمكن عده لا سيما ما وقع لنبينا صلى الله عليه وسلم وسياتى بسط جمل مما اخبر به صلى الله عليه وسلم
من المغيبات فى شرح قوله وكم اخرج خبا له الغيوب خباء وجملة مما يتعلق بانكار المعتزلة اى اخر الكتاب
ومنها اى من العلوم بمعنى المعلوم وهو متعلق بالاسماء **لآدم** ابى البشر صلى الله عليه وسلم و

اصله

اصله ادم لكنهم لينوا الثانية تخفيفا وجعلوها فى التصغير واوا انظر التليينها من الادمة بالسكون او الفتح
من اديم الارض كما صح عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وورد عن على وعن ابن مسعود رضى الله عنهما
واديم الارض ظاهر وجهها والادمة السمرة وهو مراد من قال لونه يقارب السواد ومن قال يشبه التراب
واستشكل بما ورد من براعة جماله وان يوسف صلى الله عليه وسلم كان على الثلث من جماله وقد يجاب بان الجمال
لا ينافى السمرة لانها بين البياض والحمرة وقيل اشتقاقه مما ذكر يؤيد القول بانه عربى وبه صرح الجواليقى
وغيره ورد بان توافق اللغتين غير منكر وبانه لا دليل على ان الاشتقاق من خواص كلام العرب واجيب بان
الاصل عدم التوافق وبان الوجه ان الاشتقاق خاص بكلام العرب فقد اطبقوا على التفرقة بين اللفظ
العربى والعجمى بصحة الاشتقاق وصح خبر ان ادم كان يتكلم بكل لسان لكن الغالب انه كان يتكلم
بالسريانى **الاسماء** مبتدا مؤخر جمع اسم وهو هنا ما دل على معنى فيشمل الفعل والحرف ايضا واحتاج
الناظم الى هذا التفضيل مع العلم به مما قبله لان ادم ميزه الله على الملائكة بالعلوم التى علمها له وكانت
سببا لامرهم بالسجود والخضوع له بعد استعلائهم عليه بذاتهم ومدحهم انفسهم بقولهم اتجعل فيها
الخ فربما يتوهم ان هذه المرتبة الباهرة ظاهرة لم يحصل لنبينا صلى الله عليه وسلم اذ قد يوجد فى المفضول
ما لا يوجد فى الفاضل فرد ذلك التوهم ببيان ان ادم لم يحصل له من العلوم الا مجرد العلم باسمائها
وان الحاصل لنبينا هو العلم بحقائقها ومسمياتها ولا ريب ان العلم بهذا اعلى واجل من العلم بمجرد
اسمائها لانها انما يؤتى بها لتبيين المسميات فهى المقصودة بالذات وتلك بالوسيلة وشتان ما بينهما
ونظير ذلك ان المقصود من خلق ادم انما هو خلق نبينا صلى الله عليه وسلم من صلبه فهو المقصود
بطريق الذات وادم بطريق الوسيلة ومن ثم قال بعض المحققين انما سجد الملائكة لاجل نور محمد
صلى الله عليه وسلم الذى فى جبينه ثم ما سلكه الناظم ان ادم انما علم اى اوجد الطرق التى يعرف بها الاسماء
فقط اى الالفاظ الموضوعة بازاء الاعيان والمعانى هو الوارد عن ابن عباس وعليه فقيل علم الاسماء

الموضوعة بكل لغة وعلمها اولاده فلما افترقوا في البلاد وكثروا اقتصر كل قوم على لغة وهذا يقوي
ما هو الاصح في الاصول ان اللغات كلها توقيفية وقيل انما علم لغة واحدة لان الحاجة لم تدع
اليها واما بقية اللغات فبالتواضع ومقابل ما سلكه الناظم قولان احدهما انه علم مدلولاتها لان
المزية في العلم انما يحصل بمعرفة مقاصد المخلوقات ومنافعها لا بمعرفة ان اسماءها كذا وكذا قال بعض المحققين
هذا وان قرب من المعنى فهو بعيد من اللفظ اي لان قوله باسماء هؤلاء وما بعده ظاهر وصريح في
الاسماء فقط ومعنى ثم عرضهم اي الاعيان لانها التي تعرض دون الاسماء انها ابرزت اليهم ليخبروا باسمائها فقط
فلا تاييد فيه لكون المعلم المسميات خلافا لمن زعمه ثانيهما وهو الذي سلكه صاحب الكشاف انه علم الامرين
معا جمعا بين مقتضى اللفظ والمعنى ولما ذكر شرف ذاته وترقيه صلى الله عليه وسلم بما بهر العقول انتقل
الى ذكر شرف نسبه كذلك فقال مستانفا **لم تزل** حال لكونك **في ضمائر الكون** اي
الوجود وضمائره مستوراته الخفية من الاصلاب والارحام **تختار** اي تصطفى **لك**
الامهات جمع ام وهي الوالدة وان علت واصلها امهة لجمعه على امهات وقيل امهات للادميات
وامات لغيرهن **والاباء** جمع اب واصله ابو بالتحريك حذفت واوه تخفيفا اي كما طابت ذاتك
بما اوتيته من الكمال الاعلى كذلك طاب نسبك فلم يكن في امهاتك من لدن حوى الى امك امنة ولا في اباءك
من لدن ادم الى ابيك عبد الله الا من هو مصطفى مختار ويشهد ذلك حديث البخاري بعثت من
خير قرون بني ادم قرنا فقرنا حتى كنت من القرن الذي كنت منه وحديث مسلم ان الله اصطفى كنانة
من ولد اسماعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم وحديث
الترمذي بسند حسن ان الله خلق الخلق فجعلني في خير فرقهم ثم تخير القبائل فجعلني في خير قبيلة ثم
تخير البيوت فجعلني في خير بيوتهم فانا خيرهم نفسا اي روحا وذاتا وخيرهم بيتا اي اصلا وحديث
الطبراني ان الله اختار الخلق فاختار منهم بني ادم ثم اختار من بني ادم العرب ثم اختارني من العرب

فلم

فلم ازل خيارا من خيار الا من احب العرب فبحبي احبهم ومن ابغض العرب فببغضي ابغضهم واعلم
ان ادم اول ما حوى اربعين ولدا في عشرين بطنا الا شيث وحده فانه ولد منفردا كرامة لكون نبينا
صلى الله عليه وسلم من نسله ثم لما توفي وصى بنيه توصية ابيه له ان لا يضع هذا النور الذي كان بجبهة
ادم ثم انتقل الى شيث الا في المطهرات من النساء ولم تزل هذه الوصية معمولا بها في القرون الى ان وصل
ذلك النور لجبهة عبد المطلب ثم ولده عبد الله وطهر الله تعالى هذا النسب الشريف من سفاح الجاهلية
كما ورد في الاحاديث كحديث البيهقي في سننه ما ولدني من سفاح الجاهلية شيء ما ولدني الا نكاح الاسلام
وسفاحهم بكسر السين زناهم كانت المراة منهم تسافح الرجل مدة ثم يتزوجها وروى ابن سعيد وابن عساكر
عن محمد بن السائب بن الكلبي عن ابيه قال كتبت للنبي صلى الله عليه وسلم خمسمائة ام فما وجدت فيهن سفاحا
ولا شيئا مما كان في امر الجاهلية والطبراني وابو نعيم وابن عساكر خرجت من نكاح ولم اخرج من سفاح من
لدن ادم الى ان ولدني ابي وامي لم يصبني من سفاح اهل الجاهلية شيء وابو نعيم لم يلتق ابواي قط على سفاح
لم يزل الله ينقلني من الاصلاب الطيبة الى الارحام الطاهرة مصفى مهذبا لا تنشعب شعبتان الا كنت
في خيرهما وابن مردويه عنه صلى الله عليه وسلم لقد جاءكم رسول من انفسكم اي بفتح الفاء وقال انا
انفسكم نسبا وصهرا وحسبا ليس في ابائي من لدن ادم سفاح كلها نكاح **تنبيه** لك ان تاخذ
من كلام الناظم الذي علمت ان الاحاديث مصرحة بلفظه او اكثره وفي معنى كله ان اباء النبي صلى الله عليه وسلم
غير الانبياء وامهاته الى ادم وحوى ليس فيهم كافر لان الكافر لا يقال في حقه انه مختار ولا كريم ولا طاهر بل
نجس كما في اية انما المشركون نجس وقد صرحت الاحاديث السابقة بانهم مختارون وان الاباء كرام وان
الامهات طاهرات وايضا فهم الى اسمعيل كانوا من اهل الفترة وهم في حكم المسلمين بنص الاية الاتية
وكذا من بين كل رسولين وايضا قال الله تعالى وتقلبك في الساجدين على احد التفاسير فيه ان المراد
تنقل نوره من ساجد الى ساجد وح فهذا صريح في ان ابوي النبي صلى الله عليه وسلم امنة وعبد الله من اهل الجنة

لانهما اقرب المختار له صلى الله عليه وسلم وهذا هو الحق بل في حديث صحيح غير واحد من الحفاظ ولم يلتفتوا
لمن طعن فيه ان الله احياهما له فامنا به خصوصية لهما وكرامة له صلى الله عليه وسلم فقول ابن دحية يرده
القران والاجماع ليس في محله لان ذلك ممكن شرعا وعقلا على جهة الكرامة والخصوصية فلا يرده قران
ولا اجماع وكون الايمان به لا ينفع بعد الموت محله في غير الخصوصية والكرامة وقد صح انه صلى الله عليه وسلم
ردت عليه الشمس بعد مغيبها فعاد الوقت حتى صلى علي العصر اداء كرامة له صلى الله عليه وسلم فكذا هنا وطعن
بعضهم في صحة هذا بما لا يجدي ايضا وحديث انه نهى عن الاستغفار لهما رواية في الاستغفار
لهما كان قبل احيائهما له وايمانهما به وان المصلحة اقتضت تاخير الاستغفار لهما عن ذلك الوقت فلم يؤذن
له فيه حينئذ فان قلت اذا قررتم انهما من اهل الفترة وانهما لا يعذبان فما فائدة الاحياء قلت فائدته
اتحافهما بكمال لم يحصل لاهل الفترة لان غاية امرهم انهم الحقوا بالمسلمين في مجرد السلامة من
العقاب واما مراتب الثواب العلية فهم بمعزل عنها فالحق بمرتبة الايمان زيادة في شرف كمالهما بحصول
تلك المراتب لهما وفي هذا مزيد ذكرته في الفتاوى ولا يرد على الناظم آزر فانه كافر مع ان الله تعالى ذكر
في كتابه العزيز انه ابو ابراهيم صلى الله عليه وسلم وذلك لان اهل الكتابين اجمعوا على انه لم يكن اباه حقيقة
وانما كان عمه والعرب تسمي العم ابا بل وفي القران ذلك قال الله تعالى وابائي ابراهيم واسمعيل مع انه
عم يعقوب بل لو لم يجمعوا على ذلك وجب تاويله بهذا جمعا بين الاحاديث واما من اخذ بظاهره
كالبيضاوي وغيره فقد استروح وتساهل وحديث مسلم قال رجل يا رسول الله اين ابي قال في النار
فلما قفا دعاه فقال ان ابي واباك في النار متعين تاويله واظهر تاويل له عندي انه اراد بابيه عمه
ابا طالب لما تقرر ان العرب تسمي العم ابا وقرينة المجاز فيه الاية الاتية الشاهدة بخلافه على اصح محاملها
عند اهل السنة وان عمه هو الذي كفله بعد جده عبد المطلب وانه انما قصد بذلك ان خاطر
ذلك الرجل خشية ان يرتد لما قرع سمعه لو وقع في سمعه اولا ان اباه في النار بدليل انه انما قال بعد ان
ولي

ولي او كان ذلك قبل ان ينزل عليه وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا كما وقع له انه سئل عن اطفال
المشركين فقال هم من ابائهم ثم سئل عنهم فذكر انهم في الجنة واما قول النووي في حديث مسلم ان
من مات في الفترة على ما كانت عليه العرب من عبادة الاوثان فهو في النار وليس في هذا مواخذة قبل بلوغ
الدعوة فان هؤلاء كانت قد بلغتهم دعوة ابراهيم وغيره عليه الصلوة والسلام انتهى فيتعين حمله
للاتفاق على ان ابراهيم ومن بعده لم يرسلوا للعرب وان رسالة اسمعيل اليهم انتهت بموته اذ لم يعلم
لغير نبينا عموم بعثته بعد الموت وقد يؤول كلامه بحمله على عباد الاوثان الذين ورد فيهم انهم
في النار وبهذا يرد كلام الفخر الرازي القريب من كلام النووي ثم رايت الابي شارح مسلم بالغ في الرد
على النووي بان كلامه مناف لحكمه بانهم اهل فترة وبان الدعوة بلغتهم ومن بلغتهم الدعوة ليسوا
اهل فترة لانهم الامم الكائنة بين ازمنة الرسل الذين لم يرسل اليهم الاول ولا ادركوا الثاني ثم
قال ولما دلت القواطع على ان لا تعذيب حتى تقوم الحجة علمنا ان اهل الفترة غير معذبين
انتهى وهو موافق لما ذكرته وما احسن قول بعض الموفقين في هذه المسئلة الحذر الحذر من ذكرهما
بنقص فان ذلك قد يؤذيه صلى الله عليه وسلم لحديث الطبراني لا تؤذوا الاحياء بسب الاموات انتهى
واما الذين صح تعذيبهم مع كونهم من اهل الفترة فلا يردون نقضا على ما عليه الاشاعرة من اهل الكلام
والاصول والشافعية من الفقهاء ان اهل الفترة لا يعذبون وسبب ذلك انا عهدنا في الغلام الذي قتله
الخضر انه حكم بكفره مع صباه لامر يعلمه الله وحده فكذا هؤلاء يحكم بكفرهم بخصوصهم وان لم تبلغهم الدعوة
لامر يعلمه الله ورسوله فلا يرد نقضا على ما استفيد من الاية ومشى عليه اولئك الائمة ان اهل الفترة لا يعذبون
وهذا الذي ذكرته في الجواب اولى من الجواب بان احاديثهم اخبار احاد فلا يعارض القطع بان اهل الفترة لا يعذبون
او بان التعذيب المذكور في الاحاديث مقصور على من بدل وغير من اهل الفترة بما لا يعذر به كعبادة الاوثان
وتغيير الشرائع وكان قائل هذا ممن يرى وجوب الايمان بالعقل والذي عليه اكثر اهل السنة والجماعة انه لا يجب

توحيد ولا غيره الا بعد ارسال الرسول اليهم ومن المقرر ان العرب لم يرسل اليهم رسول بعد اسمعيل
صلى الله عليه وسلم وان اسمعيل انتهت رسالته بموته فلا فرق بين من غيره وبدل او غيره ما عدى من صح تعذيبه
فيقتصر ذلك عليه لانه لا قياس في ذلك وقول ابي حيان ان الرافضة القائلين ان اباء النبي صلى الله عليه وسلم
غير معذبين مستدلين بقوله تعالى وتقلبك في الساجدين فلك رد فهمان مثل ابي حيان انما يرجع اليه
في علم النحو وما يتعلق به واما المسائل الاصولية فهو عنها بمعزل كيف والاشاعرة ومن ذكر معهم فيما مر انفا
على انهم مؤمنون غير معذبين فنسبة ذلك للرافضة وحدهم مع ان هؤلاء الذين هم ائمة اهل السنة فا
قصور اي قصور وتساهل اي تساهل **مَا مَضَتْ فَتْرَةٌ** وهي ما بين موت الرسول وبعثة الرسول
الذي يليه كما بين عيسى ونبينا صلى الله عليه وسلم واختلفوا في قدرها والمشهور انه نحو ستمائة سنة اي زمن
خال **مِنَ الرُّسُلِ** جمع رسول ومر تعريفه اول الكتاب اي ما مضى من زمن خال من الرسل الذي فيه
ذكرك **اِلَّا** جدد **بَشَّرَتْ** من البشارة وهي الخبر السار **قَوْمَهَا** ليس فيه اضمار قبل الذكر
لان مرجع الضمير الفاعل وهو مقدم الرتبة وانه تاخر لفظه على انه يحتمل على بعد ان الضمير للفترة
اي الا بشرت الاقوام الكائنين في تلك الفترة **بِكَ** اي بقرب بعثتك وباهر رسالتك وعظمتك ٥
الْاَنْبِيَاءُ اي الرسل الذين اتوا بعد تلك الفترة وفي هذا استدلال واضح على كمال شرفه صلى الله عليه وسلم
ورفعته على سائر الرسل فانه نبي الانبياء المتقدم عليهم التابعون لهم وامهم ويشاهد ذلك قول الله تعالى
عن عيسى صلى الله عليه وسلم **وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَاْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ اَحْمَدُ** ومن ثم قال صلى الله عليه
انا دعوة ابي ابراهيم اي في ربنا وابعث فيهم رسولا منهم وبشارة عيسى وقوله تعالى واذ اخذ
الله ميثاق النبيين اي وامهم وحذف استغناء بذكر المتبوعين عن ذكر الاتباع لما تفتح
موطئة للقسم الذي تضمنه اخذ الميثاق ولتؤمنن سد مسد جوابه وجواب ما الشرطية او بكسرها
اي لاجل ما اتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم اي وهو محمد صلى الله عليه وسلم

لتؤمنن

لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ الاية وقد اختلف المفسرون فيها والذي قال علي وابن عباس رضي الله
عنهم وتبعهم الحسن وطاوس وقتادة انه تعالى اخذ على كل نبي بعثه من لدن ادم الى محمد صلى
الله عليه وسلم لئن بعث محمد صلى الله عليه وسلم وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه ويلزم من هذا
ان الانبياء كانوا ياخذون الميثاق من اممهم بانهم اذا ادركوا محمدا صلى الله عليه وسلم امنوا به
ونصروه ودعوى ان هذا هو معنى الاية دون الاول مردودة ولا ينافي الاول العلم بان الانبياء
لا يدركون حياته صلى الله عليه وسلم ولا الحكم في اخر الاية بالفسق على من تولى من ذلك لان التعليق
في مثل ذلك لا يستلزم الوقوع الا ترى الى قوله تعالى لَئِنْ اَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ولو تقول
علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين فالمقصود انه لو فرض انه بعث فيهم وهم احياء
لزمهم ذلك كما ان القصد من هاتين الايتين الفرض والتقدير ايضا ومن ثم قال الامام التقي
السبكي دلت الاية على انهم لو ادركوا زمنه كان مرسلا اليهم فتكون نبوته ورسالته عامة لجميع الخلق الا
وامم من لدن ادم الى قيام الساعة ويدخلون في قوله صلى الله عليه وسلم وارسلت الى
الناس كافة وحكمة اخذ هذا الميثاق على الانبياء اعلامهم واممهم بانه المتقدم عليهم وانه نبيهم
ورسولهم وقد ظهر ذلك في الدنيا بكونه امهم ليلة الاسراء ويظهر في الاخرة بانهم كلهم تحت لوائه
بل وفي اخر الزمان يكون عيسى ينزل حاكما بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم دون شريعة نفسه ثم بين
الناظم بعض فضائل تلك البشارات في تلك الفترات فقال **تَتَبَاهَى** اي تتفاخر **بِكَ** اي بوجود
الْعُصُورُ اي الازمنة الطويلة من لدن ادم الى يوم القيمة وما بعده فكل عصر يفتخر على العصر الذي
قبله لوجودك فيه بكمال اعلى مما قبله ولو في ضمن ابائك لكن اعظمها افتخارا عصر بروزك الى هذا العالم
ثم عصر نشاتك ثم عصر رضاعك فشق بطنك فتعبدك بحرا وغيره ثم عصر نبوتك ثم عصر رسالتك
ثم عصر دعائك الخلق الى الله ثم عصر اقبالهم عليك ثم عصر معراجك ثم فتوحك ثم عصر هجرتك ثم

عصر جهادك ثم عصر سراياك وبعوثك وفتوحاتك ثم عصر دخول الناس في دين الله افواجا ثم عصر
محنتك ثم عصر اتباعك على تفاوتهم الى قيام الساعة كما دل عليه الحديث المشهور لا تزال طائفة
من امتي فمزاياه تتزايد في كل عصر من اعصار حيوته على ما قبله وبحسب ذلك يكون انتحار ذلك العصر
على غيره وكذلك عصور اتباعه تتفاوت مزاياهم المستمدة من مزاياه فيفتخر كل عصر على غيره بحسب ذلك
ايضا واعمالهم المتضاعفة له تضاعفا يفوق الحصر لان كل عامل يتضاعف له صلى الله عليه وسلم
بحسب عمله وكذا كل واسطة بينه وبينه لان الدال على الخير كفاعله ومن دل على خير فله مثل اجره فكل دال يتضاعف
بحسب تضاعف من بعده ويتضاعف للنبي صلى الله عليه وسلم بحسب تضاعف الجميع وهذا شيء يقصر عن ادراكه
كثرة العقل ثم عصر مقام المحمود وشفاعته العظمى في فصل القضاء ثم عصر بقية شفاعاته ثم عصر
ثم عصر وسيلته وفضيلته التي يعطاها في الجنة مما لا يدرك غايته ولا تحد نهايته فكل هذا
عصور تفتخر بحسب ما يقع فيها من كمالات الازمنة والامكنة تشرف بشرف من يكون فيها وما يكون فيها
من المزايا والكمالات ولذا قال بعضهم ان ليلة مولده صلى الله عليه وسلم افضل من ليلة القدر وهو صحيح
لولا ان النص على خلافه على ان ليلة القدر من خصوصياته فتفضيلها انما هو لاجله ايضا **وسموا**
اي تعلو وترتفع من سموت وسميت كعلوت وعليت **بك** اي بتلبسها بك مرتبة **علياء** ثانية
الاعلى **بعدها** في الزيادة والعلو مرتبة اخرى **علياء** اي اعلى منها اي ان كل عصر من العصور
المذكورة مرتبة اعلى مما قبلها واعلى منها ما بعدها وهكذا الى ما لا نهاية له ودليل تفاوت مراتبه كما ذكر
قوله تعالى وقل رب زدني علما ولا شك ان معارفه وعلومه متزايدة متفاوتة الى ما لا نهاية له وقوله
صلى الله عليه وسلم انه ليغان على قلبي فاستغفر الله قال العارف القطب ابو الحسن الشاذلي هذا غين انوار لا غين
اغيار اي لانه صلى الله عليه وسلم كان دائم الترقي فكان كلما توالت انوار العلوم والمعارف على قلبه ارتقى
الى مرتبة اعلى مما هو فيها فراى ان ما قبلها دونها فيستغفر تواضعا وطلبا للتزايد كما ورد في قول الناظم

ولسموا

وتسموا الى اخره من المدح بما لا يخفى عظيم رفعته لانه جعل تلك المراتب هي التي تسمو وترتفع به ولم يجعله على
ما هو المتبادر انه الذي تسمو ويرتفع بها لما هو الحق انه تعالى خلقه في عالم الامر على اكمل كمال يمكن ان
يوجد لمخلوق ثم ابرزه في عالم الخلق بقدر متدرجا في تلك المراتب فتشرفت به بها لا يتشرف
لما علمت انه كامل قبلها فتامل ذلك فانه دقيق غفل عنه الناس وبدا اي ظهر **للوجود** اي
لهذا العالم **منك كريم** اي سالم من كل صفة نقص جامع لكل صفة كمال وهذا احد
انواع التجريد الذي هو من ادق انواع البديع وهو اعني التجريد ان ينتزع من امر ذي صفة
امر اخر مماثل لذلك الامر في تلك الصفة مبالغة لكمالها في ذلك الامر حتى كانه بلغ من الاتصاف
بتلك الصفة الى حيث يصح ان ينتزع منه موصوف اخر بتلك الصفة وهو انواع منها ما يكون بمن
التجريدية كما هنا نحو قولهم لي من فلان صديق حميم اي قريب يهتم لامره اي بلغ فلان من الصداقة
حدا يصح معه ان يستخلص منه فلان اخر مثله في الصداقة فهو صلى الله عليه وسلم لكماله في صفة
الكرم صح ان ينتزع منه شخص كريم مبالغة في صفة كرمه وكماله فيه ثم ذلك الكريم الذي ظهر هو
محمد صلى الله عليه وسلم وجد **من اصلاب** وام **كريم** اي سالم من نقص الجاهلية فالكريم هنا وفيما بعد
غيره ثم كما علم مما مر ويأتي وهذا ظاهر في سلامة ابويه صلى الله عليه وسلم ومر ما في ذلك **اباؤه** جميعهم كما
افادته الاضافة من لدن ادم اليه والمراد بالاباء ما يشمل الامهات لما قدمه ان النوعين مختاران
والاختيار والكرم بمعنى واحد **كرماء** اي سالمون من سفاح الجاهلية ونقصهم **تنبيه**
قال ابن دحية اجمع العلماء والاجماع حجة على انه صلى الله عليه وسلم كان اذا انتسب لم يتجاوز معد بن
عدنان وفي مسند الفردوس عن ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم كان اذا انتسب لم يتجاوز معد بن عدنان
ثم يمسك ويقول كذب النسابون لكن قال السهيلي الاصح ان هذا من قول ابن مسعود قال غيره كان
ابن مسعود اذا قرء والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله قال كذب النسابون اي لانهم يدعون

نسب م

علم الا ونسب وقد نفى الله تعالى علمها عن العباد من ابن عباس بين اسمعيل وبين عدنان ثلثون ابا لا يعرفون
ومن ثم انكر مالك على من يرفع نسبه الى ادم وقال من اخبره بذلك اى ان ذلك من كلام المورخين
الذين لا دليل عليه ولا نقتدي به مع ما فيه من التخليط والتغيير قلت القايلة هذا نسب عظيم بل لا اعظم
ولا اجل منه في الانساب وهو اسم لعمود القرابة الذي يجمع متفرقها تحسب ايها المخاطب اى تظن
العلى جمع عليا تانيث اعلى كامن **بجلاه** بضم اوله وكسره وهو افصح جمع حلية بكسر اوله
اى بسبب حلاء ذلك النسب **قلدتها** اى العلى في محل مفعول تحسب الثاني والاول العلى
نجومها اى بنجومها **الجوزاء** اسم لبرج في السماء كما في القاموس وعليه فنجومه هي الا تبره
وتطلق عرفا على النجوم المجتمعة المعروفة قيل وهي تشبه المرءة فلذا نسب التقليد اليها وحج لا بد
ان ينسب الى شي من حيث هو مجموع انه قلد غيره كلا من تلك الافراد التي اشتمل عليها او يقال
ان المراد بنجومها ههنا ما حواليها من النجوم التي تسمى نطاق الجوزاء وقبة الجوزاء كما قال القائل
شعر لو لم يكن قبة الجوزاء خدمته لما رايت عليها عقد منتطق اى من كمال هذا النسب
وشرفه ان من تامل فيه حسب بسبب ما تحلى به من الكمالات ان معاليه قلدتها الجوزاء بنجومها اى جعلت
نجومها قلادة لها فعلم ان كلا منه يضيء ان كل واحد من اولئك الاباء الكرام ما قدار تفع في زمانه
حتى صار كالنجم في الشرف وعلو المرتبة والاضاءة والاهتداء به في ظلمات البر والبحر حتى يظن
الظان انه نجم من نجوم الجوزاء وان ذلك النسب متناسب كتناسب العقد وكاستدارة نجوم الجوزاء
وان مجموع هذا النسب كالعقد الثمين جدا الذي تقلده عنق تلك المراتب العلية فعلم من هذا مع
لمحة مستر في بحث الاستعارة ما في هذا البيت من انواعها البالغة الغاية في البلاغة كاستعارة
نجوم الجوزاء المتتابعة لتتابع ذلك النسب في الشرف وعلو المراتب العلية ولما قرر ان مجموع ذلك النسب
كالعقد الثمين الذي تقلدته تلك المراتب العلية اخذ في مدح ذلك العقد فقال **حبذا**

هي كلمة مدح ومعنى مع زيادة قهايلها باشعارها بان الممدوح بها محبوب للقلب واصله حبب بالضم
اى صار حبيبا لا حبب بالفتح ثم ادغم فصار حب والاصح ان ذا فاعله ويلزم الافراد والتذكير وان
كان المخصوص بخلاف ذلك لانه كالمثل والامثال لا تغير ولان فيه حذفا فالتقدير في نحو حبذا
هند حبذا حسنها او حبذا زيد حبذا امره وشانه فالمقدر المشار اليه مفرد مذكر دايما حذف واقيم
المضاف اليه مقامه اولانه على ارادة جنس شايع اقوال والاكثرون على الاول وقيل حبذا كله فعل
فاعله المخصوص وقيل الكل اسم واحد واختاره ابن عصفور فهو مرفوع اتفاقا ثم هل هو مبتدا
خبره المخصوص او عكسه قولان وعلى ان ذا هو الفاعل المخصوص مبتدا الجملة وهي خبره والرابط ذا
وقيل مبتدا محذوف الخبر وقيل عكسه فكانه قيل من المحبوب فقال زيد اى هو وقيل بدل من ذا
وقيل عطف بيان له ولا ينفك مخصوص حبذا عليها وان جاز تقديمه بقلة على نعم لانها فرع
عنها فلا تساويها في تصرفاتها ويحذف بقلة ويكون قبل المخصوص او بعده نكرة منصوبة مطابقة
نحو حبذا الصبر شيمة وحبذا رجلين الزيدان ثم ان اشتق اعرب حالا والا فهو تمييز على خلاف
منتشر فيه والناظم حذفه هذه لدلالة المقام عليه والتقدير حبذا كالاو وتدخل عليها لا فتساوى
بئس في العمل والمعنى مع زيادة ما تقدم ضده في حبذا وهي غير متصرفة فلا مصدر لها ومن ثم عملت
فيما عداه كالظرف والتمييز والحال وان توقف ابو حيان في الاخيرين ويجوز من ذا فيضم اولها
ويجوز بقاء فتحه وجر فاعلها بالباء كحب بها ما انما الظلت في هذه لان كلام الشيخ فيها غير موف
بالمراد مع انه لا يخلو كالنظم في حذفه مما مر من ايهام فتامله **عقد** بكسر اوله وهو القلادة من
الجوهر **سودد** اى سيادة **وفخار** اى تمدح بالخصال الجميلة **انت فيه** اى في ذلك
العقد وفي نسخة فيها نظرا الى المعنى لما تقرر ان العقد القلادة من الجوهر **اليتيمة** الدرة
اى التي لا شبيه لها في حسنها **العصماء** من العصمة اى الحفظ او المنع لان من شان هذه

ان يبالغ في حفظها ومنعها عن ان يتصل اليها ايدى الاغيار وجملة انت وما بعده صفة لعقد او حال منه
لتخصيصه بالاضافة وهذا فيه غاية المدح له صلى الله عليه وسلم ولنسبه اى حبذا النسب الذى اذا ذكرت
وعددت معك اباؤك كانوا قلادة منتظمة من جواهر ثمينة لها السيادة والفخار على جميع الجواهر
وكنت انت اعظمها وانفسها واعلاها بحيث تكون انت واسطتها العديمة النظير المخصوصة
من الرعاية والحفظ والمنع بما لم يوجد لغيرها المتميزة بما يبلوغها من صفات الجمال ونعوت الجلال
ما يبهر العقل ويفوق الوصف ويشهد لهذا ما مر من الاحاديث الصحيحة الصريحة في انه صلى الله عليه وسلم
افضل المخلوقين والخليفة الاكبر عند رب العالمين ولما تم مدح كماله ونسبه اخذ في مدح ذاته فقال
وَحَبَّذَا ايضا **مُحَيَّا** اى وجه **كَالشَّمْسِ مِنْكَ** حال من محيا **مُضِيٌّ** مبتدا خبره
كالشمس والجملة صفة لمحيا او حال منه لتخصيصه بمنك ويشاهد بهذا حديث البخارى عن الربيع بنت
مسعود لو رايته لقلت الشمس طالعة وحديث احمد والترمذى والبيهقى وابن حبان عن ابى هريرة
رضى الله عنهم ما رايت شيئا احسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الشمس تجرى فى وجهه
حديث مسلم من حديث جابر بن سمرة قال له قائل كان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل السيف
فقال لا بل مثل الشمس والقمر كان مستديرا وبين بذلك الرد على من شبهه بالسيف فى الطول واثر
جمع صفة الشمس من الاشراق والاضاءة وصفة القمر من الحسن والملاحة وفى حديث على عند الترمذى
والبيهقى لم يكن المطهم اى كعظم الشين الفاحش ولا بالمكلثم اى المدور الوجه كان فى وجهه تدوير
اى قليل مع سهولة خديه وهو احلى ما يكون عند العرب وعلم مما تقرر انهم لم يقصدوا بالتشبيه بالشمس
والقمر الا ما ذكر من الاصابة لا مطلقا فاندفع ما توهم من عيب التشبيه بهما اخذا من قول ابى نواس
شعر تنبه الشمس والقمر المنير اذا قلنا كانهما الامير لان الشمس تغرب حين
تمسى وان البدر ينقصه المسير نعم قول ابن ابى هالة يتلالا وجهه كتلالؤ القمر ليلة البدر

ربما

ربما يفوق التشبيه بالشمس من حيث ان القمر يملا نوره الارض اجمع ما كانت اليه ويونس كل
من شاهده فهو يجمع النور من غير اذى ويتمكن الناس من مشاهدته بخلاف الشمس فانها تغشى البصر
وتمنع من تمكن الرؤية وبذلك ان تقول لا نعوق لما علم مما قدمته ان وجه الشبه مراعى وح فالتشبيه
بالشمس مع رعاية وجه الشبه بها ابلغ منه بالقمر قال الله تعالى **هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَ
الْقَمَرَ نُورًا** وشتان ما بينهما **اَسْفَرَتْ** صفة او حال ايضا اى انحسرت وانقشعت **عَنْهُ**
اى عن ذلك المحيا او اضاءت متجاوزة عنه **لَيْلَةٌ** عظيمة **غَرَّاءُ** اى بيضاء بظهور نورها فيها
وعقبها وهذا اولى من جعل ذلك لظهور القمر فيها بناء على انها ليلة الثانى عشر او لكونها
من الغر بناء على انها ليلة ثانى الشهر وغرته ثلاث ليال لان كلا من هذين لا مدح فيه له صلى الله
عليه وسلم بخلاف الاول الماخوذ من الغرة وهى بياض فى وجه الفرس فهو غرة فى وجه الدهر لم ابدل
منها قوله **لَيْلَةَ الْمَوْلِدِ** بكسر اللام زمن الولادة وبفتحها مكانها وكلاهما ههنا بعيد فالاحسن
انه مصدر ميمى اى ليلة الولادة **الَّذِى كَانَ** اى دام واستمر على حد وكان الله غفورا رحيما
لِلدِّينِ وهو لغة الجزاء واصطلاحا الشرع المبعوث به النبى الكريم وحد ايضا بانه وضع الهى
سائق لذوى العقول باختيارهم المحمود الى ما هو خير لهم بالذات **سُرُورٌ** اى فرح عظيم
بِيَوْمِهِ واليوم فى عرف الفلكيين ونحوهم من طلوع الشمس وفى عرف النحاة من طلوع الفجر
واضاف ذلك ليوم المولد دون ذاته مبالغة فى الزيادة لعظمته لان ذلك اذا وقع لظرفه التابع له
فكيف بذاته **وَازْدَهَاءٌ** اى هذه الليلة الغراء هى ليلة ولادتك وانت اشرف مولود فلا جل
ذلك سر الدين واهله اليوم الذى برزت فيه الى هذا الوجود على الوجه الاكمل وافتخر به على سائر
الاديان والايام **تَنْبِيهٌ** اضاف الناظم كلا من الليلة واليوم الى المولد فاحتمل ان يكون
من القائلين بانه ولد ليلا واستدلوا بما رواه ابن السكن من حديث عثمان ابن العاصى عن امه

فاطمة بنت عبد الله الثقفية انها شهدت ولادة النبي صلى الله عليه وسلم ليلا قالت فما شيء انظر
اليه من البيت الا نور وانا لانظر الى النجوم تدنو حتى اني اقول ليقعن علي رواه البيهقي ولم يذكر
فيه الا النور ودنو النجوم وبتصريح عائشة ايضا بذلك كما رواه الحاكم وان يكون من القائلين بانه
ولد نهارا وهو ما يصرح به قوله الاتي يوم قالت به وضعه بنت وهب وهذا هو الاصح كما صرح به
حديث مسلم وغيره لكن يبعد الجزم كما في حديث وان كان فيه ضعف لان الضعيف في الفضائل والمناقب
حجة اتفاقا فمن اطلق انه ولد ليلا اراد بالليل ما قبل طلوع الشمس او اراد مجاز المجاورة وليس في
رواية ان النجوم تدلت عند ولادته الاتية ما يدل على ان ذلك كان قبل الفجر لانها تكون بعد الفجر
فيمكن تدليها بل بعد طلوع الشمس خرقا للعادة للمبالغة في اكرامه صلى الله عليه وسلم وعلى انه ولد
ليلا قيل ليلة مولده افضل من ليلة القدر واستدل قائله بوجوه كثيرة كلها مدخولة كما يعلمه الواقف
عليها ان حقق ودقق وعلى انها ولد نهارا فهو يوم الاثنين اتفاقا وصح خبر مسلم ثم قيل انه في شهر غير
معين والمشهور انه معين وهو صفر او ربيع الاول او الاخر او رجب او رمضان او يوم عاشوراء
اقوال والاصح انه في شهر ربيع الاول فقيل ان اليوم فيه غير معين والاصح انه معين فقيل لليلتين
وقيل انه لثمان واختاره اكثر اهل الحديث وغيرهم بل اجمع عليه اهل التاريخ وقيل العشر وقيل الثنتي عشرة
وهو المشهور وعليه العمل وقيل لسبع عشرة وقيل لثمان بقين منه وانما لم يكن في يوم الجمعة ولا في
بعض الاشهر الحرم ورمضان لئلا يتوهم انه صلى الله عليه وسلم تشرف بذلك الزمن الفاضل فجعل
في المفضول ليظهر مزيته على الفاضل ونظير ذلك دفنه بالمدينة دون مكة لان المولد في فيهما الكان
يقصد تبعا لهما فافرد بموضع مفضول عند اكثر العلماء ليتشرف به بل ليفوق به الفاضل عند
كثيرين منهم وليقصد قبره ومسجده بطريق الاستقلال لا التبعية اظهارا لمزيد كرامته على غيره
واختلفوا في عام ولادته فالاكثرون انه عام الفيل بل حكي الاتفاق عليه والمشهور انه ولد بعد

بخمسين

بخمسين يوما ورآه ذلك اقوال اخر خمسة وخمسون شهرا اربعون يوما عشر سنين خمس عشرة سنة وابد
بعده كونه بانه ارهاص لنبوة هذا الذي وُلِدَ بمكة ومقدمة لظهوره وفي مكانها والصواب انه
وُلِدَ بمكة قيل بالشعب وقيل بالردم والمشهور انه المسجد المشهور الان بالمولد ومن زعم انه عسفان شاذ
لا يعول عليه فقد صرح بعض ائمتنا ان اول واجب على الاولياء ان يعلموا صبيانهم ان نبينا
محمدا صلى الله عليه وسلم وُلِدَ بمكة ودُفِنَ بالمدينة بل قيل انكار ذلك كفر لاستلزامه انكار وجود النبي
الذي هو محمد صلى الله عليه وسلم **وَتَوَالَتْ** اي تتابعت **بُشْرَى** اي بشارة **الْهَوَاتِفِ**
للناس جمع هاتف وهو المسمع هتفه اي صوته وقيل صوته الخفي ولا يرى شخصه والمراد بها هنا
اعم من ذلك لان البشارة به جاءت في كتاب الله والسنة والاحبار والكهان والجان اي كما انتهى
اهل السير وجمع اكثره ابن ظفر في كتابه البشرى بخير البشر **أَنْ** اي بان متعلق ببشرى **قَدْ**
وُلِدَ الْمُصْطَفَى اي المختار على الخلق كلهم **وَحَقَّ** اي ثبت **الْهَنَاءُ** اي الفرح والسرور
لكل الخلائق به قال الله تعالى وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ والبشارات به صلى الله عليه وسلم
على الانواع المذكورة كثيرة لا يحتملها هذا المحل لكن منها ما جاء انه حين وُلِدَ هتف هاتف على
الحجون فاقسم ما انثى من الناس انجبت ولا ولدت انثى من الناس واحدة كما ولدت زهرية ذات
مفخر مجتنبة لوح القبائل ماجدة وهتف اخر على ابي قبيس باربعة ابيات فيها معنى ذلك وزيادة
ومنها ان سواد ابن قارب الدوسي لما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وحسن اسلامه اخبره
ان رئيه انشده ابياتا بثلاث ليال متوالية وذكرها للنبي صلى الله عليه وسلم فيها حث قارب الى المجيء الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم والايمان به وعظيم مدحه ومنها ما جاءت بسند فيه ضعفان راهبا
كان بمر الظهران يقول يوشك ان يولد منكم يا اهل مكة مولود اسمه محمد تدين له العرب ويملك العجم
هذا زمانه فكان لا يولد بمكة مولود الا سأل عنه فجاءه عبد المطلب صبيحة ولادته صلى الله عليه وسلم فلما

يا اهل مكة يولد فيكم مولود تدين له العرب ويملك العجم هذا زمانه فكان لا يولد مولود دعائه صح

راه قال كانك اباه فقد ولد ذلك المولود الذى كنت احدثكم عنه فلما سمعته قال محمد او قد طلع نجمه
البارحة وروى الحاكم عن عائشة انه كان بمكة يهودى فصاح ليلة ولادته يا اهل مكة هل ولد فيكم
الليلة مولود قالوا لا نعلم قال ولد هذه الليلة نبى الامة الاخيرة بين كتفيه علامة فيها شعرات متواترات
كانهن عرف فرس فادخلوه على امه واخرج له فكشف عن ظهره فراى تلك الشامة فخر مغشيا عليه فلما
افاق قالوا مالك ويلك قال ذهبت والله النبوة من بنى اسرائيل وذكر الحافظ ابو سعيد النيسابورى
ان نور النبى صلى الله عليه وسلم لما صار الى عبد الله بن عبد المطلب كان يضيء فى غرته ويفوح من فمه رائحة
المسك الاذفر وكانوا يستسقون به فيسقون نام فى الحجر فانتبه مكحولا مدهونا قد كسى حلة البهاء
والجمال فتحير فى من فعل به ذلك فانطلق به ابوه الى كهنة قريش فقالوا ان اله السموات قد اذن لهذا
الغلام ان يتزوج ونام مرة اخرى فى الحجر فراى رؤيا وقصها على الكهنة فقالوا ان صدقت رؤياك
ليخرجن من ظهرك من يؤمن به اهل السموات والارض وليكونن فى الناس علما مبينا وذكر الحافظ
ان زمزم كانت اندرست فراى عبد المطلب ما دل عليها فحفرها فاذاه سفهاء قريش ولم يكن له الا ولده
الحارث فنذر ان رزق عشرة بنين ليذبحن احدهم لله فلما تموا عشرة راى فى منامه ان يوفى بنذره فانتبه
فذبح كبشا فراى انه لا يجزيه فذبح ثورا فراى انه لا يجزيه وهكذا حتى امر بذبح احد بنيه كما نذر فاقرع
بينهم فخرجت على عبد الله فجاء به ليذبحه عند الكعبة فمنعه سادة قريش وامروه بمشاورة كاهنة
فاشارت انه يقرع بينه وبين عشرة من الابل مائة كلما خرجت القرعة عليه زاد عشرا فلما بلغت
مائة خرجت القرعة عليها فذبحها ولهذا قال صلى الله عليه وسلم انا ابن الذبيحين وصح انه اقر بمن قال
له ذلك والثانى اسمعيل وعلى انه اسحق وعليه الاكثرون فقد مر ان العرب تسمى العم ابا و
من عجائب ليلة ولادته صلى الله عليه وسلم **تداعى** اى تهادم اى اشرف على الهدم لانه انشق شقا
بينا آل به الى الخراب **ايوان** بكسر الهمزة ويقال فيه اوان ككتاب وفسره الجوهرى بانه الصفة

العظيمة

العظيمة كالازج وغيره بانه بيت مؤزج اى مبنى طولا غير مسدود الوجه اى فهو صفة طويلة واسعة
باقلها عقد واسع بابه وهو فارسى وقيل هو البيت العالى وقيل بيت كبير مستطيل ذو شرفات
وقيل هو بيت الملك المعد لجلوسه مع ارباب مملكته لتدبير ملكه والحاصل ان ذلك الايوان
كان من عجيب الدنيا سعة وبناء واحكاما **كسرى** انوشروان بفتح الكاف وكسرها معرب خسرو
اى واسع الملك وهو لقب لكل من ملك الفرس كقيصر لملك الروم وتبع لملك اليمن والنعمان لملك
العرب من قبل العجم والنجاشى لملك الحبشة وفرعون لملك القبط والعزيز لملك مصر وجالوت
لملك البربر وخاقان لملك الترك **ولولا** حرف امتناع لوجود اى امتنع جوابها لوجود تاليها **آية**
صادرة **منك** الى الوجود اى علامة عظيمة على نبوتك ورسالتك العامة وان كل من عاندك لا بد تقع
لمرش وفيه التفات من الغيبة الى الخطاب والاصل منه اى المصطفى **ما تداعى البناء** اى هذا
المبنى المذكور مع ما هو عليه من العظم والاحكام الذى كان يظن به انه لا يهدمه الا نفخة الصور فاذا
قد تحرك وسقط منه اربع عشرة شرفات ح علم بالقطع البرهانى ان ذلك ليس الا محض آية منه صلى الله عليه وسلم
للوجود على نبوته وانه لا ملك ولا عز يبقى لاحد مع ملكه وعزه وسر تلك الاربع عشرة شرفات الاشارة
الى انه لم يبق من ملوكهم الا اربعة عشر فى اربع سنين واربعة الى زمن عثمان وقد فتح فى زمن عمر رضى الله عنه
اكثر اقليم فارس وكسر كسرى واهانه غاية الهوان فتقهقر الى اقصى مملكته ثم قتل فى زمن عثمان رضى الله
وزال ملكه بالكلية وصح انه صلى الله عليه وسلم اخبر انه اذا هلك كسرى فلا كسرى بعده وان امواله وكنوزه
تنفق فى سبيل الله فانقطع ملكه وزال من جميع الارض وتمزق ملكه كل ممزق لانه صلى الله عليه وسلم
دعا عليه بذلك لما جاءه كتابه فمزقه وقد بشر صلى الله عليه وسلم امته فى حفر الخندق بملك بلاده وقال
لسراقة وكان من فقراء اصحابه كيف بك اذا البست سوارى كسرى فلما اتى بهما عمر رضى الله عنه
البسهما اياه اى اظهارا للمعجزة وذلك من بديع المحظور وقال الحمد لله الذى سلبهما كسرى والبسهما

ساوة ولما راى كسرى ما وقع بايوانه وراى تلك الليلة الموبذان اعلم علماء مملكته ابلا صعابا تقود
خيلا عرابا قد قطعت دجلة وانتشرت في بلادها افزع كسرى ذلك فسئل الرائي فقال حدث
يكون من ناحية العرب فكتب كسرى الى النعمان بن المنذر ملك العرب بان يرسل اليه اعلم من في ارضه
من العرب فبعث اليه عبد المسيح بن عمرو الغساني وكان معمرا فدلهم على خاله وهو سطيح بالشام
فامره كسرى بالذهاب اليه فجاءه فوجده مشرفا على الموت فاخبره سطيح بما من جملته عبد المسيح
على جمل مشيح الى سطيح وقد وافى على الضريح بعثك ملك ساسان لارتجاس الايوان اى تحركه وخمود
النيران ورؤيا الموبذان راى ابلا صعابا تقود خيلا عرابا قد قطعت دجلة وانتشرت في بلادها
يا عبد المسيح اذا كثرت التلاوة وظهر صاحب الهراوة وفاض وادى السماوة اى قرية بين الكوفة
والشام وليست من العواصم وغاضت بحيرة ساوة وخمدت نار فارس فليس الشام لسطيح شاما
ولا بابل للفرس مقاما يملك منهم ملوك وملكات على عدد الشرفات وكل ما هو آت آت ثم قضى
سطيح مكانه وسمى النبي صلى الله عليه وسلم صاحب الهراوة لانه كان يمسك في يده القضيب وما ثرا
كثيرا وكان يمشي بين يديه بالعصا ليصلى اليها قال القاضي ولعلها العصا المذكورة في حديث
الحوض اذود الناس عنه بعصاى لاهل اليمن اى لاجلهم ليتقدموا وسمى ايضا صاحب القضيب اى
السيف كما في الانجيل فهو صاحب العصا يعني بها الاخبار والقضيب يعني به الاشراد ومن العجائب التى
ظهرت ليلة ولادته ايضا لينتبهوا ويقلعوا عن سبب للنار **غدا** اى صار في تلك الليلة **كل**
بيتِ نارٍ اى كل واحد من البيوت نار الفرس التى كانوا يعبدونها ويشتد ايقادهم لها
حتى ان لها الف سنة لم تخمد ونار من ذوات الواو وانما جمعت على نيران لانكسار ما قبل الواو المستلزم
لقلبها ياء وهى الحال وفيه موافقة لما ذهب اليه الجمهور وتبعهم ابن مالك ان المنصوب بعد غدا
حال اذ لا يوجد الا نكرة وخالفهم الزمخشري وابو البقاء والجزولي وابن عصفور فجعلوه خبرا

سوا

سواء كانت بمعنى صار او بمعنى وقع في وقت الغدو او الرواح وجعلوا من ذلك اغدُ عالما او
حديث تغدو خماصا وغدا زيد ضاحكا اى صار في حال الضحك **فيه كربةٌ** بضم اوله اى
غم يأخذ النفس وربما اهلكها **من** اجل **خمودها** اى سكون لهبها من غير ان يطفئه
جمرها والاقيل **همية وبلاءٌ** عظيم صبه الله عليهم صبا بازالة ما يعتقدونه الههم و
متعبدهم لانهم مجوس كان في اقليم الفرس من بيوت النار الموقودة الالاف من السنين ما يجهل
العادة انطفاؤه فاذا انطفت تلك النيران كلها في ساعة واحدة تلك الليلة علموا ان ذلك
لامر عظيم حدث في العالم وكان كذلك وسبب لازالة ملكهم وتمزيقهم كل ممزق كما هو من تلك العجائب
ايضا **عيونٌ** فهو مبتدأ مسوغه وصفه بقوله **للفرس** بالضم ويقال فارس ومنه حديث
وخذ منهم فارس والروم وهم امة عظيمة كان مسكنهم في شمال العراق من الفراسة بالفتح اى الشجاعة
ذكره من اجل ملوكهم **غارت** في الارض حتى لم يبق منها قطرة ومنها بحيرة طبرية التى كان فيها
من كثرة المياه وسعتها ما يحيل العادة غيضها ولهذا قيل طولها ثلاثة اميال وعرضها مثل ذلك وتسمى
عين ساوة لبلد معروف بينها وبين الري اثنان وعشرون فرسخا وقيل موضع بالشام **فهل**
استفهام للتعجب من حالهم او لتوبيخهم وتقريعهم **كان لنيرانهم بها** اى بتلك المياه
التى غارت **اطفاء** لا بل لم يطفئها الا ظهور وجود نبينا صلى الله عليه وسلم وظهور المضمحل به كل
لهو وباطل ولذا قال **مولدٌ** عظيم بالجر بدل من المولد والرفع خبر مبتدأ محذوف **كان**
اى صار على الدوام **منه** اى من اجله او من لابتداء الغاية **في طالع الكفر** اى في
نحو النجوم او الالهام الذى يطلع به على عواقب الكفر وغايات اهله المرتبة عليه كرؤيا الموبذان
والهام سطيح السابقين آنفا ويصح ان يراد ان المولد نفسه طالع لكل ذى بصيرة على ان امر الفرس
او الكفار يحل بهم **وبالٌ** اى وخم عظيم **عليهم** اى على اهله الذين هم الفرس بدليل السياق او

اى بالليل الواقع **ووباء** ويجوز قصره وهو المرض الشديد العام وهما وفيهما الجناس اللاحق
كانا يلتف عما اعترام بوجوده من اشراف ملكهم على الزوال وعما حل بهم من البوار والوبال والهوان
والتخالف بسبب ما يحصل بوجوده صلى الله عليه وسلم في هذه الكون لهذه الامة من المزايا ولامته العظام
ولابائه وامهاته من الشرف الاكبر والتميز الاظهر حتى ان يقال في شان امه **هنيئا به لا**
منة الفضل اى ثبت لك الفضل اى الكمال والشرف والعلو حالكونه هنيئا اى لا
افة فيه ولا نكد فهو حال عند الاكثرين مؤكدة لعاملها الملتزم اضماره اذ لم يسمع الا كذلك وقال
المبرد انه مصدر كالعافية واصله ثبت لك هنيئا ابوا عن المصدر صفة كما يذاك وهنيئا لك قال
بعض المغاربة وهي موقوفة على السماع وقال غيره انه مقيس عند سيبويه يقال لكل من لا ذم صفة و
هنيئا اسم فاعل من هنا او هنوء كشريف من شرف وهو ما اتاك بلا مشقة **الذي شرفت**
به حواء ام البشر دونها من امهاته الى امنة لان الولادة منسوبة الى كل منهن لكنها انهن بواسطة
ولا امنة بدونها ثم خصها من بينهن بذلك وزاد في مدحها بانها شرفت بما شرفت به ام البشر
وزيادة عدم الواسطة فذكرها لهذا وللجمع بين طرفي الولادة الاول والاخر ولينبه على ان حوا
امتازت بابرازه الى وجود عالم الاصلاب وامنة امتازت بابرازه الى وجود عالم الاستقلال مع
عدم الواسطة ومن ثم قال مبينا تميزها على حوا بذلك **من** استفهام استبعادي بمعنى النفي
لحوى اى من ذا الذي يفرح لها باتها او يشفع لها **فان انها حملت احمد** ابالتنوين
للضرورة اى حبلت به وهو من غرر اسمائه وقد سماه الله به على لسان موسى كما في الحديث وعيسى كما
في القران وهو منقول من الصفة التي معناها التفضيل فمعناه احمد الحامدين لربه وكذلك
هو في المعنى لانه يفتح عليه يوم القيمة عند سجوده تحت العرش ليؤذن له في الشفاعة العظمى
وهو

وهو مقام المحمود بمحامد لم يفتح على احد قبله فيحمد ربه بها ولذلك يعقد له لواء الحمد ليسمل ان يكون
تحته ادم فمن دونه **او انها به نفساء** اى اصابها نفاس وهو الدم الخارج عقب الولادة
سمي بذلك لانه اثر النفس اى ومانها ولادته بلا واسطة اى لو قدر لها ان تحمله وتلده من غير واسطة لكان
لها به غاية الفخر لكن لم يقدر ذلك لها بل لامنة المسبوق في علم الله انها الفائزة بشرف الانتماء اليه وهو افضل
مما فازت به حوا من شرف الابتداء ولهذا قال **يوم** بدل من هو لاسم مكان **نالت** اى اعطيت
بوضعه اى بسببه الامنة **ابنت وهب** بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة
فهي تلتقي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من جهة اباته في كلاب وكان وهب سيد بني زهرة نسبا وشرفا
وام امنة برة ابنة عبد العزى بن قصي بن عبد الله بن قصي بن كلاب **من** بيانية **فخار** وهو التمدح
بالخصال العلية والشيم الطاهرة المرضية **ما لم تنله النساء** حتى حوا كما مر وبهذا لا يقتضي
افضليتها على حوا مطلقا لانها انما فضلت من وجه واحد هو ولادتها له صلى الله عليه وسلم بلا
واسطة والتفضيل من حيثية مزية واحدة او مزايا لا تقتضي الافضلية على الاطلاق وانما ذكرت
ذلك لان الاجماع قام في حواء على ايمانها الحامل وامنة وقع الخلاف في ايمانها بل وفي نجاتها
ونقل عن الاكثرين عدمهما ولكن الاصح بل الصواب خلافه كما مر ومما قالته ما اخرجه ابو نعيم و الخرائطي
وابن عساكر ان عبد المطلب لما خرج بعبد الله ليزوجه للرؤيا التي راها وقد عرفت راة كاهنة
قرات الكتب فرات نور النبوة في وجهه ومن ثم كان اجمل جملة قريش فسالته ان يقع عليها وتعطيه
مائة من الابل فابى وقال اما الحرام فالممات دونه فمر ابوه حتى اتى به وهبا ابا امنة فزوجه بها
وهي يومئذ افضل امرءة في قريش نسبا وموضعا فوقع عليها يوم الاثنين ايام منى عند الجمرة
ثم خرج ومر على تلك المرءة فلم تكلمه فسالها لم لا تعرضين نفسك الان علي قالت فارقك
النور الذي سلبتك لاجله وذكروا انه لما استقرت تلك النطفة الكريمة فيها اصبحت اصنام

الدنيا منكوسة واخضرت الارض وحملت الاشجار وكانت قريش في جدب شديد فسميت تلك
السنة سنة الفتح ونودي في الملكوت ان النور المكنون قد انتقل الى بطن امنة ذات العقل الباهر و
الفضل خصها الله تعالى بهذا الحبيب لانها افضل قومها حسبا وازكاهم اصلا وفرعا وفي حديث
ابن اسحق انها حدثت انها لما حملت به صلى الله عليه وسلم قيل لها انك حملت بسيد هذه الامة وقالت
ما شعرت بحمله ولا وجدت له ثقلا ولا وحما الى في ابتداء حمله رواية انها وجدته وحملت على الابتداء
جمعا بين الاحاديث ما اتاني ات وانا بين النائمة واليقظانة فقال هل شعرت انك حملت بسيد
الانام ثم امهلني حتى دنت ولادتي اتاني فقال قولي اعيذه بالواحد من شر كل حاسد
ثم سميه محمدا وبعد هذا البيت ابيات اخر مشهورة ولا اصل لها كما قال الزين العراقي واخرج
ابو نعيم عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال كان في دلالة حمل امنة برسول الله صلى الله عليه وسلم
ان كل دابة كانت لقريش نطقت تلك الليلة وقالت حمل برسول الله صلى الله عليه وسلم ورب الكعبة
وهو امام الدنيا وسراج العلماء ولم يبق سرير ملك من ملوك الدنيا الا اصبح منكوسا وفرت
وحوش المشرق الى وحوش المغرب بالبشارة وكذلك اهل البحار يبشر بعضهم بعضا وله في كل شهر من
شهور حمله نداء في الارض ونداء في السماء ان ابشروا فقد ان ان يظهر ابو القاسم ميمونا مباركا
وروى ابو نعيم ان امنة اتاها ات بعد ستة اشهر من حملها وقال يا امنة انك حملت بخير العالمين
فاذا وضعته فسميه محمدا واكتمي شانك ثم لما اخذها الطلق وكانت وحدها كان طائرا ابيض قد
مسح فؤادها فذهب عنها ثم اوتيت بشربة بيضاء فتناولتها فاصابها نور عال ثم رأت نسوة
كالنخل طوالا فاحدقن بها فقالت من اين علمن بي وفي رواية فقلن لي نحن اسية امرأة فرعون
ومريم ابنة عمران وهؤلاء من الحور العين ثم رأت ديباجا ابيض مد بين السماء والارض ورجالا
بايديهم اباريق فضة وقطعة من الطير اقبلت حتى غطت حجرها مناقيرها من الزمرد واجنحتها

من الياقوت

من الياقوت ورأيت مشارق الارض ومغاربها وثلاثة اعلام منصوبات علما بالمشرق
وعلما بالمغرب وعلما على ظهر الكعبة فاخذها النعاس فوضعته صلى الله عليه وسلم فاذا هو
ساجد قد رفع اصبعيه الى السماء كالمتضرع المبتهل ثم رأت سحابة بيضاء غشيته فغيبته
عنها فسمعت مناديا يقول طوفوا به مشارق الارض ومغاربها وادخلوه البحار ليعرفوه
باسمه ونعته وصورته ويعلمون انه سمي الماحي لا يبقى شيء من الشرك الا محي في زمنه
ثم تجلت له في اسرع وقت وروى الخطيب البغدادي بسنده انها لما وضعت رأت سحابة
عظيمة لها نور يسمع فيها صهيل الخيل وخفقان الاجنحة وكلام الرجال حتى غشيته وغيب
عنها فسمعته مناديا يقول طوفوا به جميع الارض واعرضوه على كل روحاني من الجن والانس و
الملائكة والطيور والوحوش واعطوه اخلاق النبيين ثم انجلت عنه وقد قبض على حريرة بيضاء
مطوية طيا شديدا ينبع فيها ماء واذا قائل يقول بخ بخ قبض محمد على الدنيا كلها لم يبق احد
من اهلها الا دخل طائعا في قبضته ثم رأت ثلاثة نفر بيد احدهم ابريق فضة والثاني طشت
من زبرجد اخضر والثالث حريرة بيضاء اخرج منها خاتما يحار الناظر دونه فغسله سبع مرات
ثم ختم به بين كتفيه ثم احتمله فادخله بين اجنحته ساعة ثم رده اليها و يوم اتت امنة **قومها**
اسم جنس للذكور وقد يدخل فيه النساء تبعا كما هنا **ب** مولود **افضل** بالاجماع **مما**
او قع على العاقل وهو عيسى صلى الله عليه وسلم وان كان غالب الورود في القران نحو لما خلقت بيدي
والسماء وما بينها الايات ولا انتم عابدون ما اعبد وكلام العرب ومنه سبحان ما سخر
لنا ولو وجهنا وامثاله زعم قوم منهم درستويه وابو عبيدة ومكي وابن خروف وقوعها على احاد من يعقل
كثيرا مطلقا وقال السهيلي لا يقع على اولي العلم الا بقرينة ويقع على صفات من يعقل نحو فانكحوا ما طاب
لكم من النساء اي الطيبة منهن وعليه فما هنا نظر الاية لان من صفات من يعقل الحمل المذكور في قوله

حملت قبل اى قبل المشهور ان بينهما نحو ستمائة سنة امه **مريم** بنت عمران
الصديقة بنص القران قيل هى من ذرية سليمان صلى الله عليه وسلم بينها وبينه اربعة وعشرون ابا وفى
الصحيح خير نسائها مريم ولذا فضلت على جميع النساء للخلاف فى نبوتها وان كان شاذا ولما رفع
عيسى الى السماء كان سنها ثلثا وخمسين سنة وبقيت بعد ذلك خمس سنين او ست كما قال الجلال
السيوطى قال ايضا ولما رفع الى السماء تعلقت برائه وبكت فقال لها ان القيمة يجمعنا **العذراء** اى
اى البكر لانها لم تتزوج والعذرة البكارة وحملها بعيسى انما هو من نفخ جبرئيل فى جيب درعها
فحملت به ووضعته من وقتها على الاشهر كرامة لها ومعجزة له صلى الله عليه وسلم وخصته بهذا مع تصريحه قبل
بانه افضل الانبياء لانه ينزل من السماء على منارة جامع بنى امية البيضاء شرقى دمشق كما رواه مسلم فى
اخر هذه الامة ويقتل الدجال والخنزير ويبطل الجزية فربما يتوهم من ذلك مع باهر معجزاته وكلامه في
من غرائب وان كان لنبينا ما هو مثلها او ابهر منها كما يأتى انه الخاتم الافضل فنفى ذلك على وجه الاكمل
فنزوله انما هو بشريعة نبينا ومنها ان الجزية لا تقبل بعد نزوله لانتفاء ما لهم من نوع شبهة تمسك بكتاب
بنكذيبه لهم فيكون من اتباعه ولاجل ذلك يصلى وراء المهدى اول انه يتقدم بعد اعلامه بانه
لم ينزل مستقلا بل تابعا مقررا لاحكام شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ولخبر البخارى انا اولى الناس بابن
مريم فى الدنيا والاخرة ليس بينى وبينه نبى وبه يرد على من قال كان بينهما خالد بن سنان نبى اصحاب الرس
ولخبر الصحيحين من شهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله وان عيسى عبد الله
ورسوله وكلمته القاها الى مريم وروح منه وان الجنة حق والنار حق ادخله الله الجنة على ما كان منه
من عمل وفى خبر الصحيحين ان كل مولود ينخسه الشيطان فيصيح الا عيسى قال ابو هريرة اقرؤا ان
شئتم وانى اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ولا ينافى هذا فضلية نبينا صلى الله عليه وسلم
لان لنبينا من المزايا ما ينغمر هذا فى جنبه دونها وقد يكون فى المفضول مزية او مزايا ليست فى

الفاضل

الفاضل لكن فيه ما يخلف ذلك ويفوقه **شمتته** من التشميت وهو ان يقال للعاطس يرحمك الله
بالمعجمة والمهملة اى دعا له بالسلامة من الشوامت وبقاء سمته كما هو لان العطاس ربما كان سببا
لتعويج نحو العنق **الاملاك** جمع ملك وهذا هو القياس فى جمعه كجمل واجمال ولفظ الملك
مشتق من الالوكة اى الرسالة ويقال لها المالكة فالاصل فيه مالك ثم قلبت فصار ملاكا على وزن مفعل
ثم خفف بعد قلبه ونقلت حركة الهمزة الى اللام فصار ملكا على وزن فعل ومن ثم فقياس هذا
جمعه على افعال كما جرى عليه الناظم وانما جمعوه على ملائكة لانهم راعوا ملاك بعد القلب وقبل
تخفف وقولهم من الالوكة مصرح بان ميم ملائكة وهو راى الجمهور وذهبت طائفة الى انها
اصلية ثم اختلفوا هل هو من الملك بالفتح اى القوة لقوتهم او بالكسر بمعنى مملوك فقولان قيل
احسن من الجميع قول النضر بن شميل انه غير ماخوذ من شئ والتحقيق الذى دلت عليه الاثار وقوله
تعالى كان من الجن ومن زعم ان نوعا من الملائكة يسمون بذلك ليس فى محل التوقف على صحة
خبرية ان ابليس ابو الجن كما ان ادم ابو البشر وانه لم يكن من الملائكة طرفة عين وان المصحح
للاستثناء فى الاية التغليب لكونه كان فيهم او هو منقطع وفى خبر مسلم خلقت الملائكة من نور
وخلق الجن من مارج من نار وخلق ادم مما وصف لكم وظاهره ان عنصرهما متمحض من النور والنار
وقيل بل هما من العناصر الاربعة كالثالث وانما غلب عليهما ذلك ومن عم تأويل الاول
بانه على التمثيل ليس فى محله لانه يلزم عليه ان الثالث كذلك ولان المعتزلة على هذه الطريقة
فانهم اولوا احاديث السؤال فى القبر وعذابه والصراط والميزان والحوض والشفاعة ودابة
الارض ونحوها ولم يبالوا بمنابذتهم للسنة الغراء فتحهم الله **اذ وضعته** اى وقت
وضع امه له **وشفتنا** اى افرحتنا وسرتنا او من الشفاء لا فارقية والرقية كثيرا ما يحكى
منها الشفاء لان قولها الاتى يشفى العليل ويبرد الغليل **بقولها الشفاء** بالفاء المشددة

وهي ام عبد الرحمن بن عوف احد العشرة بنت عمرو بن عوف وقولها هو الخبر ابو نعيم عن ولدها عبد الرحمن عنها قالت لما ولدت امنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقع على يدي فاستهل فسمعت قائلا يقول رحمك الله ورحمك ربك قالت الشفاء واضاء لي ما بين المشرق والمغرب حتى نظرت الى بعض قصور الروم قالت ثم البسته واضجعته فلم انشب ان غشيتني ظلمة ورعب وقشعريرة ثم غيب عني فسمعت قائلا يقول اين ذهبت به قال الى المشرق وقالت فلم يزل الحديث مني على بالي حتى بعثه الله فكنت في اول الناس اسلاما وحمل الناظم قولها استهل على انه عطس حتى عبر بشمته الذي لا يطلق الا على ما يقال عند العاطس عقب العطاس يحتاج فيه لسند اذ حقيقة الاستهلال رفع الصوت عند الولادة وهذا هو الغالب من احوال المولودين فحمله على ذلك يحتاج الى تصريح عمن يعتمد عليه به ولو ارادوا قولها فسمعت قائلا يقول على الملك هو الظاهر وجمعه مبالغة واشارة الى ان عصمة الملك نكته توجب ان الفعل المسند الى احدهم كانه مسند الى الجميع وعلى ما قاله الناظم مع ما استقر من شرعه صلى الله عليه وسلم ان التشميت انما يسن لمن حمد الله عقب عطاسه يحتمل انه صلى الله عليه وسلم حمد الله فشمتت فيكون من جملة من تكلم في مهده وان كان صلى الله عليه وسلم عده ولم يذكر نفسه منهم **رافعا** حال من مفعول وضعته **راسه** الى السماء كما رواه ابن سعد من حديث جماعة منهم عطاء وابن عباس ان امنة قالت لما فصل مني تعني النبي صلى الله عليه وسلم خرج منه نور اضاء له ما بين المشرق والمغرب ثم وقع له ما بين المشرق والمغرب ثم وقع على الارض معتمدا على يديه ثم اخذ قبضة من التراب فقبضها ورفع راسه الى السماء **وفي ذلك الرفع** الذي هو اول فعل وقع منه بعد بروزه الى هذا العالم وهو خبر مقدم **الى كل سودد** اي رفعة وسيادة على الخلق وهو متعلق بالمبتدا الذي هو **ايماء** اي اشارة الى ان شانه وقدره يرتفع ويعلو في الدنيا والاخرة الى مراتب لا يصلها غيره من ملك ولا جني ولا انسي **رامقا** حال ثانية من الاولى وتعدد الاحوال

جائز

جائز كتعدد الاخبار او من ضمير رافعا فهي من الاحوال المتداخلة **طرفه** اي بصره **السماء** اي ناظرا الى جهتها نظرا حقيقيا كما علم من حديث عطاء وابن عباس المذكور وروى الطبراني انه لما وقع الى الارض رفع مقبوضة اصابع يديه مشيرا بالسبابة كالمسبح بها وسبقت رواية انها لما وضعته نظرت اليه فاذا هو ساجد وقد رفع اصبعيه الى السماء كالمتضرع المبتهل **و** سر هذا الرمق الاشارة الى علو مرماه اذ **مرمى** هو في الاصل غرض الرامي الذي يصيبه بسهمه ومنتهى ما انتهى اليه البصر **عين من** موصول **شانه** اي قصده **العلو** اي ارتفاع مكانه والجملة صلة وخبر مرمى **العلاء** بالفتح والمد اي الرفعة والشرف ويجوز ضم عينه مع القصر ومماه ان رفع راسه ايماء الى ما من فكذلك رمقه ببصره الى جهة العلو اشارة الى انه لا يقصد الا اعلى المراتب اذ من شانه العلو لا يقصد الا الى جهاته وما يوصل اليها دون غيرها مما لا يتناسب قصده فعلم ان المرتب على الرفع والرمق متحد بالذات مختلف بالاعتبار اذ التوجه الى الجهات العلوية الذي هو مفادهما له اعتبارات مختلفة **و** يوم **تدلت** اي قربت ودنت فهو عطف على قالت **زهر النجوم** من اضافة الصفة الى الموصوف اي الكواكب المضيئة **اليه** صلى الله عليه وسلم كرامة له وتعظيما لم يقع نظيره لغيره كما رواه البيهقي وابن السكن عن عثمان بن ابي العاص عن امه فاطمة الثقفية انها قالت لما حضرت ولادة النبي صلى الله عليه وسلم رايت البيت حين وقع قد امتلا نورا ورايت النجوم تدنو حتى ظننت انها ستقع علي **ف**ـ بسبب هذا التدلي **اضاءت بضوئها** اي تلك الكواكب المضيئة **الارجاء** اي نواحي البيت ونواحي السماء او نواحي الوجود باسره **و** يوم **تراءت** منه اي بمعنى ابصر وليس المراد هنا حقيقة التفاعل بل اصل الفعل كيعافاك الله وعاقبت اللص اي رايت **قصور قيصر** وهو لقب لكل من ملك الروم

بِالرُّومِ اى بلاد الروم وهو ابن عيصو بن قيصر وقصور التجنيس المطلق وسماه قوم كالسكاكي
وغيره تجنيس المشابهة وهو تماثل الكلمتين بحيث يشبهان المشتقين الراجع معناهما الى اصل واحد
كقوله تعالى أَزِفَتِ الْآزِفَةُ يَا أَسَفَا عَلَى يُوسُفَ أَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ ومنع الحلي
ان هذا ليس من اصناف التجنيس وان عد اكثر المؤلفين له تجنيسا غلطا وليس كما زعم لانهم لم يطلقوا
كونه تجنيسا وانما قيدوه بتجنيس المشابهة فبينوا انه اشبه التجنيس وليس في الحقيقة تجنيسا وسموه
بل كثير منهم معبرا عنه بنحو وفيه تجنيس شبه الاشتقاق وما ذكر في الاخير هو ما ذكره الحلي ولا ينافيه
عد غيره له من تجنيس الاشتقاق لانه نظر الى ان المراد من أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ أفرغ وسعك في
صرف جميع انهمتك في نشره والعمل به وغيره نظر الى ان المراد استقم لتبليغه والله اعلم اه
حال كون تلك القصور يَرَاهَا رؤية كاملة مِنْ اى الذى دَارُهُ الْبَطْحَاءُ
اى مكة والابطح والبطحاء المسيل الواسع الذى فيه دقاق الحصا واصل ذلك ما في الحديث الصحيح انه
صلى الله عليه وسلم قال انى عبد الله خاتم النبيين وان ادم لمنجدل فى طينته وسأخبركم عن ذلك
دعوة ابراهيم وبشارة عيسى ورؤيا امى التى رأت وكذلك امهات الانبياء يرين وان ام رسول
الله صلى الله عليه وسلم رأت حين وضعته نورا اضاءت له قصور الشام وفى رواية عنها قالت رأيت
كأنه خرج من فرجي شهاب اضاءت له الارض حتى رأيت قصور الشام وفى اخرى رأيت ليلة
وضعته نورا اضاءت له قصور الشام حتى رأيتها وفى اخرى لما ولدته خرج من فرجي نور اضاءت
له قصور الشام فولدته نظيفا ما به من قذر وفى اخرى لما فصل منى خرج منه نور اضاءت له ما بين
المشرق والمغرب وفى رواية الشفاء السابقة واضاء له ما بين المشرق والمغرب حتى نظرت الى بعض
قصور الروم ولا ينافى هذه الروايات رواية انها رأت مثل ذلك ابتداء عند وضعه لان تلك
الاضاءة وقعت مرتين عند حمله وعند ولادته زيادة فى البشارة بظهوره وظهور دينه وخصت

الشام

الشام بالذكر فى اكثر الروايات لما اختصت به من سبق نور نبوته اليها ومن ثم نقل كعب عن الكتب
السالفة انها دار ملكه باعتبار سبقه تبعا لسبقها قبل نظرائها ولذا اسرى به الى بيت المقدس منها كما
هاجر اليها ابراهيم ولوط وبها ينزل عيسى صلى الله عليه وسلم وهى ارض المحشر والمنشر فَائِدَةٌ
صح عن الضياء انه صلى الله عليه وسلم وُلِدَ مختونا مقطوع السرة حتى لا يرى احد سوءته وزاد
الحاكم ان ذلك تواترت به الاخبار واعترضوا التصحيح بان كلا منهما ضعيفة والتواتر بانها
اذا لم تصح كما تقرر فكيف قيل على ان كثيرا من الناس ولد مختونا فلا خصوصية فيه بل قال ابن
الكلبي ان ادم واثنى عشر نبيا بعده ولدوا مختونين وروى بعض الحفاظ بسنده الى ابن عباس ان
عبد المطلب ختنه يوم سابع ولادته وجعل له مأدبة وسماه محمدا وفى طريق منكر انه خُتِنَ عند
حليمة حين شق قلبه ولما تم الكلام على عجائب ولادته صلى الله عليه وسلم ومعجزاتها شرع فى ذكر عجائب
الرضاع ومعجزاته مستأنفا اى عاطفا عطف الجمل فقال وَبَدَتْ اى ظهرت لمن فى عصره
بطريق العيان ولمن بعدهم بطريق البرهان فِى زمن رِضَاعِهِ وهو امتصاص اللبن
من الثدى مُعْجِزَاتٌ تسميتها بذلك مجاز وجرى على اصطلاح السلف كالامام احمد فانهم
يطلقون المعجزة على كل خارق ليس بسحر وجدت فيه الشروط الاتية ام لا ولكن الاشهر الذى عليه اكثر
اهل الكلام وغيرهم ان المعجزة لا تطلق حقيقة الا على الامر الخارق للعادة المقرون بالتحدى الدال على
صدق الانبياء صلى الله عليهم وسلم فعلم ان لها شروطا احدها خرقها للعادة بان تجل وقوعها كانشقاق القمر
ثانيها اقترانها بالتحدى وهو طلب المعارضة والمقابلة مع امن معارضتها من تحدى بشيء فاتى بغيره لا عليه
وهو مجاز اذ اصله الحدا يتعارض فيه الحاديان فيتحدى كل على الاخر اى يطلب حداءه ثم فخرج الخارق من
غير تحد وهو كرامة الولى والخارق المتقدم على التحدى كاظلال الغمام وشق الصدر الواقعين لنبينا
صلى الله عليه وسلم قبل النبوة فهى كرامات لا معجزات وتسمى ارهاصا اى تأسيسا للنبوة لا يقال خرج به

ايضا الخارق المتاخر عن التحدي بما يخرجه عن المقارنة العرفية لانه يلزم عليه اخراج اكثر اياته صلى الله
عليه وسلم كنطق الحصا والجذع والذئاب ونبع الماء بل قيل لعله لم يتحد بغير القران وتمني الموت وزعم انه
لا معجزة الا هذان اقرب الى الكفر منه الى البدعة فالحق ان المراد بالتحدي ليس معناه الاصلي بل المراد
دعوى الرسالة وكل معجزاته مقارن لذلك والخارق الذي لا نوع من معارضته كالسحر سواء قلنا انه
يقع من مدعي النبوة كذبا كقلب الاعيان واحالة الطبائع لانا وان جوزنا ذلك فقد جرت العادة
الالهية بانه لا يقع من مدعي النبوة كذبا وانما يقع من مدعيها صدقا ام لم نقل بذلك وهو ظاهر ولا ينافي
ذلك ما يظهر للدجال من الخوارق العظيمة لانها ليس مدعيا للنبوة بل للالوهية وقد دلت القواطع على
كذبه وان برز تلك على يديه لمحض الفتنة لا على ثبات الشهادة لا تهاما على صدق المتحدي ويخرج الخارق المكذب له
كان قال اني انطق هذه الدابة فنطقت بكذبه كما وقع لمسيلمة الكذاب اللعين انه تفل في بئر ليكثر ماؤها
فغارت لا يقال كان ينبغي للناظم ان يقال ايات او بينات او برهان لان هذه هي الواردة في القران و
السنة دون لفظ المعجزة لانا نقول هي وان لم ترد لكن صارت في اصطلاح المتاخرين ابين واظهر فلذلك
خصت بالذكر **ليس فيها** متعلق بخفاء **على العيون خفاء** لوضوحها وهو
اسم مصدر لخفيته لانه الذي بمعنى كتمه لا مصدر لخفيته لانه اظهره وبين بدت وخفاء الطباق
اذ اي وقت او لاجل انه **ابته ليتمه** اي لاجل موت ابيه وقد مضى له وهو حمل شهران
وقيل سبعة اشهر وقيل مات وهو في المهد وهذا قد ينافي ما في المتن الا ان يقال يحمل عليه على انه تم
الوضع قبل ان يرضع لكن يرده ان موته انما كان بطيبة المنورة وهو ات من تجارة الشام عند اخواله
عبد المطلب بني النجار وقد تقرر ان المرضعات عقب وضعه علمن بيتمه قيل انما سمي عبد المطلب لانه لما
ولد بطيبة ذهب اليه عمه المطلب ليأتي به مكة فكان كل من رآه معه يتوهم انه عبده فيناديه بعبد المطلب
اشتهر به وقيل دفن بالابواء محل قريب رابغ قال جعفر الصادق وانما يتم صلى الله عليه وسلم لئلا يكون

لمخلوق

لمخلوق في عنقه حق **مرضعات** كن ياتين الى مكة يلتمسن الرضعاء لان ارضاع المرة ولدها
عار عندهم **قلن** انما تركناه لانا انما نبغي الرضعاء المعروف من ابائهم واما الام فما يجدي لنا
ان يصنعوا **ما في هذا اليتيم** بينه وبين يتمه جناس الاشتقاق **عنا**
متعلق بقوله **غناء** بفتح المعجمة اي ليس فيه ليتمه وفقره نفع يغني عنا شيئا وبينهما الجناس
المصحف المحرف الناقص على خلاف فيه منتشر **ف** بعد ان تركته **اتته من ال**
سعد بن بكر ولنسبت اليه مع انه الجد التاسع لانه اشهر وبه عرفت القبيلة وتزوجها منهم ايضا
فتاة اي شابة كريمة كائنة من بعض هذه القبيلة فقول الشارح ان من بيانية بعيد وفي
كونها حليمة السعدية من الفال الحسن والبشارة العظيمة بحصول غايات الحلم والسعد لهذا الرضيع
ما لا يخفى عظيم وقعه وقد كان صلى الله عليه وسلم يحب الفال الحسن **قد ابتها لفقرها**
الرضعاء جمع رضيع اي اهلها لان الفقر يستلزم قلة الاكل المستلزمة عادة لقلة اللبن المضرة
بالرضيع غالبا وما تعطاه من جعل ربما تصرفه في حوائجها الخارجة فلا يفيدها في دفع الجوع الذي
هو المحذور واصل ذلك ما رواه ابن اسحق واسحق بن راهويه وابو علي والطبراني والبيهقي وابو نعيم
عن حليمة رضي الله عنها انها قدمت مكة في نسوة من قومها يلتمسن الرضعاء في سنة مجدبة ومعها
صبيها وشاة ما تبض بقطرة لبن ولا لبن بثديها فلا ينام صبيها من الجوع قالت وما علمت امرأة منا
الا وقد عرض عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فتاباه اذا قيل يتيم فوالله ما بقي من صواحبي امرأة الا اخذت
رضيعا غيري فلما لم اجد غيره قلت لزوجي والله اني لاكره ان ارجع من بين صواحبي ليس معي رضيع
لانطلقن الى ذلك اليتيم فلاخذنه ثم فذهبت فاذا به مدرج في ثوب صوف ابيض من اللبن يفوح منه
المسك وتحته حريرة خضراء راقدا على قفاه يغط فاشفقت ان اوقظه من نومه لحسنه وجماله فدنوت
منه رويدا فوضعت يدي على صدره فتبسم ضاحكا وفتح عينيه ينظر الي فخرج من عينيه نور حتى

دخل خلال السماء وانا انظر فقبلته بين عينيه واعطيته ثدي الايمن فاقبل عليه بما شاء من
لبن فحولته الى الايسر فابى وكانت تلك حالته بعد قال اهل العلم الهمه الله ان له شريكا فالهمه
العدل ثم اخذته فاهو الا ان جئت به رحلى فقام صاحبي تعني زوجها الى شارفنا تلك فاذا انها
لحافل فحلب ما شرب وشربت حتى روينا وبتنا بخير ليلة من الخير والبركة حين اخذناه فلم يزل الله
يزيدنا خيرا وفي رواية انها لما ودعت امه وذهبت به على اتانها سجدت نحو الكعبة ثلاث سجدات
ورفعت راسها الى السماء ثم مشت فسبقت دوابهن فصرن يتعجبن ويقلن لها اهذه اتانك التي
كانت ترفعك طورا وتخفضك طورا اخرى فتقول نعم فيقلن ان لها شانا عظيما فسمعتها تقول
تقول ان لي لشانا عظيما بعثني الله بعد موتي وتحكن هل تدرين من على ظهري خير الاولين والاخرين
وابدل من امته قوله **ارضعته لبانها** بكسر اوله مفعول به ويجوز على بعد كونه مطلقا
لان معنى لبانها رضاعها اذ قد يقال هو اخوه بلبان امه ولا يقال بلبنها فاللبان يختص بلبن الرضاع
ف بسبب هذا الارضاع لهذا المولود الافضل من سائر المخلوقات **سقتها** اي حليمة
وبنيها وقد كانوا اشرفوا على الهلاك من الجوع لما مر ان ارضهم كانت في غاية المحل والجدب
لبانا فهي فيه استعمال لبان في غير لبن الرضاع وكان الحامل عليه مقابلته بلبانها السابق فيكون من باب
المشاكلة نحو ومكروا ومكر الله تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك **الشاء** جمع شاة كرامة
لذلك المولود وانما سقتهم مع ذلك المحل لانها ببركته صلى الله عليه وسلم **اصبحت** فهو من
المثلث الحكيم ويجوز كونه حالا نظرا للصورة لتعريفه وصفة نظرا لكون ال فيه جنسية نحو ولقد امر
على اللئيم يسبني **شولا** بالتشديد جمع شائل وهي في الاصل الناقة التي تشول بذنبها
للقاح ولا لبن بها اصلا فاستعمالها في الشاة مجاز علاقته المشابهة **عجافا** اي هزيلات
وامست لم يرد باصبح وامسى معناهما بل انهما كانت في حال فاعزاها نقضيه في قرب

مرامن

زمن وارعه فبينهما الطباق وان لم يرد بهما موضوعهما **ما بها** اي فيها **شائل**
مبتدا وفاعل للظرف **ولا عجفاء** اي هزيلة وبين اثبات الشول والعجاف ونفيهما
طباق على حد قوله تعالى ولكن اكثر الناس لا يعلمون يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا ولك ان تقول ليس
فيه الاثبات في زمن والنفي في زمن اخر وهذا الانتفاء فيه حقيقة ولا ايهاما وشرط الطباق التضاد او
او ايهامه ولو بادي الراي كما هو معلوم من استقراء امثلتهم وذكر الزمنين المختلفين يمنع من ذلك
ولا ينافيه عدهم من الطباق قوله تعالى او من كان ميتا فاحييناه اذ الفاء تاتي لغير التعقيب فالايهام
موجود على انه معه قد لا نمنعه ايضا لان ضمير احييناه للميت فكانه قال احيينا الميت
وهذا فيه ايهام اجتماع الحيوة والموت فتامله **اخصب** من الخصب بكسر اوله وهو ضد
الجدب **العيش** اي كثر قوة الادميين والدواب **عندها** اي حليمة او
الشاة ويرجح منها الاتي بعد محلا اي شدة وجدب وهو انقطاع المطر ويبس الارض من الكلاء و
الزرع **اذ** اي في ذلك الخصب وقت او لاجل ان غدا اي صار **للنبي** الاعظم
منها اي الشاء **غذاء** بالمعجمة اي لبان تغذيه وبين غذا وغذاء
الجناس السابق في غنا وغناء **يا لها** كلمة تعجب من هذه الفعلة الجليلة من حليمة
وهي ارضاعها له صلى الله عليه وسلم من غير مقابلة بنوى ترجوه ونظير هذا التعجب قوله في البردة يا طيب
مبتداه منه ومختتم فالنداء فيه للتعجب اذ لا ينادى الا العاقل او المنزل منزلته والعرب اذا ا
شيئا نادته على سبيل التعجب وهذا فيه مجاز التشبيه لشبه ما يتعجب منه لعظمته بمنادى يسمع و يعقل
ومنه ان يا للتنبيه مردود بانهم لم يذكروا هذا من معانيها قيل والتقدير يا متعجبا تامل طيب مبتداه
ونظيره هنا يا متعجبا تامل ما تنشر لها **منة** تمييز اي نعمة متهاملية **لقد** اللام
للقسم او التاكيد **ضوعف الاجر** اي كثر الثواب اذ تضعيف الشيء ان يزاد عليه مثله

او اكثر عليها اي توالى وتتابع حالكونه متواليا على حليمة فعلى على بابها من الاستعلاء
المجازي او على تلك المنة اي لاجلها على حد ولتكبروا الله على ما هداكم اي لاجل هدايته اياكم وحالكونه
من جنسها كما علم من قوله فسقتها الاخره والجزاء من عطف الرديف اذ
هو الاجر وذلك لان الجزاء من جنس العمل فلما سقته صلى الله عليه وسلم لبانها وبنيها سقتها اشيا بهما
مع انها كانت وقت اخذه منه اي على غاية من الهزال وعدم اللبن ولاجل ان غذاه كان من لبانها رضي
الله عنها الحمل والجلب وما بل لها منهما الخصب والخير الكثير جزاء وفاقا واعلم ان ما حصلت لحليمة
من هذه المزية الجليلة انما نشا عن تسخير الله لها لهذا الفعل الجميل الصادر منها المنبي عن سبق سعادتها
وقد تقرر في المعقول والمنقول انه اذا سخر اي ذلل ووفق الاله
اناسا اي نفرا من الناس لسعيد اي لخدمته ومحبته والقيام بشانه فانهم
بسبب ذلك سعداء جمع سعيد لان بركة ذلك السعيد ويمنه وبره تتابع عليهم حتى
يكونوا من سعداء الدنيا والاخرة ولان المرء مع من احبه من الاكابر وان لم يعمل بعملهم كما صح
به الحديث ولان الارواح كما في الحديث ايضا جنود مجندة فما تعارف منها في عالم الارواح ائتلف في
الاجساد ومن اعظم اجرها وسعادتها توفيقها للاسلام هي وزوجها وبنوها بل رؤية رسول الله
صلى الله عليه وسلم سيما وهو احسن اليهم بواسطتها كونهم قومها وكانت تقدم عليه صلى الله عليه وسلم فيكرم مثواها
ولذلك زاد في اكرام بنتها الشيماء لما اعتقها من جملة من اعتق من سبيهم كما ياتي وهذا من فن
البديع المسمى بالكلام الجامع وهو ان ياتي الشاعر ببيت يكون جملة حكمة او موعظة او غيرهما ونحو
ذلك من الحقائق الجارية مجرى الامثال كقول ابي الطيب   واذا كانت النفوس كبارا تعبت
في مرادها الاجسام   وهو كثير في كلام الناظم واصل ما ذكره بقوله ارضعته الى هنا ما رواه ابن اسحق
وغيره من قولها بعد ما قدمناه عنها انفا ثم قدمنا ارض بني سعد ولا اعلم ارضا اجدب منها فكانت

غنمي

غنمي تروح علي شباعا لبنا فنحلب ونشرب وما يحلب انسان غيرنا قطرة لبن ولا يجدها في ضرع حتى قوم
الرعيان ان تسرح غنمها حيث تسرح غنمي فتروح اغنامهم جياعا ما تبض بقطرة لبن وتروح اغنامي شباعا
لبنا فلم نزل نتعرف من بركة الزيادة والبركة حتى مضت له سنتان وفطمته ولما تقرر ما حصل لها من الخصب بعد
الجدب ببركة ارضاعها له صلى الله عليه وسلم ومن الجزاء من جنس عملها بكثرة لبن شاتها عقبه بما بين ان تلك
المضاعفة في قوله ضوعفت بلغت مراتب كثيرة فقال حبة اي هذه الفعلة الصادرة من حليمة
كما دل عليه السياق وبه يعلم ان هذا ليس من الاستعارة لان شرطها طي ذكر المستعار له بان لا يكون في الكلام
رمز اليه ولو تقديرا ومن ثم كان التحقيق في صم بكم الاية انه من التشبيه البليغ لدلالة السياق على المشبه
الذي هو هم وقول البهاء السبكي انه استعارة مرشحة مخالف للجمهور فلا يعول عليه لحجة واشار الى وجه
الشبه الذي هو تضاعف الجزاء ليتبين انه ليس من التشبيه البليغ لان شرطه ان لا يذكر وجه الشبه بقوله
انبتت سنابل كثيرة جمع سنبلة وهي مجتمع الحب في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف
لمن يشاء ففيه اقتباس وحذف لفظ سبع ليبين ان العرب قد يذكرونها كالسبعين مريدين بها
مطلق الكثرة لا خصوص العدد المعروف والعصف اي والحال ان ورق النبات اليابس
كالتبن لديه اي عنده ليتشرف اي يتطلع الضعفاء
اي حصلت تلك المضاعفة الكثيرة في تلك السنابل والحال ان الوقت وقت عدم النبات بالكلية بحيث
ان الفقراء يتطلعون الى ورق النبات فضلا عن النبات فضلا عن الحب كما ان حليمة حصل لها
ذلك الخصب واللبن والحال ان قومها يتطلعون الى ورقة حبة او قطرة لبن فلا يجدونه و
بعد ان انتهى رضاعه لبلوغه سنتين اتت به جده عبد المطلب والذي في
الرواية امه فلعل الناظم ذكر جده لانه الاصل ولان امه ما كانت تفعل به شيئا الا بعد مشاورة
جده نعم في سيرة ابن هشام ان حليمة لما اتت به مكة اضلته في الناس فاتت جده واخبرته بذلك فدعا الله

حتى وجدوه **وَ قَدْ فَصَلَتْ** الحال انها اي فطمته والحال انه قد لحق **بِهَا مِنْ** اجل **فِصَالِهِ**
اي فطامه **البُرَحَاءُ** التألم الكثير لما شاهدت من توالي الخيرات وتتابع البركات بسبب رضاعه و
اقامته عندها **اِذْ** اي انت به وقت او لاجل انه **اَحَاطَتْ** اي احدقت **بِهِ**
مَلاَئِكَةُ اللهِ لاجل شق قلبه الاتي وهذا ظاهر على الرواية الاتية انهم ثلاثة وكذا على رواية انهم
اثنان لانهما اقل الجمع عند جماعة **فَظَنَّتْ** حليمة **بِاَنَّهُمْ** الباء زائدة **قُرَنَاءُ** اي
شياطين يريدون ايذاءه فخافت عليه واسرعت به الى جده لتسلم من تبعته **وَوَالَى** جدُّه
وامه حين ردته اليهما **وَجْدَهَا** اي شدة محبتها له وتعلقها **بِهِ** فرداه معها لذلك
وليسلم من وباء مكة كما ياتي في الرواية وهذا حذفه الناظم لكن سياقه يدل عليه **وَ** هي للحال المبينة
لعظمة ذلك الوجد الذي رداه بها **مِنْ** لاجل **الوَجْدِ** الذي بها **لَهِيبٌ** اي نار
تَصْلَى اي تحترق **بِهِ الاَحْشَاءُ** جمع حشا وهو ما انضمت عليه الضلوع
يحتمل انها استينافية فمن ابتدائية وح فهذا من ارسال المثل وهو حكمة مفيدة ان شان الوجد انه
ينشا عنه ذلك اللهيب الذي يحرق الاحشاء وان وجدها من هذا القبيل فمن ثم ردته لحالها او طفله
نار فذلك الوجد بردّه اليها **فَارَقَتْهُ** بدل من ارتد **كُرْهًا** اي حال كونها ذات
كراهية لفراقه لما شاهدت عنه في اقامته عندها من الخيرات الكثيرة عليها وعلى زوجها وبنيها ومواشيها
متعلقاتها **وَ** الحال انه **كَانَ لَدَيْهَا** اي عندها **ثَاوِيًا** اي مقيما
لاَ يُمَلُّ بالبناء للمجهول **مِنْهُ** متعلق بقوله **الثَّوَاءُ** الاقامة فهو
مع ثاويا من جناس الاشتقاق اي لا تمل اقامته بل تحب وترغب فيها لما يترتب عليها من الاحسان
الواسع المجبولة على حبه النفوس ولما فرغ من قصة رضاعه ذكر قصة شق صدره لانه السبب في
احضاره لجده ووالدته المذكورين انفا ولذا ابدل من قوله احاطت قوله **شُقَّ عَنْ قَلْبِهِ**

بالكيفية

بالكيفية الاتية في القصة ويحتمل ان قوله شق عن قلبه استيناف لبيان مطلق الشامل للواقع في زمن
الرضاع وما بعده مما ياتي ويؤيده انه ذكر في قصة اخبار ككون الخاتم جبريل لم ترد في قصة شقه
عقب الرضاع بل في شقه الذي بعد ذلك كما يعلم بتامل كلام الناظم مع القصة الاتي لبسطها وهو اي
القلب مضغة في الفؤاد معلقة بالنياط فهو اخص من الفؤاد وقال الواحدي والذي في الصحاح انهما
مترادفان قال البدر الزركشي والاحسن قول غيره الفؤاد غشاء القلب والقلب حبته وسويداه ويؤيد
الفرق قوله صلى الله عليه وسلم الين قلوبا وارق افئدة وفرق الزمخشري بان الفؤاد وسط القلب سمي به
لتفوده اي توقده والقلب مشتق من التقلب الذي هو المصدر لفرط تقلبه كما في الحديث مثل هذا القلب
كمثل ريشة ملقاة بفلاة تقلبها الريح بطنا لظهر **وَاَخْرَجَ مِنْهُ** اي القلب **مُضْغَةً**
اي قطعة لحم قدر ما يمضغ **عِنْدَ غَسْلِهِ** ظرف لاخرج **سَوْدَاءَ** صفة
المضغة وانما خلقت هذه المضغة فيه ثم اخرجت لانها من جملة الاجزاء الانسانية فعدمها
نقص في البدن وايضا فاخراجها بعد خلقها على هذه الصورة البديعة ادل على مزيد الرفعة وعظيم
الاعتناء والرعاية من خلقه صلى الله عليه وسلم بدونها وياتي في رواية صحيحة انه اخرج منه علقتان
سوداوان ولا ينافي ما ذكره الناظم انها واحدة لان المراد بها الجنس على ان الشق تكرر كما ياتي فلا بدع
انه اخرج منه واحدة ثم ثنتان لان المراد بها المبالغة في تطهيره وتكريمه وذلك يستدعي استقصاء
تنظيف جوفه **خَتَمَتْهُ** اي ذلك الشق المفهوم من شق وهي استينافية او معطوفة
على شق بحذف حرف العطف اي ثم بعد شقه لامته والتامه كما كان عليه **يُمْنَى** جبريل
الاَمِينِ على كتب الله تعالى ووحيه **وَ** الحال ان ذلك القلب الكريم **قَدْ**
اُودِعَ حالة الشق من الايمان والحكمة والعلوم والاسرار الالهية **مَا** اي الذي او شيئا
لَمْ تُذِعْ بضم التاء وكسر الذال المعجمة اي تنشر **لَهُ** اللام زائدة اي لم ينشره ويظهره

انبآء اى اخبار لانه لا يعلم الا مولاه والمتفضل به عليه قال العلماء جعل الله القلب فى
الانسان هو الذى يعقل عنه وهو اصل وجوده وبه صلاحه وفساده وهو محل اسراره التى يودعها
الله قلب من يشاء فاول قلب اودعها قلب محمد صلى الله عليه وسلم لانه اول الخلق وصورته اخر صور
الانبياء فهو اولهم واخرهم فلذا حاز جميع كمالاتهم وزاد عليهم بما لا يعلمه الا الله تعالى **صان**
اى حفظ **اسراره** التى اودعت فيه وهو مفعول مقدم ذلك **الختام** الواقع
من جبريل وهو ما يختم به الكتاب ونحوه من طين او نحوه بينه وبين ختمته جناس الاشتقاق **ف**
بسبب هذه الصيانة **لا الفض** اى الكسر بالتفرقة **ملم به** اى واقع
بذلك الختم **ولا الافضاء** اى الاشاعة واقعة لذلك السر وبين الفض والافضاء
التجنيس المطلق ومر عينه فى قيم وقصر بزيادة ويجى ذلك فى قوله عينى الامين واصل قوله
انت جده الى اخر قول حليمة رضى الله تعالى عنها بعد ما قدمته منها كما فى السير عنها لم نزل نتعرف
من الله الزيادة والخير حتى مضت سنتان وفصلته وكان يشب شبابا لا يشبه الغلمان فلم يبلغ
سنتيه حتى كان غلاما جفرا فقدمنا به على امه ونحن احرص شى على بقائه عندنا لما نرى من بركته
فقلنا لامه لو تركته عندنا حتى يغلظ فانا نخشى عليه من وباء مكة ولم نزل بها حتى ردته معنا
فرجعنا به فوالله انه لبعد مقدمنا به شهرين او ثلث ثم مع اخيه من الرضاعة لفى بهم لنا خلف
بيوتنا جاء اخوه يشتد فقال ذاك اخى القرشى قد جاءه رجلان عليهما ثياب بيض فاضجعاه
وشقا بطنه فخرجت انا وابوه نشتد نحوه فنجده قائما منتقعا لونه فاعتنقه ابوه وقال له اى
بنى ما شانك قال جاءنى رجلان عليهما ثياب بيض فاضجعانى فشقا بطنى ثم استخرجا منه شيئا
فطرحاه ثم رداه كما كان فرجعنا به معنا فقال ابوه يا حليمة لقد خشيت ان يكون ابنى قد اصيب
فانطلقى فرديه الى اهله قبل ان يظهر به ما نتخوف قالت فاحتملناه الى امه فقالت ما ردكما به فقد

كنتما

كنتما حريصين عليه قلنا نخشى الاتلاف والاحداث فقالت ما ذاك بكما فاصدقانى شانكما فلم
تدعنا حتى اخبرناها قالت اخشيتما عليه الشيطان كلا والله ما للشيطان عليه سبيل وانه لكائن لابنى
هذا شان فدعاه عنكما وفى حديث عند ابى يعلى وابى نعيم وابن عساكر كنت مسترضعا فى بنى
ليث بن بكر فبينا انا ذات يوم فى بطن واد مع اتراب لى من الصبيان اذا انا برهط ثلثة معهم
طست من ذهب ملئ ثلجا فاخذونى من بين اصحابى وانطلق الصبيان هرابا مسرعين الى الحى فعمد احدهم
فاضجعنى على الارض اضجاعا لطيفا ثم ابين شق مفرق صدرى الى منتهى عانتى وانا انظر اليه فلم اجد لذلك
مسا ثم اخرج احشاء بطنى ثم غسلها بذلك الثلج فانعم غسلها ثم اعادها مكانها ثم قام الثانى فقال لصاحبه
تنح ثم ادخل يده فى جوفى واخرج قلبى وانا انظر اليه فصدعه ثم اخرج منه مضغة سوداء فرمى بها ثم قال
اى اشار بيده يمنة ويسرة كانه يتناول شيئا فاذا هو خاتم من نور يحار الناظر دونه فختم به على قلبى فامتلأ
نورا وذلك نور النبوة والحكمة ثم اعاده مكانه فوجدت برد ذلك الخاتم فى قلبى دهرا ثم قال الثالث
لصاحبه تنح فامر يده بين مفرق صدرى ومنتهى عانتى فالتام ذلك الشق باذن الله تعالى ثم
اخذ بيدى فانهضنى من مكانى انهاضا لطيفا الحديث وفى رواية عند البيهقى ان احد الثلاثة فى يده
ابريق من فضة وبيد الثانى طست من زمردة خضراء وورد فى خبر التابوت المذكور فى الاية انه كان فيه
الطست الذى غسلت فيه قلوب الانبياء صلى الله عليه وسلم وحكمة ختم قلبه المقدس الاشارة الى ختم
الرسالة به قبل وانما يسلم هذا ان اختص الختم به اما اذا لم يختص كما مر فالحكمة انه من جملة علامات النبوة
وانما شاركه فيها غيره على ان هذه الكيفية المذكورة فى شق قلبه صلى الله عليه وسلم الظاهر انها من خواصه
صلى الله عليه وسلم مع تكرر الشق لان الوارد فيهم مجرد غسل قلوبهم وهو لا يستلزم هذه الكيفية
البديعة البالغة فى خرق العادة والتعظيم مبلغا لا يدركه العقل وروى الشق ايضا وهو ابن عشر سنين
ونحوها مع قصة له مع عبد المطلب ابو نعيم والدلائل ورواها عبد الله بن الامام احمد فى زوائد

مسند ابيه بلفظ قال ابو هريرة يا رسول الله ما اول ما ابتدئت به من امر النبوة قال انى لفى صحراء
امشى ابن عشر حجج اذا انا برجلين من فوق رأسى يقول احدهما لصاحبه اهو هو قال نعم فاخذانى و
اضجعانى للجلاوة القفاء ثم شقا بطنى وكان احدهما يختلف بالماء فى طست من ذهب والاخر يغسل
جوفى فقال احدهما لصاحبه افلق صدره فاذا صدرى فيما ارى مفلوقا لا اجد له وجعا ثم قال اشق
قلبه فشق قلبى فقال اخرج الغل والحسد منه فاخرج شبه العلقة فنبذ به ثم قال ادخل الرحمة و
الرأفة قلبه فادخل شيئا كهيئة الفضة ثم اخرج ذرورا كان معه فذره عليه ثم نقر ابهامى ثم قال اغد
فرجعت بما لم اغد به من رحمتى للصغير ورأفتى للكبير وهى خامسة ولا تثبت وحكمة شق صدره الشريف
فى حال صباه واستخراج ما مر منه تطهيره من نقائص الصبا ليكون على اكمل الصفات الرجولية ولذلك
نشأ على اكمل احوال العصمة قال بعض الائمة ولعل هذا الشق كان سببا لاسلام قرينه المروى عند
البزار واشارة الى حفظ الشيطان المباشر له كالعفريت الذى اراد ان يقطع عليه صلاته ولكن امكنه الله
منه واما قول الرازى وقوعه فى حال الطفولية مشكل لانه معجزة وهى لا يجوز تقدمها على النبوة
لان الذى عليه اكثر اهل الاصول اشتراط اقتران المعجزة بالتحدى فيرده بان هذا من باب الارهاص
لا المعجزة ونظائر ذلك كثيرة قيل وهذا الشق هو المراد بقوله تعالى الم نشرح لك صدرك

تنبيه اول ثبت شق صدره الشريف مرة اخرى عند مجئ جبريل له بالوحى
وهو بغار حراء كما ياتى وممن رواها الطيالسى والحارث فى مسنديهما وكذا ابو نعيم ولفظه ان
جبريل وميكائيل شقا صدره وغسلاه ثم قال اقرأ باسم ربك الايات والحكمة فيه كمال التهيئ
والتقوى على ما يلقى اليه من القول الثقيل بقلب قوى فى اكمل احوال التطهير وثبت مرة اخرى وتواترت
بها الروايات خلافا لمن انكرها ليلة الاسرى ففى البخارى وغيره ان شق قلبه فيها وهو بالمسجد قبل
ان يخرج به الى ركوب البراق فشق من ثغرة نحره الى نحو عانته فاستخرج قلبه ثم غسل فى طست ذهب

اى

اى لان تحريم الذهب انما كان بعد على ان الغالب فى احوال تلك الليلة انه من احوال الغيب فيلحق باحكام
الاخرة فلئى حكمة وايمانا ثم حشى اى وتجسيم المعانى جائز ومنه الرواية الصحيحة يذبح الموت ثم اعيد
وحكمة هذا الشق التهيئ للترقى الى الملا الاعلى والتقوى على استجلاء ما شاهده تلك الليلة ولما لم
يتفق هذا لموسى صلى الله عليه وسلم لم يطق الرؤية وجميع ما مر من الشق واخراج القلب وغيرهما مما
يجب الايمان به وان كان خارقا للعادة ولا يجوز تاويله لصلاحية القدرة له ومن زعم ذلك وقع فى
هوة المعتزلة فى تاويلهم نصوص سؤال الملائكة وعذاب القبر ووزن الاعمال والحوض وغير ذلك
مما بالتشهى فقبح الله هؤلاء ومن تبعهم وقد محى ابراهيم صلى الله عليه وسلم فى النار فكانت عليه بردا وسلاما
وهذا الشق ابلغ فى الصبر والكرامة مما وقع لاسمعيل صلى الله عليه وسلم فانه مقدمات ذبح لا حقيقة كما
هو رأى اهل السنة وبتقديره الذى ذهب اليه المعتزلة انه اضجعه وامر السكين على حلقه فلم تقطع
مقتل واحد وهذه مقاتل عديدة شق الصدر ثم اخراج القلب ثم شقه ووقع له صلى الله عليه وسلم
من ذلك الشق الاول نوع شقه لرواية فاقبل وهو منتقع اللون اى صار كلون النقع اى الغبار
وهو شبيه بالوان الموتى ومعنى قول ابن الجوزى فشقه وخلق عليه انه ضرب من لم يشق قلبه ومما
يدل على المشقة انه بعيد ما نظم مع انفراده وغربته ويتمه من ابيه واختطافه من بين الاطفال لولا
ذلك تسهيلا لما يلقاه فى المال ومن ثم لما شج وجرح وكسرت رباعيته يوم احد قال اللهم اغفر
لقومى فانهم لا يعلمون وفى رواية انه غسل ليلة الاسراء بماء زمزم اى لانه يقوى القلب ويسكن
الروع واخذ البلقينى من ايثار الملك له على ماء الكوثر انه افضل منه وهو ظاهر خلافا لمن نازع فيه
بما لا يجدى كما بينته فى شرح العباب وفى وضع الايمان والحكمة به فى القلب دليل لما عليه اكثر اهل السنة
ان العقل فى القلب كما دلت عليه الايات لا فى الدماغ **تنبيه ثان** قال عياض
خاتم النبوة اثر شق الملكين بين كتفيه وابطله النووى بان شقهما كان فى بطنه وصدره اى كما فى

الروايات ومن ثم صح عن انس كنت ارى اثر المخيط في صدره وفي الصحيح او الصواب انه كان عند نغض
كتفه الايسر وهو بنون مضمومة وبفتح فمعجمتين اعلاه ورواية الايمن ضعيفة قيل ولذا بدئ به ويشكل عليه
رواية محتفرة في اللحم ويجاب بانه يحتمل انه حول اليها احتفارا لبروزها وظهورها وتميزها عن الجلد وفي
ابو نعيم انه جعل عقب ولادته والذي في حديث البزار وغيره عن ابي ذر يا رسول الله متى علمت انك نبي
وبما علمت حتى استيقنت قال اتاني اثنان وفي رواية ملكان وانا ببطحاء مكة الحديث وفيه قال احدهما
لصاحبه شق بطنه فشق بطني فاخرج قلبي فاخرج منه مغمز الشيطان وعلق الدم فطرحهما فقال
احدهما لصاحبه اغسل بطنه غسل الاناء واغسل قلبه غسل الملاء اي الثوب الذي يتغطى به ثم قال احدهما
لصاحبه خط بطنه فخاط بطني وجعل الخاتم بين كتفي كما هو الان وولياعني فكاني ارى الامر معاينة
وعند احمد وصححه الحاكم ثم استخرجا قلبي فشقاه فاخرجا منه علقتين سوداوين فقال احدهما لصاحبه
ايتني بماء وثلج فغسلا به جوفي ثم قال ايتني بالسكينة فذراها في قلبي ثم قال احدهما لصاحبه خطه
فخاطه وختم عليه بخاتم النبوة **تنبيه ثالث** اختلف الروايات في كيفية تشبيه ذلك
على انواع كثيرة بيضة الحمامة شعر مجتمع بضعة ناشزة بندقة سلعة شيء يختم به تفاحة شامة
محتفرة في اللحم شامة سوداء تضرب الى الصفرة حولها شعرات زر الحجلة اي البشخانة ومنه
هنا الطائر المعروف وغيرها بيضها مردود وقال المحققون ولا اختلاف في الحقيقة بل كل
شبهه بما سنح له وكلها الفاظ مؤداها واحد وهو قطعة لحم بارزة عليها شعرات اذا قلل قيل كبيضة
الحمام واذا كثر قيل كجمع الكف اي على هيئته لكنه اصغر منه وفي المستدرك عن وهب انه شامات النبوة
في ايمانهم فعليه وضعه عند الكتف الايسر من خصوصيات نبينا صلى الله عليه وسلم **فائدة**
اخرج البيهقي والخطيب وابن عساكر وغيرهم عن العباس رضي الله تعالى عنه قلت يا رسول الله
دعاني الى الدخول في دينك امارة لنبوتك رايتك في المهد تناغي القمر وتشير اليه باصبعك فحيث اشرت

اليه

اليه مال قال اني كنت احدثه ويحدثني ويلهيني عن البكاء واسمع وجبته اي سقطته حين يسجد تحت
العرش قال البيهقي تفرد به مجهول وقال الصابوني هذا حديث غريب الاسناد والمتن وهو في
المعجزات حسن ولما فرغ من ذكر رضاعه وما وقع عقبه من شق صدره ذكر حكم نشاته في حال
طفوليته وما بعدها مبينا ان الفه الاتي نتيجة ما اودعه الله في قلبه بعد شقه عن الاكدار والكمالات
فقال **الف النسك والعبادة** عطف تفسير اي اعتادهما واستمر عليهما
والخلوة عن الناس في حال كونه **طفلا** فما بعده كما فهم بالاولى واختلفوا هل كان
يتعبد بشرع من قبله والجمهور لا والا لنقل وعليه قيل كان يتعبد الهاما من الله تعالى ولانه لو تعبد
بشرع احد لظن انه من اتباعه ولاحتج اهله به عليه ولم يوجد وعلى الاول فقيل الشرع لم يعرف وقيل
قيل الشرع نوح وقيل ابراهيم وقيل موسى وقيل عيسى ومعنى ان اتبع ملة ابراهيم انه في التوحيد وحقق
لانه الاب الاقرب المبشر به الداعي ببعثه في مجامع مدحه بانه صاحب الكتاب والحكمة البالغين من
التزكية ما لا يبلغه كتاب غيره ولا حكمته على ان المراد في كيفية الدعوة من الرفق والحلم الذي لم يوجد
كماله الا لابراهيم ولا غاية الا لنبينا صلى الله عليه وسلم وقد امر باتباع الكل في فبهداهم اقتده مع اختلاف
شرائعهم ومع ان فيهم من ليس برسول كيوسف على قول فتعين ان المراد اصول التوحيد والاخلاق
فان قلت لا يحتاج للجواب عن ذلك لان الكلام فيما قبل النبوة والذي في الاية بعدها قلت بل يحتاج
اليه كما صنعوه لان القائلين بانه كان متعبدا بشرع غيره يستدلون به ناظرين الى انه امر باتباع
فيما لم ينزل عليه فيه شيء فامره بذلك بعد النبوة فدل على انه كان يالفه ويعمل به قبلها والا لم
يؤمر باتباع ما لم يعرفه قال السراج البلقيني ولم يجئ في الاحاديث التي وقفنا عليها كيفية تعبده عليه
الصلوة والسلام لكن روى ابن اسحق وغيره انه كان يخرج صلى الله عليه وسلم الى حراء شهرا في كل عام من
شهور السنة يتنسك فيه وكان من تنسك قريش في الجاهلية ان يطعم الرجل من جاءه من المساكين

حتى اذا انصرف صلى الله عليه وسلم من مجاورته لم يدخل بيته حتى يطوف بالكعبة انتهى والظاهر كما
قاله غير واحد ان عبادته كانت بالذكر والفكر مع الانكسار عن الخلق والانعزال عن الناس بحرا فيرة
وهكذا النجباء اي ومثل هذا الشان العلي شان الكرام فما بالك باجلهم
وسيدهم على الاطلاق ويليه في ذلك ابوه ابراهيم صلى الله عليه وسلم فانه اعتزل قومه وانقطع
الى الله تعالى ينتظر الفرج من مولاه فان انتظاره عبادة كما في الحديث وفي البيت من انواع البديع
ثاني اقسام التناسب وهو تشابه الاطراف بان تتناسب عليها اذ النجابة اخر بيت ما ذكر يناسبها الف
لانها السبب في ذلك وثالث اقسامه ايضا وهو مناسبة اللفظ للمعنى في الرقة والسهولة او الشدة
والصعوبة ومنه حديث الا اخبركم باهل الجنة كل ضعيف متضعف اغبر ذي طمرين لو اقسم على
الله لابره الا اخبركم باهل النار كل عتل جعظري جواظ مستكبر فاتى من اوصاف اهل الجنة بما يناسب
حالهم من الرقة والانكسار ومن اوصاف اهل النار بما يناسب حالهم من الشدة والغلظة والاباء
والترفع عن قبول الحق والفاظ البيت تناسب معناه في السهولة وحسن السبك والانقطاع عن النظير
وقوله وهكذا النجباء تذييل وهو تعقيب الجملة باخرى تشتمل عليها للتاكيد وهو ضربان
احدهما وهو ما هنا ما خرج مخرج المثل نحو وهل نجازي الا الكفور كما مر **و** انما كان شان
النجباء من الانبياء ثم صالحي اممهم لما هو المستقر المعلوم انه **اذا حلت الهداية**
وهي هنا بمعنى الوصول الى الحق لا الدلالة عليه فقط ومن الاول انك لا تهدي من احببت اي
لا توصله والثاني واما ثمود فهديناهم اي دللناهم ولم نوصلهم بدليل فاستحبوا العمى على الهدى
اذ لو وصلوا لم يستحبوا ذلك **قلبا نشطت للعبادة الاعضاء** لان القلب هو
رئيس البدن المعول عليه في صلاحه وفساده ومن ثم صح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ان
في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهي القلب

وهذا

وهذا من الكلام الجامع الذي عرفت نظائره واعلم ان بين انتهاء رضاعه صلى الله عليه وسلم وما وقع
بعده وبين مبعثه وقائع وقعت له لا باس بالاشارة اليها باختصار وذلك ان حليمة لما ردته
الى جده وامه كان في كلاءة الله وحفظه يتيمه بنبا تا حسنا ويوفقه لافضل الاعمال والاحوال كما اشار
الى ذلك الناظم بقوله الف النسك الخ ولما بلغ صلى الله عليه وسلم اربع سنين وقيل اثنتي عشرة سنة وقيل ست سنين
ذلك الاقوال اخرها ماتت امه وكانت قد قدمت به طيبة تزور اخوال ابيه فاقامت به عندهم شهرا ومعها
مملوكته ام ايمن واخرج ابن سعد انه صلى الله عليه وسلم لما راى دار النابغة قال ههنا نزلت بي
امي واحسنت القوم في بئر بني النجار وكان قوم من اليهود يختلفون ينظرون الي قالت ام ايمن فسمعت
احدهم يقول هو نبي هذه الامة وهذه دار هجرته فوعيت ذلك كله من كلامهم ولما رجعت به امه ماتت
بالابواء وفي رواية انها دفنت بالحجون وفي اخرى في بعض دور مكة كما في القاموس وحضنته بعدها
امته ام ايمن بركة ثم مات جده عبد المطلب وله ثمان سنين وقيل اكثر وقيل اقل فقيل ست وقيل ثلث
فكفله عمه ابو طالب شقيق والده واخرج ابن عساكر عن عرفطة قال قدمت مكة وهم في قحط فقالت
قريش يا ابا طالب اقحط الوادي واجدب العيال فهلم فاستسق فخرج ابو طالب ومعه غلام كانه
شمس دجن تجلت عنه سحابة قتماء وحوله اغيلمة فاخذه ابو طالب فالصق ظهره بالكعبة ولاذ
الغلام باصبعه وما في السماء قزعة فاقبل السحاب من ههنا وههنا واغدق الوادي واغدودق
واخصب النادي والبادي وفي ذلك يقول ابو طالب وابيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال
اليتامى عصمة للارامل وهذا البيت من جملة قصيدة له فيها مدح عجيب له صلى الله عليه وسلم
حتى اخذ الشيعة منها القول باسلامه ويوافقهم رواية ضعيفة عن العباس انه اسر اليه بالتوحيد
عند موته ويؤيد ذلك ما في رواية البيهقي للقصيدة ابي طالب الخ لكن صرائح الاحاديث المتفق
على صحتها ترد ذلك وهي اكثر من ثمانين بيتا استوفاها ابن اسحاق لكن ذكر ان انشاده لها

كان بعد المبعث وقد يجمع بان ذكر هذا البيت اثر هذه الواقعة ثم حملها بعد المبعث ثم رايت في شرح
المنهاج للكمال الدميري في باب الاستسقاء عن الطبراني وابن سعد ان عبد المطلب استسقى بالنبي صلى الله
عليه وسلم فسقوا ولذلك يقول فيه عبد المطلب يمدحه صلى الله عليه وسلم وابيض يستسقى الغمام بوجهه
البيت انتهى وفيه مخالفة لما مر ان المستسقي به ابو طالب وانه القائل للبيت فاما الاول فيمكن الجمع
بين الروايات المخالفة فيه بتكرر الواقعة اذ واقعة ابي طالب كان الاستسقاء به عند الكعبة وواقعة
عبد المطلب كان اقلها انهم امروا باستلام الركن ثم رقي ابي قبيس ليدعو عبد المطلب ومعه النبي صلى الله
عليه وسلم ويؤمن القوم ففعل فسقوا لكن قال الحافظ نور الدين الهيثمي شيخ الحافظ ابن حجر و
تلميذ الزين العراقي عن رواية الطبراني في سندها رجال لا اعرفهم اي لكن لا يؤثر ذلك فيها لان الحديث
الضعيف يعمل به في الفضائل اتفاقا كما قال بعض الحفاظ وكذا المناقب على ان صاحب الروض ذكر وا
عن ابن الاعرابي وغيره بما يوافقها ويرجح تعين الجمع بما ذكرته واما الثاني فكون ابي طالب هو الذي انشا
ذلك البيت هو ما درج عليه ائمة السير وغيرهم ومن ثم جعل السهيلي في روضه امرا مقررا ثم بنى عليه
اشكالا وجوابه الاتي تردهما واما قول الدميري انه من انشاء عبد المطلب فهو وهم منه وسبب وهمه انه
في اخر قصة عبد المطلب ان رقيقة بنت ابي صيفي بن هاشم وهي التي سمعت الهاتف في النوم او اليقظة
لما تتابعت على قريش سنون اهلكتهم يصرخ يا معشر قريش ان هذا هو النبي المبعوث قد اظلتكم
ايامه وهذا ابان نجومه فحيهلا بالحياء والخصب ثم امرهم بان يستسقوا به وذكر كيفيته بطول ذكرها
حاصلها ما مر فلما ذكرت الرواية وهي الراثية المذكورة القصة انشأت تمدح النبي صلى الله عليه وسلم
بابيات اخرها مبارك الوجه يستسقى الغمام به ما في الانام له عدل ولا خطر فكان الدميري
لما راى هذا البيت نحو رواية قصة عبد المطلب التي رواها الطبراني وهو شبه بيت ابي طالب اذ في كل
استسقاء الغمام به الذي هو المقصود توهم ان بيت ابي طالب لعبد المطلب فوهم منه وجهين نسبة هذا البيت

لعبد المطلب

لعبد المطلب وانما هو لرقيقة والحكم عليه بانه عين البيت المنسوب لابي طالب وليس كذلك بل شتان
ما بينهما فتامل هذا المحل فانه مهم وقد اغتر بكلام الدميري هذا من لا خبرة له بالسير المأخوذة من
الكتب المعتمدة ثم رايت ما يقطع بغلط الدميري هو ان النبي صلى الله عليه وسلم نسب وابيض البيت
لابي طالب كما اخرجه البيهقي عن انس قال جاء اعرابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله
اتيناك وما لنا صبي يغط ولا بعير يئط اي ما لنا بعير اصلا لانه ان وجد له بد ان يئط وانشد
ابياتا فقام صلى الله عليه وسلم يجر رداءه حتى صعد المنبر فرفع يديه الى السماء ودعا فما رد يديه
الى نحره حتى التفت السماء بابراقها وجاءوا يضجون فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت
نواجذه ثم قال لله در ابي طالب لو كان حيا لقرت عيناه من ينشدنا قوله فقال علي رضي الله عنه
يا رسول الله كانك تريد قوله وابيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة
للارامل وذكر ابياتا اخر فقال صلى الله عليه وسلم اجل فهذا نص صريح من الصادق بان منشئ
البيت ابو طالب فنسبته لعبد المطلب غلط صريح **تنبيه** برواية ابن عساكر هذه
يسقط قول السهيلي في روضه فان قيل كيف قال ابو طالب وابيض يستسقى الغمام بوجهه البيت و
لم يره قط استسقى انما كانت استسقاءاته صلى الله عليه وسلم بالمدينة في سفر وحضر وفيها شوهد
ما كان من سرعة اجابة الله تعالى له فالجواب ان ابا طالب قد شاهد من ذلك ايضا في حيوة
عبد المطلب ما دل له على ما قال انتهى ووجه سقوطه ما تقرر ان ابا طالب استسقى به صلى الله عليه وسلم
فسقي فانشاء ذلك البيت والتلويح والعجب من شيخ الاسلام الحافظ ابن حجر انه غفل ايضا
عن رواية ابن عساكر هذه فاجاب عن اشكال السهيلي هذا بقوله ويحتمل ان يكون ابو طالب
مدحه بذلك لما راى من مخايل ذلك فيه وان لم يشاهد ذلك انتهى اذ لو استحضر رواية
ابن عساكر هذه لم يبد هذا الاحتمال والثمال بكسر المثلثة الملجا والعصمة الحافظ من الضياع

ولا رامل المساكين رجال او نساء لكنه في النساء اكثر استعمالا ولما بلغ صلى الله عليه وسلم ثنتي عشرة سنة
خرج به ابو طالب الى الشام حتى بلغ بصرى فرءاه بحيرا الراهب فعرفه بصفته فقال هذا سيد العالمين
انكم حين اشرفتم به من العقبة لم يبق حجر ولا شجر الا خر ساجدا ولا يسجدان الا لنبي واني
اعرفه بخاتم النبوة عند غضروف كتفه كالتفاحة ثم سأل عمه ان يرده خوفا عليه من اليهود رواه ابن
ابي شيبة وفيه انه صلى الله عليه وسلم اقبل وعليه غمامة تظله وبحيرا بفتح فكسر مقصور وذكره جمع
من الصحابة بناء على ان الشرط رؤيته صلى الله عليه وسلم والايمان به ولو قبل البعث وصح ان سبعة
من الروم اقبلوا يريدون قتله صلى الله عليه وسلم فمنعهم بحيرا ورده ابو طالب وبعث معه ابو بكر
بلالا وقوله وبعث معه الى اخره وهم من احد رواته لان ابا بكر اذ ذاك لم يكن متاهلا لذلك
ولا اشترى بلالا وفي حديث عند البيهقي وابي نعيم انهم لما اقبلوا راى بحيرا غمامة بيضاء تظله
من بينهم ثم نزل تحت شجرة فانحنت عليه اغصانها حتى اظلته وروى ابو نعيم وابن عساكر ان
اخته الشيماء بنت حليمة رأته في الظهيرة وغمامة تظله اذا وقف وقفت واذا سار سارت ولما
بلغ ثمان عشرة سنة سافر الى الشام مرة اخرى للتجارة على ما ورد لكن بسند ضعيف وفيه ان
ابا بكر كان معه وان بحيرا قال هذا والله نبي وذلك سبب ايمان ابي بكر به لما بعث وقيل عمره
ثم خرج وله خمس وعشرون سنة مرة ثالثة في تجارة لخديجة ومعه غلامها ميسرة فرأى في الهاجرة
ملكين يظلانه من الشمس وكذا رات خديجة ذلك لما اقبلوا وهي في علية لها وفي هذه السنة
تزوجها وكانت تسمى بالطاهرة وكان سنها اربعين سنة ولما بلغ خمسا وثلثين سنة خافت
قريش ان يهدم السيول الكعبة لتشعثها فامروا باقوم النجار القبطي مولى احدهم بنيها وحضر
صلى الله عليه وسلم وكان ينقل معهم الحجارة ثم لما تقارب بعثه صلى الله عليه وسلم تحدثت بذلك
احبار اليهود ورهبان النصارى لما في كتبهم من صفته وصفة زمانه وكهان العرب لان شياطين

الجن

الجن كانت لا تحجب عن خبر السماء فتسترق السمع وتخبر الكهنة فيعلمون بعض خبر السماء لكن
كانت العرب لا تلتفت لذلك بالا فلما دنا مبعثه حجبت الشياطين عن السمع كما قال **بعث**
اي ارسل **الله** علم على الذات الواجب الوجود المستحق لجميع المحامد من الخلق **عند**
بتثليث العين اي قرب **مبعثه** اي زمن بعثه صلى الله عليه وسلم اي ارساله الى الخلق
كلهم كما قال في خبر مسلم وارسلت الى الخلق كافة وبين بعث ومبعث جناس الاشتقاق **الشهب**
على الشياطين الذين يسترقون السمع فيخطف احدهم الكلمة ثم يضم اليها مائة كذبة كما في الحديث
ثم يلقيها للكاهن وهي جمع شهاب وهو شعلة نار يحرق الشيطان المسترق للسمع او يخبله
حراسا اما جمع حارس على غير قياس كقائم وقيام فهو حال او مصدر اي لاجل
الحراسة لشريعته التي سياتي بها من الشياطين ان يخلطوا بها ما ليس منها وهو للمبالغة والتاكيد
لانه معلوم من قوله تطرد الى اخره ففيه التتميم كعلى حبه من ويطعمون الطعام على حبه ولكثرة
الشهب وعمومها للمسترقين في نواحي السماء **ضاق عنها الفضاء** اي المفازات الواسعة
فلم يبق محل يجدونه حتى يسترقوا السمع منه وبين ضاق والفضاء الطباق **تطرد**
حال من الشهب وصفة لها كما في ولقد امر على اللئيم يسبني لكن ظاهر المقام يرجح الحالية اذ
رعاية التنكير هنا بعيدة **الجن** وهم اجسام نارية تقدر على التشكل في الصور المختلفة
من **مقاعد** اي امكنة قريبة من السماء يقعدون فيها **للسمع** اي ليسمعوا
اشياء من الملائكة المتكلمين بما سيقع في الارض من الاقضية والمغيبات مما يكون رئيسهم
يلقيه عليهم ليكتبوه فيتلقونه منه اوان بعضهم ينسخه من كتب البعض الاخر زيادة في الاتقان
والظهور للملائكة واصل هذا قوله تعالى قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن الى قوله فمن يستمع
الان يجد له شهابا رصدا فلما سمع الجن ذلك عرفوا الحق فامنوا به وولوا الى قومهم منذرين

قائلين لما حكاه الله تعالى عنهم آواخر سورة الاحقاف ويوافق هذا ما رواه اهل السير ان لما حيل بينهم
وبين خبر السماء قالوا ان ذلك لامر حدث فاضربوا مشارق الارض ومغاربها وانظروا ما
حال بينكم وبين خبر السماء فخرجت طائفة منهم من جن نصيبين باليمن قبل تهامة فوجدوا
النبي صلى الله عليه وسلم بنخلة قريبة على ليلة من مكة مع اصحابه يصلي الصبح وهو يقرء فاستمعوا له
ثم قالوا هذا الذي بينكم وبين خبر السماء فاسلموا وولوا الى قومهم منذرين وفي ذلك نزل قل
اوحي الي الايات واذ صرفنا اليك نفرا من الجن الاية قال الحافظ ابن كثير ذكر ابن اسحاق انه
صلى الله عليه وسلم خرج الى اهل الطائف يدعوهم الى الاسلام فلما انصرف عنهم فبات بنخلة يقرء تلك
الليلة فاستمع جن نصيبين اي مدينة بالشام انتهى وما ذكره صحيح الا قوله ان استماع الجن كان
تلك الليلة ففيه نظر فان استماعهم انما كان في ابتداء الوحي كما يدل عليه حديث ابن عباس عند احمد
كان الجن يستمعون الوحي فيسمعون الكلمة فيزيدون فيها عشرا فيكون ما يسمعون حقا وما زادوا
باطلا وكانت النجوم لا يرمى بها قبل ذلك فلما بعث صلى الله عليه وسلم كان احدهم لا ياتي مقعده
الا رمي بشهاب يحرق ما اصاب منه فشكوا ذلك الى ابليس فقال ما هذا الا لامر اي امر عظيم قد حدث
وبعث جنوده فاذا بالنبي صلى الله عليه وسلم يصلي بين جبلي نخلة فاخبروه فقال هذا الحدث الذي
حدث في الارض رواه النسائي وصححه الترمذي قال اعني ابن كثير واما خروجه صلى الله عليه وسلم
الى الطائف فانما كان بعد موت عمه ابي طالب وروى ابن ابي شيبة عن ابن مسعود انهم هبطوا
عليه صلى الله عليه وسلم وهو ببطن نخلة يقرء القران فلما سمعوه قالوا انصتوا فانزل الله عز وجل
واذ صرفنا اليك نفرا من الجن الاية فهذا مع رواية ابن عباس يقتضي انه صلى الله عليه وسلم
لم يشعر بحضورهم في هذه المرة وانما استمعوا قراءته ثم رجعوا الى قومهم ثم بعد ذلك وفدوا
اليه ارسالا قوما بعد قوم انتهى وصح ان الذي اذنه صلى الله عليه وسلم بهم لما وفدوا اليه شجرة

وانهم

وانهم شكوه اليه الزاد فقال كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في يد احدكم اوفر ما يكون لحما وكل بعر علف
لدوابكم وفيه رد على من زعم ان الجن لا تاكل ولا تشرب والحاصل ان ذهابه الى الطائف انما كان
بعد موت ابي طالب سنة عشر من البعثة ثم موت خديجة بعده بثلاثة ايام او خمسة ثم تزوج سودة
بعد ايام فكان خروجه الى الطائف بعد موت خديجة بثلاثة اشهر من شوال لما نال من قريش
كان معه مولاه زيد بن حارثة فاقام به شهرا يدعوا اشراف ثقيف فلم يجيبوه واغروا به سفهائهم و
عبيدهم يسبونه قال موسى بن عقبة ورموا عقبه بالحجارة حتى اختضب نعلاه بالدم زاد غيره وكان
اذا اذلقته الحجارة قعد الى الارض فياخذونه بعضديه فيقيمونه فاذا مشى رجموه وهم يضحكون
وزيد بن حارثة يقيه بنفسه حتى لقد شج في راسه شجاجا وفي الصحيحين انه لقي منهم اشد مما لقي
يوم احد وان جبرئيل عليه السلام نزل ومعه ملك الجبال ليامره في قومه بما شاء فقال صلى الله
عليه وسلم بل ارجوا ان يخرج الله من اصلابهم من يعبد الله وحده لا شريك له وجاء عن ابن عباس
ان الشياطين كانوا لا يحجبون عن السموات وكانوا يدخلونها وياتون باخبارها فيلقون على الكهنة
فلما ولد عيسى منعوا من ثلاث سموات فلما ولد محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من السموات كلها
فما منهم من احد يريد استراق السمع الا رمي بشهاب وهو الشعلة من النار فلا تخطئه
ابدا فمنهم من تقتله ومنهم من تحرق وجهه ومنهم من تخبله فيصير غولا يضل الناس في البراري
قال الائمة وهذا لم يكن ظاهرا قبل بعثه صلى الله عليه وسلم ولم يذكره احد قبل زمانه وانما
ظهر في بدء امره وتاسيسا للنبوة نعم جاء عن معمر انه قال للزهري اكان يرمى بالنجوم في الجاهلية
قال نعم قلت افرايت قوله تعالى وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع الاية قال غلظت وشدد امرها
حين بعث صلى الله عليه وسلم وجرى على هذا ابن قتيبة فقال كان الرجم قبل بعثه ولكن
لم يكن في شدة الحراسة مثله بعد بعثه وعلم من قول ابن عباس شعلة ان الكوكب لا ينفصل،

من محله وانما الذي ينفصل عنه تلك وقيل ينقض ثم يرجع الى مكانه وطرد تلك الشهب لاولئك
الشياطين طرد بالغ جدا **كما** موصولة او مصدرية **تطرد الذياب**
جمع ذئب بالهمزة وقد يخفف وتشبيه شياطين الجن بالذياب صرح به الحديث الصحيح
الرعاء بضم اوله وكسره للغنم عنها اذا رايت العدو عليها **ف** بسبب ذلك
الطرد البالغ للجن عن خبر السماء **محت اية الكهانة** مفعول مقدم وهي بالفتح
مصدر كهن بضم الهاء اذا صار كاهنا اي مخبرا بالامور الخفية والمغيبات البعيدة اي
علامتها وهي ما كانت تاتي به الكهان ويذكرونه من المغيبات التي تلقيها اليهم الشياطين بواسطة
استراقهم لبعض كلام الملائكة ثم القائهم اليهم مع ما يضمونه اليه من الكذب كما مر **ايات**
من جملة **الوحي** وهو الكتابة والاشارة والرسالة والالهام والكلام الخفي و
لذلك كان الوحي الاتي اليه صلى الله عليه وسلم على اقسام الرؤيا الصادقة فكان لا يرى رؤيا
الا جاءت مثل فلق الصبح ما يلقيه الملك في روعه وقلبه من غير ان يراه للحديث الصحيح ان
روح القدس نفث في روعي لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله واجملوا في
الطلب تمثل الملك له رجلا فيخاطبه وصح انه كان ياتيه في صورة دحية اي لانه كان جميلا
جدا اذا قدم للتجارة خرجت الظعن لتراه وتشكل جبريل مع عظم صورته وان له ستمائة جناح
تسد الافق في صورة رجل غير بعيد لان الاجسام النورانية تقبل الانضمام حتى تصغر الصورة
جدا كما ان القطن يقبل الانكباس فتصير الصورة الكبيرة منه صغيرة وهذا من قول اولى بعضهم
ان صورته الاصلية باقية على حالها وصورة الرجل صورة اخرى وروحه متعلقة بهما اي كا
في الابدال الذين تتعدد صورهم في الوجود وروحهم واحدة والثالث ح مثل الاتي باي صورة
اراد ها الانسان ياتيه صلى الله عليه وسلم مثل صلصلة الجرس وهو اشد عليه ولهذا كانت ناقته

صلى الله عليه وسلم تبرك به وكان يرشح على فخذ زيد بن ثابت فكادت ترض من شدة الثقل حتى انه
يقول لا امشي بعد اليوم على جملي ابدا يا بنية على صورته الاصلية ووقع له ذلك مرتين كما في صحيح
النجم كلام الله له بلا واسطة كموسى واختص بالكليم لان ذلك وقع له وهو بالارض ونبينا محمد صلى الله
عليه وسلم انما وقع له ذلك وهو كقاب قوسين او ادنى وصح عن الشعبي انه صلى الله عليه وسلم وكل به
اسرافيل فكان يتراءى له ثلاث سنين ويلقيه بالكلمة من الوحي والشيء ثم وكل به جبريل فجاءه
بالقران ثم وصف ايات الوحي بانهن **ما لهن امحاء** من محى يمحو ويمحي ومحا
كذا ذكره بعضهم وعبارة القاموس محاه يمحوه ويمحاه اذهب اثره فامحى كادعى والمحو السواد في القمر
انتهت مخلصة والمعنى هنا اي ما لهن ذهاب ولا تغير كيف وقد تكفل الله لهذه الشريعة الغراء
بانها باقية على ممر الدهور الى ان ينزل عيسى صلى الله عليه وسلم فيحكم بها ثم تضمحل عند قيام الساعة بموت
الطائفة الذي اخبر الصادق بانهم لا يزالون قائمين بالحق لا يضرهم من خالفهم حتى ياتيهم امر الله
اي ريح لينة تقبض ارواحهم فحينئذ لا يبقى على وجه الارض من يقول الله الله فتقوم الساعة وبين محت
وامحاء جناس الاشتقاق ثم ذكر قصة ازواجه صلى الله عليه وسلم بخديجة ولو قدمها كما فعلت
ليوافق الواقع لانها قبل قوله بعث الله الى اخره لكان اولى فقال **ورايته** اي علمته
والبصرية المطابقة لها من الفضل الذي فاقت به سائر امهات المؤمنين رضي الله تعالى عنهن
خديجة بنت خويلد بن اسد بن العزى بن قصي بن كلاب وكانت ذات شرف ظاهر ومال
وافر وحسب فاخر **و** هي للحال **التقى** هو البراءة من كل شيء سوى الله وهذا
غايته ومبدؤه اتقاء الشرك واوسطه اتقاء المحارم وكذا يقال في التقوى وصح خبر ان اتقاكم
واعلمكم بالله انا وخبر اني لاعلمكم بالله واشدكم له خشية **والزهد** هو اخذ اقل
الكفاية مما يتيقن حله وترك الزائد على ذلك لله تعالى وقد صح خبر ما شبع ال محمد من طعام

ثلاثة ايام طباعا حتى قبض وخبر كان صلى الله عليه وسلم يبيت الليالي المتتابعة واهله طاويا لا يجدون
عشاء وانما كان خبزهم الشعير وخبر النعمان بن بشير لقد رايت نبيكم صلى الله عليه وسلم يظل اليوم
يلتوي ما يجد من الدقل بالتحريك اي رديء التمر ما يملأ بطنه وخبر انه كان يمضي الشهران ولا توقد
في ابياته صلى الله عليه وسلم نار وانما طعامهم التمر والماء وخبر انه صلى الله عليه وسلم مات ودرعه مرهونة
عند يهودي على ثلاثين صاعا من شعير اخذها قوتا لاهله **فيه** كل منهما **سجية**
بالسين المهملة اي خلق غريزي طبيعي والاختلاف في كون حسن الخلق غريزة او مكتسبا يتعين
ان يكون محله في غيره صلى الله عليه وسلم وتمسك من قال انه غريزة بالحديث الصحيح ان الله قسم بينكم
اخلاقكم كما قسم بينكم ارزاقكم والتحقيق الاصح ان اصول الاخلاق غرائز وملكات في نوع الانسان
وانما التفاوت في ثمراتها وهذا هو الذي به التكليف لان الغريزي لا تكليف به لانه ليس في الطاقة
نعم من فيه غريزة منه اعانته على المكتسب حتى يكاد يكون غريزيا فيؤمر بالمجاهدة في الضعيف حتى
يقوى وفي غير الموجود حتى يصير موجودا وقد صح انه صلى الله عليه وسلم قال للاشج ان فيك لخصلتين
يحبهما الله الحلم والحياء والاناة قال يا رسول الله قديما كان او حديثا قال قديما قال الحمد لله
الذي جبلني على خصلتين يحبهما الله فترديد السؤال وتقديره تقول عليه يشعر بان في الخلق
الجبلي والمكتسب وصح انه صلى الله عليه وسلم كان يقول اللهم كما حسنت خلقي اي بفتح اوله فحسن خلقي
وكان يقول في دعاء الافتتاح واهدني لاحسن الاخلاق لا يهدي لاحسنها الا انت ولما اجتمع
في نبينا صلى الله عليه وسلم من صفات الكمال وخصال الجلال والجمال ما لا يحيط به احد الا الله اثنى الله تعالى عليه
في كتابه العزيز فقال مؤكدا لذلك بذكر على الاستعلائية وانك لعلى خلق عظيم والخلق ملكة
نفسانية تحمل صاحبها على كل جميل ووصفه بالعظيم مع ان الغالب وصفه صلى الله عليه وسلم بالكرم
لان خلقه لم يقتصر على الكرم المقتضي للسماحة والدماثة بل عم صفتي الانعام والانتقام اذ كان

حيما

حيما بالمؤمنين شديدا غليظا على غيرهم **والحياء** فيه سجية ايضا على اكمل غاياته
ففي البخاري من حديث ابي سعيد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اشد حياء من العذراء
اي البكر في خدرها وقيد به لان حياءها فيه اشد لانها مظنة ان لا يظفر منها طامع بشيء يخل عليها فيه
بخلاف ما يحضره الناس والحياء بالمد لغة تغير وانكسار يعتري الانسان من خوف ما يعاب منه
الحياء ولذلك سمي المطر حيا لكنه مقصور وشرعا خلق يبعث على اجتناب القبيح ومنع التقصير في
حق من له حق ومن ثم صح انه لا ياتي الا بخير وانه من الايمان وجعل منه وان كان غريزة لان استعماله
على قانون الشرع يحتاج الى قصد واكتساب وعلم **واتاها** الخبر بكرامتين عظيمتين نعتا
له صلى الله عليه وسلم قبل النبوة وهما **ان الغمامة** وهي السحابة **والسرح**
وهو كما في القاموس شجر عظام او كل شجر لا شوك له او كل شجر طال انتهى وقضية سياق القصة
الاتية ان المراد الاول او الثالث واما الثاني فلا دليل له **اظلته منهما** حال من
قوله **افياء** جمع فيء وهو ما بعد الزوال من الظل من فاء رجع لرجوعه من جانب الى جانب
وفرق بعضهم بين الظل والفيء بان الظل ما نسخته الشمس والفيء ما نسخها وقد ذكرها يتبين الا
قبيل قوله بعث الله عند مبعثه الشهب وحاصلهما مع بعض زيادة انها ارسلته في تجارة لها ومعه
عبدها ميسرة الى بصرى فنزل تحت شجرة فاظلته فقال راهب ثمة ما نزل تحتها الا نبي وسأل ميسرة
افي عينيه حمرة قال نعم لا تفارقه فقال له الراهب هذا اخر الانبياء ليت اني ادركه اذ يؤمر بالخروج
وقال له من خالفه في بيع وهو بسوق بصرى احلف باللات والعزى فقال ما حلفت بهما قط
فقال خصمه لميسرة هذا نبي والذي نفسي بيده انه هو الذي يجده احبارنا منعوتا في كتبهم
فوعى ذلك ميسرة وكان ميسرة يرى ملكين يظلانه في الهاجرة فحدثت خديجة ذلك لما
اقبل صلى الله عليه وسلم وهي في علية لها فارته نساء عندها فعجبن من ذلك فلما جاء ميسرة اخبرها

بملازمته فاخبرها بجميع ما رآه منه وبقول الراهب السابق وبقوله ما حلفت بهما قط **تنبيه**
ورد في تظليل الغمامة له صلى الله عليه وسلم احاديث اصحها ما رواه جماعة وهو على شرط الصحيح الا ان في
روايته غرابة ان ابا طالب خرج به الى الشام في اشياخ من قريش فمروا ببحيرا فخرج اليهم على خلاف
عادته فجعل يتخللهم حتى اخذ بيده رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا سيد العالمين زاد البيهقي هذا
رسول رب العالمين هذا يبعثه الله تعالى رحمة للعالمين فقال له وما علمك فقال انكم
حين اشرفتم من الثنية لم يبق شجر ولا حجر الا خر ساجدا ولا يسجدان الا لنبي واني اعرفه بخاتم
النبوة اسفل من غضروف كتفه ثم رجع فصنع لهم طعاما فلما اتاهم به كان صلى الله عليه وسلم في
رعية الابل فقال ارسلوا اليه فاقبل عليه وغمامة تظله فلما دنى الى القوم وجدهم قد سبقوا الى الشجرة
فلما جلس صلى الله عليه وسلم مال فيء الشجرة اليه فقال انظروا الى فيء الشجرة مال اليه الحديث رواه
ابو موسى الاشعري وهو اما ان تلقاه منه صلى الله عليه وسلم فيكون ابلغ او من بعض كبار اصحابه او
كان مشهورا اخذه بطريق الاستفاضة وروى ابن اسحق مفصلا والبيهقي في الدلائل مفصلا وروى
البيهقي موصولا انهم لما نزلوا قريبا من صومعة بحيرا صنع لهم طعاما لكثرة ما رآه رأى رسول الله
صلى الله عليه وسلم حين اقبلوا وغمامة تظله من بين القوم ثم اقبلوا فنزلوا في ظل شجرة قريبا منه فنظر
الى الغمامة حين اظلت الشجرة وتحصرت اغصانها اي مالت وانعطفت على رسول الله صلى الله عليه وسلم
حين استظل تحتها القصة وورد ان حليمة رأت غمامة تظله وهو عندها وورد ذلك ايضا
عن اخيه من الرضاعة واشار غير واحد الى ان تظليل الغمامة له صلى الله عليه وسلم انما كان قبل النبوة
ارهاصا وتاسيسا للنبوة كما ياتي ومما يدل على انقطاع ذلك ان الصديق رضي الله تعالى عنه
اظله صلى الله عليه وسلم حين قدما المدينة في الهجرة لما اصابته الشمس فظلل عليه بردائه وصح انه
صلى الله عليه وسلم ظلل عليه بثوب وهو يرمي الجمرة وظلل به مرة اخرى وهو بالجعرانة وانهم

كانا

كانوا اذا استقادهم اذا نزلوا على شجرة ظليلة تركوها له صلى الله عليه وسلم وسياتي في شرح قوله واذا
ماشى حجي نور الظل الى اخره ما له تعلق بذلك **و** اتاها ايضا **احاديث** الاحبار
والرهبان والكهان **ان** اي بان **وعد رسول الله** صلى الله عليه وسلم مصدر
مضاف للمفعول اي وعد الله تعالى له عند الاطلاق لا يستعمل الا في الخير بالبعث اي الارسال
الى الخلق كافة **دان** اي قرب **منه** اي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متعلق بقرب
الوفاء اي قرب وفاء الله سبحانه بذلك الوعد من رسول الله صلى الله عليه وسلم
ف بسبب ما رأته منه وما بلغها عنه مما يحمل من له ذرة من عقل على ان يغسل قدميه ويشرب ماء
غسلهما **دعته** اي خطبته الى الزواج الى ان يتزوج بها وعرضت نفسها عليه فقالت
يا ابن عمي اني قد رغبت في نكاحك لقرابتك ومعرفتي منك وعمرها ان سنها حينئذ كان اربعين سنة
وسنه صلى الله عليه وسلم كان خمسا وعشرين سنة على الاشهر فيهما وكانت تزوجت قبله رجلين
وما احسن هذه احدى صيغتي التعجب **ما** مصدرية فتؤول مع تبلغ
بمصدر منصوب المحل على التعجب **المنى** اي الاماني جمع امنية وهي ما يتمناها الانسان
الاذكياء جمع ذكي كغني والذكاء بالمد حدة القلب ومزيد يقظته اي شيء عظيم حسن
بلوغ الاذكياء كل ما يتمنون ومنهم بل ومن اكملهم خديجة رضي الله تعالى عنها فانها ادركت بنفوذ
ذكائها وتفرسها فيه صلى الله عليه وسلم منه وبه كل ما تمنته واملته مما لم تبلغه امرأة من هذه
الامة اذ هي على الاصح افضل امهات المؤمنين رضي الله عنهن وهذا من انواع البديع المسمى
بارسال المثل وهو ان يذكر الشاعر في بعض بيت ما يجري مجرى المثل السائر من حكمة او نحوها
كقول ابي الطيب لان حلمك حلم لا تكلفه   ليس التكحل في العينين كالكحل وهو كثير
في كلام الناظم ولما عرضت نفسها عليه صلى الله عليه وسلم ذكر ذلك لاعمامه فخرج معه منهم

حمزة ثم دخل على ابيها خويلد فخطبها اليه فاجاب فزوجها صلى الله عليه وسلم واصدقها عشرين بكرة
وخصه ابو بكر ورؤساء مضر فخطب ابو طالب فقال الحمد لله الذي جعلنا من ذرية ابراهيم
وزرع اسمعيل وضئضئ اي بمعجمتين او مهملتين اصل معد وعنصر مضر وجعلنا حضنة
بيته اي الكافلين له وسواس حرمه اي المتولين لامره وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما امنا
وجعلنا الحكام على الناس ثم ان ابن اخي محمد بن عبد الله لا يوزن به رجل الا رجح به
فان كان في المال قل فان المال ظل زائل وامر حائل ومحمد من قد عرفتم قرابته وقد خطب خديجة
بنت خويلد وبذل لها من الصداق من آجله وعاجله من مالي كذا وهو والله بعد هذا له نبأ
عظيم وخطر جليل فزوجها ابوها منه وذكر الدولابي عن غيره انه صلى الله عليه وسلم اصدقها
ثنتي عشرة اوقية ذهبا ونصف وقية قالوا وكانت كل اوقية اذ ذاك اربعين درهما **و**
مما يدل على عظيم ذكائها وفرط معرفتها انه **آتاه** بعد النبوة والرسالة **في**
بيتها جبرئيل كعندليب لغة في جبريل ليلقي اليه ما اوحي من الوحي وكان
عندها من الايمان به علم اليقين فاحبت ان تنتقل عنه الى عين اليقين كما وقع لابراهيم
صلى الله عليه وسلم في قوله بلى ولكن ليطمئن قلبي وكيف لا ترتد هذه المرتبة العلية **و**
لذي اي صاحب **اللب** اي العقل الكامل وخديجة رضي الله عنها من اجل
اولي الالباب واذكاهم **في الامور** اي الاحوال التي قد تشتبه **ارتياء**
اي استبصار منه ورواية اي نظره بالعين او القلب كما في القاموس وفراسة يقضي بها
على تلك الامور بتمييز حسنها من قبيحها فعلم ان هذه الجملة اعتراضية وان فيها غاية
المناسبة لما قبلها وما بعدها اذ الاعتراضية لا بد لها من نكتة فهي هنا الاشارة الى كمال
عقلها واستبصارها مع افادة ان هذا الامر كلي جار مجرى المثل والحكمة فهو من ارسال المثل

فبسبب

ف بسبب تلك المحبة مع ما عندها من كمال العقل **اماطت** اي ازالت عنها اي عن رأسها **الخمار**
وهو ما يخمر اي يغطى به الرأس **لتدري** اي لكي تعلم من اليقين **اهو** اي هذا
الذي عرض له صلى الله عليه وسلم حتى اخرجه عن حالته المألوفة عنه **الوحي** اي حامله و
امينه الذي كان يأتي به الانبياء قبله وعرفت اقسامه **ام** هي معادلة الهمزة المطلوبة بها
وبام التعيين ولها قسم ثان وهو ان يقع بعد همزة التسوية وسميت فيهما معادلة لمعادلتها
الهمزة في افادتها الاستفهام في الاول والتسوية في الثاني وتسمى فيهما متصلة لان ما قبلها وما بعدها
لا يستغني باحدهما عن الآخر ويقابلها المنقطعة وهي ثلاثة اقسام مبسوطة في محلها **هو**
الاغماء اي الذي هو من بعض الامراض العادية ومن ثمة جاز على الانبياء دون الجنون
ف بسبب انها الخمار عن رأسها **اختفى عند كشفها الرأس** مفعول
المضاف لفاعله **جبرئيل فما عاد اعيد الغطاء** يعني الى ان اعادت غطاءه
رأسها فاعيد ماض مبني للمفعول والغطاء نائب الفاعل ووقع للشارح هنا انه قال واعيد منصوب
بان مضمرة بعد او التي يصلح موضعها حتى والغطاء فاعل اعيد انتهى وهو سهو عجيب لما تقرر
ان اعيد ماض الى آخره وكان هذا الوهم سرى اليه مما يصرح به كلام النحاة ان او غير العاطفة
التي بمعنى الى ان لا تدخل الا على المضارع كما في حتى الغائية المرادفة لالى والمذكورة كما صرحوا
به وحتى فاضطره ذلك الى ما ذكره غفلة عن ان اعيد ماض لكن كان عليه ان يقول وقوله
اعيد صوابه يعاد ويذكر ما اشرت اليه واما كونه يبقي اعيد على حاله ويجعله منصوبا باو
فهو جلي الفساد لا يقال هو ماض لفظا مستقبل معنى فليجز دخول او الناصبة عليه لما صرحوا
به في حتى المرادفة لها ان شرط النصب بعدها ان يكون الفعل مستقبلا او ماضيا في حكم
المستقبل نحو سرت حتى ادخل المدينة فهذا يؤول بالمستقبل نظرا الى انه غاية لما قبل حتى

فهو مستقبل بالاضافة اليه لانا نقول معنى قولهم او ماضيا في حكم المستقبل ان لفظه لفظ المضارع
ومعناه ماض فكان قضية القياس ان لا يدخل عليه حتى الغائية فاجابوا بان ما فيه من المضي
مؤول بالاستقبال نظرا الى انه غاية كما تقرر واما ما لفظه ماض فلا يدخل عليه حتى الغائية فاجابوا
بان ما فيه من المضي اصلا فان قلت كيف هذا مع قوله تعالى حتى اتاهم نصرنا حتى عفوا
جاءهم العلم وفي البخاري حتى جاءه الحق وهو في غار حراء قلت حتى هنا ابتدائية لا غائية والتي
انما تكون بمعنى حتى الغائية لا غير وقد صرح بذلك الائمة وخصه الجلال السيوطي في شرح
جمع الجوامع حيث قال ما المختصرات حتى الابتدائية تليها الجملتان الاسمية والمضارعية والماضوية
والمصدرة بشرطها وما زعم ابن مالك انها جارة غائية قبل الماضي باضمار ان بعدها المصدر على تاويل
فغلطه فيه ابو حيان وتبعه ابن هشام فقال لا اعرف له في ذلك سلفا وفيه تكلف اضمار من غير
ضرورة ورد ما زعمه هو والاخفش انها جارة قبل اذا وان اذا في موضع جر بها بانه خلاف
ما عليه الجمهور انها ابتدائية واذا في موضع نصب بشرطها او جوابها ثم قال الجلال بعض شيوخنا
ضابطة حتى انها اذا وقع بعدها اسم مفرد مجرورا او مضارع منصوب فحرف جر او اسم
مرفوع او منصوب فحرف عطف وجملة اي ماضوية فحرف ابتداء ولا محل لهذه الجملة انتهى
وهذا كله صريح كما ترى في ان كل جملة ماضوية دخلت عليها حتى في القران او غيره يكون حرف
ابتدائية ولا تكون جارة بمعنى الى ان وان صح المعنى لما مر ان ذلك يحتاج لتقدير لا حاجة
اليه واذا تقرر ان حتى الغائية لا تدخل على الماضي فالتي بمعناها اولى فان قلت لم قست
او على حتى الغائية في منع دخولها على الماضي وهلا قستها على الى ان او الا ان الذين بمعناها
قلت اما كونها بمعنى الا ان فهو ما ذكره ابن مالك وقدمه عليه حتى ولده ومن ثم قال ابو حيان
قد اغنانا ولده عن الرد عليه وعلى التنزل فالا ان لا تدخل على الماضي الا عند قوم بشرط

ان يتقدمه فعل او قد كما هو مقرر في محله واما كونها بمعنى الى ان فوجه ان حتى انما امتنع دخولها
على الماضي لكونها غائية كما مر مبسوطا وهذا المعنى موجود في او بطريق الاصالة فليمتنع
دخولها على الماضي بنص كلامهم لا بطريق القياس فان قلت تقرر ان او بمعنى الى ان وهذه
تدخل على الماضي كما في الحديث قام الى ان تورمت قدماه فلتكن او كذلك قلت هذا اشتباه
لان ان المتضمنة في او هي الناصبة وهي خاصة بالمضارع فلم يتصور دخول او المتضمنة
لها على الماضي واما ان الملفوظ بها بعد الى فهي التي لا يتصور لها العمل وهي تدخل على الماضي
فلا جامع بين هذه وتلك فان قلت بعضهم يقدرها بالى ان وبعضهم يقدرها بالى
فقط وهذا يدل على ان ان لا نظر اليها قلت لا يدل لذلك بوجه وانما سبب ذلك انهم
اختلفوا في ناصب المضارع الداخل عليه او فالاصح انه ان مقدرة بعدها وقال قوم هي الناصبة
نفسها فعلى الاول مقدرة بالى ان وعلى الثاني بالى فقط فان قلت قد ادخل الناظم او على
الماضي في مواضع من البردة وسكت عليه شراحها قلت الاعتراض عليه في ذلك ايضا واما
الشراح فيحتمل انهم انما سكتوا على ذلك نظرا للمعنى او انهم غفلوا عما ذكرته من صريح كلامهم
الدال على ان او الغائية لا تدخل على الماضي ثم رايت شارحها العلامة ابن مرزوق تنبه
لما ذكرته فقال في او خلت البطاح بها ان او هنا عاطفة ثم جعلها بمعنى الواو او بل او
انها على حالها للشك او التخيير وتكلف بيان ذلك ولم يعرج على انها او الغائية بوجه وليس
سر ذلك الا امتناع دخولها على الماضي والا كان معنى الغاية في البيت اقرب مما تكلفه ولهذا
ياتي نظير ما تكلفه هنا بوجه والا لبادر اليه وممن صرح بذلك ايضا ان النحاة
لم يذكروا لالا الا قسمين عاطفة وناصبة وهي الغائية فالعاطفة امرها واضح ولا
كلام فيها والناصبة تختص بالمضارع فمن اثبت لها قسما ثالثا فهو دخولها على الماضي

ولا تكون للعطف فعلية البتة ولا يجوز ذلك كما دل عليه كثرة البحث والتتبع فتامل ذلك
كله فانه نفيس مهم غفل عنه الناظم وغيره **فاستبانت خديجة** قيل صرفها
للعلمية وبرده بانه انما صرفها وان كان الوزن صحيحا مع عدم الصرف ليسلم من قبح
الشكل ويرد بانها باقية على عدم صرفها والوزن صحيح اى ظهر لها امارات الظهور لانها علمت
من ابن عمها ورقة الآتي او من غيره ان جبرئيل لا ياتي محلا فيه امرأة مكشوفة الرأس **انه**
اى بعض للنبي صلى الله عليه وسلم الذي طلبت الوقوف على عين اليقين فيه **الكنز**
اى الشيء النفيس بل الذي لا انفس منه **الذي حاولته** اى ارادت حيلته و
الظفر به **وانه الكيمياء** اى العلم البديع الذي يقلب الاعيان الردية الى الاعيان
النفيسة واستعار الكنز وهو المال المدفون والكيمياء وهو العلم المعروف للوحي لانه
بهما تحصل الذخائر النفيسة المنتفع بهما حالا ومالا كما ان الوحي كذلك و
ايضا هما لا يظفر بهما الا الفذ النادر كما ان الوحي لا يظفر به الا اكمل البشر وهم في غاية
الندرة والقلة بالنسبة لبقية الناس واشار بذكر ما وقع لخديجة الى سبب ذلك وهو
قصة ابتداء بعثه صلى الله عليه وسلم وحاصلها انه صلى الله عليه وسلم لما بلغ اربعين سنة
وقيل وكذا بعثه الله يوم الاثنين كما في خبر مسلم لسبع عشرة من شهر رمضان وقيل من
ثمان من ربيع الاول وقيل كان في رجب رحمة للعالمين مبعوثا الى كافة الخلق اجمعين
كما قال صلى الله عليه وسلم وارسلت الى الخلق كافة وروى البخاري وغيره اول ما بدئ به صلى الله
عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح وابتدئ
بها لان الملك لو جاءه بغتة لم تحتمله قوى البشرية وكان ياتي حراء يتعبد فيه الليالي
الكثيرة ثم يرجع الى خديجة فيتزود لمثلها حتى فجاءه الحق اى جاءه جبرئيل وهو بغار حراء

فقال

فقال له اقرأ قال ما انا بقارئ اى لست بقارئ قاله امتناعا لانه كان أميا لا يقرأ ولا يكتب فغطه
حتى بلغ منه الجهد ثم ارسله وقال له اقرأ قال ما انا بقارئ قاله اخبارا بالواقع فغطه ثم ارسله
كذلك وحكمة الغط ثم تكريره مزيد التاهل الى القاء الملك لما بين البشرية والملكية من التباين
ثم الى التلقي منه ثم قال له **اقرأ باسم ربك الذي خلق** حتى بلغ **ما لم يعلم** فرجع بها يرجف فؤاده
ثم دخل على خديجة فقال زملوني زملوني فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال يا خديجة
ما لي واخبرها الخبر ثم قال لقد خشيت على اى قبل ان يحصل لى العلم الضروري بان الجائي
جبرئيل او خشيت على ان لا اقدر على حمل اعباء الرسالة وان يقتلني قومي ولا بدع فانه بشر
فقالت له كلا ابشر والله لا يخزيك الله ابدا انك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل
وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق ثم انطلقت به الى ابن عمها ورقة وكان شيخا كبيرا قد
عمي وهو ممن تنصر من العرب وعرف الانجيل فقالت له اسمع من ابن اخيك فاخبره صلى الله
عليه وسلم بما راى فقال هذا الناموس الذي انزل الله على موسى يا ليتني فيها اى مدتك جذعا اى شابا
بالغ في نصرتك اى اذ يخرجك قومك قال او مخرجي هم قال نعم لم يات رجل قط بما جئت به
الا عودي وان يدركني يومك انصرك نصرا مؤزرا ثم لم ينشب ورقة ان توفي وفتر الوحي فترة
حتى حزن صلى الله عليه وسلم وفكره ذهابه الى رؤوس شواهق الجبال ليرمي نفسه فيبرز له
جبرئيل ويقول يا محمد انك رسول الله حقا فيسكن لذلك جاشه واخرج الشيخان وغيرهما
انه صلى الله عليه وسلم قال جاورت بحراء شهرا اى لا لطلب النبوة فانها موهبة لا تنال بالكسب الله
اعلم حيث يجعل رسالته فلما قضيت جواري هبطت فنوديت فنظرت فلم ار شيئا فرفعت
راسي فرايت شيئا لم اثبت له فاتيت خديجة فقلت دثروني دثروني وصبوا على ماء
باردا فنزلت **يا ايها المدثر** الاية وهذا بعد نزول اقرأ بل وبعد فترة الوحي اذ ادرك

ما نزل اقرأ على الاصح بل الصواب صح عن الشعبي انه قال نزلت عليه صلى الله عليه وسلم النبوة وهو ابن اربعين سنة فقرن بنبوته اسرافيل ثلث سنين فكان يعلمه الكلمة والشيء ولم ينزل عليه القران على لسانه فلما مضت ثلاث سنين قرن بنبوته جبرئيل فنزل عليه القران على لسانه عشرين سنة وحكمة الفترة ذهاب الروع الذي وجده صلى الله عليه وسلم ومزيد تجدد الى الاشتياق للعود وروى اصحاب السير انه صلى الله عليه وسلم لما اخبر خديجة الخبر قالت له اتستطيع ان تخبرني بهذا الذي ياتيك اذا جاءك قال نعم فلما جاءه جبرئيل اخبرها به فقالت له اجلس على فخذي الايسر ففعل فقالت اتراه قال نعم قالت فعلى الايمن ففعل فقالت اتراه قال نعم قالت فاجلس في حجري ففعل فقالت اتراه قال نعم فالقت خمارها ثم قالت اتراه قال لا قالت اثبت وابشر فوالله انه لملك ما هذا شيطان **ثم** بعد تلك الفترة ونزول قوله تعالى يا ايها المدثر قم فانذر بادر صلى الله عليه وسلم الى امتثال ذلك فلما **قام النبي** اي جد واجتهد في حال كونه **يدعو الى الله** عبادة الله والايمان به وبرسوله وتركهم ما هم عليه من عبادة الاصنام والاوثان وذلك لانه اول ما وجب عليه صلى الله عليه وسلم الانذار والدعاء الى التوحيد ثم فرض الله من قيام الليل ما ذكره في اول سورة المزمل ثم نسخه بما في اخرها ثم نسخه بايجاب الصلوات الخمس ليلة الاسراء بمكة قال النووي وقال في فتح الباري كان صلى الله عليه وسلم قبل الاسراء يصلي قطعا وكذلك اصحابه ولكن اختلف هل افترض قبل الخمس صلوة ام لا فقيل ان الفرض صلوة قبل طلوع الشمس وقبل الغروب لقوله تعالى وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب وروي ان جبرئيل بدا له صلى الله عليه وسلم في احسن صورة واطيب رائحة فقال يا محمد ان الله يقرئك السلام ويقول لك انت رسولي الى الجن والانس فادعهم الى قول لا اله الا الله ثم ضرب برجله الارض فنبعت عين ماء فتوضا منها جبرئيل ثم امره ان يتوضا وقام جبرئيل يصلي وامره ان يصلي معه فعلمه الوضوء والصلوة

ثم

ثم عرج الى السماء ورجع صلى الله عليه وسلم لا يمر بحجر ولا مدر ولا شجر الا وهو يقول السلام عليك يا رسول الله حتى اتى خديجة رضي الله عنها فاخبرها فغشي عليها من الفرح ثم امرها فتوضات وصلى بها كما صلى به جبرئيل فكان ذلك اول فرضها ركعتين ثم الحديث **و** هم الحال **في** اهل **الكفر نجدة** اي قوة تامة وتحزب عليه **وإباء** اي امتناع عن اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم والايمان به **امما** مفعول يدعو اي جماعات من امة الدعوة **اشربت** بالبناء للمفعول **قلوبهم الكفر** اي اختلطت به بتقدير بغيتهم وتمكن فيها حبه حتى صارت لا تقبل على غيره ولا تلتفت اليه لامتزاجها به امتزاج المشروب بها فاستعار لفظ الشرب للمخالطة وشدة الممازجة وح **رفدا الضلال** الذي استقر **فيهم** اي مرضه او الاضافة بيانية اي فالداء الذي استقر فيهم وهو الكفر داء **عياء** بمهملة مفتوحة فتحتية اي داء عضال اعيا الاطباء مداواته وحصول شفائه ولما قام صلى الله عليه وسلم يدعو الى الله تعالى دخل في الاسلام رجال ونساء حتى كمل السابقون الاولون واولهم على الاطلاق خديجة ثم من الرجال ابو بكر ومن الصبيان علي وصح اسلامه مع صباه لان الاحكام اذ ذاك كانت منوطة بالتمييز ومن الموالي زيد ومن الارقاء بلال وروي ان ورقة اسلم فان صح كان اول من اسلم من الرجال وبهذا يجمع الاقوال المتباينة في اول من اسلم ثم دخل الناس في الاسلام ارسالا وكان صلى الله عليه وسلم مخفيا امره الى ان امره الله تعالى باظهار امره بقوله عز وجل فاصدع بما تؤمر قالوا وكان ذلك بعد النبوة بثلث سنين ولم يبعد منه قومه ولا ردوا عليه حتى عاب الهتهم سنة اربع من النبوة فاجمعوا على عداوته الا من عصمهم الله بالاسلام او صدق المحبة كابي طالب فانه حن عليه ومنعه وقام دونه فاشتد الامر وتضارب القوم وتشاورت قريش على من اسلم منهم يعذبونهم ومنع الله تعالى رسوله منهم بعمه ابي طالب وبني هاشم غير ابي لهب فان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يطوف على الناس

فمنها انهم يقول اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وابو لهب ورآئه يكذبه منهم ويسموه بالسحر والشعر و
الكهانة والجنون وكان بعضهم يحثوه بالتراب ويجعل الدم على بابه ووطىء عقبة بن ابى معيط على عنقه
وهو ساجد على باب الكعبة حتى كادت عيناه تبرزان وخنقوه خنقا شديدا وجذبوا راسه ولحيته
حتى سقط اكثر شعره فقام ابو بكر ومنعهم منهم ثم اسلم حمزة عمه رضى الله عنه سنة ست من النبوة
فعزّ به وكفّت عنه قريش قليلا وسئلوه ان يملكوه عليهم ويبذلوا له من الاموال ما شاء ويترك ما
قبله فابى وقال اصبر لامر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم وفى سنة خمس اذن الله رسوله ولاصحابه فى الهجرة
الى الحبشة فكان اولهم عثمان رضى الله تعالى عنه مع زوجته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم واسلم
عمر بعد حمزة رضى الله عنهما بثلثة ايام فعزّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا فاجمعت قريش على قتله
صلى الله عليه وسلم فبلغ ذلك ابا طالب فجمع بنى هاشم والمطلب فادخلوه صلى الله عليه وسلم شعبهم ومنعوه
ورأينا معشر الاجابة اى ابصر الصحابة وعلم من بعدهم بطريق التواتر والشهرة و
يصح انها بمعنى علم فى الكل وهو واضح وابصر فى الكل وهو فيمن بعد الصحابة بالنسبة لمشاهدة جوف
القرآن الدالة على آيات لا تحصى **آياته** اى معجزاته وخلقه وخلقه من بديع صفاته
فاهتدينا اى وصلنا الى المطلوب منا من كمال الايمان والاتباع **و** انما بادرنا
الى ذلك لانا اصحاب عقول كاملة وقلوب حية ابصرنا الحق عيانا لا مرية فيه ولا شبهة فعلمنا انه **اذ**
الحق جاء زهق الباطل المبين بمجاء ان الحق فاعل مثل المحذوف فلا ان اذا لا تدخل
الا على الجمل الفعلية على الراجح **زال المراء** اى الضلال والجدال فيه وفى هذا ابلغ التعريض
لكفار قريش حيث لم يؤمنوا به صلى الله عليه وسلم مع ما شاهدوه من كماله الاعظم خلقا وخلقا
وعلما وغيرها ومن معجزاته الدالة على صدقه **يا رب ان الهدى** اى اتباع الحق فى
الا **هداك** اى ليس الا بتوفيقك وهدايتك كما قلت فى كتابك فمن يرد الله ان

يهديه

يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد الله ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كانما يصعد
فى السماء ومن يهد الله فلا مضل له ومن يضلل الله فلا هادى له **و ان آياتك**
التى اقمتها ادلة على صدق انبيائك ويصح رفعه فعلى الاول كل من الجملتين مؤكد لما قبلهما
وعلى الثانى هى مؤكدة ايضا لكن فيها شبه اعتراض بناء على جواز وقوعه بعد تمام الكلام **نور**
كما قلت قد جاءكم من الله نور **تهدى بها من تشاء** هدايته وتضل عنها
من تشاء غوايته ففى كلامه اقتباس من الآيتين المذكورتين كما اشرت اليه وايماء الى ان
الآيات لا تنفع مع سبق الشقاوة ولما تقرر ان الهدى هدى الله وانه يضل من يشاء وان
الآيات وحدها لا تجدى شيئا ذكر ما يستغرب من ذلك ويقربه وهو انه غير العاقل قد يلهم
كثيرا مما يحرم العاقل فقال **كم** مرة اى مرارا كثيرة فهى خبرية ويجوز حذف مميزها كما فعل
الناظم فان ذكر جر باضافتها اليه عند البصريين وجوز بنو تميم نصبه وافراده اكثر وافصح من جمعه
فانه فصيل نصب حالا على كم الاستفهامية **رأينا** اى علمنا وابصرنا فانظر اما نقول استعمال
المشترك فى معنييه واللفظ فى حقيقته ومجازه جائز وعلى منعه الذى ذهب اليه الاكثرون
هو من عموم المجاز **ما** اى شخصا ما **ليس يعقل** اصلا كالحيوان والجماد **قد الهم**
الهم من المصالح وهذه الجملة فى موضع ثانى مفعولى رأى **ما** اى كثيرا **ليس**
يلهمه العقلاء اذ ظرف او علة له اى **ابى** اى امتنع **الفيل**
المذكور فى الآية من ان يفعل **ما اتى** اى عزم عليه **صاحب الفيل** وهو ابرهة
ملك صنعاء وهو دخول الحرم لهدم الكعبة بين ابى واتى الجناس المصحف ومنه قوله تعالى
وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا **ولم ينفع الحجى** اى العقل الوافر **والذكاء**
اللذان اتصف بهما فلم يوفق لما وفق له الفيل مع وضوح فرقان ما بينهما فى الذكاء والعقل

فنعلم ان الهداية والضلال ليسا الا بتوفيق الله تعالى وهدايته او خذلانه وعدم رعايته وبسط هذه
القصة ان ابرهة ملك اليمن من قبل اصحمة النجاشي بنى كنيسة بصنعاء وكتب الى النجاشي قد
بنيت لك كنيسة واريد ان اصرف حج العرب اليها فجاء رجل من بني كنانة فاحدث فيها فلطخها بذلك
فغضب وحلف ليسيرن الى الكعبة العرب ويهدمها فامر الحبشة فتهيات ثم سار وخرج معه
بالفيل قيل واحد يسمى محمودا وقيل اكثر فخرج عليه ملوك فقهرهم واسرهم الى ان قرب من المغمس عند
عرفة فبلغ ذلك عبد المطلب فقال يا معشر قريش لا يصل لهدم البيت احد ان له ربا يحميه ثم
ارسل ابرهة خيلا فاستاقت ابل قريش وغيرهم ولعبد المطلب فيها اربعمائة فركب في قريش حتى
بلغ جبل ثبير فاستدارت دائرة غرة رسول الله صلى الله عليه وسلم على جبينه كالهلال اشتد شعاعها
على الكعبة مثل السراج فقال ارجعوا فقد كفيتم فوالله ما استدار هذا النور مني الا ان يكون الظفر
لنا فرجعوا ثم ارسل ابرهة رجلا ليسيدهم وهو عبد المطلب ليخبره انه لا حاجة له بدمائهم وانما
غرضه تخريب الكعبة فان لم تمنعوني نجوتم فقال له عبد المطلب لا طاقة لنا بحربه والبيت بيت الله
فان منعه فهو بيته ثم حمله اليه فاكرمه واجله ونزل عن سريره وجلس معه على بساطه ثم قال له
ما حاجتك قال ان ترد علي ابلي فقال له كنت اعجبتني ثم زهدت فيك تكلمني في ابلك دون
بيت هو دينك ودين ابائك فقال انا رب الابل فانا ربها واما البيت فله رب يحميه فرد اليه ابله
فرجع فاخبرهم فتحرزوا في شعف الجبال والشعاب ثم اخذ عبد المطلب معه نفرا من قريش بحلقة
باب الكعبة ودعوا واستنصروا وفي رواية ان رسول ابرهة لما دخل مكة ورأى وجه عبد المطلب
خضع وتلجلج لسانه وخر مغشيا عليه وخار كما يخور الثور عند ذبحه فلما افاق خر ساجدا
لعبد المطلب وقال اشهد انك سيد قريش حقا وروي ان عبد المطلب لما ذهب لابرهة حضر
فيله الابيض العظيم فلما راى عبد المطلب خر ساجدا وقال السلام على النور الذي في

ظهرك

ظهرك يا عبد المطلب فلما اصبح ابرهة بالمغمس وهيأ فيله وجنوده لدخول مكة برك الفيل في محله
بناء على الاصح انهم لم يدخلوا الحرم وقيل دخلوه وانما برك لما وصلوا الى وادي محسر ولذا
سمي بذلك لان فيلهم حسر اي اعيي فيه فضربوه في راسه وزرقوه بمحاجن بالحديد فابى فوجهوه
نحو اليمن فقام ونحو الشام فمشى ثم نحو المشرق فمشى ثم نحو الكعبة فابى ثم ارسل الله عليهم طيرا ابابيل
كامثال الخطاطيف من البحر مع كل طائر منها ثلاثة احجار حجر في منقاره وحجران في رجليه كانها
العدس لا تصيب احدا منهم الا قتله فخرجوا هاربين يتساقطون بكل طريق واصيب ابرهة
في جسده فتساقطت انامله انملة انملة حتى وصل صنعاء وهو مثل فرخ الطائر وسال منه الصديد
والقيح والدم ومات حتى تصدع قلبه وقد ذكر الله هذه القصة في سورة الفيل وافتتحها بالرؤية
مع انها قبل مبعثه بل قبل ولادته اشارة الى ان المراد من الرؤية العلم والتذكر وان الخبر بذلك
متواتر فكان العلم بذلك ضروريا مساويا للعلم الحاصل بالرؤية البصرية وقد دلت هذه القصة
على غاية شرف نبينا صلى الله عليه وسلم فانها كانت ارهاصا وتاسيسا لنبوته ويجوز تقديم المعجزة
على زمن النبوة تاسيسا كما مر في تظليل الغمام والشجر والملكين بل جاء ان الشجر والحجارة قرب
مبعثه صلى الله عليه وسلم كان لا يمر منها بشيء الا سلم عليه سلاما يسمعه باذنيه وعلى شرف قومه وحمايته
الله تعالى لهم ولذا دانت العرب لشرفهم لعلمهم بان ابرهة لا قدرة للعرب بامرهم على قتاله
الله نصرهم عليه دل ذلك على عظيم امتنان الله بهم ولعقل معنى الارهاص بعد مجيء النبوة و
ثبوتها بالدلائل القطعية الى الحجاج فنجه الله تعالى حتى خرب الكعبة ولم يعاقب بشيء ولما ذكر
ما يتعلق بالهام الحيوان بذكر قصة الفيل ذكر ما يتعلق بالهام الجماد فقال **والجمادات**
وهي ما لا روح فيه **افصحت** اي اظهرت ونطقت بكلام بين فصيح لا تلعثم فيه قيل بخلق الله
تعالى عز وجل فيها حياة من غير حيوة وان من شيء الا يسبح بحمده وقيل بل بخلق فيها حيوة ولسانا

وانما كان نطق مختارة عارفة بما تنطق به ويدل لهذا ما ياتى فى حنين الجذع وانينه فان ذلك يدل
على ان الله تعالى خلق فيه الحيوة والعقل والشوق حتى حن ولا يعارضه ان مذهب الاشعرى ان
خلق الصوت فى محل لا يستلزم خلق الحيوة والعقل فيه لانا لم ناخذ الحيوة من تصويته بل من
اطلاق الصحابة عليه انه حن وان مذهب الاشعرى ان الذكر المعنوى والكلام النفسى يستلزمان
الحيوة استلزام العلم لها ولهذا عامله صلى الله عليه وسلم معاملة الحى فالتزمه كما يلتزم الغايب اهله
بالشهادة بالانبياء والارسال **الذى اخرس عنه لاحمد** متعلق با
الفصحاء نايب فاعل اخرس وفيه طباق اى ان العرب قريشا وغيرهم مع كونهم ارباب الفصاحة
وفرسان البلاغة امتنعت السنتهم من النطق له صلى الله عليه وسلم بالايمان والشهادة له بالرسالة
اليهم وشهد له بذلك الجمادات الصم بافصح لسان وابلغ بيان فمن ذلك تسبيح الحصا فى يده ثم
فى يد ابى بكر وفى يد عمر رضى الله تعالى عنهما يسمع تسبيحها كل من فى الحلقة رواه جماعة وهو مشهور
لكن فى سنده ضعف وصح عن ابن مسعود كنا ناكل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الطعام ونحن
نسمع تسبيح الطعام وفى سماعهم لذلك غاية الكرامة لهم وصح ايضا انى لاعرف حجرا بمكة كان
يسلم على قبل ان ابعث انى لاعرفه الان قيل هو الحجر الاسود وقيل البارز بزقاق المرفق لانه
كان يمر صلى الله عليه وسلم من دار خديجة الى المسجد وعليه اهل مكة سلفا وخلفا وصح عن على
كرم الله وجهه كنت امشى مع النبى صلى الله عليه وسلم بمكة فخرجنا فى بعض نواحى مكة فما
شجر ولا حجر الا قال السلام عليك يا رسول الله وروى البزار والبيهقى وابو نعيم لما استقبلنى جبريل
بالرسالة جعلت لا امر بحجر ولا شجر الا قال السلام عليك يا رسول الله والبيهقى وابن ماجه
انه صلى الله عليه وسلم غطى العباس وبنيه بملاءة ثم قال يا رب هذا عمى وصنو ابى وهؤلاء اهل
بيتى فاسترهم من النار كسترى اياهم بملائى هذه فقالت اسكفة الباب وحوائط البيت امين

اثنين

اثنين وصح انه صلى الله عليه واله وسلم كان هو وابو بكر وعمر وعثمان على احد وصح ايضا على حرا فتحرك
فقال اثبت وضربه برجله فما عليك الا نبى وصديق وشهيدان وصح انه صلى الله عليه وسلم طلب
من رجل الايمان فقال له هل من شاهد فقال هذه الشجرة فدعاها صلى الله عليه وسلم وهى على شاطى الوادى
فاقبلت تخد الارض خدا اى تشقها شقا فقامت بين يديه فاستشهدها ثلثا فشهدت ثم رجعت
الى منبتها وفى رواية قل لتلك الشجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوك فمالت عن يمينها وشمالها
ومن بين يديها ومن خلفها فانقطعت عروقها ثم جاءت تخد الارض تجر عروقها مغبرة حتى وقفت
بين يديه فقالت السلام عليك يا رسول الله قال الاعرابى مرها فلترجع الى منبتها فرجعت فدلت
عروقها فى ذلك الموضع فاستقرت فقال الاعرابى ايذن لى اسجد لك فقال لو كنت امرت احدا ان يسجد
لاحد لامرت المراة ان تسجد لزوجها وصح ان اعرابيا قال له بما اعرف انك رسول الله قال ان ادعو هذا
العذق من هذه النخلة يشهد بانى رسول الله فدعاه فسقط اليه ثم قال ارجع فعاد فاسلم الاعرابى
تنبيه علم من كلام الناظم على مولده صلى الله عليه وسلم وما بعده ان من حكمة تلك الخوارق ما قصد
فى كتب الله من نعمة الله عليه وخروجه بارض العرب وما ظهر بين يدى مولده ومبعثه من العجائب
المبطلة لسلطان الكفر والمنزهة بشرف العرب كقصة الفيل وما حل باصحابه وخمود نار فارس وما ذكر
معها وما سمع من الهواتف الصارخة باوصافه صلى الله عليه وسلم وانتكاس الاصنام المعبودة
على وجوهها من محالها فيه من غير فعل فاعل مع شدة ثباتها واحكامها وما يلحق بعضه من العجائب التى
ظهرت ايام رضاعه وبعده الى بعثته واتباع الخلق له مع انه لم يكن له مال يطمع فيه ولا قوة
يقهر بها الرجال مع ما كانوا عليه من محبة الاصنام والمبالغة فى الحمية لها بالمقاتلة وشن الغارات
لا يجمعهم الف دين ولا يمنعهم عن سوء افعالهم النظر فى عاقبته ولا خوف لائمة فالف صلى الله عليه وسلم
بين قلوبهم وجمع كلمتهم حتى اتفقت الاراء واجتمعت القلوب فصاروا يدا واحدة على من سواهم

وهجروا اوطانهم واهاليهم في محبته وبذلوا مهجتهم لنصرته ونصبوا وجوههم لوقع السيوف في
اعزاز كلمته بلا دنيا افاضها عليهم في العاجل ولا عزة في الآجل اطمعهم في نيله بتحرزه بل كان من
شانه صلى الله عليه وسلم ان يجعل الغني فقيرا والشريف اسوة الوضيع فهل يلتئم مثل ذلك من قبل
اختيار عقلي وتدبير فكري لا والذي بعثه بالحق انما ذلك امر الهي وتاييد سماوي تعجز عن بلوغه
قوى البشر ولا يقدر عليه الا من له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين وبهذا الذي ذكرته
يتضح تعقيب الناظم لما مر بقوله **وَيْحَ** منصوب بفعل محذوف وبحرف النداء اي
يا ويح على حد يا حسرة على العباد اي احضري هذا وقتك كذا قيل والذي صرح به الائمة انه حيث
كان المصدر بدلا من اللفظ بفعله وجب نصبه وحذف عامله نعم بعض تلك المصادر يجوز
رفعه كويح فقد قالوا ومما استعمل مفردا او مضافا قولهم ويح فلان وويحا له قال ابن طاهر
متى اضفت ويح وجب النصب وامتنع الرفع لانه مبتدا لا خبر له ومتى افردته جاز كل منهما
وكذا ويل والنصب فيه عربي لانه مصدر لا فعل له بخلاف نحو حمدا وشكرا ومن ثم غلب
على ويح الرفع بل قال ابن ابي الربيع يجب رفعه دون ويل نعم ان عطف ويح على تب تعين نصبه
ومنع المازني عطف ويح على تب وعكسه لتناقض معناهما لان تب دعاء وويح اخرج مخرج
الدعاء وليس معناه الدعاء وربما يستعمل كقاتله الله ما اشعره فعلم ان ويح وويل و
نحوهما متى نصب فانما هو بعامله المحذوف وجوبا وانه لا دخل للنداء هنا واعلم انهم اتفقوا
على ان ويح كلمة ترحم يقال لمن وقع في مهلكة لا يستحقها وويل كلمة عذاب وقيل هما بمعنى
وعلى الاول فقد يستشكل اتيان الناظم بها في هذا المحل لان الجانين له صلى الله عليه وسلم من قومه
الهلك الآثم وقد يجاب بان كثيرا منهم اسلم بعد ذلك فالترحم لهم باعتبار مآل البعض
حالهم ويرى بانهم بهذا الاعتبار لا يقال فيهم ويح لانهم لم يقعوا في هلاك اصلا فالاحسن

الجواب

الجواب بان الترحم من حيث النظر الى القرابة التي بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وانهم من عشيرته
وجلدته والترحم لهم من هذه الحيثية لا محذور فيه **قَوْمًا جَفَوا نَبِيًّا** بلغ من الجلالة
مراتب والتعظيم ما لم يبلغه نبي اي ابغضوه وآذوه الايذاء البالغ بل قصد واقتله كما مر انفا مبسوطا
بِأَرْضٍ أَلِفَهْ ضِبَابُهَا جمع ضب وحديثه مشهور على الالسنة ورواه البيهقي في احاديث
كثيرة لكنه حديث غريب ضعيف قال المزني لا يصح اسنادا ولا متنا وهو ان اعرابيا اصطاد ضبا
فلما راى النبي صلى الله عليه وسلم طرحه بين يديه وقال لا او من بك حتى يؤمن هذا فقال له يا ضب قال
لبيك وسعديك قال من تعبد قال الذي في السماء عرشه وكلمات اخر قال من انا قال رسول الله ورب
رب العالمين فاسلم الاعرابي الحديث بطوله قيل وهو موضوع ورد بان نهايته الضعف لا الوضع وفي
معجزاته صلى الله عليه وسلم ما هو ابلغ من هذا **وَالظِّبَاءُ** جمع ظبي روى حديثه من طرق البيهقي وابي نعيم
والطبراني وساق الحافظ المنذري حديثه كما في الترغيب والترهيب لكن ضعفه الائمة بل قال الحافظ ابن
كثير لا اصل له ومن نسبه الى النبي صلى الله عليه وسلم فقد كذب ورد بانه في الجملة في عدة احاديث يتقوى بعضها
ببعض بل بالغ بعض المحققين فزعم انه حديث صحيح قال التاج السبكي وهو انه لم يتواتر اليوم فلعله
استغني عنه بغيره او لعله تواتر اذ ذاك وهو بين لم رسول الله صلى الله عليه وسلم في صحراء اذ هاتف يهتف
يا رسول الله ثلث مرات فالتفت فاذا ظبية مشدودة في وثاق واعرابي نائم عندها فقال ما حاجتك
قالت صادني هذا الاعرابي ولي خشفان في ذلك الجبل فاطلقني حتى اذهب فارضعهما وارجع قال
وتفعلين قالت عذبني الله عذاب العشار اي المكاس ان لم اعد فاطلقها فذهبت ورجعت
فاوثقها صلى الله عليه وسلم فانتبه الاعرابي فقال يا رسول الله الك حاجة قال تطلق هذه
الظبية فاطلقها فخرجت تعدو في الصحراء فرحا تضرب برجليها الارض وتقول اشهد ان
لا اله الا الله وانك رسول الله ولم يرد الناظم الحصر في هذين فقد صح ان الذئب الف

واخبر بنبوته صلى الله عليه وسلم ايضا كما جاء من طرق منها طريقان صحيحان حاصلهما انه
اخذ شاة فانتزعها الراعي منه فقال الا تتقي الله تنزع مني رزقا ساقه الله الي فتعجب الراعي
من كلامه له فقال الا اخبرك باعجب من ذلك محمد بيثرب يخبر الناس بانباء ما قد سبق وفي رواية
صحيحة بما مضى وما هو كائن فاتى الراعي رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بذلك فامر ان ينادى
الصلوة جامعة ثم امر الراعي فاخبرهم وفي رواية عند سعيد بن منصور في سننه ان الذئب جاء
الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال هذا وافد الذئب جاء يسالكم ان تجعلوا له شيئا من اموالكم قالوا
والله لا نفعل واخذ رجل من القوم حجرا رماه به فادبر الذئب وله عواء فقال صلى الله عليه وسلم
ما الذئب الذئب وكلمه صلى الله عليه وسلم الحمار ايضا على ما ورد في حديث طويل لكن قال ابن
الجوزي انه موضوع وكلمه ايضا الجمل كما في عدة طرق بعضها سنده جيد وبعضها اسناده
صحيح وحاصلها ان جماعة من الانصار شكوا الى النبي صلى الله عليه وسلم جملهم وانه امتنع من
العمل حتى عطش النخل والزرع فقال صلى الله عليه وسلم لاصحابه قوموا فقاموا الحائط فمشى
اليه فقالوا يا رسول الله انه صار كالكلب فقال ليس علي منه باس فلما نظر الجمل اليه اقبل نحوه
حتى خر ساجدا ودخل بين يديه فاخذ بناصيته اذل ما كان قط حتى ادخله الكلب في
العمل الحديث وفي رواية صحيحة انه صلى الله عليه وسلم دخل حائطا فراه جمل فحن اليه وذرفت
عيناه فمسح ذفرى راسه من قفاه ثم قال لرب الا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله
اياها فانه شكى انك تجيعه وتدئبه اي تتعبه وجاء بسند ضعيف ان غنما سجدت له
صلى الله عليه وسلم **وسلوه** اي نفرت قلوبهم عنه حتى هجروه مع نشاته فيهم وعلمهم بغاية
نزاهته ونهاية كماله **و** الحال انه قد **حن جذع اليه** كما جاء من طرق
كثيرة صحيحة وغيرها يفيد مجموعها التواتر المعنوي الموجب لتيقن وقوع ذلك القطع

وعلى التواتر المعنوي يحمل قول التاج السبكي والصحيح عندي ان حديثه متواتر وسبقه لذلك
القاضي عياض وحاصلها انه صلى الله عليه وسلم قبل ان يعمل له المنبر كان يخطب مستندا الى جذع نخل
من الجذوع المسقوف عليه المسجد فلما صنع له المنبر ثلاث درجات وصعد موضعه الاول
بمسجده ثم تخطى الجذع يوم الجمعة ليخطب على المنبر فصاح الجذع حتى سمعه جميع من في
المسجد وفي رواية انه خار كخوار الثور حتى ارتج المسجد لخواره وفي اخرى خار حتى تصدع وا
وفي اخرى فجعل يان انين الظبي وفي اخرى حن حنين الناقة التي انتزع ولدها فنزل اليه
صلى الله عليه وسلم وضمه اليه رحمة له حتى سكن وفي رواية فمسحه بيده ولعله فعل به الامرين وفي
اخرى ان هذا بكى لما فقد من الذكر عنده وفي اخرى والذي نفسي بيده لو لم التزمه لم يزل بصوت
هكذا الى يوم القيمة تحزنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا من اكبر معجزاته صلى الله عليه وسلم
بل اشار الشافعي رضي الله عنه الى انه ابدع من احياء عيسى صلى الله عليه وسلم للموتى لانهم
عهدت لهم حيوة رجعت بخلاف هذا وفي رواية عند الدارمي انه صلى الله عليه وسلم خيره بين
ان يعيده الى مغرسه فيثمر كما كان وان يغرسه في الجنة تاكل اولياء الله تعالى من ثمره ثم اصغى له
فقال اختاره دار البقاء على دار الفناء وامر به فدفن ومر في شرح قوله والجمادات افصحت الى
اخره ما له تعلق بذلك **و** **قلوه** اي ابغضوه **و** الحال انه قد **ودوه** اي احبه
وبين السلو والجنو والقلا والود الطباق كما هو بين الاخراج والايواء الاتيين و
كان المراد في الاولين ان السلو يدل على سبق الجنة والالف والجنو يدل على سبق البغضاء
والايذاء **الغرباء** الذين هم ليسوا من عشيرته صلى الله عليه وسلم ولا من قومه ولا عرفوا
ما عرفته قريش من كماله الاعظم كالانصار والاوس والخزرج وذلك انه صلى الله عليه وسلم خرج
في الموسم الذي لقيهم فيه يعرض نفسه على قبائل العرب كما كان يصنع في كل موسم فلقي بعض الخزرج

عند العقبة فقال من انتم قالوا من الخزرج قال افلا تجلسون اكلمكم فجلسوا فدعاهم الى الاسلام

وتلا عليهم القران وكان عندهم علم منه فعرفوا نعته لان يهود المدينة كانوا يقولون لهم ان

نبيا يبعث الان نتبعه ونقتلكم معه فاجابوه لئلا تسبقهم اليهود اليه واسلم منهم ستة نفر

فقال لهم تمنعون ظهرى حتى ابلغ رسالة ربى فقالوا ندعو قومنا الى ما دعوتنا اليه فان

فلا احد اعز منك وموعدك الموسم العام القابل فلما وصلوا المدينة لم يبق دار الا وفيها

ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقيه فى العام القابل اثنى عشر خمسة من الستة والبقية من الخزرج

ايضا الا رجلين فمن الاوس وهذه هى العقبة الثانية فاسلموا وقبلوا ما اشترطه عليهم ثم

فاظهر الله تعالى الاسلام فيهم وكان اسعد بن زرارة يجمع بالمدينة بمن اسلم ثم ارسلوا

يطلبون من يعلمهم القران فارسل اليهم مصعب بن عمير فاسلم على يديه جمع كثير منهم سيد

سعد الاوس سعد بن معاذ واسيد بن حضير واسلم باسلامهم جميع بنى عبد الاشهل فى

يوم واحد رجالهم ونساؤهم الا واحدا فى يوم احد ولم يكن فيهم اعنى بنى عبد الاشهل منا

فق ولا منافقة ثم قدم فى العام القابل فى الموسم نحو سبعين رجلا وهى العقبة الثالثة فبايعهم

على انهم يمنعونه مما يمنعون منه نساءهم وابناءهم وعلى حرب الاحمر والاسود وصح عن جابر مكث

صلى الله عليه وسلم عشر سنين يتبع الناس فى منازلهم فى الموسم بمنى وغيرها يقول من ينصرنى حتى

ابلغ رسالة ربى وله الجنة حتى بعثنا الله تعالى له من يثرب وذكر الحديث وفيه وعلى ان

تنصرونى اذا قدمت عليكم بيثرب فتمنعونى مما تمنعون منه انفسكم وازواجكم وابناءكم

ولكم الجنة وحضر العباس رضى الله عنه هذه المبايعة فاكد عليهم لرسول الله صلى الله

عليه وسلم ثم امر صلى الله عليه وسلم من بقى معه بالهجرة الى المدينة فخرجوا ارسالا واقام ينتظر الاذن

له فى الهجرة فاستاذنه ابو بكر فقال لا تفعل لعل الله يجعل لك صاحبا فطمع ابو بكر

فان

فى ان يهاجر معه صلى الله عليه وسلم ولما بلغهم انه بويع وامر من معه ان يلحق بالمدينة وان ظهر امره

بها اشتور وا بدار الندوة فيه ثم اجمعوا ان يحبسوه او يقتلوه او يخرجوه فاعترضهم ابليس فى صورة رجل

جميل واظهر لهم انه يريد نصحهم وامرهم ان يعرضوا عليه اراءهم فيختار انفعها لهم فقيل يحبسوه

فقال قد ينتزعوه منكم فقيل نخرجه فقال ياتيكم بما لا طاقة لكم فيه فقال ابو جهل ارى ان تاخذوا

من كل قبيلة غلاما فتيا ثم تعطوه سيفا فيضربه كل ضربة فيتفرق دمه فى القبائل فلم يقدر اهله على

حرب قومهم فياخذوا ديته فقال ابليس لله دره هذا هو الراى فاجمعوا عليه فاتاه جبريل فقال

لا تبت الليلة على فراشك فاجتمعوا فى الليل بباب يرصدونه لينام فيثبوا عليه فامر عليا رضى الله عنه

بان ينام مكانه ثم خرج عليهم فلم يبق احد منهم الا اخذه الله على بصره فلم يره ونثر على راس كل واحد منهم

ترابا كان فى يده ويتلو يس الى فهم لا يبصرون وصح انه ما اصاب احدا منهم ترابا الا قتل كافرا ثم اتوا عليا

بحيثهم فوضع كل على راسه فوجد التراب وفى هذه نزل قوله تعالى واذ يمكر بك الذين

كفروا الاية ثم اذن الله تعالى لنبيه فى الهجرة كما قال اخرجوه بدل من جعلوه

منها اى كانوا السبب فى خروجه من تلك الارض التى هى مولده ومرباه ووطنه ووطن

ابائه واحب ارض الله تعالى الى الله ورسوله كما صح عنه صلى الله عليه وسلم ثم قال ولولا انى اخرجت

منك كرها ما خرجت وبقولى كانوا السبب الى اخره اندفع ما يقال هو لم يخرج منها الا باذن

فهو السبب فقط وحاصله فاعلم ان تسببهم فى خروجه بسبب العنهم فى ايذائه وايذاء اصحابه

لا سيما ضعفاؤهم هو الحامل على انتظار الاذن له فى الخروج مدة حتى وجد تسببهم سبب

للاستيذان ووقوع الاذن فاسناد الاخراج اليهم لذلك اظهر منه للاذن تعويلا على

اسبق السببين مع كون الاول سببا للثانى ايضا كما تقرر وكان ذلك بعد العقبة الثالثة

بنحو ثلثة اشهر يوم الاثنين لهلال ربيع الاول او الخميس الذى يليه ووصل المدينة يوم

الاثنين ثاني عشر الشهر وجمع بان خروجه مكة يوم الخميس ومن الغار ليلة الاثنين وخلف
عليا ليؤدي ما عنده من الودائع وكان مجيئه بيت ابي بكر وقت الظهيرة فقال انه قد اذن لي في
الخروج قال الصحبة يا رسول الله قال نعم قال فخذ احدى راحلتين قال بالثمن اي ليتمحض هجرته
لله تعالى ولا يكون لاحد فيها منة فخرجا ليلا الى غار جبل ثور فاستخفيا فيه كما قال **وآواه**
غار اي ولما فقدته قريش طلبوه بمكة اعلاها واسفلها وبعثوا القافة اثره
في كل وجه فوجد الذي ذهب قبل ثور اثره هناك فلم يزل يتبعه حتى انقطع لما انتهى الى
ثور وشق عليهم خروجه وجزعوا منه وجعلوا المئة ناقة لمن رده ولما دخل الغار انبت الله
تعالى على بابه شجرة ام غيلان فحجبت عن الغار اعين الناس وارسل الله حمامتين وحشيتين
فوقعتا على فم الغار كما قال **وحمته منهم حمامة** فيه جناس سوق نظير
ورقاء وهي ما في لونها بياض يخالطه سواد قيل وحمام الحرم من نسلهما ومعنى
حمايتهما له ان فتيان قريش من كل بطن لما اقبلوا بسلاحهم جعل بعضهم ينظر في الغار فلم
ير الا حمامتين وحشيتين بفم الغار فرجع الى اصحابه فقالوا له ما لك قال رايت حمامتين
وحشيتين فعرفت انه ليس فيه احد وقال الآخر ادخلوا الغار فقال اللعين امية بن خلف
وما اربكم في الغار ان فيه لعنكبوتا اقدم من ميلاد محمد وفي مسند البزار ان الله تعالى عز وجل
امر العنكبوت فنسجت في الغار على وجهه ولذا قال الناظم **وكفته لنسجها عنكبوت**
يقع على الواحد والجمع والذكر والانثى **ما** اي الاعداء الذين **كفته** ايام
الحمامة الحصداء اخذه من قولهم شجرة حصداء اي كثيرة الورق فاستعار للحمامة لكثرة ريشها ووصف
بورقها وحصداء لاجتماعهما فيها والممتنع انما هو الوصف بمتضادين او متماثلين وروي
ان الحاستين باضتا في اسفل النقب ونسج العنكبوت على اعلاه فقالوا لو دخلاه لانكشف السقف

ولفتح

وتفتح نسج العنكبوت قال الائمة وهذا في ابلغ الاعجاز من مقاومة القوم بالجنود وروي انه
صلى الله عليه وسلم قال اللهم اعم ابصارهم فعميت عن دخوله وجعلوا يضربون يمينا وشمالا حول
الغار وظنهم ان الحمام لا يحوم حوله وان العنكبوت لا تنسج عليه فيه احد لما جرت العادة
انهما متوحشان معها احساسا بالانسان فرامنه وما علموا ان الله تعالى يسخر ما يشاء من خلقه
لمن يشاء من عباده وان وقاية الله عبده بما اراده يغنيه عن التحصن بالامكنة والاسلحة
وصح ان ابا بكر رضي الله عنه قال يا رسول الله لو ان احدهم نظر الى قدميه لرآنا فقال ما ظنك
باثنين الله ثالثهما ولذا قال الناظم **واختفى** صلى الله عليه وسلم اي استتر والاحسن عطفه
على وآواه غار **منهم على** اي مع قرب **قرب مراه** اي محل رؤيته وفي ذكر
الناظم لهذا تعجيب للسامع وبيان لهذه المعجزة العظيمة **و** حكمة استتاره منهم مع ظهوره
لهم لو نظر احدهم الى تحت قدميه كما تقرر انه **من** جملة **شدة الظهور**
عليهم بالغلبة والمعونة الالهية له **الخفاء** عنهم الذي حصل له خرقا للعادة ظفرا عليهم
وخيبة لهم واستعمال الظهور فيما ذكر مع ان مقابلته بالخفاء توهم انه اراد به ضده من الفن
المسمى بالتورية والايهام وهو ان يذكر لفظ له معنيان بالاشتراك او التواطؤ او الحقيقة والمجاز
احدهما بعيد فيقصد ويوري عنه بالقريب فيتوهم السامع من اول وهلة وهو هنا ضد
الخفاء الموهم له قوله واختفى قال الزمخشري لا ترى بابا ادق ولا الطف من التورية ولا
انفع ولا اعون على تعاطي تاويل المتشابهات في كلام الله تعالى ورسوله نحو الرحمن على العرش
استوى اريد من الاستواء معناه البعيد الذي هو الاستيلاء دون القريب الذي هو الاستقرار
في المكان لاستحالته على الله تعالى انتهى ملخصا وهذه تسمى مجردة لانه لم يذكر فيها شيء من لوازم
المورى به ولا المورى عنه والحق بها ما ذكر فيه لازم كل منهما لتكافيا ومنه ما في البيت فانه

ذكر فيه لازم كل منهما بذكر اختفى وبالخفاء اذ المتبادر منه انه ليس المراد بالظهور ضد الخفاء
كان ذكر فيه لازم احدهما لحقيقة من شيحة نحو قوله تعالى والسماء بنيناها بايد فانه يحتمل
الجارحة وهو المورى به وقد رشح له بذكر البناء ويحتمل القوة والقدرة وهو البعيد المقصود
وزاد بعضهم في حد التورية مع صحة كل من المعنيين ولا معنى لهذه الزيادة كما علم مما تقرر في
اية الاستواء والبناء ولعله اراد في الجملة لا بالنظر لما الكلام فيه وعليه فوجه صحة الظهور الذي
هو ضد الخفاء هنا ان من المعلوم ان شدة قرب المرئي من العين يوجب عدم ادراكه له
فكذلك هنا لما اشتد قربهم منه لم يدركوه ولا يمنع منه ان الاول عادي والثاني خارق للعادة
وكالتورية في كونها اشرف انواع البديع الاستخدام بل فضله بعضهم عليها ولهم في حده عبارتان
اشهرهما ان يؤتى بلفظ له معنيان فاكثر يراد به احد معانيه ثم يؤتى بضميره ويراد به المعنى الاخر
وروى ان ابا بكر نظر الى قدميه صلى الله عليه وسلم في الغار يقطران دما لانه لم يتعود الحفا فبكى وانه
دخل قبله ليقيه بنفسه وانه راى جحرا فيه فالقمه عقبه فجعلت الحيات والافاعي تضربه وتلسعه فجعلت
دموعه تتحدر وفي رواية عند رزين فدخل صلى الله عليه وسلم وجعل راسه في حجره ونام فلدغ ابو بكر
في رجله فلم يتحرك فسقطت دموعه على وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مالك قال لدغت
فتفل عليه فذهب ما يجده وروى ان ابا بكر لما راى القافة اشتد حزنه وقال ان قتلت فانما انا
رجل واحد وان قتلت انت هلكت الامة فقال صلى الله عليه وسلم لا تحزن ان الله معنا اي
بالمعونة والنصر فانزل الله سكينته عليه اي ابي بكر لانه الذي انزعج وهي امنة تسكن عندها
القلوب وايده اي رسوله بجنود لم تروها اي ملائكة يصرفون ابصار الكفار عنه وبين قول نبينا
ان الله معنا وقول موسى صلى الله عليه وسلم كلا ان معي ربي سيهدين ما بين مقاميهما اذ حال
الامداد للاتباع ليس الا لنبينا صلى الله عليه وسلم فامد ابا بكر بشهود المعية ايضا وقصرها

على

موسى على نفسه وايضا فشتان بين معية الالوهية ومعية الربوبية والمشهور انه صلى الله عليه وسلم
مكث في الغار ثلاث ليال وكان عبد الله بن ابي بكر مع صغر سنه ياتيهما ليلا بخبر قريش ثم
يدلج من عندهما بسحر فيصبح كبائت بمكة وكان عامر بن فهيرة مولى ابي بكر ياتيهما كل ليلة بما يغنيهما
من لبن واستاجر عبد الله بن الاريقط ليدلهما على الطريق ولم يعرف له اسلام فدفعا اليه راحلتيهما
وواعداه غار ثور بعد ثلث ليال فاتاهما وسار معهما عامر بن فهيرة فاخذ بهما طريق البحر و
نحا اي قصد **المصطفى** على الخلق كلهم محمد **المدينة** المسماة بطيبة لان الله تعالى
طيبها بهجرته اليها ووقعت في طريق الهجرة غرائب وعجائب منها انهم مروا بقديد على ام معبد
الخزاعية وكانت تسقي وتطعم من يمر بها وكانت في سنة مجدبة فطلبوا منها اللبن واللحم فلم يجدوه
فنظر الى شاة خلفها الجهد عن الغنم فسالها هل بها من لبن فقالت هي اجهد من ذلك
فقال اتاذنين لي ان احلبها قالت نعم فدعا بها فاعتقلها ومسح ضرعها وسمى الله فدرت و
سقى القوم حتى رووا ثم شرب اخرهم ثم حلب فيه مرة اخرى ملأ بعد نهل وتركوه وذهبوا
فجاء زوجها فعجب منه فذكرت له القصة ووصافه صلى الله عليه وسلم فقال هذا والله صاحب
قريش ولو رايته لاتبعته واخرج ابن سعد وابو نعيم ان تلك الشاة بقيت عندهم يحلبونها ليلا و
نهارا الى زمن عمر ثم تعرض لهم بعد ذلك سراقة كما ياتي وروى البيهقي انه اجتاز بعبد يرعى
غنما فاستسقياه لبنا فاتاهما بشاة لا لبن فيها فحلبها صلى الله عليه وسلم بعد ان دعا وسقى
ابا بكر ثم الراعي ثم شرب وهذا محمول على علمه بسيد العبد مع ظن رضاه والجواب بان هذا مال حربي
غير صحيح لان هذا قبل مشروعية الجهاد ومع عدم مشروعيته لا يحل مال اهل الحرب كما لا يحل
قتالهم لان الواجب حينئذ مسالمتهم ولا يتم الا بترك التعرض لاموالهم كنفوسهم ولما سمع
المسلمون بالمدينة بمقدمه صلى الله عليه وسلم كانوا يخرجون كل يوم الى الحرة ينتظرونه الى قرب الظهر فانتظروه يوما

وعادوا الى بيوتهم واذا ابيهودي على اطم على موضع عال فراه فصاح هذا جدكم اى حظكم يا بني قيلة
اى الاوس والخزرج فخرجوا سراعا بسلاحهم فنزل بقبا فقام ابو بكر للناس وجلس رسول الله صلى الله
عليه وسلم ساكتا فكانوا يحسبونه انه ابا بكر رسول الله لانه اسرع اليه الشيب مع انه اصغر سنا منه صلى الله
عليه وسلم حتى اذا اصابته الشمس ظلل عليه فعرفوه وكان ذلك يوم الاثنين قيل لاثنتى عشرة ربيع وقيل لثمان
عشرة وقيل غير ذلك وادركه على كرم الله وجهه بقبا ولم يقم بعده بمكة الا ثلثة ثم امر صلى الله عليه وسلم
بالتاريخ فكتب من حين الهجرة واقام بقبا اربع عشرة ليلة كما فى مسلم واسس مسجدها وهو اول
مسجد بني فى الاسلام ولذا كان الاصح انه الذى اسس على التقوى من اول يوم ثم ركب من قبا
يوم الجمعة وصلاها بمسجد الجمعة المشهور ثم ركب فكان كلما مر بدار من دور الانصار يسئلونه النزول
عندهم فيقول خلوا سبيلها اى ناقته فانها مامورة وارخى زمامها فاستمرت الى ان بركت موضع باب
المسجد ثم ثارت وهو صلى الله عليه وسلم عليها حتى بركت بباب ابي ايوب رئيس بني النجار اخوال عبد المطلب
ثم ثارت منه وبركت فى مبركها الاول ثم صوتت فنزل صلى الله عليه وسلم عنها وقال هذا المنزل
ان شاء الله تعالى **واشتاقت** من الشوق وهو تحرك النفس وهو هنا مجاز نحو او اشتعل
القرية بل حقيقة اذ لا بدع فى ميل الجمادات له حقيقة بان يخلق الله فيها ادراكا حقيقيا ومنه
وان من شئ الا يسبح بحمده ولو انزلنا هذا القران على جبل الاية وتسبيح الحصى وتامين
اسكفة الباب وحنين الجذع ونحو ذلك مما من اذ الاصح فى مثل ذلك مما لا يحيله العقل
ولا الشرع حمله على حقيقته كما فى حديث ما بين منبرى وقبرى روضة من رياض الجنة ومنبرى
على حوضى ولذا قال جماعة واختاره بعض المحققين انه صلى الله عليه وسلم ارسل حتى الى الجمادات
لتصريح خبر مسلم بذلك فى قوله صلى الله عليه وسلم ارسلت الى الخلق كافة **اليه من**
مكة اى التى هى مولده صلى الله عليه وسلم وام القرى وافضلهن عند اكثر العلماء **الا...**

اى الجهات

اى الجهات والنواحى لانها كانت معمورة بانفاسه صلى الله عليه وسلم فاستوحشت لفقده وبين نحو
الانحاء جناس الاشتقاق ان قلنا ان الانحاء جمع ناحية بمعنى منحوة اى مقصودة ورد العجز على
الصدر وكذا بين تغنت والغناء وناداه والنداء الاتيان **وتغنت بمدحه** اى الظرف
اوصافه الجميلة فى صورة الغناء التى تتولع به النفس ولا يصير فيها متسع لغيره **الجن**
المؤمنون وقصة ايمانهم وارساله صلى الله عليه وسلم الى جميع الجن امر معلوم من الدين بالضرورة
فيكفر منكره كما اجمع عليه الائمة **حتى اطرب الانس** المؤمنين بل وغيرهم **منه**
اى الجن **ذاك الغناء** الذى سمعوه والطرب خفة تعترى الانسان عند شدة حزن
او سرور ذكر اهل السير عن اسماء بنت ابي بكر رضى الله عنهما انها قالت لما خفى علينا امر رسول
الله صلى الله عليه وسلم اتانا نفر من قريش فيهم ابو جهل فقال اين ابوك قلت والله لا ادرى فلطم
خدى فاطمة خرج منها قرطى ولما لم يدل اين توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى رجل من الجن
يسمعون صوته ولا يرونه وانشد هذه الابيات **شعر** جزى الله رب الناس خير
جزائه رفيقين حلا خيمتى ام معبد هما نزلا بالبر ثم ترحلا فافلح من امسى
رفيق محمد فيا لقصى ما زوى الله عنكم به من فعال لا تجازى وسودد ليهن بنى كعب
مكان فتاتهم ومقعدها للمؤمنين بمرصد سلوا اختكم عن شاتها وانائها فانكم ان
تسئلوا الشاة تشهد دعاها بشاة حائل فتحلبت له بصريح ضرة الشاة مزبد
والضرة لحمة الضرع والصريح بمهملتين اوله واخره الخالص اى بلبن خالص من زبد نازل
من ضرة الشاة فغادرها رهنا لديها لحالب يرددها فى مصدر ثم مورد
اى خلف الشاة عندها مرتهنة بان تدر قالت اسماء فلما سمعنا قول الجنى هذا علمنا
اين توجه النبى صلى الله عليه وسلم **و** لما وصل صلى الله عليه وسلم فى سفر هجرته الى قديد محل

قريب دابغ اقتفى اى تبع اثره سراقة بن مالك بن جعشم المدلجي قال
جاءنا رسل كفار قريش يجعلون فيهما ان قتلا او اسرا ديتين فركبت مستخفيا فلما دنوت
منهما عثرت بي فرسي فخررت ثم قمت وركبته حتى اذا سمعت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو لا يلتفت وابو بكر يلتفت فبكى ابو بكر وقال يا رسول الله اتينا قال يا رسول الله اتينا فقال
قال كلا ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بدعوات فاستهوته في الارض
اى طلبت ان تهوى به فيها هذا مقتضى الصيغة وليس مرادا بل السين لمجرد التاكيد لان الذي
في القصة انه صلى الله عليه وسلم لما دعا بتلك الدعوات غاصت قوائم فرسه في الارض حتى بلغت الركبتين
فخر عنها ثم زجرها فنهضت ولم تكد تخرج يداها فلما استوت قائمة اذا لاثر يديها غبار
ساطع في السماء كالدخان والصافن من الخيل الذي يقوم على ثلث قوائم ويقيم الرابعة على طرف
الحافر جرداء اى قصيرة الشعر فصيرتها وهذه صفة مدح في الخيل واصله للشجرة التي قلم
ورقها فاستعير للفرس ثم ناداه اى سراقة النبي صلى الله عليه وسلم بعد ما وصل اليه
وقال الامان يا محمد بعد ما مصدرية سيمت الخسف بفتح اوله وضمه قال
الشارح في موضع اى كلفته ذلا وقال في اخرى بعد اسامة الخسف للفرس اى بعد حصول الذل
للفرس المذكورة وكان الحامل له على هذا ان ظاهر النظم انه لم يخسف بالفرس حقيقة وليس كذلك لما
علمت ان قوائمها غاصت في الارض فحصل لها الخسف الحقيقي لكن لبعضها فعبر الناظم بسيمت الخسف
بالنظر الى كلها اى سيمت ان يخسف بها كلها وح لا يحتاج الى ما قاله الشارح فتامله ثم رايت بعضهم
صرح بنحو ما ذكرته فقال يقال سيمته خسفا اى اوليته ذلا او كلفته مشقة ويحتمل ان يريد بعد
ما قاربت ان يخسف بها ومن الحكم المناسبة هنا لانها كالسبب لما قبلها فهو تذييل انه قد
ينجد الغرق النداء اى الدعاء لله بانكسار وتذلل كما وقع ليونس صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى

وذا النون

وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن ان لن نقدر عليه اى نضيق عليه بسبب مغاضبته قومه
لقومه لما اتهم عليه فنادى في الظلمات الاية والنداء رفع صوت لطلب تخليصه لانه قد لا يعلم
او لا يعباء باحد فاذا نادى او صاح تنبه الناس له وانقذوه ولما طلب الامان قال اعلم انكما قد
دعوتما علي فادعوا لي ولكما ان ارد الناس عنكما ولا اضركما قال فدعوا لي فركبت فرسي حتى
جئتهما قال ووقع في نفسي حين لقيت ما لقيت انه سيظهر امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرتهما اخبار
ما يريد بهما الناس وعرضت عليهما الزاد والمتاع فلم يرزاني اى لم ياخذا مني شيئا وقالا اخف عنا
فسالته كتابا امن به فامر عامر بن فهيرة فكتب لي في رقعة من ادم اخرجها له يوم حنين فنفذها
وامنه ومن يلوذ به تنبيه ذكر الناظم الهجرة وبعض ما وقع فيها من المعجزات مع انه
سيذكر وقائع وقعت له بمكة قبل الهجرة كالاسراء وكان مقتضى الوقائع ان يذكر هذه كلها
قبل ذكر الهجرة ليوافق الترتيب الذكري الترتيب الواقعي ولعله اهتم بشان الهجرة فقدمها لننبه
النفس الحكمة ذلك فهي انه انقطع بها عنه صلى الله عليه وسلم كل ايذاء كان يصل اليه من قريش وترتب
عليها الظفر بهم حتى استاصل شافتهم وقطع دابرهم فطوى الارض حال كونه
سائرا عليها وهذا كالحديث له بعد ذلك السموات العلا لما كان فوقها
له اسراء ليلة الاسراء الى ان جاوزها جميعها في اسرع وقت فقطع مسيرة نحو ثمانية الاف سنة
في اسرع وقت اذ بين الارض والسماء خمسمائة سنة وكذا سمك كل سماء وما بين كل سماءين هذا
بالنسبة الى السماء السابعة واما ما بينها وما بين ما وصل اليه مما كان فيه قاب قوسين او ادنى فلا يعلم الا الله
فيا لهما من سيرين سير في الارض وسير في السماء اظهر الله تعالى عليه فيهما عظيم قدره في سيره
واسرائه وافضليته تفضيله على جميع خلقه في ارضه وسمائه قال بعض الائمة والمعاريج ليلة
الاسراء عشرة سبع السموات والثامن الى سدرة المنتهى والتاسع الى المستوى الذي سمع فيه

مريضا الاقلام فى تصاريف الاقدار والعاشر الى العرش والرفرف والرؤية وسماع الخطاب بالمكافحة
والكشف الحقيقى وقد وقع له صلى الله عليه وسلم فى سنة الحجة العشر لكان منها مناسبات لطيفة لهذه
المعاريج العشرة ولهذا اختمت بوفاته التى فيها اللقاء ربه والعروج بروحه الكريمة الى الوسيلة وهى المنزلة
التى لا ارفع منها كما ختمت معاريج الاسراء باللقاء والحضور بحضرة القدس **فصف**
ايها الناظر لحق شمائله صلى الله عليه وسلم وخصوصيته وما اكرمه الله تعالى به تلك **الليلة**
وهى ليلة الاثنين او الجمعة او السبت من رمضان او شوال او رجب وبه جزم النووى فى الروضة
او الحجة او ثالث عشر ربيع الآخر وجزم عليه النووى فى فتاويه او من ربيع وجرى عليه فى شرح مسلم
بعد المبعث بخمس سنين ورجحه النووى او بعشر او باحدى عشرة او اثنتى عشرة اقوال ارجح كلا قوم
التى تعالى وقع ذلك الاسراء فيها من مكة الى بيت المقدس ثم منه الى السماء ثم الى حيث ما شاء الله
وليرى من آيات ربه الكبرى اى فذكر صفاته الجليلة بما يمكنك والا فمحال ان تستوعبها او ان تأتى
بتفصيل ما يحيط بها كيف وقصة الاسراء والمعراج من اشهر المعجزات واظهر البراهين والبينات
واقوى الحجج واصدق الانباء واعظم الآيات ومن ثم قال بعض المفسرين انها افضل من ليلة القدر
لكن بالنسبة له صلى الله عليه وسلم لانه اوتى فيها ما لا يحيط به الحد ولذا كان الاسراء بالجسم فى اليقظة
من خصائص نبينا صلى الله عليه وسلم وخالف فى كونه بالجسم وكونه فى اليقظة من لا يعتد بخلافه فرعم
تعدد الاسراء لتباين الروايات فيه تباينا منتشرا لا يمكن الجمع بينهما الا بدعوى التعدد تارة بالجسم
والروح واخرى مردود والاصح انه اسراء واحد بالجسم والروح فى اليقظة وان من خالف الجادة من
الروايات ان امكن تاويله تعين والا حكم عليه بانه وهم كرواية ان الاسراء كان قبل البعثة فان الاجماع
على انه بعدها على انها اولت **وكان للمختار** صلى الله عليه وسلم **فيها** عجائب منها
انه جاءه جبرئيل وفى رواية وميكائيل وفى اخرى ذكر ثالث ولا مانع ان جبرئيل نزل اولا ثم ميكائيل
ثم الثالث

ثم الثالث بالحطيم او شعب ابى طالب او بيته او بيت ام هانى بعد ان انفرج سقفه وروايات جمع بينها
بانه بات فى بيت ام هانى وبيتها عند شعب ابى طالب واضيف اليه لانه كان يسكنه فاخرجه الملك منه
الى المسجد فاضطجع لاثر نعاس كان به ثم اخذه فاخرجه من المسجد فاركبه البراق فاستمرت يقظته وفى
رواية انه كان بين النائم واليقظان محمولة على ابتداء الامر ورواية فلما استيقظت اى من شغل البال
بمشاهدة الملكوت وحكمة كونه لم ياته من باب البيت انه انصب من السماء انصبابة واحدة بازاء محله
الذى هو فيه فلم يعرج على غيره مبالغة فى المفاجأة وتنبيها على ان الطلب وقع على غير ميعاد لاظهار انه
مراده وقد وقع فى موسى بميعاد تنبيها على انه مريد وشتان ما بينهما وايضا ففى فرج سقف البيت والتيامه عقيبه
تنبيه على شق صدره الشريف تلك الليلة وانه لا باس فيه عليه وحكمة قصة شقه هنا عند ذكر النائم
لشقه عقيبه رضاعه عند حليمة رضى الله عنها ومنها ان الملك لما اخرجه من المسجد اركبه **على**
البراق فكان له عليه **استواء** اى استقرار وتمكن مع انه لم يركبه قبل ذلك ولا هو من
جنس ما يركبه الادميون وهو كما صح به الخبر دابة اى شبهها وهو ليس بذكر ولا انثى دون البغل
وفوق الحمار ابيض يضع حطوه عند اقصى طرفه وذكره باعتبار كونه مركوبا وسمى بذلك لانه من البرق
لسرعة سيره او من البريق او من قولهم شاة برقاء اذا كان فى خلال بياضها اسوداد وقوله يضع خطوه
الى اخره معناه انه يضع رجله عند منتهى ما يرى بصره قال ابن المنير اى يقطع ما انتهى اليه بصره فى خطوة
واحدة قال فعلى هذا يكون قطع من الارض الى السماء فى خطوة واحدة لان بصره الذى فى الارض يقع
على السماء فبلغ على السموات فى سبع خطوات انتهى وهذا انما ياتى على رواية فحملت عليه اى على البراق
حتى انطلق بى جبرئيل الى السماء الدنيا اذ ظاهرها انه استمر عليه حتى وصل الى السماء والمشهور
انه استمر عليه الى بيت المقدس ثم نصب له المعراج كما ياتى وفى رواية لابى يعلى والبزار اذا اتى على جبل
ارتفعت رجلاه واذا هبط ارتفعت يداه وفى رواية شاذة له جناحان واخرى ضعيفة له

خلق كخلقة الانسان وعرف كعرف الفرس وقوائم كقوائم الابل واظلاف وذنب كالبقر وكان صدره
ياقوتة حمراء وفي رواية صحيحة اتي به مسرجا ملجما فاستصعب عليه فقال له جبرئيل ما حملك على هذا
ما ركبك قط اكرم على الله منه فارفض عرقا وظاهرها كصريح رواية النسائي وابن مردويه وكانت
تسخر للانبياء قبله كانوا يركبونها ولم يطلع عليها بعضهم فنفى ركوب غيره صلى الله عليه وسلم لها
فاستصعابه ليس لعدم الف الركوب بل لبعد عهده بها وليظهر جبرئيل له مرتبته صلى الله عليه وسلم
فانها علت على سائر المراتب وانما لم يكن البراق على شكل الفرس اشارة الى ان ركوبه في سلم وامن
لا حرب وخوف والى وقوع المعجزة بوقوع هذا الاسراع الباهر من دابة على هذا الشكل وصح ان
جبرئيل حمل على البراق رديفا له ورواه احمد بلفظ على ظهره هو وجبرئيل حتى انتهيا الى البيت المقدس
واول بعضهم ذلك بما لا حاجة اليه اذ ركوب جبرئيل معه لا ينافي كونه في خدمته وصح انهما
مرا بيثرب فامره ان ينزل ويصلي وبمدين فامره بذلك وببيت لحم الذي ولد فيه عيسى عليه السلام
فامره بذلك واراه عجائب اخرى الى ان وصلا الى بيت المقدس فنزلا وربطه اي جبرئيل كما صح
في رواية لكن في اخرى النبي صلى الله عليه وسلم ويجمع باحتمال انهما ربطاه معا بالحلقة التي كانت
الانبياء تربطه بها ثم دخل وبعث له جماعة من الانبياء فصلى بهم وصح في رواية انه اوتي
بارواح الانبياء اي مع اجسادهم لرواية ثم دخلت المسجد فعرفت النبيين ما بين قائم وراكع
وساجد ثم اذن مؤذن فاقيمت الصلوة فقمنا صفوفا فانتظرنا من يؤمنا فاخذ بيدي
جبرئيل فقدمني فصليت بهم وفي رواية لاحمد فاذا النبيون اجمعون يصلون معه وفيها زيادة
على رواية جماعة منهم فيؤخذ بذلك الزيادة وفي حديث ما يدل على انه صلى الله عليه وسلم صلى بهم في
بيت المقدس من بعد العروج ايضا وتلك الصلوة قيل الصبح اي بناء على انه صلى فيه بعد العروج
وقبل العشاء اي بناء على انه صلى فيه قبله ولما فرغ من امامتهم نصب له المعراج كما في رواية ابن هشام
والبيهقي

والبيهقي وغيرهما ووضعت له مرقاة من فضة ومرقاة من ذهب وعن يمينه ملائكة وعن يساره ملائكة
ثم صعد فيه هو وجبرئيل حتى انتهيا الى باب سماء الدنيا فاستفتحاه ففتح لهما وهكذا الى السماء
السابعة ورأى في السماء الاولى آدم وعن يمينه ارواح المؤمنين فاذا نظر اليهم ضحك وعن يساره
ارواح بنيه الكفار فاذا نظر اليهم بكى اي انه يكشف له عنهم وهم في النار التي مستقر ارواحهم والنيل و
الفرات اي اصلهما اي فابتداء نبعهما من سدرة المنتهى وفي الثانية يحيى وعيسى وفي الثالثة يوسف
وفي حديث البيهقي وغيره فاذا انا برجل اي يوسف احسن ما خلق الله قد فضل الناس بالحسن كالقمر
ليلة البدر على سائر الكواكب المراد عن نبينا صلى الله عليه وسلم لخبر الترمذي ما بعث الله نبيا الا حسن
الوجه حسن الصوت وكان نبيكم احسنهم وجها واحسنهم صوتا على ان للاصوليين قولا مشهورا
اعتمده النووي في موضع واهمله واخرون ايضا ان المتكلم لا يدخل في عموم كلامه ومن ثم قال
بعض المحققين المراد على شطر الحسن الذي اوتيه نبينا صلى الله عليه وسلم وفي الرابعة ادريس وفي
الخامسة هارون وفي السادسة موسى وفي السابعة ابراهيم وهذه متفقة على رواية لم تضبط منازلهم
وفي رواية ادريس في الثانية وهارون في الرابعة وابراهيم في السادسة وموسى في السابعة لان
سياقها يدل على انه لم تضبط منازلهم كما صرح به الزهري فالاولى التي فيها انه ضبطها اولى على انه
يجمع بين الروايات المختلفة في ذلك بانه رآهم في الصعود على كيفيات وفي الهبوط على كيفيات
اخر فلما جاوز موسى بكى فقيل ما يبكيك قال رب هذا غلام بعثته بعدي يدخل الجنة من امته
اكثر مما يدخل من امتي وبكاؤه ليس بحسد من حسد حاشاه الله تعالى من ذلك بل غبطة وحزنا
على ما فاته من مضاعفة اجره نبينا صلى الله عليه وسلم بكثرة اتباعه وصالحيهم الى ما لا نهاية له او
رحمة لامته لما وقع لهم بعده مما لم يقع نظيره لهذه الامة وذكره بغلام لانه اصغر منه سنا ولانه
قوة الشباب معه الى سن الشيخوخة وحكمة تخصيص هؤلاء بالالقاء الاشارة بكل الى ما يقع

لها الاخراج من الجنة ثم العود اليها والهجرة من مكة ثم العود اليها وكعاداة اليهود له اول
الهجرة كما عادوا عيسى وارادوا قتله ويحيى وقتلوه وكعاداة اهله له وكرجوع الى قومه بعينه كما رجع
قوم هارون الى محبته وكعالجنة لقومه كما عالج موسى قومه وكتمكنه من مكة والكعبة وتمتعه بها
كما وقع لابراهيم ومن ثم رءاه مسندا ظهره الى البيت المعمور الذى بحيال الكعبة ويدخله من حين
خلق الله تعالى الخلق الى الابد كل يوم سبعون الف ملك فلا يعودون اليه واخذ منه ان الملائكة
اكثر المخلوقات واختلفوا فى رؤيته لهؤلاء الانبياء صلى الله عليه وسلم فقيل الارواح الا عيسى فانه
رفع بجسده وكذا ادريس على قول واختلف ايضا فى الذين صلوا معه فى بيت المقدس
فقيل الارواح ايضا وقيل بل الاجساد وقيل خرق الله تعالى الحجب حتى راى كلا فى قبره من المحل
الذى اخبر به وقيل رفعوا من قبورهم تلك الليلة لتلك المواضع اكراما له صلى الله عليه وسلم وبعد ان
جاوز السماء السابعة رفعت له سدرة المنتهى فرءاها وقد غشيها من امر الله تعالى ما غشى حتى
تغيرت فما احد من خلق الله يستطيع ان ينعتها من حسنها وراى ان النيل والفرات وسيحان وجيحان
يخرج من اصلها ورواية انهما من الجنة لا تعارض ذلك لان ذلك الذى تنبع منه تلك الانهار مقار
فى الجنة فلا ينافى ما قيل من اصلها فى السماء السادسة وعليه يحمل رواية ان ادناها فيها واعلاها
فى السابعة وعليه يحمل ان انتهاها فيه وسميت بذلك لانه ينتهى اليها علم الخلق ولا يتجاوزها
احد الا نبينا صلى الله عليه وسلم قال النووى ويتعين حمله على انه لا يتجاوزها من الملائكة
الذين ينزلون الى الارض ويصعدون بالاعمال لما يأتى من انه صلى الله عليه وسلم جاوزها الى مستوى
يسمع فيه صريف اقلام الملائكة ثم ادخل الجنة واحاط بها ثم عرج به كما فى رواية البخارى حتى
ظهر بمستوى اى محل عال يسمع فيه صريف الاقلام اى تصويت اقلام الملائكة بما يكتبونه من
اقضية الله تعالى وفى رواية لم تثبت كسائر روايات الحجب ثم زج بى فى النور فخرق بى

سبعين

سبعين الف حجاب كل حجاب مسيرة خمسمائة عام ثم دلى لى برفرف ثم احتملنى حتى وصلت
الى العرش وهذه الحجب بفرض صحتها انما هى بالنسبة للمخلوقين واما هو تعالى فلا يحجبه شىء
وصح عن انس عنه صلى الله عليه وسلم ثم عرج بى جبريل الى سدرة المنتهى ودنى الجبار اى بقربه المعنوى
كما اشار اليه قوله رب العزة جل جلاله فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى كما قال الناظم
وترقى اى صعد البراق **به الى قاب قوسين** وقاب القوس ما بين مقبضه
واخر وتره ولكل قوس قابان ومن ثم قيل فى الاية قلب اى قابى قوس ويرده بانه لا يتعين
ذلك بل المراد تشبيه قربه صلى الله عليه وسلم المعنوى من ربه بقرب قاب القوس اذا الصق بقاب
قوس اخر ثم رايت بعضهم قال قاب قوسين اى مقدار قوسين وقاب قوس اى قدر طولها
وقيل قدر الوتر منها قال الجوهرى يقول بينهما قاب قوس اى قدر قوس **تنبيه**
ما افهمه كلام الناظم ان البراق ترقى به صلى الله عليه وسلم الى قاب قوسين هو ما دلت عليه رواية
البخارى ولفظها فحملت عليه فانطلق بى جبريل حتى اتى السماء الدنيا فاستفتح ثم قال ثم صعد بى
حتى اتى السماء الثانية وهكذا لكن صحت الاحاديث بانه استمر على البراق الى بيت المقدس ثم
نصب له المعراج فارتقى فيه كما مر فظاهرها انه لم يركب البراق الا من مكة الى بيت المقدس لا غير
لهذا التنافى ذهب بعضهم الى ان الاسراء على البراق وقع مرتين مرة الى بيت المقدس ومرة
من مكة الى السماء الدنيا لكن يرد هذا بان الاصح انه لم يتعدد وانه لا تنافى وان الذى ذكرناه
عليه من مكة الى السماء الدنيا اختصر ذكر بيت المقدس وفيه نظر لان ما فى رواية البخارى السابقة صريح
فى انه لا معراج وانه استمر راكب البراق الى سماء الدنيا ثم التى بعدها وهكذا وجرى عليها الناظم
كما علمت فالاولى الجواب جمعا بين الروايتين اجتمع بهم من الانبياء والملائكة لا بقاء السماء لم بعض الله
فيها بخلاف الارض لانا نقول بان من ذكر بيت المقدس والمعراج معه زيادة علم فقدم عليه

فيكون لما وصل في المعراج الى السماء ركب البراق واخترق به السموات وما فوقها وبهذا اعني رواية
البخاري الظاهرة فيما قاله الناظم والجمع بينها وبين الروايات الاخرى المشهورة التي عليها العمل يظهر ملائمة
الناظم فيذكره انه ركبه الى منتهى وصوله لكن في جزمه به نظر لما حاصله انه بعد وصوله الى السماء الدنيا
يحتمل انه استمر راكبا البراق على ظاهر الرواية الاولى وانه جيء له بمرقاة على الرواية الثانية ويحتمل
انه ذهب من غير ركوب شيء تعظيما للسموات اذ هي افضل من الارضين عند الاكثرين وعلى مقابله
المنصور لان الانبياء خلقوا من الارض وهي مدفنهم ومستقرهم وهم افضل من الملائكة بعضهم
لمن فيهن ممن اجتمع به من الانبياء والملائكة لا لبقاء السماء لم يعص الله فيها بخلاف الارض لانا
نقول بهذه مزية وقد يكون للمفضول مزايا على ان ذلك منتقض بما وقع لادم وحوى من
ابليس وادعاء انهم لم يكونوا في السماء يحتاج لدليل وعلى التنزل فكون المعصية في محل دون
محل يقتضي افضلية الثاني لذاته غير مسلم فعلى مدعيه اثباته بدليل يدل عليه وانما قلنا فالاولى
الجواب بالتعدد لان مجرد اختلاف الروايات في هذا الامر الجزئي لا يقتضيه على ان ما وقع في تلك الليلة
من فرض الصلوة وغيره في كل رواية من روايتي الى السماء ورواية الى بيت المقدس وهذا صريح في اتحاد الاسرا
وعدم تعدده فتامل ذلك كله فانه مهم واعلم ان هذا التدلي والدنو المذكور في حديث انس وغيره
من احاديث المعراج غير الدنو والتدلي في اول سورة والنجم فان هذا في حق جبريل كما صح عنه صلى الله
عليه وسلم وصح ايضا انه لم يره في صورته التي خلق عليها الا في هذه المرة المذكورة في الاية ومرة
اخرى عند اوائل البعثة كما مر وتلك المرتبة التي وصل اليها صلى الله عليه وسلم ليلة
المعراج هي السعادة القعساء اي الثابتة الدائمة التي لا يطرقها نقص ولا تغير ولا
زوال ولما وصل صلى الله عليه وسلم الى ذلك القرب الذي لم يصل اليه مخلوق فرض الله تعالى
عليه وعلى امته في كل يوم وليلة خمسين صلوة فرجع فمر على موسى فسأله عما فرض الله عليه وعلى امته

فاخبره

فاخبره فامره بالرجوع ايضا فرجع فحط عنه خمسا وهكذا الى ان بقيت خمس فامره بالرجوع فقال
ان بني اسرائيل فرض عليهم صلوتان فما قاموا بهما فقال استحييت من ربي وفي رواية علمت انها
عزمة من ربي فلا اراجعه فقال تعالى هن خمس اي في الفريضة وهن خمسون في الثواب لا يبدل
القول لدي وحكمة فرضها في هذه الليلة انه صلى الله عليه وسلم لما شاهد تعبد الملائكة فيها وان
منهم مديم القيام ومديم الركوع ومديم السجود اعطاه الله تعالى ذلك كله لامته في ركعة يصليها
الواحد منهم بشروطها وادابها واختص موسى صلى الله عليه وسلم بامره بتلك المراجعة لانه اطلع
من صفات هذه الامة على ما حمله على ان قال اللهم اجعلهم امتي فقال له الله عز وجل تلك امة
احمد صلى الله عليه وسلم فقال اللهم اجعلني منهم وهو حديث مشهور فكان اعتناؤه بهم كما يعتني
بالقوم من هو منهم ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم فمررت بموسى ونعم الصاحب كان لكم وفي رواية
كان اشدهم علي حين مررت به وخيرهم لي حين رجعت فائدة اختلف العلماء قديما وحديثا
في ان نبينا صلى الله عليه وسلم راى ربه في هذا المقام الذي وصل اليه دون غيره من الخلق بعين
راسه او بعين قلبه فقط والذي صح عن ابن عباس في رواية انه راه بعين بصره وفي اخرى انه
راه بقلبه مرتين مرة واحدة بالعين وواحدة بالقلب بمعنى انه تعالى خلق فيه ادراكا كادراك
البصر وليس المراد مجرد العلم لانه حاصل له ولغيره فلا خصوصية ورواية ابن مردويه عنه
لم يره بعينه لم تصح وبتسليمها فالاثبات مقدم على النفي وجاء عن انس باسناد قوي راى محمد
ربه واطلاق الرؤية انما ينصرف لرؤية العين وكان الحسن البصري يحلف انه راى ربه وبذلك
قال عروة وسائر اصحاب ابن عباس وجزم به كعب الاحبار والزهري ومعمر واخرون وهو قول
الاشعري وغالب اتباعه وانكرت عائشة وابن مسعود الرؤية قال النووي لكن خالفهما غيرهما
من الصحابة والصحابي اذا خولف لا يكون قوله حجة اتفاقا ولا حجة لهما فيما في مسلم عنهما

ان مسروقا قال لها الم انكرت الرؤية الم يقل الله ولقد راه نزلة اخرى فقالت انا اول هذه الامة
الاية سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه فقلت يا رسول الله هل رايت ربك قال لا انما
رايت جبريل وذلك لانها انما سالت عما في الاية فاجابها بانه لم يره اي في قصة الاية وقد مر
انها غير قصة المعراج وان التدلي والدنو الذي في قصة المعراج غيرهما في الاية ولا حجة لها في لا تدركه
الابصار لان المراد لا تحيط بحقيقة ذاته العلي بدليل الى ربها ناظرة واذا جازت في الاخرة جازت
في الدنيا لتساويهما بالنسبة للمرئي وسؤال موسى اياها في الدنيا اظهر دليل على ذلك اذ لا يجوز على
نبي ان يسال محالا وانكار المعتزلة قبحهم الله تعالى لها حتى في الاخرة من بلاياهم التي خالفوا
فيها الكتاب والسنة وعلى جوازها في الدنيا لم تقع الا لنبينا صلى الله عليه وسلم وصح في مسلم واعلموا
انكم لن تروا ربكم حتى تموتوا ومعنى خبر مسلم عن ابي ذر انه سال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك
فقال نور انى اراه ان النور حال بينه وبين رؤيته ببصره فكيف تراه مع ذلك وقد مر انه
راه مرة ببصره ومرة بقلبه فسبب هذه حصول ذلك النور فلا ينافي وقوع الاولى وسئل احمد
رضي الله عنه عن قول عائشة رضي الله عنها من زعم ان محمدا راى ربه فقد اعظم على الله الفرية بم يدفع
قولها قال بقول النبي صلى الله عليه وسلم رايت ربي فقول النبي صلى الله عليه وسلم اكبر واذا تاملت ما وقع له
صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء من الكرامات التي تميز بها على سائر الخلق علمت انها رتب
جليلة **سقط الاماني** جمع امنية **حسرى** جمع حسير من حسر اعيى
دونها ظرف لتسقط اي لجلالة هذه الرتب وعزتها على الخلق سقطت امنياتهم
وتخلفت طلباتهم وامالهم عن نيل هذه الرتب فلم يستطيعوا التوجه اليها حال كونها عاجزة
عن التاهل لها ولم يدانيهن **ما وراءهن وراء** ما قدامهن قدام بمعنى انه ليس بعدهن
مرتبة تنالها لمخلوق غيره صلى الله عليه وسلم **ثم** لما جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفر

الاسراء

الاسراء مر بعير لقريش يحمل طعاما فيها جمل عليه غرارتان سوداء وبيضاء فلما حاذى البعير نفرت منه
واستدارت وتصرع ذلك البعير فسلم عليهم فقال بعضهم هذا صوت محمد ودل بعيرا ضل و
جمعه واحلهم ثم **وافى** مكة قبل الصبح فاصبح **يحدث** الناس بما راى من
تلك العجائب والكرامات امتثالا لقوله تعالى واما بنعمة ربك فحدث **شكرا**
اي من جهة الشكر او لاجل قيامه بشكرها او حال كونه شاكرا لتلك النعم **اذ** اي لاجل
او وقت **اتته من ربه النعماء** في تلك الليلة وصح انه ارتد ناس كانوا اسلموا
فذهب المشركون لابي بكر رضي الله عنه وذكروا له انه يخبر انه ذهب الى بيت المقدس وجاء
في ليلة فقال صدق فانكروا عليه فقال اني لاصدقه فيما هو ابعد من ذلك في خبر السماء
في غدوة وروحة ولذلك سمي الصديق رضي الله عنه وكرم الله وجهه رواه الحاكم في مستدركه
وزاد ابن اسحاق ان ابا بكر جاءه فقال يقولون انك الليلة اتيت بيت المقدس قال نعم قال
صفه لي فاني جئته فوصفه له كما هو لانه رفع اليه فجعل ينظره ويصفه وابو بكر يصدقه وقوله
صفه انما هو ليرد به على من تشكك في ذلك ورفعه له حتى ينظره رواه البخاري وكذلك
مسلم وزاد انهم سالوه عن اشياء فيه لم يثبتها فكرب كربا ما كرب مثله قط فرفعه له الله بحمل
ووضعه قريبا منه وعليه يحمل رواية فجيء بالمسجد اي بمثاله وانما يحمل المجيء بنفسه اليه لانه
اظهر لما مر في ما انتقلت اليه من مكة الا نحاء ومنظره مجيء عرش بلقيس الى سليمان صلى الله
على نبينا وعليه وسلم في طرفة عين واما بازالة الحجب بينه وبينه وبهذا ظهرت الحكمة في الاسراء الى
بيت المقدس ثم العروج الى السماء لما يترتب عليه من ان فيهم من راى بيت المقدس فوصفه لهم كما
هو مع علمهم بانه لم يذهب اليه قط اوضح اية على صدقه في جميع ما اخبر به من امر السماء وبما
اخبرهم به انه قال لهم ان من اية ما اقول لكم اني مررت بعيركم في مكان كذا وقد اضلوا بعيرا

لهم نجمعهم فلان وان مسيرهم ينزلون بمكان كذا ويأتونكم يوم كذا يقدمهم جمل آدم عليه
مسح أسود وغرارتان فلما كان ذلك اليوم أشرف الناس ينظرون حتى إذا كان قريبًا من نصف
النهار أقبلت العير كما وصف وفي رواية أخبرهم بقدوم العير يوم الأربعاء ففي يومه كادت الشمس
أن تغرب ولم يقدموا فدعا الله تعالى فحبس الشمس حتى قدموا كما وصف وعطف على وأتى بما
له **وتحدى** صلى الله عليه وسلم كفار مكة وغيرهم بما وقع ليلة الإسراء وما تقدم من المعجزات
كانشقاق القمر أي طلب منهم أن يعارضوا ما جاء به شاهدًا على نبوته بإتيان نظيره وإلا كانوا مبين
ملحوضين **فارتاب** أي شك وخرص **كل مريب** فانقطع عن المعارضة
ولم يسعه إلا التسليم فمنهم من أسلم ومنهم من مات كافرًا وجحد بها واستيقنتها أنفسهم ظلمًا وعلوًا
ويلزم من انقطاعهم عن معارضته إيضاح أمره وأنه لم يبق فيه شك ولا ريب ومن ثم قال منكرًا
على من بقي عنده من ذلك شك **أيتضح** ذلك الأمر **ويبقى** معه ريب أي بل اتضح
ولا يبقى معه شك أصلًا وكيف يبقى **مع السيول** حال من قوله **الغثاء**
وهو بضم المعجمة وبالمثلثة ما يحمله السيل مما يجف من النبات فكما أن هذا الغثاء لا يبقى مع السيل
بل يذهب به ويهلكه في أسرع وقت فكذلك ما جاء به صلى الله عليه وسلم من الآيات البينات والبراهين
الواضحات لا يبقى معه لولا الخذلان الإلهي شك بل يذهب ويضمحل في أسرع وقت فعلم أنه
استعار السيول لما أتى به صلى الله عليه وسلم لأن بها الحيوة الحسية وجعلنا من الماء كل شيء حي
كما أن ما جاء به الحيوة المعنوية والغثاء لما تخيلوه لأنه أمر حقير لا بقاء له كما أن الغثاء كذلك
وفي ارتاب مريب جناس الاشتقاق وفي الختم بالجملة الاستفهامية التذييل نحو قوله تعالى وهل
نجازي إلا الكفور **تنبيه** ما تقدم بعد همزة الاستفهام هو رأي الزمخشري و
من تبعه وهو التحقيق وإلا كان خلاف ما عليه سيبويه والجمهور فيقدر في نحو أفلم يسيروا في الأرض

امكثوا

امكثوا ولم يسيروا وفي أفلا تعقلون أتجهلون فلا تعقلون وفي أثم إذا ما وقع أتكفرون ثم إذا ما
وقع آمنتم به فالهمزة في الكل في محلها الأصلي والعطف على جملة مقدرة بينها وبين العاطف محافظة
على إقرار حرف العطف على حاله من غير تقديم ولا تأخير ورده أبو حيان لذلك بأنه تقدير لا دليل عليه
من غير حاجة إليه وابن هشام بأن فيه تكلفًا وأنه غير مطرد وفيه نظر بل إليه حاجة وهي أن المعنى معه
أقوم وأوضح مع رعاية قاعدة الهمزة وحرف العطف ودعوى عدم اطراده ممنوعة لأن السياق
حيث وجد غير ذلك يكون قاضيًا بذلك المحذوف واعلم أن الهمزة أصل أدوات الاستفهام ومن ثم
اختصت بجواز حذفها نحو هذا ربي في المواضع الثلاثة أي أهذا ربي وفي وتلك نعمة تمنها علي أي
أوتلك وبأنها ترد لطلب التصور تارة والتصديق أخرى وهل يختص بالثاني والبقية بالأول وفي
وبأنها يتقدم على العاطف كما مر تنبيهًا على أصالتها والبقية تتأخر عنه وبأنها تدخل على الشرط نحو
أفإن مات أو قتل وعلى الإثبات والنفي **وهو يدعو** حال من فاعل تحدى أي تحدى
الناس والحال أنه مع إنكارهم وارتيابهم لا يفتر عما أمر به من التبليغ والدعاء **إلى الإله**
أي المعبود بالحق الذي لا يعبد غيره وهو الله تعالى وفي الهي وإلى الإله الجناس الناقص ولم ينظر الناظم
إلى كون الإله اسم جنس في الأصل لكل معبود لأن الأئمة أعرضوا عن هذا الأصل واستعملوه في
المعبود بحق فقط فصار علمًا بالغلبة ولم يزل صلى الله عليه وسلم يجدد دعائه إلى الله تعالى
وإن شق عليه كفره أي الإله أو النبي **وإزدراء** أي احتقاره وانتقاصه
له فهو ملايم لذلك الدعاء متحمل لمشقة إنكارهم وقبيح كفرهم وازدرائهم له ومما جاء به أخرج
أهل السير أنه صلى الله عليه وسلم كان يطوف على الناس في منازلهم يقول لهم يا أيها الناس إن
الله يأمركم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا وأبو لهب عمه وراءه يقول يا أيها الناس إن هذا يأمركم
أن تتركوا دين آبائكم ورماه الوليد بن مغيرة لعنه الله بالسحر وتبعه قومه على ذلك وافترقوا

ورموه بالشعر والكهانة والجنون ومنهم من كان يحثو التراب على رأسه ويجعل الدم على بابه ووطئ
عقبة ابن ابي معيط على رقبته الشريفة وهو ساجد عند باب الكعبة حتى كادت عيناه تبرزان و خنقه
خنقا شديدا وجذبوا رأسه ولحيته حتى سقط اكثر شعره فقام ابو بكر دونه فقال اتقتلون
رجلا ان يقول ربي الله وصح ان عقبة بن ابي معيط لف بعنق رسول الله صلى الله عليه وسلم ثوبا
وهو بفناء الكعبة فخنقه خنقا شديدا فجاء ابو بكر ودفعه عنه وروى احمد في مسنده اول من اظهر
الاسلام سبعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمار وامه سمية وصهيب وبلال والمقداد
فاما رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنعه الله تعالى اي من القتل بعمه ابي طالب واما ابو بكر فمنعه الله تعالى
بقومه واما سائرهم فاخذهم المشركون فالبسوهم ادراع الحديد وصهروهم في الشمس وان بلالا
هانت عليه نفسه في الله عز وجل وهان على قومه واخذوه واعطوه الولدان فجعلوا يطوفون به في
شعاب مكة وهو يقول احد احد اي ليمزج مرارة العذاب بحلاوة الايمان ومر اللعين ابو جهل بسمية
ام عمار بن ياسر وهي تعذب فطعنها بحربة في فرجها فقتلها واخرج البيهقي عن عروة ان ابا بكر رضي الله
تعالى عنه اعتق ممن كان يعذب في الله تعالى سبعة منهم الزنيرة اي بكسر الزاي وتشديد النون المكسورة
فعميت فقالوا ما اعماها الا اللات والعزى فقالت كلا والله ما هو كذلك فرد الله تعالى عليها بصرها وهم
مع ذلك ايضا **يدل الورى** اي الخلق وكان الناظم اخذ هذا من الحديث الصحيح
ارسلت الى الخلق كافة فاما الانس والجن فبالاجماع المعلوم من الدين بالضرورة فيكفر منكره واما
واما الملائكة فعلى الاصح عند جميع المحققين كما يصرح به هذا الحديث وقوله تعالى ليكون للعالمين
نذيرا يشمل لذلك اذ العالم ما سوى الله تعالى واستعمال هذا في العقلاء انما هو لتغليبهم لفضلهم وقول
الرازي اجمعنا على ان المراد الانس والجن مردود واما بقية الجمادات فعلى ما ذهب اليه بعض
محققي المتأخرين ومعنى ارساله الى الملائكة وهم معصومون انهم مكلفون بتعظيمه والايمان

واشارة

واشارة ذكره وللجمادات انه ركب فيها ادراكات لتؤمن به وتخضع له وان من شيء الا يسبح بحمده اي
حقيقة لا بلسان الحال فقط خلافا للمعتزلة **على الله** اي على العلم بذاته واسمائه
وصفاته وافعاله ومما يجب له من اثبات كل صفة كمال وسلب كل صفة نقص بل وكل ما لا يليق والوصل الى
اعلى غايات الكمال ومما يجوز له من ايجاد الخلق واعدامهم ومما يمتنع عليه من الحادثات التي لا تتعلق
بها القدرة كما هو مقرر في محله **بالتوحيد** اي تطلبه منهم توحيده تعالى بان يقروا
بانه تعالى واحد في ذاته فلا تعدد له بوجه وصفاته فلا نظير له بوجه وافعاله فلا معين ولا
شريك له بوجه وظاهر المتن ان الباء في بالتوحيد باء الآلة ككتبت بالقلم ويوجه بان العلم
بالتوحيد كما ذكرنا ينشأ عنه العلم بما يليق بذات الله تعالى واسمائه وصفاته وافعاله كما تقرر
وهو اي العلم بكل ذلك والدليل عليه **المحجة** اي الطريقة الى رضى الله تعالى
التي امر بها ويثيب عليها **البيضاء** اي النيرة المضيئة الواضحة التي لا يضل سالكها
ولا ينقطع ولا يخشى فيها من آفة وهذا مقتبس من قوله صلى الله عليه وسلم تركتكم على الواضحة البيضاء
ليلها كنهارها ونهارها كليلها لا يزيغ عنها الا هالك ولما صبر صلى الله عليه وسلم على تبليغهم مع
ما حصل له منهم مما اشار اليه الناظم بقوله وان شق عليه الى آخره اطاع الله تعالى له اكثرهم حتى
صاروا من اكابر اتباعه كما قال **فيما** اي زائدة **رحمة** واصلة اليه **من الله**
وهي في الاصل ميل وعطف نفساني غايته التفضل والانعام والمراد بها هنا الغاية
لاستحالة العطف والميل على الله تعالى وكذا كل صفة وردت في القرآن او السنة لله تعالى واستحال
معناها يراد بها غايتها اي فبسبب رحمة الله تعالى لهم وعطفه عليهم ببركة لين رسول الله صلى الله عليه وسلم
وصبره عليهم كما يشير لذلك قوله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم الذي اقتبس الناظم منه هذا
ايقظ قلوبهم وازال ما فيها من تكبر وغي فحينئذ **لانت صخرة** اي الحجر العظيم **من**

من بيانية وجعل الشارح ذلك صفة الصخرة مع كون من بيانية بعيد **اباءتهم** اى امتناعهم **صماء** اى صلبة لا يؤثر فيها معول على خلاف العادة وبه يظهر حسن التقابل بين لانت وصماء وهو من الطباق ويسمى المطابقة والتضاد ايضا وهو ان يجمع بين معنيين متقابلين في الجملة بتضاد او نفي واثبات وعدم وملكة او نحو ذلك اى زال امتناعهم عن طاعته فيما امرهم فاطاعوه واتبعوه فعلم انه استعار الصخرة التي في غاية الصلابة لاباءتهم عنه او لاداكا نوا على غاية النفرة عنه والبغض واللين لانقيادهم له وليونتها وزوال صلابتها لاتباعهم له وانقيادهم لجميع اوامره ونواهيه اخرا وبين ان ذلك كله انما هو بواسطة رحمة الله تعالى وهداية لهم لا بحوله صلى الله عليه وسلم ولا بقوته انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء **و** بعد ان لانواله ببركة لينه لهم ولينهم بين يديه حتى **استجابت له** اى اجابت دعوته وامتثلت اشارته **بنصر وفتح** اى مع او بسبب اعطاء الله تعالى من النصر على الاعداء بكثرة الاتباع والقاء الرعب في القلوب والفتح لبلادهم باخماد شوكتهم واستيصال شافتهم **بعد ذالك** اى الضعف الذي كان له صلى الله عليه وسلم ولاتباعه لقلتهم وتحريم قتال الاعداء وتصميمهم على مناواته ومعاداته لقوة شوكتهم وكثرة عددهم وعددهم **الخضراء** اى السماء سميت بذلك لانها ترى كذلك فقد قال القاسم بن ابي برة ليست السماء مرئية لكنها مقبوة يريها الناس خضراء وبين الثوري سبب ذلك فقال بلغنا ان صخرة تحت الارض هي خضراء كما في حديث البزار وغيره منها خضرة السماء اى ليست في الحقيقة كذلك لما في حديث انهم قالوا يا رسول الله ما هذه السماء قال هذا موج مكفوف عنكم ومن ثم سئل ابن عباس السماء من اي شيء فقال انها من موج مكفوف ويوافقه قول علي كرم الله وجهه ورضي الله عنه في حلفه والذي خلق السماء من ماء ودخان وقال كعب السماء اشد بياضا من اللبن وقال الربيع بن انس السماء الدنيا موج مكفوف والثانية مرمرة بيضاء و

الثالثة

الثالثة حديد والرابعة نحاس والخامسة فضة والسادسة ذهب والسابعة ياقوتة حمراء وجاء عن سلمان الفارسي لكن بسند واه السماء الدنيا من زمردة خضراء والثانية من فضة والثالثة من ياقوت حمراء والرابعة من درة بيضاء والخامسة من ذهبة حمراء والسادسة من ياقوت خضراء والسابعة من نور **والغبراء** اى الارض سميت بذلك لان جميع طبقاتها من طين كما جاء عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال لما اراد الله تعالى ان يخلق الاشياء اذ كان عرشه على الماء واذ لا ارض ولا سماء خلق الريح فسلطها على الماء حتى اضطربت امواجه واثار ركامه واخرج من الماء دخانا وطينا وزبدا فامر الدخان فعلا وسما فخلق منه السموات وخلق من الطين الارضين وخلق من الزبد الجبال وبين الخضراء والغبراء ما مر من الوتت وصماء لكن هذا يسمى التدبيج لذكر الالوان فيه ومعنى استجابت السماء والارض له صلى الله عليه وسلم استجابة اهلهما ويحتمل انه استعار السماء للرفيع من الناس والارض للوضيع اى اجابة الرفيع والوضيع حتى لم يتخلف منهم اهل مكة وغيرهم احد عنه اذ لم يبق الا مسلم او مسالم وعلى الاول فتقييد الناظم استجابت اهل الارض بالنصر والفتح بتلك البعدية ظاهر واما تقييد استجابة اهل السماء بها فهو بمعنى انه لم تنزل الملائكة لنصرته والتبيين وما بعدها وذلك انما هو بعد قوته والقاء رعبه في القلوب والاذن له بالجهاد والفتح عليه **و** من جملة استجابة اهل الارض له بعد ذلك انه **اطاعت لامره** وهو القول الدال على الطلب بلفظ افعل ونحوه ولنهيه وحذف لفهمه مما ذكره **العرب** بضم فسكون او بفتحتين كما هنا وهم ولد اسمعيل صلى الله عليه وسلم **العرباء** ويقال العاربة وهم الخلص من العرب ويقال لغير الخلص العرب المستعربة وفي القاموس والعرب بالضم وبالتحريك خلاف العجم اى بالضم والتحريك ايضا لما ذكره في مادته وهم سكان الامصار او عام والاعراب منهم سكان البادية لا واحد له ويجمع على اعاريب وعرب عاربة وعرباء وعرب عرباء صرحاء ومستعربة دخلاء ثم قال

ويعرب بن قحطان ابو اليمن وقيل اول من تكلم بالعربية وفي النهاية الاعراب من العرب ساكنوا البادية الذين
لا يقيمون في الامصار ولا يدخلونها الا لحاجة والعرب اسم لهذا الجيل من الناس اقام بالبادية او المدن
وفي الصحاح ليس الاعراب جمع عرب اي لان الجمع لا يكون اخص من واحده وانما العرب اسم جنس وذكر
ابن قتيبة ان الاعرابي هو البدوي والعربي هو المنسوب الى العرب وان لم يكن بدويا والاعجمي الذي لا يفصح
وان كان بدويا والعجمي المنسوب للعجم انتهى وبين المبرد في كتاب نسب عدنان وقحطان ان جميع العرب
ترجع اليهما وعدنان هو الجد الاعلى للنبي صلى الله عليه وسلم وسائر العرب العرباء وبينه وبين اسمعيل
ثمانية اباء وقحطان قال الكلبي هو المجيبح ابن بنت ابن اسمعيل صلى الله عليه وسلم **والجاهلية**
الجهلاء هو كالعرباء وفيه تجنيس الاشتقاق وشبه التاكيد اللفظي كليل اليل وخص هذين
لان تصميمهما على الكفر بلغ من القوة والشدة ما لم يبلغه تصميم غيرهما **وتوالت**
اي تتابعت **المصطفى** صلى الله عليه وسلم متعلق بقوله **الاية** مفرد محلى بال فيكون
في معنى الايات وايضا فالتوالي انما يكون في متعدد اي العلامات الدالة على نبوته والمحققة لما نقول له
وافتريه عليه وعلق الشارح بتوالت وهو وان كان هو الظاهر صناعة الا ان الثاني فيه افادة
ان ما توالى له انما هو اياته الخاصة به الاية من نقله **الكبرى عليهم** كالقران وانشقاق القمر
وتوالت له عليهم ايضا **الغارة** على بلادهم واموالهم ونفوسهم وذراريهم وهي اسم مصدر
لاغار **الشعواء** اي الغاشية المحيطة المتفرقة لهم من سائر الجوانب التي لم تنظر لهم بنفس
ولا مال الا اهلكته في بعد ان استجابت له اهل السماء والارض ودخل الناس في دين الله تعالى
افواجا وكثرت اتباعه جدا حتى صار **اذا ما** زائدة **تلا** اي قرا **كتابا**
انزل عليه **من الله** وهو القران **تلته** اي تبعته لاجل القراءة معه او استماع قراءته
الكتائب مزدحمين عليه لا سيما **كتيبة** بالفوقية اي جيش **خضراء** اي يعلوها

سواد السلاح والحديد ومن عكسه سواد العراق لانه لكثرة شجره وهو من بعيد يرى اسود وهي الكتيبة
التي دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة كتيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم التي دخل صلى الله عليه وسلم مكة
وهو فيها على ناقته القصوى بين ابي بكر واسيد بن حضير ولما راها ابو سفيان راى ما لا قبل له به فقال
للعباس لقد اصبح ملك ابن اخيك ملكا عظيما فقال له العباس ويحك انه ليس بملك ولكنها نبوة
وروى البخاري عن عبد الله بن مغفل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة على ناقته وهو يقرأ
سورة الفتح ويرجع وقال لولا ان يجتمع الناس حولي لرجعت كما رجع وبين تلى وتلته وكتائب وكتيبة
تجنيس الاشتقاق او شبهه **وكفاه** صلى الله عليه وسلم ربه فضلا منه وكرما النفر الاشقياء
الذين زادوا في ايذائه والطعن عليه **المستهزئين** به كما قال الله تعالى انا كفيناك المستهزئين
وهم جماعة من قومه كانوا يستهزئون منه ويبالغون في ايذائه والسخرية به اي تولى اهلاكهم من كفيتك فلانا
المؤنة اذا توليتها له فلم تحوجه اليها مع تولية تعالى لهلاك المستهزئين به سلاه فاعلمه بان هذا ليس خاصا
بل الانبياء قبله كانوا كذلك بقوله عز وجل فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل ومن ثم اقتبس
المصنف من هذا كقوله تعالى ولقد استهزئ برسل من قبلك الاية قوله **كم** مرات كثيرة **ساء**
اي احزن **نبيا** بينهما الجناس المصحف **من قوم** متعلق بقوله **استهزاء**
اي سخرية وايذاء فهذا اقتباس وتلميح وهو الاشارة الى قصة او شعر او مثل سائر وذكرنا التلميح هنا
مع كثرته في كلامه لانه هنا اظهر باعتبار ظهور قصة المستهزئين وشدة الاعتناء بها وفيه ايضا
التذييل والمثل السائر في الجملة الاستفهامية **ورماهم** اي اصابهم **بدعوة** عنه
صلى الله عليه وسلم وصلت اليهم فاهلكتهم كما يصل السهم القاتل الى من رمى به فيهلكه **من**
اي بدعوة كائنة في **فناء البيت** اي حوالي الكعبة وقيل انه شكاهم لجبريل فقال امرت
ان اكفيكهم ثم اشار الى كل بما اصابه وذلك لا ينافي دعاءه عليهم لانه كان سببا لاشارة جبريل

عليه السلام اليهم بالهلاك وتجيز تعلق من بوحى وانما للتنبيه اى لابتداء الغاية بعيد فيه لكن فيه
تشبيه ومبالغة ولعل الناظم قصد ذلك لاستقامة الوزن مع كل فايثارها مع كونها حالا فى المتبادر
انما هو عن قصد ثم وصف الدعوة ايضا بقوله **فيها** اى تلك الدعوة **للظالمين**
متعلق بما بعده والاصل لهم وعدل عنه ليبين ان سبب هلاكهم ظلمهم وبغيهم عليه صلى الله عليه وسلم
والظلم وضع الشىء فى غير محله **فناء** اى استيصال لهم حتى لم يبق منهم احد وبين فيها وفناء جناس
محرف لاختلاف حركة الفاء **خمسة** بدل من المستهزءين او الظالمين ويصح رفعه اى هم
وخصهم مع ان من المستهزءين ابا لهب وزوجته وعقبة بن ابى معيط والحكم بن العاص لانهم اشدهم
لذا عجلت عقوبتهم **كلهم اصيبوا بداء** عظيم **والردى** اى الهلاك **من**
جملة **جنوده** المعتبرة عليهم **الادواء** جمع داء وهو المرض وهذا ساقه مساق الحكم لمناسبته
لما قبله فانه كالتعليل له اى انما اصيبوا بذلك الداء لانهم سعوا فى تحصيل اسباب الردى لهم حتى فعلوا
فيه ولم يجدوا منه مخلصا وبين دواء وداء جناس ناقص كامل ثم فصل ذلك الداء الذى اهلكهم الله
عز وجل به فقال **فدهى** من الداهية وهى الامر العظيم يهلك الاشياء **الاسود**
بن مطلب بن اسد بن عبد العزى فهو اسدى **اى عمى** اى عمى عظيم لانه كما طمس بصره
طمس بصيرته حتى لم يبق له تمييز بين الحسن والقبيح وليس العمى الا عمى البصيرة **ميت به**
اى بسبب ذلك العمى **الاحياء** فى حكم الاموات الذى لا ينظر اليهم ولا يعول عليهم ويحتمل ان
المراد انه مات بما كان سببا لموته على خلاف العادة مبالغة فى هلاك ذلك العين وانه قتل بما لا يقتل
عادة لانه حقت عليه الكلمة العذاب فمات فورا من غير سبب ظاهر لذلك وبما تقرر علم ان ميت
مبتدأ وما بعده سد مسد الخبر اى من شان هذا العمى انه لو وقع للاحياء صاروا به فى حكم الموتى لا بصر لهم
ولا بصيرة فالجملة مؤكدة لما افاده تنوين عمى انه عمى بصر وبصيرة ومفيدة للاحتراز عن ايهام انه يحيى بعض

فقط

فقط ولم ينظر الناظم الى عدم اعتماد هذا المبتدأ جريا على مذهب الكوفيين فانه قوى عند الاخفش بنعتهم
مع تقدمه وتحقيقه وقال ابن مالك الاعتماد حسن لا واجب وكانه يريد ان يجمع بين رأى البصريين
والكوفيين لكنه خلاف ما صرحوا به فيكون رأيا ثالثا ولا يقال ميت خبر مقدم لانا نقول لو كان خبرا
لقال ميتون لوجوب المطابقة ولا حجة فى قولهم خبير ابو لهب ان خبير خبر مقدم لان فعيلا يستوى
فيه المطابقة وبين ميت والاحياء الطباق **ودهى** ايضا **الاسود بن عبد يغوث**
بن وهب بن مناف بن زهرة فهو زهرى ويغوث فى الاصل اسم صنم وصرفه الناظم للضرورة **ان**
سقاه كاس الردى اى الموت **استسقاء** حصل له فى جوفه واستمر به لا يعالج
حتى اهلكه الله وهو داء خبيث على انواع المراد منها هنا الزقى وهو امتلاء الامعاء بالماء الفاسد
المبطل للحرارة الغريزية المفضى الى الهلاك عن قريب وبين سقى واستسقاء جناس الاشتقاق وشبه
الردى بالمشروب حتى اثبت له ما هو من لوازم المشبه به من الكاس والسقى استعارة بالكناية تتبعها
الاستعارة التخييلية **واصاب الوليد** بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم فهو مخزومى
خدشة سهم اى جرحه باسفل رجله من شخص بيده نبل وقيل اصابت ذيله شوكة
فمنعه الكبر ان ينحنى لقلعها فضربها بالسوط فاصاب رجله فتالمت ومات منها وقيل وقعت به
فكان سم ذلك الجرح اسرع الى هلاكه واشنع من سم الافاعى فلذلك **قصرت عنهم**
اى عن تلك الخدشة **الحية الرقطاء** اى التى تخالط سوادها نقط بيض وهى اعظم الحيات اذى
ووجه قصورها عنها فى الافضاء الى القتل ان الحية قد يقع البرء من لسعتها بخلاف تلك الخدشة
فانها كانت قاتلة لا محالة لانها اثر تلك الدعوة عليه المقبولة ثم رأيت بعضهم قال وانما كان ما اصاب
الوليد اعظم لان الحية انما تهلك بواسطة السم اللسعة وهذا يهلك بلا واسطة انتهى وما ذكرته اوضح
واحسن كما لا يخفى **وقضت شوكة** دخلت فى اخمص رجل العاص **على مهجة العاصى**

بن وائل بن هشام بن سعد بن سهم فهو سهمي اي قتله قتلاً عجيباً من ثم عقبه بما يفيد التعجب فقال

فَلِلّٰهِ بذه النَّقْعَةُ من قولهم الناس نقائع الموت اي انه يجزرهم كما يجزر الجزار النقيعة

الشَّوْكَاءُ من قولهم بردة شوكاء اي خشنة الملمس اي ما اعجب هذه القتلة الشديدة التي

حصلت له من تلك الشوكة القليلة التأثير عادة فلله درها من شوكة نحرته في اسرع وقت وَ

مضت عَلَى مهجة الْحَارِثِ مولى مطلقة بالموت القطيع الْقُيُوحُ جمع قيح وهو المدة

البيضاء التي لا يخالطها دم وَ الحال انه قَدْ سَالَ بِهَا دَاءٌ وَسَاءَ اي قبح ذلك الرشح

الذي هو الْوِعَاءُ لتلك القيوح القاتلة لصاحبه وبين سال وساء الجناس الناقص في

الخط بساء اي ساء التذييل هَؤُلَاءِ الملاعين الخمسة خَمْسَةٌ طُهِّرَتْ بقطعهم

اي هلاكهم الْأَرْضُ اي مكة ونواحيها او مطلقاً لان ضررهم يسري الى جميع البلاد

فَكُفَّ الْأَذَى اي الذي كان يصل للناس لا سيما نبينا صلى الله عليه وسلم بِهِمْ اي بسبب فقدهم

او مع فقدهم شَلَّاءُ اي فاقدة الحركة فعلم انه شبه الاذى بالانسان من باب تشبيه المعقول

بالمحسوس لافادة ان الاذى لو تجسم لكان انساناً يقدم على ايصال ما يريده بايدي مجرمين ثم اثبت له

ما هو من لوازم المشبه به وهو الكف التي يتناول بها ما شاء المضار التي يريدها ووصفها بالشلل لبيان

ان الاذى بفقدهم صار معطل الحركة فيه لا تأثير ففيه استعارة مكنية تتبعها استعارة تخييلية

وذكر الشلل الملائم للمشبه به ترشيح فُدِيَتْ بالبناء للمفعول يقال فداك بفتح اوله فيقصر او

بكسره فيقصر ويمد وهو دعاء منفصل للتعظيم فهو في حيز الانشاء اي لا يمكن ان يكون احد

فداء احد من الموت لسالت ان يكون هؤلاء فداءها او المراد اللهم اجعلهم فداءها من المذنبات وقوله

ان كان للكرام فداء الدال على انه لا فداء لهم يدل على المعنى الاول خَمْسَةُ الصَّحِيفَةِ

الاتي بيانهم بِالْخَمْسَةِ الملاعين السابق ذكرهم اي جعلت هؤلاء جميعهم فداء لكل واحد

من

منا وكنت من كل مكروه فالمقابلة بهذا البيت من باب تركيب القوم دعائهم إِنْ جزاء هامحذوف

لدلالة ما قبله عليه كَانَ لِلْكِرَامِ فِدَاءُ وهم اولئك الخمسة الذين سعوا في نقض الصحيفة من جملة

الكرام الذين يتعين فداؤهم عند الحاجات والشدائد ان نفع الفداء لانهم بذلوا انفسهم في اعظم جدال

كما يعلم من ذكر قصتها وهي ان قريشاً لما رأت عزة النبي صلى الله عليه وسلم باهرة في سنة من النبوة بضعة عشر من اصحابه منهم عثمان وزوجته رقية بنت النبي صلى الله عليه وسلم بالهجرة الى الحبشة واستقرارهم

فيها واسلام حمزة ثم عمر بعده بثلاثة ايام وفشو الاسلام في القبائل اجمعوا على ان يقتلوا النبي صلى الله

فبلغ ذلك ابا طالب اتوا اليه بعمارة ابن الوليد اعز فتى فيهم ليأخذه ويدل ابن اخيه فابى وجمع بني هاشم

وبني المطلب فادخلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم شعبهم ومنعوه ممن اراد قتله واجابوه لذلك حتى

كفارهم حمية على عادة الجاهلية فلما رأت قريش ذلك اجمعوا وائتمروا ان يكتبوا كتاباً يتعاقدون فيه

على بني هاشم وبني المطلب ان لا ينكحوا اليهم ولا ينكحوهم ولا يبيعوا منهم شيئاً ولا يبتاعوا منهم ولا يقبلوا

منهم صلحاً ابداً حتى يسلموا اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتل ذلك وكتبوا في صحيفة بخط بعضهم

فشلت يده وعلقوا الصحيفة في جوف الكعبة تأكيداً في حفظها وبقائها وكان ذلك هلال المحرم سنة

سبع من النبوة فانحاز بنو هاشم وبنو المطلب الى ابي طالب فدخلوا معه في شعبه الا ابا لهب فكان

مع قريش لعنه الله فاقاموا على ذلك سنتين او ثلاثاً حتى جهدوا وكان لا يصل اليهم شيء الا مستخفياً

حتى ان حكيم بن حزام حمل غلامه حنطة يريد بها عمته خديجة رضي الله عنها فلقيه ابو جهل اللعين

فتعلق به فاراد ان يفضحه فانتصر له ابو البختري بن هشام بن الحارث بن اسد وقال خل سبيله فابى

فاخذ له لحي جمل فضربه فشجه ووطئه وطئاً شديداً فلما سعت تلك المدة قام اولئك الخمسة في نقض

تلك الصحيفة وكان رئيسهم هشام بن الحارث لغزيه بعمرو بن الذي هو اخو عبد المطلب من ثم كان

واصل لبني هاشم فكان يأتيهم ليلاً بالبعير عليه الطعام الى فم الشعب فيخلع خطامه ويضربه حتى يدخل

ولخبر هشام بعثه هذا مشى الى زهير بن عاتكة بنت عبد المطلب فقال له رضيت ان تاكل الطعام و
تلبس الثياب وتنكح النساء واخوالك حيث علمت وشدد عليه حتى قال لو وجدت رجلا معي لنقضتها
فقال انا معك قال ابغنا ثالثا فبعث الى المطعم فاستنجاه حتى قال لو وجدت رجلا قال انا معك قال
ابغنا ثالثا قال وجدت زهير بن ابي امية قال ابغنا رابعا فذهب الى ابي البختري فاستنجاه فقال
وهل من معين فذكر له اولئك قال ابغنا خامسا فذهب الى زمعة فاستنجاه فقال هل من احد
فذكر له القوم فاجتمعوا بالحجون اجمعوا على نقضها فقال لهم زهير وانا اول من يتكلم فلما ا[صبحوا]
غدوا الى نديهم وغدا زهير بحلة فطاف سبعا ثم اقبل على الناس فقال يا اهل مكة انا ناكل الطعام
نلبس الثياب وبنو هاشم تردى والله لا اقعد حتى تشق هذه الصحيفة الظالمة القاطعة
فقال له ابو جهل كذبت والله لا تشق فقال له زمعة انت والله اكذب لم نرضينا كتابتها حيث كتبت وقال
ابو البختري صدق زمعة لا نرضى ما كتب فيها ولا نقره وقال المطعم صدقتما وكذب من قال غير ذلك نبرأ
الى الله منها ومما كتب فيها فقال ابو جهل ان هذا امر قضي بليل تشوور فيه بغير هذا المكان وابو طالب
جالس فقام المطعم الى الصحيفة ليشقها فوجد الارض قد اكلتها الا باسمك اللهم ولا يعارض ذلك
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ذلك قال لابي طالب يا عم ان ربي سلط الارض على صحيفة قريش فلم تدع
فيها اسما هو لله الا اثبتته ونفت منها الظلم والقطيعة والبهتان فقال ربك اخبرك بهذا قال
نعم فاخبرهم ابو طالب بذلك وقال انزلوها فان صدق فانتهوا عن قطيعتنا والا دفعته اليكم
فنظروها فاذا هي كما قال صلى الله عليه وسلم فازدادوا شرا وذلك لا ينافي ما مر انهم لما نظروا ذلك
ما ازدادوا الا شرا فقام اولئك الخمسة في اذهابها من اصلها فسعوا في نقضها وبذلوا جهدهم فيه قال الشيخ
ويحتمل ان ابا طالب انما اخبر بعد سعيهم في نقضها انتهى ويبعده ان الاخبار بذلك حينئذ ليس له
كثير جدوى فالاولى بل المتيقن ما قدمته اذا تقرر ذلك علم انهم **فتية** اي كرام جمع فتى

وهو

وهو السخي الكريم وفيه تعريض بما اوحى اليه من وصفهم بمكارم الاخلاق **بيتوا** اي دبروا
واشتوروا بالحجون ليلا **على فعل خير** هو نقضها بما دل والمخاطرة دونه بالنفوس
لشدة قريش في بقائها مع كثرتهم وعتوهم **حمد الصبح** اي الفجر والصباح وهو من الفجر
الى الزوال ويدل على هذا مقابلته بالمساء الذي هو من الزوال الى الغروب **امره** اي شانه
وغايته **والمساء** واسناد الحمد لهذين الزمانين مجاز دال على شدة المبالغة في وقوع الحمد
وطلبه على فعل ذلك الخير لان الزمان اذا حمد على ذلك فسائر العقلاء اولى واحق بذلك و
بين الصبح والمساء الطباق كالشدة والرخاء والنقض والابرام فيما ياتي وجعل الشيخ غير الاخيرين
من المقابلة وهما من الطباق لا يتاتى على تفسيرهم الطباق بانه جمع بين معنيين متقابلين في الجملة
كما هو مبسوط **يا ال امر** بفتح اللام هو نقضها وناداه على طريق الاستغاثة تنزيلا له
منزلة العاقل مبالغة في تعظيمه ولذا كان ذلك مفيدا للتعجب من وقوعه كقولهم بالله وابي اذ
تعجبوا من كثرتها **اتاه بعد هشام** بن الحارث بن حبيب بن خذيمة بن مالك بن حسل بن
عامر بن لؤي فهو عامري وقدمه لما مر انه اول الخمسة والسبب في اجتماعهم **زمعة** بن الاسود
المطلب بن اسد **انه** بالكسر استيناف فيه معنى التعليل لكونه اول من كذب ابا جهل اللعين
ورده عن هشام كان **الفتى** اي الكريم في نحوه **الاتاء** صيغة مبالغة من الاتي
ففيه مع اتاه جناس الاشتقاق كالجوت وفداء **وزهير** ابن ابي امية بن المغيرة وامه
عاتكة بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم **والمطعم بن عدي و**
ابو البختري ما في هؤلاء الخمسة النقض الا من غير اتفاق ومواطاة بل انما اتوه ايمانا لما اتانا **من**
حيث ظرف مكان حقيقة او مجازا وجوز الاخفش كونها ظرف زمان ويجوز فتحها وجرها وثلث
وحوث واعرابها لغة قليلة وتلزم الاضافة لجملة وندرت لمفرد خلافا للكسائي وعدم اضافتها

بالكلية انه فتعويض او تحرفهما نادر بل انكره ابو حيان والغالب كونها في محل النصب على النزع فتح
او خفض عند فلا يقع اسم ان ولا مفعولا به على خلاف فيهما من زعم الفاسق انها في اَللّٰهُ اَعْلَمُ حَيْثُ
يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ مفعولا به اذ المعنى انه سبحانه يعلم نفس المكان المستحق لوضع الرسالة فيه وناصبها
يعلم المدلول عليه باعلم لا هو لان افعل التفضيل لا ينصب المفعول به الا ان اوّل بعالم شَاوٍ
اي من المكان الذي قصدوه لتدبير امرهم والتشاور عليه ولذلك وقع فعلهم الواقع الذي فصله
وانتج الانتاج الذي دبروه نَقَضُوا بدل من فعل خبرهم من نقض العهد وابطاله مُبْرَمَ
اي محكم واصله كالبريم الحبل الذي جمع من مفتولين فتل حبلا واحدا الصَّحِيفَةِ التي
تواقفت قريش على ابقائها على الدوام الى ان يسلم بنو هاشم والمطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم
اليهم اِذْ اي وقت او لاجل ان شُدَّتْ اي صممت عَلَيْهِ اي على ذلك الامر المبرم
وهو عدم نقض تلك الصحيفة مِنَ الْعِدَى بيان لقوله الْاَنْدَاءُ جمع ناد وهو العشيرة
ومنه قوله تعالى فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ واصله المكان الذي يجلس فيه للتحدث والسمر سمي من فيه باسمه اي
نقضوا هذا الامر المبرم الذي قواه عشائرهم وصمموا عليه اِذْ ذَكَّرَتْنَا بعد نسياننا
جملة استينافية لبيان ان لاكل الارضة الصحيفة نظيرا هو اكلها عصاة سليمان صلى الله عليه
وعلى نبينا وسلم بِاَكْلِهَا لتلك الصحيفة والضمير للارضة الاتية التي هي الفاعل فهو عائد
على متقدم رتبة وهو شائع اَكْلَ مفعول اذكر الثاني مِنْسَاَةِ اي عصاة سُلَيْمَانَ
بن داود بن ايشا صلى الله على نبينا وعليه وسلم لما مات وهو متكئ عليها فصار كذلك سنة والجن
يعتقدون حياته فيدابون فيما سخرهم فيه من الاعمال الشاقة وما علموا موته الا باكل الارضة
فخر ساقطا وعلموا ان لهم سنة مسخرون في العمل وانهم كاذبون في ادعائهم علم الغيب ولقد
قال الله تعالى من قائل فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ اِلَّا دَابَّةُ الْاَرْضِ تَاْكُلُ مِنْسَاَتَهُ

فلما

فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ اَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ الْاَرَضَةُ بفتح
الراء وقد يسكن كما هنا وهي دويبة تاكل حتى الخشب اكلا ذريعا الْخَرْسَاءُ فيه تعجب من
شانها اذ ليس من شان الاخرس التذكير واثبات الخرس لها مجاز اذ حقيقته فقد النطق مما من شانه
النطق وَبِهَا اي وباكل الصحيفة اَخْبَرَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم عمه ابا طالب وهو
اخبر قريشا كما مر مبسوطا وَكَمْ اي مرات كثيرة اَخْرَجَ صلى الله عليه وسلم اي اظهر خَبْئًا
اي شيئا مخبأ لَهُ الْغُيُوبُ خِبَاءُ اي ساترة وبين خبأ وخباء الجناس المحرف وفي كم الى اخره
التنبيه بل تنبيهان احدهما يجب على كل واحد ان يعتقد الله تعالى هو المختص بعلم الغيب وان ما حصل
لرسله واوليائه منه فهو انما بوحي من الله او الهام والاستثناء في قوله تعالى فلا يظهر على غيبه احدا
الا من ارتضى الى اخره منفصل كما هو الاصل وذكر الرسول لا للاختصاص به بل لان كرامة
اولياء اتباعه من جملة كراماته ومعجزاته وفي الحديث اني لا اعلم الا ما علمني ربي ثانيهما في بيان ما اشار اليه
الناظم من كثرة ما اخبر به صلى الله عليه وسلم من المغيبات وحاصل شيء من ذلك ان ما يدل على كثرة ما اخبر به
صلى الله عليه وسلم من الغيوب ان القران منها ما لا يحيط به حد وخبر الطبراني ان الله قد رفع لي الدنيا فانا
انظر اليها والى ما هو كائن الى يوم القيمة الاحاديث وفي الحديث الصحيح فعلمت علم الاولين والاخرين وصح
انه صلى الله عليه وسلم اخبر بموت النجاشي يوم موته بالحبشة وصلى عليه باصحابه وانه وابا بكر وعمر وعثمان
صعد احدا فتحرك فضربه برجله وقال له اثبت فانما عليك نبي وصديق وشهيدان فلن يشهدوا
ملك كسرى وقيصر ينقطع بعده من العراق والشام فكان كذلك وانه قال لسراقة كيف بك
اذا لبست سواري كسرى فالبسهما عمر له لما زال ملك كسرى في زمنه تحقيقا لذلك واخبر عمه العباس
ببلده بمال كر بمكة من المال عند ام الفضل زوجته ولم يطلع عليه احد غيرهما واخبر بكتاب حاطب الى اهل مكة
وبموضع ناقته حين ضلت وتعلقت بخطامها في الشجرة وبان قريشا بعد الاحزاب لا يغزونه ه

بلمنفسها وامير الجيش الذي ارسله لمؤتة بلد بارض الشام يوم قتلهم زيد بن حارثة فجعفر بن ابي طالب فعبد الله
بن رواحة رضي الله عنهم وبانّ بنته فاطمة رضي الله عنها اول اهله لحوقا به فعاشت بعده ثمانية اشهر
او ستة وبانّ اشقى الاولين والاخرين قاتل علي كرم الله وجهه بضربه في يافوخه فيبتل منه لحيته
فضربه الشقي ابن ملجم ضربة كذلك فمات منها وبانّ معاوية رضي الله عنه يلي امر امته وانه لم يغلب
ابن عساكر ومنه ثم قال علي كرم الله وجهه رضي الله عنه يوم صفين لو ذكرت هذا الحديث ما
قاتلته وبانّ عثمان يقتل مظلوما وفي رواية تقتل وانت تقرأ البقرة فتقع قطرة من دمك على
الله موضوعة وبوقعة الحرة من عسكر يزيد عامله الله بعدله بالمدينة فاستبيحت نفوس اهلها وايضا
واموالهم وقتل سبعمائة يحفظون القرآن منهم ثلثمائة صحابي وافتض فيها الف عذراء وبوقعة
الجمل وصفين وقتال عائشة والزبير لعلي رضي الله تعالى عنهم ولذلك قال علي للزبير لما برز له
يومئذ وقد يشكل الوصف بالظلم مع ان الزبير مجتهد فغايته انه مخطئ وهو ماجور بنص الحديث
القتال
الصحيح ويجاب بان اصل الظلم وضع الشيء في غير محله وان لم يكن فيه اثم فالمراد وانت قد وضعت
في غير محله خطأ منك لا تعمدا او انت له ظالم حقيقة لو نظرت في الدليل يومئذ انشدك الله هل
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تقاتله وانت له ظالم فانصرف الزبير وقال بلى ولكن
نسيت ويومئذ بقوله في الحسن كرم الله وجهه ورضي الله عنه ان ابني هذا سيد وسيصلح الله به
بين فئتين عظيمتين من المسلمين فكان كذلك فانه بويع بعد ابيه فمكث خليفة ستة اشهر ثم
سار لمعاوية باربعين الفا فلما تراءى الجمعان علم كثرة الفريقين وانه لا يغلب احدهما حتى يقتل
الفريق الآخر فرقّ على المسلمين ورحمهم ورفض الملك في جنب ذلك ابتغاء لوجه الله تعالى كما جاء
عنه كرم الله وجهه ثم ارسل لمعاوية يشرط له عليه شروطا وينزل له عن الخلافة فارسل اليه قرطاسا
ابيض وقال اشترط ما شئت فاشترط ونزل له عن الملك فصار معاوية من يومئذ خليفة حقيقة

ويقتل

ويقتل الحسين كرم الله وجهه بالطف واخرج بيده تربة وقال فيها مضجعه وصح خبر استأذن
ملك القطر ربه ان يزور النبي صلى الله عليه وسلم فاذن له وكان في يوم ام سلمة فامرها
صلى الله عليه وسلم ان تحفظ الباب فجاء الحسين فاقتحم فقبله صلى الله عليه وسلم فقال له الملك اتحبه
قال نعم قال ان امتك ستقتله وان شئت اريتك المكان الذي يقتل فيه فاراه فجاء بسهلة او
رمل خشن اي تراب احمر فاخذته ام سلمة فجعلته في ثوبها قال الراوي كنا نقول انها كربلاء وفي
رواية انه قال لها اذا صار دما فاعلمي انه قد قُتل واخبر ابن عمر رضي الله عنه لما رأى جبريل معه في صفة
رجل واخبر بان الترك ستغلب على العرب حتى تلحقها بمنابت الشيح والقيصوم وبقوله يوشك
الناس ان يضربوا اكباد الابل فلا يجدون عالما اعلم من عالم المدينة قال ابن عيينة وغيره هو مالك بن
انس ومن ثم كان الناس يزدحمون على بابه لاخذ العلم حتى يقتتلون وممن روى عنه من الاكابر
السفيانان والشافعي والاوزاعي امام اهل الشام والليث امام اهل مصر وابو حنيفة وصاحباه ابو
ومحمد وذو النون المصري والفضيل وابن المبارك وابن ادهم وبعالم قريش وانه يملأ طباق الارض
علما قال احمد وغيره هو الشافعي لانه لم ينتشر في طباق الارض لقرشي صحابي او غيره ما انتشر
للشافعي اي والذي انتشر لعلي وابن عباس ونحوهما مسائل قليلة جدا كما يعلم ذلك من سبر
كلامهم واطلع عليه وزعم الصنعاني ان الحديث موضوع تهور منه وانما فيه نوع ضعف وذكروا
له شواهد تجبره وقد جمع الحافظ العسقلاني طرقه في كتاب مستقل واخبر بالخوارج الذين
خرجوا على علي كرم الله وجهه وان فيهم رجلا اسود احدى عضديه مثل ثدي المراة فقاتلهم
علي واخرج ذلك الرجل حتى رآه الناس بالوصف الذي وصفه صلى الله عليه وسلم واخبر
بالرافضة وانهم يرفضون الاسلام وبالقدرية والمرجئة وبان امته ستفترق ثلثة
وسبعين فرقة وبانها كلها في النار الا الفرقة التي هي على ما كان عليه هو واصحابه وهم الطائفة

الذين اخبر عنهم بانهم لا يزالون على الحق لا يضرهم من خالفهم الى قيام الساعة اى قرب بقليل وبالملمات
السامة الكثيرة جدا فوقع كثير منها وينتظر وقوع الباقى ومما وقع منها النار التى قال عنها صلى الله عليه وسلم
كما رواه الشيخان لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من ارض الحجاز تضيئ لها اعناق الابل ببصرى فخرجت
نار عظيمة على نحو مرحلة بين المدينة المشرفة وتقدمها زلزلة عظيمة بعد عشاء الاربعاء ثالث جمادى
الاخرى سنة اربع وخمسين وستمائة ولم تزل تشتد وتغلى كغليان البحر الى ان انبعث منها الارض من
عليها حتى ايقن اهل المدينة بالهلاك وكثرت الزلازل حتى وقع منها فى يوم واحد ثمانية عشر زلزلة
لكن ببركته صلى الله عليه وسلم كان يغشى المدينة نسيم بارد ورؤيت من مكة وجبال بصرى وانطفت ليلة
الاربعاء سابع عشر رجب وقد اتسع المؤرخون فى اخبارها بما يطول استقصاؤه واذا تاملت ما
اطلعه الله تعالى عليه من الغيوب لا سيما ما يتعلق بامر الصحيفة علمت ان ذلك من تمام عناية
ربه تعالى به وانه لا يضيمه قط وحينئذ ثم عقب الناظم ذلك بقوله **لا تخل** بفتح الفوقية
والمعجمة من خلت الشئ خيلا ومخيلة ظننته **جانب** هو فى الاصل شق الانسان و
اريد به هنا الكل تعبيرا بالبعض عن الكل فالاضافة بيانية النبى صلى الله عليه وسلم **مضاما** اى
مضيعا **حين** وفى نسخة حيث والاول اظهر اذ هو ظرف لمضاما **تسمه** صلى الله عليه وسلم
منهم متعلق بقوله لما فابات **الاسواء** اى الاذيات الكثيرة حال كونها صادرة منهم
كضربه وخنقه وما رآه سحبهم له بفروته حتى سال الدم على قدميه وكشج وجهه وكسر رباعيته يوم احد [illegible]
فالو حاجبا لم يخذل بل جانبه مع ذلك لم يزل يترقى فى مراتب النصر والفتح الى ان بلغ غاية العز والجلال و
وجانبهم لم يزل يتقهقر ويضمحل حتى وصل الى حضيض الذل والهوان قال تعالى اذا جاء
نصر الله الايات ليظهره على الدين كله والله يعصمك من الناس ثم ما اصابه صلى الله عليه وسلم
اذا اتاهم له فيه اسوة الانبياء قبله اذ اصابهم من اذايات اممهم مثل ذلك واكثر منه لكن كل

امر من الامور العظيمة **ناب** اى اصاب **النبيين فالشدة** التى تحصل لهم منه وفيه
محمودة لانها لرفع درجاتهم العلية **والرخاء** اى السعة فيه محمودة ايضا لانه ليكثر ابتلاءهم
وتقنى احد وانهم وتمايبين ذلك ويوضحه ان من المقرر المعقول انه **لو يمس النضار**
اى الذهب **هون** بالضم اى الهوان **من** ادخاله الى **النار** لاختبار خلوصه من الغش
والنقص **لما اختير للنضار الصلاء** اى العرض على النار لعزة على النفوس وشحها به
من ان يرد فى نقص يغيبه فالانبياء كالذهب والشدائد التى تنوبهم كاصابة النار كما اصاب النار الذهب
فكما ان النار لا تزيد الذهب الا حسنا فكذلك الشدائد لا تزيد الانبياء الا رفعة وفى لا تخل الى هنا
الكلام الجامع البالغ من الحكم والبلاغة ما لا يخفى عظم وقعه ولما ذكرنا ناسب قوله لا تخل جانب
النبى صلى الله عليه وسلم مضاما برهن عليه بقوله **كم يد** اى جارحة **عن نبيه كفها**
الله اى منعها وخذلها فلم تصل اليه بسوء فصد به صلى الله عليه وسلم به **و** الحال انه قد
فى الخلق اى المخلوقين الذين هم اعداؤه المريدون لاهلاكه **كثرة واجتراء**
اى شجاعة وتهور واقدام على فعل الخطر بالنفس من غير نظر فى عاقبته **اذ** ظرف لكف اى وقت ان
دعا اى طلب حال كونه **وحده العباد** الى عبادة الله وترك ما هم عليه من الجهالات والاباطيل
والضلالات **و** ان **امست** اى حصلت اذا امسى تستعمل لذلك كثيرا فى ذلك **منه** فى كل ازمنة
فى كل مقلة منهم وهى شحمة العين التى تجمع البياض والسواد **اقذاء** جمع قذى وهو
ما يسقط فى العين تأذى لها ويكدرها وذلك لانه صلى الله عليه وسلم فى ابتداء امره مع وحدته وقلة عضده
وناصره كان يدعوهم الى الايمان بالله وحده وينادى عليهم فى انديتهم بتسفيه احلامهم وسب آلهتهم
مع ما يحل بهم ويعيبه فيبالغون حتى اقرباؤه كعمه ابى لهب فى اذايته والتحريض عليه لكثرتهم ووحدته
وهو مع ذلك محروس بحراسة الله محفوظ بحفظه متماد على ما هو فيه غير ملتفت الى اذاتهم

بل صابر عليه الصبر الجميل حامد لله بريد اداء الشكر وحلوا واصحابه واعوانه يكثرون ويتبشرون على
اعدائهم شيئا فشيئا الى ان مكنه الله تعالى من نواصي اعدائه فاذاق من بغى منهم على كفره الهوان واحل
من خضع منهم لعزته مأمن البقاء والامان ومما ينبيك بعظيم اذايتهم له ومخرجه عليهم ما ذكره اهل السير ان عمرو بن
العاص قال للزبير ما اكثر ما رايت قريشا اصابوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ان اشرافهم اجتمعوا
في الحجر فذكروا ما يفعله بهم من سبهم وسب الهتهم فطلع عليهم صلى الله عليه وسلم فاستلم الركن وطاف فلما
مر بهم فاساؤه ثم مر بهم فوقف ثم قال اتسمعون يا معشر قريش اما والذي نفسي بيده لقد جئتكم بالذبح
فاخذتهم كلمته وارتعدت منها فرائصهم وقالوا له القول وقالوا انصرف يا ابا القاسم فوالله ما كنت
جهولا فاجتمعوا في الغد في الحجر وفعلوا معه مثل ما ذكر ثم وثبوا اليه وثبت رجل واحد يلببونه
وثبوا اليه وثبت بثوبه فاخذ بعضهم بمجمع رداءه فقام اليه ابو بكر وحال بينهم وبينه كما مر **تنبيه**
قرينة سياق النظم مرجحة بان القذى في العين مستعار للمحصل لهم في عيون بصائرهم من اذاه
صلى الله عليه وسلم لهم عما من انفاقا اما قول بعضهم يحتمل ان يريد بالقذى ما على اعينهم من الغشاوة
المانعة من النظر في امره الحاجبة لهم عن اتباعه او يريد ما على قلوبهم من الران والصدأ الحاجب عن
الايمان فيكون عبر بالمقلة عن عين البصيرة عما يعلوها من الران والصدأ انتهى فهو غفلة
عن سياق المتن وعدم تامل له بالكلية لان تمام الحكم بانه صلى الله عليه وسلم اسكن القذى لكل
منهم ومن ثم يصح تفسير القذى بما ذكره انما يصح تفسيره بما ذكرته فتامله واستدل على تلك
الحالة الباهرة انهم **قوم** يدخل فيهم النساء تبعا **يقتله** بالسيف
فابى السيف اي امتنع من الوصول اليه والتاثير فيه **وفاء** اي لاجل وفائه
بما اخذ عليه كبقية الخلق من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم واجلاله وتوقيره وتعظيمه وذلك
الامتناع وقع غير مرة فقد جاء انه صلى الله عليه وسلم كان اذا نزل منزلا اختار له اصحابه شجرة يظله

فبينما

فبينما هو تحتها اذ جاءه اعرابي فاخترط سيفه ثم قال له من يمنعك مني قال فاخذه صلى الله عليه وسلم
وقال من يمنعك مني قال الله عز وجل فرعدت يده وسقط السيف وضرب براسه الشجرة حتى سال
دماغه كما روي وصح ان غورث بن الحارث اخترط سيفه صلى الله عليه وسلم وهو نائم فاستيقظ وهو
صلى الله عليه وسلم في يده صلتا فقال من يمنعك مني قال الله فسقط من يده كن خير اخذ فعفى عنه فرجع
الى قومه وقال جئتكم من عند خير الناس وروي انه صلى الله عليه وسلم وقع له نظير ذلك في غزوة بني منافق
بعد لما خرج لقضاء حاجته ووقع له نظير ذلك مع رجل مشهور بالشجاعة وفرها الغزوة على قتله
لجاءه ثم رجع اليهم مسلما فانكروا عليه فقال نظرت الى رجل ابيض طويل رفع في صدري فوقعت
لظهري وسقط السيف من يدي فعلمت انه ملك واسلمت **وفاتت** اي جعت على انها
حجارة وبينه وبين وفاء الجناس اللاحق **الصفواء** اي رجعت الحجارة عن اصابته بل حملت في
يد رامها الذي هم ايضا بقتله هو **وابو جهل** اللعين عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي
وكان من اشد الاعداء على رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك انه لما اجتمع هو وقريش بموافاتهم صلى الله
عليه وسلم وبالغ في انذارهم وتسفيه احلامهم وسب الهتهم فاظهروا له شدة الاباء والتعنت فانصرف
عنهم حزينا عليهم فقال لهم ابو جهل يا معشر قريش ان محمدا قد ابى الا ما ترون واني اعاهد الله
لاعدن له بحجر ما اطيق حمله فاذا سجد في صلاته رضخت به راسه فاسلموني عند ذلك او امنعوني فليصنع
بنو عبد مناف ما بدا لهم فقالوا والله لا نسلمك لشيء ابدا فلما اصبح اخذ حجرا كما وصف فلما سجد
صلى الله عليه وسلم كعادته وقريش ينظرون احتمل اللعين الحجر ثم اقبل نحوه حتى اذا دنا منه
رجع منهزما منتقعا لونه مرعوبا قد يبست يداه على حجره حتى قذفه فقاموا اليه فقالوا ما لك
يا ابا الحكم قال قمت اليه لافعل ما قلت لكم البارحة فلما دنوت منه عرض لي دونه فحل من الابل
لا والله ما رايت مثل هامته ولا مثل قصرته ولا انيابه لفحل قط فهم بي ان ياكلني وذكر انه صلى الله عليه وسلم

قال ذلك جبريل لو دنا مني لاخذه إذْ ظرف لهمّ المقدر قيل ابو جهل لانه معطوف على قوم بقتله
اي وهمّ ايضا ابو جهل بقتله بالحجر الذي حمله وقتا ان دَاىْ عنق بسكون النون وضمها الفحل
وقد بدر إليه كأنه العنقاء أي الداهية العظيمة او الطائر العظيم المعروف وبين عنق و
عنقاء جناس الاشتقاق او شبهه وما ذكر من ان ابا جهل معطوف على قوم وان اذ ظرف لهمّ هو ما جزم به
الشارح وهو بعيد لانه يلزم عليه انه وقت رؤية الفحل همّ بقتله وذلك غير واقع بل حصل له من الهيبة
والخوف والذلة ما اذهله والحق انه معطوف على الصفوا اي رجعت الصفوا عن الوصول اليه ورجع ابو جهل
عن النبي لما وقت رؤيته الفحل فاذ ح ظرف لفاءت مع فاعلها وما عطف عليه واقتضاه
معطوف على همّ قال الشارح وكانه على نزع الخافض اي اقتضى منه وظاهر قول القاموس واستقضى فلانا
طلب اليه ان يقضيه وتقاضاه الدين قبضه انه متعد بنفسه اي طلب النبيّ صلى الله عليه وسلم
من ابي جهل اللعين ان يؤدي دينَ كهلة بن مصام بن كهلة بن الارش بن الغوث بن عمرو بن
عبد الغوث الاراشي بكسر الهمزة لكونه لما قدم مكة بابل له ليبيعها اشتراها منه ابو جهل
اللعين ثم مطله باثمانها فوقف الاراشي على نادٍ من قريش فقال هل من رجل يخلصني من ابي الحكم
فاني غريب وابن سبيل وقد غلبني على حقي فقالوا لا يخلصك منه الا ذلك الرجل اي محمد صلى الله عليه وسلم
قالوا له ذلك استهزاء به فجاء اليه صلى الله عليه وسلم فقال له يا ابا عبد الله ان ابا الحكم قد غلبني على حقي
وقد سئلت وكلت القوم فاشاروا اليك فخلصني منه يرحمك الله فقام صلى الله عليه وسلم معه ليخلصه
منه كيف وقد ساء تبعه ذكر مع ان الكلام ليس الا في الشراء لانه تطرق له وهو من مراعات
النظير والشراء اي شراؤه مع هذا الرجل وغيره ولما ذهب اليه امروا واحدا منهم ان يتبعه لينظر
ماذا يصنع فضرب صلى الله عليه وسلم بابه فقال من ذا قال محمد صلى الله عليه وسلم اخرج اليّ فخرج اليه وقد
انتقع لونه فقال صلى الله عليه وسلم اعطِ هذا الرجل حقه قال نعم لا تبرح حتى يأخذه فدخل فخرج

اليه

اليه الى وكنت واخبرهم بما وقع فجاء ابو جهل فقالوا له ويلك والله ما رأينا مثل هذا الذي صنعت قط
قال ويحكم والله ما هو الا انه ضرب على بابي فسمعت صوته فملئت رعبا ثم خرجت اليه وان فوق رأسي
لفحلا من الابل ما رأيت مثل هامته ولا قصرته ولا انيابه لفحل قط والله لو ابيت لاكلني وقد تم
رأى ابو جهل اللعين محمدا المصطفى صلى الله عليه وسلم وقد آتاه ما
۴ اي الفحل ابل لم ينج ❀ بفتح ثم ضم او بضم ثم كسر مع تخفيف الجيم ويجوز هنا
لاجل الوزن تشديدها من نجا ينجو وانجى ينجي فهو ناجٍ ومنجٍ منه دون الوفا
لذلك الدين للاراشي النجاء بوزن ضراب مبالغة في ناجٍ فالوفا مقصور ويجوز تخفيف
الجيم مصدرا فالوفا ممدود وفي القاموس نجا نجوا ونجا نجاة ونجاية خلص كنجى واستنجى وانجاه الله
نجاه وعلى هذا الوفا مقصود وعلى كل هو فاعل ينجي ونظيره في المصدر قول الحاجري ملاء الوجد فؤادي
وبرح التبريح اي وذلك الفحل لا ينجي او لا ينجو منه النجاء بالمبالغة اي من تكررت نجاته من الامور
الصعبة الا ان وفي ذلك الدين لا ينجو منه النجاء بالتخفيف اي النجاة الابعد ذلك الوفاء هو
اي الفحل المرائي في هذه الواقعة اي الفحل الذي قد داه من قبل في الواقعة السابقة
في قوله وفات الى اخره لكنْ لا استغراب في ذلك كله لان هذا اللعين ما على مثله
في العتو والتهور السالبين لادراكه والموجبين لهلاكه وهو ابلغ من عليه لانه اثبات الحكم عليه ببينة
على حد مثلك لا يبخل يعدُّ الخطاء لان خطاه لا ينحصر فلا يعدى ما الخطاء
لغة شهيرة تنبيهٌ قد يسئل عن الحكمة في كون ابي جهل منع في هاتين الواقعتين من
ان ينال رسول الله صلى الله عليه وسلم بسوء مطلقا اشد المنع ولم يمتنع من القاء سلا الجزور على ظهره
صلى الله عليه وسلم وهو يصلي قلت كان سر ذلك امهاله حتى تنفذ دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه
وفي امثاله ممن كانوا اشد الناس عليه صلى الله عليه وسلم فيظهر عزه صلى الله عليه وسلم ونصره عليهم للناس

باهلاكهم ببدر وبموتهم في القليب على اخس حالة واقبحها ولو تمكن اللعين من ذلك لم تحصل هذه
الكرامات مكان تمكينه من ذلك الفعل بوعين اهلاكهم وابلاكهم نظائره ومختصر تلك القصة انه صلى الله عليه وسلم
كما في البخاري كان يصلي عند الكعبة وجمع من قريش في مجالسهم اذ قال قائل منهم الا تنظرون الى هذا المرائي ايكم
يقوم الى جزور آل فلان فيعمد الى فرثها ودمها وسلاها فيجيء به ثم يمهله حتى اذا سجد وضعه بين كتفيه و
ثبت صلى الله عليه وسلم ساجدا اي لانه لم يعلم بخصوص ما وضع او تمام ينفل انه اعادها لاحتمال انه كان في نافلة
بل هو الواقع لان هذه الواقعة قبل فرض الخمس ولم يكن فرض من الصلوة يومئذ الا ما في سورة المزمل وهو صلوة
الليل فلما رأوا ذلك ضحكوا حتى مال بعضهم على بعض فانطلق منطلق الى فاطمة وهي جويرية رضي الله عنها فاقبلت
تسعى وثبت صلى الله عليه وسلم ساجدا حتى القته عنه واقبلت عليهم تسبهم فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم
الصلوة قال اللهم عليك بقريش ثم سمى اللهم عليك بعمرو بن هشام وهو ابو جهل وقدمه لانه اشقاهم واشدهم
اذاية له صلى الله عليه وسلم وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عقبة وامية بن خلف وعقبة بن ابي معيط
وعمارة بن الوليد قال عبد الله فوالله لقد رأيتهم صرعى يوم بدر ثم سحبوا الى القليب قليب بدر ثم قال صلى الله
عليه وسلم واتبع اصحاب القليب لعنة وظاهر السياق انه قال ذلك عقب هذا الدعاء فيكون من تمامه وفيه
علم من اعلام نبوته ويحتمل على بعد انه انما قال ذلك عند القائهم في القليب وقول عبد الله بن مسعود رأيتهم
صرعى بالقليب [illegible] فان عمارة انما مات بارض الحبشة لكن على اثر قتله فانه تعرض لزوجة النجاشي
فامر سحرا فنفخ في احليله من سحر عقوبة له فتوحش وصار مع البهائم الى ان مات وكذلك عقبة بن
ابي معيط انما قتل صبرا بالصفراء بعد بدر وامية بن خلف وان قتل ببدر لم يطرح في القليب **و اعدت**
عليهم اي هيئات ام جميل بنت حرب بن امية **حمالة الحطب** لقبت به لانها كانت تحمل الشوك
وتطرحه في طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم هي وزوجها لعنهما الله **الفهر** اي الحجر الذي يملأ
الكف لما انزل الله فيها وفي زوجها تبت يدا ابي لهب السورة والحال انها قد **جاءت** اليه وهو

للنبي

المسجد وابو بكر عنده بذلك الحجر لترميه وهي في غاية الرعدة والعجلة **كانها الحمالة الورقاء**
اي الشديدة الاسراع اي حال كونها شبيهة بها في ذلك فهي حال متداخلة **يوم** ظرف لاعدت
جاءت اي في حال كونها **غضبى** من شدة ما سمعت من ذمها في تلك السورة وفي نسخة غيظا
فهو تمييز والغضب ثائرة منه في طي الفواد يوجبها طرو السبب المحرك لها فان لم يقدر على انفاذ شيء في المغضوب
عليه سمي غيظا كذا قيل وفي القاموس الغيظ الغضب او اشده او سورته اوله وحال كونها **تقول**
افي مثلي وانا ابنت سيد بني مخزوم متعلق بيقال **من احمد** حال من الهجاء **يقال**
الهجاء اي السب والذم ونسبة القول اليه اما حقيقة وهو الظاهر لانهم لا يعتقدون ان القائل لهم
من ابتدائه نعم فيهم فرقة يعتقدون الاله وان اصنامهم تقربهم اليه فان كانت من هؤلاء فمن تعليلية
اي يقول الهجر ذلك لاجله **وتولت** عطف على اعدت **و** الحال انها **ما رأته** وكيف تراه
وهو للقلوب السليمة والعقول المستقيمة كالشمس وهي اعني تلك المرأة من عمى البصيرة وفساد السريرة
ومن اين ترى الشمس مقلة اي عين **عمياء** فلما رآها ابو بكر قال يا رسول الله انها
امرأة بذية فلو قمت قال انها لن تراني فجاءت فلم تره فقالت يا ابا بكر اين صاحبك كيف يهجوني فوالله لو
وجدته لضربت بهذا الفهر فاه والله اني لشاعرة وذكرت هجوا قبيحا فقلت لا وهو لا يقول الشعر فقالت
انت عندي تصدق وانصرفت فقلت يا رسول الله لم ترك فقال لم يزل ملك يسترني منها بجناحه وفي
فقد اخذ الله ببصرها عني وكان صلى الله عليه وسلم يقول الا تعجبون لما يصرف الله عني من اذى قريش يسبون و
يهجون مذمما وانا محمد صلى الله عليه وسلم تتمة قرأ صلى الله عليه وسلم سورة والنجم حتى اذا بلغ افرأيتم اللات والعزى
ومناة الثالثة الاخرى فالقى الشيطان في امنيته اي في تلاوته تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن
لترتجى وفي رواية القى الشيطان على لسانه تلك الغرانيق الاخر فعند سجوده اخر السورة سجد المشركون
معه لتوهمهم مدح الهتهم وفي رواية ما ذكر الهتنا بخير قبل اليوم فسجد وسجدوا فنزلت هذه الاية وما

من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته الآية ففشى ذلك في الناس واظهره الشيطان
حتى بلغ المسلمين بالحبشة فاقبلوا الى مكة ثم لما تبين للمشركين خلاف ذلك رجعوا الى اشد مما كانوا عليه والغرانيق
جمع غرنوق او غرنيق وهو طير الماء شبهت الاصنام لاعتقادهم انها تقربهم من الله تعالى بطيور الماء لكونها تعلوا
في السماء وترتفع تنبيه كثر كلام العلماء في هذه القصة فمن منكر لثبوتها ومبالغ في بطلانها حتى زعم بعض
انه لا اصل لها كعياض والفخر الرازي وسبقهما لنحو ذلك البيهقي وايده بان البخاري وغيره رووا انه صلى الله
عليه وسلم قرأ سورة النجم وسجد معه المسلمون والمشركون والانس والجن ولم يذكروا فيها قصة الغرانيق وبان من
جوز على نبي تعظيم وثن فقد كفر وبانها من وضع الزنادقة والحق خلاف ذلك كله بل لها اصل اصيل
فقد اخرجها من طرق كثيرة جدا ابن ابي حاتم والطبراني وابن المنذر وابن مردويه والبزار وابن اسحق في السيرة
وموسى بن عقبة في المغازي وابو معشر كلها على ذلك كما قاله الحافظ ابن كثير وغيره لكن قال ان طرقها كلها مرسلة
وانه لم يرها مسندة من وجه صحيح انتهى ورد عليه وعلى عياض وغيرهما الحافظ شيخ الاسلام ابن حجر بان طرقها
كثيرة جدا ثلاثة منها رجالها رجال الصحيح وباقيها اما ضعيف واما منقطع وبعضها انفرد بوصله
امية ابن خالد وهو ثقة مشهور فزعم ابن العربي وعياض ان رواياتها كلها لا اصل لها ليس في محله اذ من
القواعد ان الطرق اذا كثرت وتباينت مخارجها دل ذلك على ان لها اصلا وقد ذكرنا ان ثلاثة
اسانيدها منها على شرط الصحيح وهي مراسيل يحتج بمثلها من يحتج بالمرسل وكذا من لا يحتج به لاعتضاد بعضها
ببعض وح يتعين تأويل ما ذكر فيها مما يستنكر كقوله تعالى ألقى الشيطان على لسانه تلك الغرانيق الى
اخره فلا يجوز حمله على ظاهره لانه صلى الله عليه وسلم يستحيل عليه ان يزيد في القران عمدا او سهوا واختلفوا في
تأويله واخرج الطبراني عن قتادة انه اصابته سنة فجرى على لسانه ولم يشعر به فلما علم اظهر بطلانه واحكم اياته
واعترض بان لا ولاية للشيطان عليه في النوم ويجاب بان هذا لا يثبت للشيطان ولاية عليه وانما غايته الا
ان الشيطان لما رآه اصابته تلك السنة حاكى قراءته بصوت يشبه صوته ثم بين الله للناس على لسان رسول

الله

الله ابطال ما وقع من الشيطان حتى لا يغتر به احد ثم رايت من اجاب بما يقرب مما ذكرته وهو ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان يرتل قراءته فارتصد الشيطان سكتة ونطق بتلك الكلمات محاكيا نغمة النبي
صلى الله عليه وسلم بحيث سمعه من دنا اليه منهم فظنها من قوله فاشاعها واستحسن هذا الجواب غير واحد من المحققين
كعياض وابن العربي وايده بما جاء عن ابن عباس من تفسير تمنى بتلا فمعنى في امنيته اي في تلاوته وفي ذلك
اخبار منه تعالى بان رسله اذا قالوا قولا زاد الشيطان فيه من قبل نفسه محاكيا له ثم يبين الله تعالى ابطاله
فعلم ان هذا نص في ان الشيطان زاد في قول نبينا صلى الله عليه وسلم لا ان نبينا قاله وقد سبق الى هذا المعنى الامام
المجتهد ابن جرير الطبري مع جلالة قدره وسعة علمه وشدة ساعده في العلوم فصوبه وارتضاه واما
الجواب بان الشيطان الجاه الى التلفظ بذلك من غير اختيار فمردود بان الشيطان لو قدر على ذلك
لم يمكن احدا من طاعة الله او بانه علق بحفظه لما كان يسمعه منهم من مدح الهتهم فجرى على لسانه سهوا
فهو افسد مما قبله او بانه قاله توبيخا للكفار فهو بعيد وان ارتضاه عياض كالباقلاني فقال هذا
جائز مع قرينة تدل على المراد لا سيما والكلام في الصلاة اذ ذاك كان جائزا او بانه لما وصل الى قوله
الثالثة الاخرى خشوا بان ياتي بذم الهتهم فبادروا بذلك الكلام وخلطوه بتلاوته صلى الله عليه وسلم
على عادتهم في قولهم لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه ونسب للشيطان لانه الحامل لهم عليه وفيه
نوع بعد او بان المراد بالغرانيق الملائكة وكان منهم من يعبدهم زاعمين انهم بنات الله تعالى فيستحق ذكر
الكل ليرد عليهم بقوله ألكم الذكر وله الانثى فلما سمعوه حملوه على الجميع وقالوا قد عظم الهتنا فنسخ الله
تلك الكلمة واحكم اياته فهو ابعد مما قبله **ثم** بعدما وقع له صلى الله عليه وسلم من هذه الكرامات وقع له
كرامة اخرى في غزوة خيبر سنة سبع من الهجرة وهي انه **سمت له** زينب بنت الحارث امرأة سلام
بن مشكم اليهودية الشاة اي جعلت فيها سما قاتلا لوقته لانها شاورت يهودا في سموم فاجتمعوا
لها على هذا السم بعينه فسمت به الشاة جميعها لكنها اكثرت منه في الذراع والكتف لما قيل لها انه

صلى الله عليه وسلم يحب الذراع **وكم** مرات كثيرة **سام** من السم الذي هو مقدمة
الشر فالذي هو الرمي ومن سام وسميت تجنيس شبه الاشتقاق **الشقوة** اي تابع عليها وتجلى بها
الاشقياء الذين صاروا كالانعام بل هم اضل سبيلا منهم تلك المرة وبينهما تجنيس الاشتقاق وقيل
الشرا ان سام وسممت من هذا انساهل وفي البخاري انه صلى الله عليه وسلم لما علم ان فيها سما قال اجمعوا لي من هنا
من اليهود فجمعوا له فسألهم عن اشياء منها من ابوكم قالوا فلان قال كذبتم ابوكم فلان قالوا صدقت وبررت
ثم سألهم من اهل النار قالوا نكون فيها يسيرا ثم تخلفونا فيها فقال اخسئوا فيها والله لا نخلفكم ابدا ثم قال
لهم هل جعلتم في هذه الشاة سما قالوا نعم قال ما حملكم عليه قالوا ان كنت كذابا استرحنا منك وان كنت نبيا لم يضرك
وروى ابو داود انها سمت شاة مصلية ثم اهدتها اليه صلى الله عليه وسلم فاكل منها واكل رهط من اصحابه فقال
صلى الله عليه وسلم ارفعوا ايديكم فارسل الى اليهودية فقال سممت هذه الشاة فقالت من اخبرك قال اخبرتني هذه
الذراع ومن ثم قال **فاذاع** اظهر له صلى الله عليه وسلم **الذراع ما فيه من شر**
اي سم **بنطق** معجزة له صلى الله عليه وسلم كما سيصرح بذلك لعل انه اخبره بالنطق قوله صلى الله عليه وسلم
اخبرتني هذه الذراع **اخفاؤه** عن الحاضرين **ابداء** له صلى الله عليه وسلم اي هو ان خفي عليهم ظهر له
صلى الله عليه وسلم وفيه طباق ثم عفا عنها لما قال لها ذلك صدقته ثم قالت قلت ان كان نبيا فلن يضره وان لم يكن
نبيا استرحنا منه فعفى عنها صلى الله عليه وسلم ولم يعاقبها وتوفي اصحابه الذين اكلوا من الشاة واحتجم صلى الله
عليه وسلم على كاهله من اجل الذي اكل منها وفي رواية لابي داود انها جعلت تسأل اي الشاة احب اليه فقيل
لها الذراع فعمدت الى عنز لها فذبحتها فصلتها ثم عمدت الى سم موح اي يقتل لوقته فسمتها به واكثرت منه في الذراع
والكتف ثم وضعتها بين يديه ومن حضر من اصحابه وفيهم بشر بن البراء فتناول صلى الله عليه وسلم الذراع
فانتهش منها وتناول بشر عظما آخر فازدرد العضة فمات كل القوم فقال صلى الله عليه وسلم ارفعوا ايديكم
فان هذه الذراع تخبرني بانها مسمومة وفيه ان بشرا مات وانه صلى الله عليه وسلم دفعها الى اولياء بشر فقتلوها

الحافظ

الحافظ الدمياطي في رواية انه قتلها يعارضها رواية البيهقي عن ابي هريرة وجابر انه لم يعاقبها ومن ثم قال
ويخلق من النبي كريم بل لا اكرم منه قال الله تعالى له وانك لعلى خلق عظيم اي بسبب ما تحلى
به من كمال الحلم والعفو والصفح **لم تقاصص بجرحها** بواطنهم بذلك السم اذ هو يجرح الباطن
كما يجرح الحديد الظاهر **العجماء** اي المرأة ويقال ايضا للبهيمة وقال الزهري اسلمت فتركها
وفي مغازي سليمان التيمي نحوه وانها قالت استبان الي الان انك صادق واني اشهدك ومن حضر اني على دينك
وان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وجمع البيهقي بانه يحتمل ان يكون تركها اولا فلما مات بشر قتلها به وبذلك
اجاب السهيلي وزاد انه تركها لانه كان لا ينتقم لنفسه ثم قتلها ببشر قصاصا ويحتمل انه تركها لانها اسلمت فلما مات
بشر تحقق بموته وجوب القصاص عليها فقتلت وقوله انه قتلها قصاصا فيه نظر اذ لم ار احدا روى عن الصحابة
انه قتلها قصاصا وانما الوارد انه قتلها وهو يحتمل لكونها نقضت العهد بما فعلته ويدل عليه ما جاء في رواية انه
صلبها اذ لو قتلت قصاصا لم تصلب بل لو فرض انه لم يصلبها لم يكن قتلها بالسيف دليلا للقصاص لان
المماثلة فيه معتبرة فقياسها ان يقتلها بسموم كما ان اليهودي الذي رض رأس الجارية بحجر امر به صلى الله عليه وسلم
فرض رأسه بمثل ذلك بحجر ايثارا للمماثلة المقصودة من شرعية القصاص لا يقال الصلب لا يدل على انتفاء
القصاص لان للامام ان يصلب من يريد قتله اذا رأى ذلك زجرا وتنكيلا لانا نقول ليس للامام الصلب
قبل القصاص كما يصرح به كلام ائمتنا لما تقرر ان المدار فيه على المماثلة ما امكن فلا يجوز للامام الزيادة عليها
ولا النقص منها ولم ار احدا من ائمتنا ولا من غيرهم جوز الصلب لغير قاطع الطريق فمن ادعاه فعليه البيان
بغير محل النزاع الذي نحن فيه فان قلت يرد على هذا الحصر لان هذه غير قاطعة طريق وصلبت قلت
الذمي اذا نقض العهد يلحق بقاطع الطريق في احكام لا يبعد ان منها على ان ذلك صار كحربي واحكام الحربيين
لا يقاس بها احكام المعصومين فان قلت قولكم لان المماثلة الى آخره انما ياتي على القول بتعينها في القود اما
المخير بينها وبين السيف فيما ليس بمحرم والمخير بينها وبين السيف في القتل بسموم فلا يتاتى عليه ذلك

البحث قلت بل يتاتى على التخيير ايضا لان القتل بالسيف لا يعين القود لانه يحتمله ويحتمل انه لنقض العهد
والمتبادر انما هو ان قتلها بالسيف لا يدل على خصوص كونه قودا وتاخير قتلها الى موت بشر لا يدل على القود [ذلك]
ايضا لاحتمال انه ليتحقق عظيم جنايتها وبهذا كله يعلم ان ما في هذه القصة من قتلها بتقدير صحته لا يرد على
ائمتنا من اضاف انسانا فقدم له طعاما مسموما فاكل منه فمات به لا قود عليه لانه تناوله باختياره [المضيف لم]
يلجئه الى الاكل وذلك لانه لم يثبت انه قتلها بقيد كونه قودا وبهذا الذي قررته يعلم تحقيق الناظم حيث نفى [القصاص]
مع اطلاعه على الروايات المثبتة له في ذلك فان قلت لا نسلم ان نفيه لذلك بل لان ثبوته بقيد كونه قصاصا
لم يصح والاصل عدمه قلت هذا يحصل منه ما ذكرناه ايضا لان ثبوته اذا لم يصح من اصله او بذلك القيد فلا
دلالة فيه للخصم بوجه وتعلق من النبي الكريم **مَنّ** فهو معطوف بحذف حرف العطف على لم تقاصص
خلافا لما يوهمه كلام الشارح انه استيناف اي انعم نعمة عظيمة **فَضْلاً** مفعول مطلق كفرحت جذلا
او مفعول لاجله وهو الاولى لان المراد بالمن هنا ما ذكره الله تعالى بقوله عز وجل فَاِمَّا مَنًّا بَعْدُ و
اِمَّا فِدَآءً فمن تخلية سبيلهم بعد ان ملكهم المسلمون اعم من رفع الرق عنهم لاجل فضله اي احسانه العام عليهم
على غيرهم بلا عوض وعلى هذا فمعنى هذه العلة والعلة التي تليها المستفادة من اذ انه منّ معلل [بشيئين]
عموم احسانه عليهم وعلى غيرهم وخصوص كونه ربي فيهم وعليه فحرف العطف سقط الثبوت ويصح ان يكون
الثانية علة للاولى وابهامه تحرفضله عليهم غيرهم فلانه لم يرد مطلق الفضل بل فضله يتعلق بهم [سواء]
ملق على هوازن بمن او بفضلا اكتفاء بقرينة السياق **عَلَى هَوَازِنَ** قبيلة حليمة
السعدية رضي الله عنها وهم اهل الحنين المذكور في القرآن وهو واد قريب من ذي المجاز السوق المشهور
من اسواق الجاهلية بناحية عرفة بين ذلك الوادي وبين مكة نحو ثلث ليال غزاهم صلى الله عليه وسلم
عقب فتح مكة لما اتفقت اطراف هوازن وثقيف على حربه صلى الله عليه وسلم فخرج اليهم سادس شوال [سنة]
ثمان في اثني عشر الفا عشرة جاء بهم والفان من طلقاء مكة فلما هزمهم صلى الله عليه وسلم قسم الكائنة

وامر

وامر ان يجعل سبي هوازن وغنائمهم بالجعرانة حتى ياتي اليهم وكان السبي هو النساء والذراري ستة الاف
راس والابل اربعة وعشرين الفا والغنم فوق اربعين الفا واربعة الاف اوقية فضة ولما رجع صلى الله عليه وسلم
من الطائف انتظر هوازن بضع عشرة يوما ليقدموا عليه مسلمين ثم اخذ في قسمة الغنائم فجاء اسلمين فقالوا
يا رسول الله انا اهل وعشيرة وقد اصابنا من البلاء ما لم يخف عليك فامنن علينا من الله عليك وقام
رجل من فخذ حليمة فقال يا رسول الله انما في الحظائر عماتك وخالاتك ومن الرضاع لا في قرابات [حليمة]
وحاضناتك اللاتي كن يكفلنك ولو انا ارضعنا للحارث بن ابي شمر او النعمان بن المنذر ثم نزل بنا
بمثل الذي نزلت فيه رجونا عطفه وانت خير المكفولين فقال لهم صلى الله عليه وسلم ان احسن الحديث اصدقه
ابناؤكم احب اليكم ام اموالكم فقالوا ابناؤنا ونساؤنا فقال اما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم واذا
صليت الظهر بالمسلمين فقوموا فقولوا انا نستشفع برسول الله صلى الله عليه وسلم الى المسلمين وبالمسلمين الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم في ابنائنا ونسائنا فساعطيكم عند ذلك واسئلكم ففعلوا ذلك فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم فقال المهاجرون وما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله
عليه وسلم وقالت الانصار مثل ذلك وامتنع بنو تميم وبنو فزارة وعباس بن مرداس عن بني سليم فوعدهم صلى الله
عليه وسلم من اول سبي يصيبه بما طابت به نفوسهم فرد ما من بقي عندهم وعوض رسول الله صلى الله عليه وسلم
عليها كذلك **اِذْ** اي لاجل انه صلى الله عليه وسلم **كَانَ لَهُ قَبْلَ ذَاكَ** اي وهو طفل
فِيهِمْ رِبَآءُ بفتح الراء والمثناة تحتية من ربوت من بني سعد وربيت فيهم اذ انشأت بينهم [حول]
باعتبار ما وصل اليه من لبن حليمة وتربيتها تنبيه جعل الناظم اذ تعليلية خلاف ما عليه الجمهور قالوا
او لا دليل في وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ اِذْ ظَلَمْتُمْ الاية لان التقدير بعد اذ ظلمتم وعلى الاول هل هي حرف بمنزلة
لام العلة او ظرف بمعنى وقت والتعليل مستفاد من قوة الكلام لا من اللفظ قولان المنسوب الى سيبويه
الاول وعلى الثاني في الاية اشكالات ليس هذا محل بسطها وترد اسما للزمن الماضي وهو الغالب ثم

قال الجمهور لا يكون الا ظرفا او مضافا اليها الظرف نحو قوله تعالى يومئذ تحدث اخبارها وقال الاقلون تكون

مفعولا بها نحو قوله تعالى واذكروا اذ كنتم قليلا وكذا المذكورة اوائل القصص كلها بتقدير اذكروا بدلا منه

بدل اشتمال او بدل من كل وردّه الجمهور بان المفعول او المضاف اليه محذوف وزعم الزمخشري انها تكون في

محل المبتدا ثم انفرد بعض الكوفيين مع بعدها المستقبل نحو قوله تعالى فسوف يعلمون اذ الاغلال في

اعناقهم لا استقبال يعلمون لفظا ومعنى واجيب بانه من تنزيل المستقبل الواجب الوقوع منزلة الماضي

وَاَتَى ذلك السَّبْيُ اصله الاسر والمراد هنا المسبي اي المأسورون الى الجعرانة بامره صلى الله

عليه وسلم كامر ليقسمه فيها على المسلمين وكان ذلك السبي فِيهِ اُخْتُ النبي صلى الله عليه وسلم من

رِضَاعِ واسمها الشيماء كامر ولما شق عليها عنف سبيها قالت والله اني اخت صاحبكم

فاتوا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله اني اختك قال وما علامة ذلك قالت عضة

منك في ظهري فعرفها لكن وَضَعَ اي خفض الكُفْرُ القائم بها قَدْرَهَا ولله

وضع قدرها السِّبَاءُ اي الاسر القائم بها فاضمحل في جنب ذكرها ذين بانها من اخوته

صلى الله عليه وسلم كما اضمحل في جنب الكفر ما في نحو ابي طالب من العمومة والتربية ومنع من العداوة بكل طريق امكنه

ثم من الله عليها بالاسلام وبمعرفته صلى الله عليه وسلم فَحَيَّاهَا اي اعطاها ما لم يكن في حسبانها

وجاد على قومها لاجلها بِرًّا اي لاجل بره لها اذ رحم الرضاع كرحم النسب ويجوز ان يكون هو المفعول

الثاني ومن ثم بدل من قوله بسط الى اخره كما ياتي ومما بسط لها رداءه واجلسها عليه وخيرها وقال ان

احببت فعندي محببة مكرمة وان احببت ان امتعك وترجعي الى قومك فعلت فاختارت قومها

فمتعها وزاد في الاحسان اليها كما هو شانه ورددها الى قومها واعطاها غلاما له يقال له مكحول وجارية

فزوجته بها فلم تزل فيهم من نسلهما بقية تَوَهَّمَتِ النَّاسُ الذي كما ذلك البر اي وقع

في وهمهم اي ذهنهم واسناده ذلك اليهم باعتبار ما من شانه بِهِ اي بسبب ذلك البر الذي وصل اليها

من

من انما بفتح العمزة ادا تحصر كسرتها السِّبَاءُ اللاتي معها وبينه وبين الناس الجناس

المقلوب هِدَاءُ بالكسر مصدر هديت المراة الى زوجها اي مهديات كرجل عدل والجملة في محل مفعول

توهمت الثاني اي توهمت ان النسوة اللاتي معها في السبي لم يسبين لعظيم ما قابلهن به من الاكرام و

انما جئن لاهداء عروس وجاءت بها اليه صلى الله عليه وسلم لا لكونهن مسبيات لان ذلك الاكرام انما يفعل

مثله للنساء المهديات عروسا لا للنساء المسبيات تَنْبِيهٌ استعمال الناظم انما هذه في

فيه الزمخشري والبيضاوي من غيرهما وجعل الاولان منه قوله تعالى قل انما يوحى الي انما الهكم

اله واحد فقالا انها لقصر الحكم على شيء او لقصر الشيء على حكم نحو انما زيد قائم وانما يقوم زيد وقد

في هذه الاية لان انما يوحى الي مع فاعله بمنزلة انما يقوم زيد وانما الهكم بمنزلة انما زيد قائم وفائدة

اجتماعهما الدلالة على ان الوحي اليه صلى الله عليه وسلم مقصور على استئثار الله تعالى بالوحدانية وقول ابي

حيان يلزم الزمخشري انحصار الوحي في الوحدانية مردود بانه حصر مجازي باعتبار المقام ومن جملة ذلك

البر انه لَبَسَطَ فهو بدل منه كما مر ويصح كونه حالا من حيا الْمُصْطَفَى صلى الله عليه وسلم لها

مِنْ الظاهر انها زائدة على مذهب الاخفش وجماعة رِدَاءٍ كان عليه اي نشره وجعله لها وانما

لتجلس عليه ويصح جعل من للتبعيض فيكون صلى الله عليه وسلم بسط لها بعضه لتجلس عليه والاول اقرب

ومعلى كل فهنيئا لها ذلك الاكرام كيف وهو رداء اَيُّ فَضْلٍ اي شرف عظيم لا غاية له حَوَاهُ

اي جمعه ذَاكَ الرِّدَاءُ بمماسته بجسده الشريف صلى الله عليه وسلم وما فهم هذا التقرير من

ان اي فضل الى اخره جملة نعت لرداء ومن زائدة او بعضية هو المتبادر كما لا يخفى ويصح ان اي مفعول

بسط وان فضل بمعنى فضله ومن تبعيضية وانه على حاله ومن تعليلية داخلة على مضاف اي نشر لها من

اجل فرشه رداء لها فضلا عظيما حواه ذلك الرداء اي تميز الظاهر على بقية نساء هوازن وفي الرداء

رد العجز على الصدر فَغَدَتْ اي صارت متدرجة فِيهِ اي في ذلك الفضل و

الحال انما هي سيدة اولئك النسوة اللواتي معها من سبي هوازن لما حصل لها
من التمييز الباهر عليهن و ان اولئك النسوة اللواتي هن السيدات قبل اسرهن فيه
اي ذلك الفضل اماء اي صارت كانها سيدتهن وكانهن مع كونهن سيدات اماء لها اذ بين
السيدات والاماء تباين وهذه جملة مؤكدة للجملة الاولى التي هي حال من فاعل غدت كما علم مما قررته
ولما ذكر ما اختص به صلى الله عليه وسلم من الفخر والترقي الى ما لم يصل اليه مخلوق وما يتعلق بذلك من صفات
ينقطع اعناق الاطماع عن ان تمتد اليها وخصال لم تحصل امال الكمال الا عليها طلب من كل سامع ان
مشاهدة رؤيته ان ينزه سمعه بالاصغاء الى صفات ذاته ومعانيه فقال فتنزه قال الشارح
هو من قولهم خرجنا نتنزه في الرياض انتهى وكانه جرى في ذلك على العرف اذ التنزه كما في القاموس
التباعد ثم قال وارض نزيهة بعيدة من الريف اي الخصب والنزوع وعفن المياه وذباب القرى وملح
البحار وفساد الهوى ثم قال واستعمال التنزه في الخروج الى البساتين والخضر والرياض غلط قبيح فالاحسن
ذكر من الكلام عليها في تلك ذات العلوم ومعانيه اي صفاته الخارجة عن اوصاف ذاته
استماعا اي من جهة اصغائك الى استماع اوصاف ذاته وجميل صفاته الاتية في هذا النظم الجامع
البديع وبين ذاته ومعانيه جناس المقابلة كما بين الاستماع والاجتلاء الاتي ان عز اي فقد
منها متعلق بقوله اجتلاء من جلوت العروس جلاء وجلوة واجتليتها اذا
نظرت اليها مجلية اي مكشوفة مزينة اي ان فاتك رؤية ذاته الكريمة ومشاهدة صفاته العلية فلا تفوتك
تقريع سمعك لما يتلى عليك من اوصاف ذاته وعلى صفاته وبه يظهر ان من زائدة في الايجاب وهو ما
اجازه جماعة مخرجا عليه قوله تعالى ولقد جاءك من نبإ المرسلين يحلون فيها من اساور من
ذهب جبال فيها من برد يغضوا من ابصارهم وفيه نظر لامكان نحو التبعيض فلا زيادة فتامله ولا
تقتصر على سماعك القليل من ذلك بل املأ السمع بان تكثر من سماع ذلك حتى لا تفرغ

ان السمعة من شيء محسوس وان سمعك اناء واسع لملامة ذلك المسموع من محاسن
اشتمل عليها صلى الله عليه وسلم لا يلحق احد اثارها ولا يسبق كامل عبارها وهو جمع على غير قياس لان مفرده
حسن لا محسن الا تقديرا تمليها من املية الكتاب ميم الملة عليك من مثل
القصيدة وغيرها الانشاد لما من شجي الصوت قائم الاعراب فقد قالوا من اقوى الاسباب
الباعثة على محبته صلى الله عليه وسلم سماع الاصوات المطربة بالانشادات بالصفات النبوية المعربة اذا
صادفت محلا قابلا فانها تحدث للسامع شكرا واريحية وطربا وذلك يحدث عندها اللتين احداهما
انها في نفسها توجب لذة قوية ينغمر فيها العقل الثاني تحرك النفس الى جهة محبوبها فيحصل بتلك الحركة
والشوق تخيل المحبوب واحضاره في الذهن وقرب صورته في القلب واستيلاؤها على الفكر وفي هذا
من اللذة ما يغمر العقل لاجتماع لذة الالحان وكثرة الاشجان فيحصل للروح ما هو اعجب من سكر الشراب
ما قوي في اللذة من عناق الشباب وقد ذكر الامام احمد وغيره ان الله تعالى يقول لداود في الجنة مجد
بذلك الصوت الذي كنت تمجدني به في الدنيا فيقول كيف وقد ذهب فيقول انا ارده عليك فيقوم
عند ساق العرش ويمجده فاذا سمع اهل الجنة صوته استفرغ نعيم اهل الجنة واعظم من ذلك اذا سمعوا
كلام الرب جل جلاله وخطابه لهم لا سيما ان انضم الى ذلك رؤية وجهه الكريم فان لذة ذلك تغني
عن الجنة ونعيمها جلالا تدركه العبارة ولا تحيط به الاشارة والانشاء من انشاد الشعر
الوالد اليها مجاز وبينهما الجناس اللاحق ومما يحملك على استفراغ وسعك في ذلك التنزه والملء
السمع من تلك المحاسن انه يجب عليك ان تعتقد ان محاسن ذاته وكمال صفاته لا يمكنك ان تحيط بها كيف
كل وصف له من صفاته الذاتية والمعنوية ابتدات انشاء ما انا به
في الذكر او ابتدات بذكره لتحيط بغايته استوعب اخبار الفضل مفعول مقدم اي جميع
اخبار الفضائل والكمال منه متعلق بقوله ابتداء اي ابتدات كل ما يوصف له

صلى الله عليه وسلم وتأملت ما اشتملت عليه صريحا وايماء جمع ذلك الوصف المبتدا جميع انواع الفضل
وغايات الكمال ولا يستبعد ذلك فان كل وصف من اوصافه صلى الله عليه وسلم اخذ بحجز بقية تلك الاوصاف
اذ لا يستحق كمال وصف من صفات الانسان كالحلم مثلا الا ان كمل في بقية اوصافه كالعلم والكرم والشجاعة
والخلق الحسن وغيرها وحينئذ فكل من صفاته تدل على ما وضع له مطابقة وعلى ما عداه منها ايماء واشارة كما
لا يخفى على من تدبر ذلك وتأمله وبهذا التحقيق الذي تنبه له الناظم يعلم انه سقى الله عهده نائب النظر
كامل المعرفة متضلع من العلوم والمعارف وليس ذلك بكثير على من حل عليه نظر القطب الكبير والعلم الشهير
العابد المربي وارث ابي الحسن الشاذلي قدس الله سرهما ونور ضريحهما وبما قررته في شرح هذا
البيت يعلم انه من غرر ابيات هذه القصيدة وانه لا نظير له في ذلك فالتاج وانه يجب عليك ان
تعتقد ايضا ان من تمام الايمان به صلى الله عليه وسلم الايمان بان الله تعالى اوجد خلق بدنه الشريف
صلى الله عليه وسلم على وجه لم يظهر قبله ولا بعده في آدمي مثله ومن ذلك ان محاسن الذوات دليل على
ما بطن فيها من بدائع الاخلاق وجلائل الصفات ونبينا صلى الله عليه وسلم قد بلغ الغاية التي لم يصل
غيره في كل منهما بشيء ومن ثم قال الناظم في بردة المديح فهو الذي تم معناه وصورته البيتين
ان حقيقة الحسن الكامل كملت فيه وحده ولم تنقسم بينه وبين احد غيره لانه الذي تم معناه دون
غيره ولو شورك لم يتم معناه قيل وما احسن قول بعضهم لم يظهر لنا تمام حسنه والا لما اطاقت اعيننا
النظر اليه وبين ابتدائه وابتدائه جناس الاشتقاق **تنبيه** شرح الناظم ببيان تمام معناه
جمالاً وباقي ولم يشرح تمام حسن ذاته كذلك وانما اشار لذلك بقوله برقية وجه الى اخره ضحكه
التبسم الى اخره او بتقبيل راحته الى اخره فتعين علينا ان نشير الى شيء من ذلك بابسط مما اشار اليه
فنقول اما وجهه الشريف فصح عن البراء كان احسن الناس وجها واحسنهم خلقا وعن ابي هريرة ما رايت
شيئا احسن منه كان الشمس تجري في وجهه وعن البراء انه قيل له اكان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم

كالسيـ

كالسيف قال لا بل كالقمر اي لم يكن كالسيف في الطول ولا في اللمعان بل كالقمر في التدوير وفوقه
لمعان السيف وصح عن جابر بن سمرة لم يكن كالسيف بل كالشمس والقمر وكان مستديرا فنبه
بهذا انه جمع بين الحسن والملاحة والاشراق والاستدارة وجاء عن علي لم يكن بالمطهم اي شديد استدارة
الوجه بل فيه تدوير قليل وهو احلى عند العرب وهو معنى قول ابي هريرة كان اسيل الخدين اي فيهما
طول مسك ومن ارتفاع الوجنة وتشبيه غير واحد لوجهه بشقة القمر اي عند التفاته وقيل احترازا
عما في القمر من السواد ويرده تشبيه ابي بكر وغيره له بدارة القمر وفي النهاية انه كان اذا سر صار وجهه
كالمرآة فترى خيال الجدر فيه وفي رواية بنت الربيع وجهه لو نظرت القمر ليلة البدر وانما كان الاكثر تشبيهه
بالقمر دون الشمس لان من شاهده بنظره كمال النظر ويتأنس به ولا يتأذى منه بخلاف الشمس في
الكل ولذا كان من اسمائه صلى الله عليه وسلم البدر ومن ثم قال الخارجون لملاقاته عند هجرته من ثنيات
طلع البدر علينا من ثنيات الوداع ثم هذه التشبيهات جرت على عادة العرب والا فلا محدث يعادل
صفاته الخلقية كالخلقية واما بصره فيكفيك ما زاغ البصر وما طغى وصح عن ابن عباس كان يرى بالليل
في الظلمة كما يرى بالنهار في الضوء وصح انه كان في الصلاة يرى من خلفه كما يرى من امامه اي رؤية ادراك
كهي بالبصر اذ الرؤية الواقعة على جهة الكرامة لا يتوقف عليه ولا على شعاع ولا على مقابلة عند اهل السنة
وما قيل كان له عينان بين كتفيه كسم الخياط يرى بهما ولا يحجبهما الثياب لم يثبت ما يدل عليه والا
عد من كرع ان صور من هم كانت تنطبع في قلبه اوانه رؤية قلب او ان المراد بها العلم بوحي او الهام وحديث
اني لا اعلم ما وراء جداري لم يعرف له سند وانما ذكره ابن الجوزي في بعض كتبه بلا اسناد وبفرض وروده
فهذا مما نحن فيه لان المنفي علم الغيب بما وراء الجدار حيث لم يعلمه بوحي او الهام ومن ثم لما ضلت
ناقته وقال بعض المنافقين يزعم علم الغيب قال والله اني لا اعلم الا ما علمني ربي وقد دلني ربي
عليها وهي في موضع كذا حبستها شجرة بخطامها فذهبوا فوجدوه هكما اخبر صلى الله عليه وسلم وبفرض

التعارض فيما مرّ في حالة الصلوة وهذا خارجها وجاء انه كان اذا التفت جميعًا اى لا يسارق النظر
ولا يلوى عنقه يمنة ولا يسرة كالطائش الخفيف وانّ جلّ نظره النظر بالملاحظة وهو جانب العين الذى
يلى الصدغ في بياض العين وانه عظيم العينين اهدب الاشفار مشرب العين بحمرة وروى سلم اشكل العينين
والشكلة الحمرة في بياض العين وهى محمودة والشهلة حمرة فى سوادها وفى رواية ادعج العينين اى شديد
سوادهما اهدب الاشفار اى طويلهما واما سمعه فحسبك فيه خبر الترمذى انى ارى ما لا ترون و
اسمع ما لا تسمعون واطّت السماء وحقّ لها ان تاطّ ليس فيها موضع اربع اصابع الا وملك واضع
جبهته ساجد لله تعالى وفى رواية لابى نعيم وحاتم واما شعره فصح انه كان بين شعرين لا رجل اى
بفتح فكسر وهو ما ينكسر قليلا ولا سبط ولا جعد قطط كان بين اذنيه وعاتقه وانه رجل ليس بالسبط
والجعد ولا تخالف لان فيه رجولة قليلة فالاولى لنفى كثرها وانه الى شحمة اذنيه وانه الى
انه الى الكتفين ولا تخالف ايضا لانه ربما نزل تقصيره فيطول وربما تداركه فيقصر وكان ان انفرق
الا تركه معقوصًا ولعل هذا كان اولى والا فالذى صح انه كان يسدل اى يرسله ثم فرق ثم ثبت
العلماء قالوا الفرق سنة لانه الذى رجع اليه صلى الله عليه وسلم وكان فى عنفقته وصدغيه شعرات بيض
دون عشرين وانما لم يكثر فيه مع انه نور لرواية ما شانه الله بالشيب لان النساء يكرهنه غالبا ومن كره
منه صلى الله عليه وسلم شيئا كفر واختلفت الروايات فى تغييره صلى الله عليه وسلم الشيب بنحو الحناء ولا تخالف
لانه فعله كثيرا وتركه اكثر ومن ثمه كان سنة عندنا وصح انه كثير شعر اللحية وجاء انه كان يكثر دهن
وتسريح لحيته وكان اشعر اليدين والمنكبين واعالى الصدر ولم يرد انه حلق رأسه فى غير حج او عمرة
وروى انه كان ياخذ من عرض لحيته وطولها غريبة بخلاف رواية اعفوا اللحى ومن ثمه اخذ بها ائمتنا
وورد انه كان ينظر فى المرآة اذا سرح لحيته وانه كانت له مكحلة يكتحل منها بالاثمد فى كل عين ثلاثة
قبل النوم واما جبينه وحاجباه وانفه ورأسه فقد جاء انه واضح الجبين مقرون الحاجبين اى
متصل

متصل وانه غير متصلهما ورجح ابن الاثير وقد يجمع بانهما كانا كالمتصل فى رواية سابقين كما فى رواية اخرى
دقيقين فهما مع كثرة شعرهما فيهما سبوغ الى اخر العين ودقة فى طرفيهما فلكثرة شعرهما يريان
من بعيد كانهما متصلان فى الحقيقة كذلك وصح انه ضخم الرأس ضخم الكراديس اى رءوس العظام
وجاء انه صلى الله عليه وسلم اقنى الانف اى طويله مع دقة ارنبته وحدب فى وسطه فيحسبه بعضهم بانه
سائل مرتفع وسطه وانه دقيق العرنين اى اعلى الانف وان له نورا يعلوه يحسبه اشم اى طويل قصبة الانف
واما فمه فقد صح انه واسعه يفتتح الكلام ويختمه باشداقه اى لسعة فمه والعرب تمتدحه وتذم
ضده وانه صلى الله عليه وسلم اشنب اى لاسنانه غاية البريق واللمعان وانه اذا تكلم رؤى كالنور
يخرج من ثناياه وانه مفلج الاسنان اى متفرقها وفى رواية انه صلى الله عليه وسلم مفلج الثنيتين اى
اكثر من البقية والمرتبة فقد صح انه يوم خيبر تفل فى عين على كرم الله وجهه وكان برمد فبرئ منه
لوقته واعطاه الراية ففتح الله على يديه وجاء انه مج فى بئر ففاح منها رائحة المسك وانه بزق فى
اخرى فلم يكن فى المدينة اطيب ماء منها وانه صلى الله عليه وسلم كان يوم عاشوراء يبصق فى فم رضعائه
ورضعاء فاطمة ويمنعهن عن رضاعهم فيجزيهم ريقه الى الليل وانه مضغ قطعة لحم واعطاها
لنسوة فمضغتها كل منهن ولم يوجد لهن بعد ذلك ريح خلوف واما فصاحة لسانه وجوامع
كلمه وبديع بيانه وحكمه فامره اظهر من ان يذكر واشهر من ان ينشر كيف وقد استولى فى كل
ذلك الغاية التى لم يبلغها مخلوق حتى قال بعض العلماء ان كلامه معجزة كالقران واما صوته
فروى ابن عساكر خبرها بعث الله نبيا قط الا بعثه الله حسن الوجه حسن الصوت حتى
بعث الله نبيكم صلى الله عليه وسلم فبعثه حسن الصوت والبيهقى خطبنا صلى الله عليه وسلم حتى
اسمع العواتق فى خدورهن وابو نعيم انه صلى الله عليه وسلم قال للناس يوم الجمعة على المنبر
اجلسوا فسمعه عبد الله بن رواحة وهو فى بنى غنم فجلس مكانه وابن سعد انه خطب

نفخ الله اسماعهم فسمعوه وهم بمنازلهم واما ضحكه صلى الله عليه وسلم فعادة سَيِّدِ
العالمين الاولين والاخرين كما مر مبسوطا اول الكتاب **ضَحِكُهُ** اى الذى يظهر به سروره
هو **التَّبَسُّمُ** كما رواه البخارى عن عائشة ما رايته مستجمعا قط ضاحكا اى مقبلا على الضحك
بكليته انما كان يتبسم انتهى ولا ينافيه خبر البخارى ايضا فى المواقع اهله فى رمضان فضحك حتى
بدت نواجذه وهى بالجيم والذال المعجمة للاضراس وهى الانياب وهى لا تكاد تظهر الا عند
المبالغة فى الضحك لان عائشة انما نفت رؤيتها وذلك لا ينافى وقوع غير التبسم منه نعم النبى
دل عليه مجموع الاحاديث ان الاكثر اوقاته هو التبسم وربما ضحك والمكروه انما هو الاكثار و
الافراط من الضحك سواء كان معه قهقهة ام لا ومن ثم روى البخارى فى ادبه وابن ماجه النهى
عن كثرته وانه يميت القلب والفرق ان التبسم مبادى الضحك من غير صوت والضحك انبساط
الوجه حتى يظهر الاسنان من السرور مع صوت خفى فان كان فيه صوت يسمع من بعيد فهو
القهقهة واما بكاؤه فانه كان من جنس ضحكه لم يكن بشهيق ولا برفع صوت ولكن
تدمع عيناه حتى تهملان ويسمع لصدره ازيز اى غليان يبكى رحمة لميت وخوفا على امته
وشفقة من خشية الله وعند سماع القران واحيانا فى صلوة الليل وجاء انه صلى الله عليه وسلم
حُفِظَ من التثاؤب بل جاء ان كل نبى كذلك واما يده فقد وصفه غير واحد كما فى عدة طرق
بانه شثن الكفين اى غليظ اصابعهما وبانه عبل الذراعين رحب الكفين ووصف ايضا
بان يده الين من الحرير والديباج وابرد من الثلج واطيب ريحا من المسك ولا ينافى هذا اللين
ما مر انفا لانه يجمع مع لين الجلد غلظ العظام وقوتها وفسر الاصمعى الشثن بغلظ فى خشونة
ورده بل نقل ابن خالويه عنه انه قيل له ورد فى صفته صلى الله عليه وسلم انه لين الكفين فاقسم
ان لا يفسر شيئا فى الحديث وبتسليمه فهو صلى الله عليه وسلم كان ربما حصلت له خشونة فى كفيه

من

من جهاد او عمل فى مهنة اهله وتفسير بعضهم له بغلظ الاصابع مع قصرها ترده ما جاء انه كان
سائل الاطراف فالتحقيق ان الشثن الغليظ من غير خشونة ولا قصر وروى الحاكم وغيره انه صلى الله عليه وسلم
مسح بكفه الدم من وجه وصدره من جراح فى وجهه فكان اثر يده الشريفة غرة
سائلة كغرة الفرس وصح انه مسح راس ولحية ابى زيد الانصارى ثم قال اللهم جمله فبلغ بضعا
ومائة سنة وما فى لحيته بياض ولا فى وجهه انقباض وروى احمد وغيره انه مسح راس حنظلة بيده
وقال بورك فيك فكان يمسح بمحل يده صلى الله عليه وسلم الورم فيذهب واما ابطاه فكانا ابيضين
كما جاء عن عدة من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم لكن يعارضه الرواية الصحيحة كنت انظر
الى عفرة ابطيه والعفرة بياض ليس بالناصع وقد يجمع بحمل البياض فى الاول على البياض الغير الناصع
وذكر بعضهم انه لا شعر بابطيه ورد بانه لم يثبت بوجه وكان يسيل منهما مثل ريح المسك وكانت له
مسربة وهى خيط الشعر الذى بين الصدر والسرة بل فى رواية له شعرات من لبته الى سرته تجرى
كالقضيب ليس على صدره ولا على بطنه غيره واما بطنه وظهره فجاء انه مفاض البطن اى واسعه وقيل
مستوى الظهر مع الصدر وان بطنه كالقراطيس المثنى بعضها على بعض وانه بعيد ما بين المنكبين
اى عريض الصدر واما قلبه فهو اول قلب اودع الاسرار الالهية والمعارف الربانية لانه اول الخلق
كما مر وصورته آخر صور الانبياء صلى الله عليه وسلم اجمعين وسلم فهو اولهم واخرهم فى حيازة
اعلى الكمالات الخلقية والخلقية ومما ينبئك بان قلبه اودع ما لم يودع غيره فكرر شقه واخراج
حظ الشيطان منه كما مر ذلك مبسوطا فى مبحث رضاعه صلى الله عليه وسلم ومحاسنه الظاهرة التى
هى اعلام على الاخلاق الباطنة فكانت تلك لم يساوه فيها مخلوق فكذلك هذه واما جماعه فقد
صح عن انس كنا نتحدث انه اعطى قوة ثلاثين رجلا فى الجماع وروى الاسمعيلى قوة اربعين زاد
ابو نعيم عن مجاهد كلهم من رجال اهل الجنة والرجل من اهل الجنة يعطى قوة مائة كما صححه ا

وقال عن زينب واربعون في امرأة باربعة آلاف ومع ذلك كان على غاية من تقليل الغذاء المخترق للعادة في الاصح ولم يحتلم قط وكذا الانبياء لانه من الشيطان لكن ظاهر قول عائشة يصبح
صائماً جنباً من جماع غير احتلام انه يحتلم وبتسليمه فالاول محمول على ما اذا كان عن رؤية وقاع لان
هذا هو الذي من الشيطان بخلاف مجرد نزول المني في النوم وانا فقد صلى الله عليه وسلم فجاء من غير واحد
انه شثن القدمين اي غليظ اصابعهما وكانت سبابة قدميه اطول من بقية اصابعهما ومن روى ذلك
في اليد فقد غلط كابنية غير واحد وكانت خنصرهما متظاهرة وكانا الاخمص لهما اي ليس في باطنهما
كبير انخفاض بحيث ولا يطأ كله فهو معتدل الخمص ومعنى رواية مسيح القدمين ان فيهما مع
ذلك ليناً وملاسة دون تكسر وتشقق واما طولهما فكان ربعة لكنه الى الطول اقرب كما جاءت به
الاحاديث الكثيرة وفي حديث ما يفيد ان هذا ان مشى وحده ومع قصيرها والا طال على من ماشاه
وهو يكسب الى الطول بل لو اكتنفه طويلان طالهما فاذا فارقاه نسب الى الربعة واما مشيه فقد
صح عن علي كرم الله وجهه انه اذا كان مشى تكفى تكفياً كانما ينحط من صبب وفي رواية عنه كان
اذا مشى تقلع والتقليع والانحدار من الصبب قريب المراد انه كان يستعمل التثبت ولا يبين
منه في هذه الحالة استعجال ومبادرة بالمشي وهذا هو مراد الناظم بقوله والمشي الكائن
منه الهوينا تصغير الهون وهو السكينة والوقار للتعظيم نحو وكل اناس سوف تدخل
بينهم دويهية تصفر منها الانامل وقد مدح تعالى من يمشون كذلك فقال عز وجل وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا ولا ينافي ذلك رواية الترمذي عن ابي هريرة
ما رايت اسرع من مشية رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت الارض تطوى له انا لنجهد انفسنا وهو غير مكترث
لان عجزهم عن لحوقه ليس لانه كان يجهد نفسه في المشي كما يدل عليه قوله غير مكترث بل لانه كان
يبارك له في مشيه كما يدل عليه قوله كانت الارض تطوى له فهو مع هون مشيه لا يلحق ومعنى رواية

ذريع المشي اي واسع الخطوة وقال ابن القيم في رواية كان اذا مشى تقلع تقلع الارتفاع من
الارض بجملته كحال المنحط في الصبب وهي مشية اولي العزم والهمة وهي اعدل المشيات وارو[حها]
للاعضاء فكثير من الناس يمشي قطعة واحدة كانه خشبة محمولة فهي مذمومة كالمشي بلا انزعاج
كالجمل الاهوج وهذه تدل على قلة عقل صاحبها لا سيما ان اكثر فيها الالتفات وكان صلى
الله عليه وسلم اذا مشى مع اصحابه قدمهم امامه وقال خلوا ظهري للملائكة وكان اذا مشى في قمر
او شمس لا يظهر له ظل وسره قوله صلى الله عليه وسلم في دعائه واجعلني نوراً واما لونه فقد وصفه
جمهور اصحابه بالبياض كما صح عنهم من طرق متعددة ولا ينافيه رواية مشرب بحمرة لانه مع ذلك
يسمى ابيض نعم قد ينافيها رواية ابيض شديد البياض وقول عياض انها وهم غير صحيح وكذا رواية
ليس بالابيض ولا بالادم اي كما يدل عليه رواية فنظرت الى ظهره كانه سبيكة فضة وعلى الوجه
يحمل رواية امهق اي احمر ليس بابيض الآن يحمل المشرب بالحمرة على الوجه فقط وما عداه شديد [البياض] بل
وقول عياض ان هذه ليست بصواب مردود بان المراد ليس شديد البياض ولا شديد الادمة
وانما يخالط بياضه حمرة والعرب تطلق على من هو كذلك انه اسمر اللون في رواية وكيف يجمع بين رواية
ابيض بياضه الى السمرة ورواية احمر الى البياض اما المراد انه كان يحصل له السمرة اذا سافر لتاثره
من الشمس وتظليل الغمام ونحوه انما كان ارهاصاً كما مر وقد انقضى وقته وذهب بعض المالكية
الى ان من زعم انه كان اسود يقتل اي لان السواد يشعر بالنقص واما طيب ريحه وعرقه وفضلاته فكان
في ذلك الغاية العليا وان لم يمس طيباً كما صح عن انس وغيره وروى ابو يعلى والطبراني ان رجلاً [استعان به]
في تجهيز بنته فاستدعى بقارورة وسلت فيها من عرقه وقال مرها فلتتطيب به فكانت اذا تطيبت
به شم اهل المدينة ذلك الطيب فسموا بيت المطيبين ومر انه كان اذا مر بطريق [من] طرق المدينة ثم مر الناس
وجدوا رائحته وعرفوا بذلك انه مر منه وحديث خلق الورد من عرقه او من عرق جبريل [كذب]

عرق البراق موضوع وجاء من جهة غريبة انه لما كان يخرج منه صلى الله عليه وسلم فتبتلعه الارض
وابده الحافظ عبد الغني بان احدا من الصحابة لم يذكر انه راه بخلاف البول فانهم كانوا
يذكرونه ومن ثم اختار جماعة من ائمتنا طهارة جميع فضلاته **و الا نومه نوم الاغفاء**
اي خفة النوم بحيث لا يستغرق عليه لان الاستغراق انما ينشأ عن نوم القلب متقلبة المتولد
عن الشبع المفرط وهو صلى الله عليه وسلم كسائر الانبياء كان تنام عينه ولا ينام قلبه كما صح عنه
صلى الله عليه وسلم ومن ثم لم ينتقض وضوؤه بالنوم وسر ذلك كمال حياة قلبه ويقظته ودوام
لربه ومن ثم كان صلى الله عليه وسلم اذا نام لا يوقظ لانه لا يدري ما هو فيه ولا ينافيه نومه صلى الله
عليه وسلم بالوادي عن صلوة الصبح حتى حميت الشمس لان رؤيتها من وظيفة العين والقلب انما
يدرك نحو الحدث والالم مما يتعلق بدون العين فهي نائمة والقلب يقظان وكانه انما لم يدرك
مرور الوقت الطويل لانه نام قبل الفجر الى ان حميت الشمس لانه كان مستغرقا في شهود ربه وما
عليه من معارفه وانما لم ينتبه على ذلك ليقع التشريع بتلك الاحكام الكثيرة جدا التي استنبطت من
تلك الواقعة كسهوه في الصلوة وقيل كان له نومان نوم ينام فيه قلبه ايضا وهو الذي كان مرة ومرة
لم يثبت ونوم دون ذلك كذا قاله بعضهم قوله لا ينام قلبي بما يخبر عن ظاهره يعتد بدليل واذا
قد انتهى الكلام على شيء من محاسن ذاته وصفاته التي لم يخلق الله تعالى ذاتا اشرف منها فلنذكر
شيئا مما يتعلق بمحاسن اخلاقه وصفاته التي لم يخلق الله اشرف منها ايضا فنقول **ما سوى**
اي ليس غير **خلقه النسيم** اي الريح التي في غاية اللطافة واللين والطيب يعني لا يشبه
خلق احد خلقه الكريم وهذا مقتبس من قول ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم اجود الناس بالخير ثم قال فكرسول الله صلى الله عليه وسلم اجود بالخير من
الريح المرسلة فان قلت صريح هذا ان خلقه افضل من النسيم بل لا نسبة بينهما فكيف هذا

التشبيه

التشبيه المؤذن بشرفها عليه قلت هذا الايذان انما هو باعتبار الغالب والا فقد يشبه الافضل
بالمفضول لنكتة كما في صليت على ابراهيم الى اخره فكذا هنا تشبيهها البليغ انما هو باعتبار
ما فيها من احياء الروح ويحيي القلب ويجلو صدأ النفس وغير ذلك مما لا قيام لحقيقة الحيوان
الا به وانما قلت يعني لا يشبهها خلق احد الى اخره لانه مبين ان هذا المراد من العبارة لا تعني
هي به وذلك لان نفي مشابهة غير خلقه لها لا يفيد انه لا يشبهها الا خلقه لان هذا الحصر لا
دليل عليه في الكلام بل صريح كلام الراغب انه لا مفهوم للنفي بغير وعبارته غير يقال على وجه الاول
ان تكون للنفي المجرد من غير اثبات معنى به نحو مررت برجل غير قائم وقال تعالى ومن اضل ممن اتبع
هواه بغير هدى من الله وقال وهو في الخصام غير مبين انتهى المقصود منه وسياتي في شرح
قوله وما سوى هو العاصي الى اخره بما هنا تعلق فاستحضره والخلق بضم فضم او سكون قال الراغب
هو والمفتوح في الاصل بمعنى واحد لكن خص المفتوح بالهيآت والصور المبصرة والمضموم
بالسجايا والقوى المدركة بالبصيرة ثم قيل المضموم غريزة لخبر البخاري ان الله تعالى قسم بينكم
اخلاقكم كما قسم ارزاقكم والحق ان اصله غريزي وتمامه مكتسب لما صح انه صلى الله عليه وسلم قال
لاشج ان فيك لخصلتين يحبهما الله الحلم والاناة قال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم قديما
كان في قال قديما قال الحمد لله الذي جبلني على خصلتين يحبهما فترديده السؤال وتقريره النبي
صلى الله عليه وسلم له على ذلك يدل على ان بعضه غريزي وبعضه مكتسب يدل له ايضا الحديث
الصحيح اللهم كما حسنت خلقي فحسن خلقي وما صح انه كان يقول في دعاء الافتتاح واهدني
لاحسن الاخلاق لا يهدي لاحسنها الا انت فهو جبلة في نوع الانسان وهم متفاوتون فيه
فمن عدم حسنه وكماله امر بالمجاهدة والرياضة حتى يقوى ويصير محمودا وقد عرف الخلق الحسن
بانه ملكة تسهل على ربها فعل الجميل وتجنب القبيح ولما اجتمع فيه صلى الله عليه وسلم من خصال

يوم القيمة واما من صدقه فله الرحمة في الدنيا والاخرة فعلم ان ذاته رحمة للمؤمنين والكافر كما قال
الله تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وروى الدارمي والبيهقي حديث انما انا رحمة
مهداة وقال بعضهم زين ربه بزينة الرحمة فكان وجوده وجميع شمائله رحمة على الخلق وقال
احن الانبياء خلقوا كلهم من الرحمة ونبينا صلى الله عليه وسلم عين الرحمة لا يقال كيف يكون
الرحمة وقد جاء بالسيف واستباحة الاموال لانا نقول انما ذلك لمن ادبر واستكبر ولم ينفع
فيه وعظ ولا ارشاد ومن اوصافه تعالى الرحمن الرحيم والجبار المنتقم وفي الشفاء وحكى انه
صلى الله عليه وسلم قال لجبريل هل اصابك من هذه الرحمة شيء فقال نعم كنت اخشى العاقبة
فامنت ولما شج وجهه وكسرت رباعيته صلى الله عليه وسلم يوم احد قال لو دعوت
عليهم فقال اني لم ابعث لعانا ولكن بعثت داعيا ورحمة اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون
اي اغفر لهم هذا الشيء المخصوص لا مطلقا والا لاسلموا كلهم ذكره ابو حبان وانما دعا عليهم
يوم الخندق بان الله يملأ بطونهم نارا لانهم شغلوه عن الصلوة الوسطى فكان الدعاء لله
لا لحظ نفسه **وحزم** كله اي جميع احواله التي تصدر منه انما تصدر منه على غاية
الضبط والقوة والشدة الباطنة والظاهرة لان منشأ ذلك العقل الكامل وقد مر
انه لا اكمل من عقله بل لا مساوي له من نبي ولا ملك **وعزم** كله من عزم على الشيء قطعه
اي جميع ما يفعله بوحي او اجتهاد انما يفعل مع امضائه والقطع به من غير اعراض عنه ومن ثم
كان من خصائصه صلى الله عليه وسلم انه اذا فعل خيرا لزمه اذامته كما وقع له انه نام عن
سنة الظهر البعدية حتى دخل وقت العصر فصلاها حينئذ واستمر يصلي ركعتين بعد
العصر الى وفاته صلى الله عليه وسلم وبين حزم وعزم الجناس المضارع لتقارب مخرج
الحرفين **ووقار** كله لان الله تعالى القى اليه من المهابة ما لا غاية له ومن ثم

قال

قال خارجة بن زيد كما رواه ابو داود كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اوقر الناس في مجلسه وعن
ابي سعيد الخدري كان اذا جلس في المجلس احتبى بيديه وكان كثير السكوت لا يتكلم في غير حاجة
وكان ضحكه تبسما وكلامه فصلا لا فضول ولا تقصير وكان ضحك اصحابه عنده التبسم
مجلسه مجلس علم وحياء وخير وامانة لا ترفع فيه الاصوات ولا تنتهك فيه الحرم اذا تكلم
اطرق جلساؤه كانما على رؤسهم الطير وجاء اليه رجل فقام بين يديه فاخذته رعدة شديدة
ومهابة فقال له هون عليك فاني لست بملك ولا جبار انما انا ابن امرأة من قريش تاكل
القديد بمكة فنطق الرجل بحاجته فقام صلى الله عليه وسلم فقال ايها الناس اني اوحى الله الي
ان تواضعوا الا فتواضعوا حتى لا يبغي احد على احد ولا يفخر احد على احد وكونوا عباد الله
اخوانا ومر انه قيلة بنت مخرمة في المسجد قاعدا القرفصى فارعدت من الفرق رواه ابو داود
وروى مسلم عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم فما ملأت
عيني منه قط حياء منه وتعظيما له ولو قيل لي صفه لما قدرت واذا كان هذا من اجلاء الصحابة
كذلك فما بالك بغيره فعلم انه صلى الله عليه وسلم لولا انه كان يباسطهم ويمزح معهم ومع ذلك
لا يقول الا حقا ويتواضع لهم ويؤانسهم لما قدر واحد منهم ان يجالسه ولا يحادثه لما القى
الله عليه من المهابة والجلالة وقد خيره صلى الله عليه وسلم بين ان يكون نبيا ملكا او نبيا عبدا
فاشار جبريل ليستشيره فاشار اليه ان تواضع فاختار العبودية **وعصمة** كله اي حفظ
يستحيل شرعا وقوع خلافه من سائر الذنوب صغيرها وكبيرها عمدها وسهوها قبل النبوة و
بعدها في سائر حركاته وسكناته في باطنه وظاهره في سره وعلنه جده ومزحه ورضاه وغضبه
الا في بعض ذلك لا يحول عليه كيف وقد اجمع الصحابة رضوان الله تعالى عليهم على اتباعه
والتاسي به في كل ما يفعله من قليل وكثير وصغير وكبير لم يكن عندهم في ذلك توقف حتى اعماله

الجمال وصفات الجلال والجمال ما لا يحصى حد ولا يحيط به عد اثنى الله تعالى عليه فى كتابه الكريم
فقال عز قائلا وانك لعلى خلق عظيم فوصفه بالعظيم وزاد فى المدحة باتيانه بعلى المشعرة بانه
صلى الله عليه وسلم استعلى على معالى الاخلاق واستولى عليها فلم يصل اليها مخلوق غيره ووصفه بالعظيم
دون الكريم الغالب وصفه به لان كرم يراد به السماحة والدماثة وخلقه صلى الله عليه وسلم لم يقتصر
على ذلك بل كان عنده غاية الرحمة للمؤمنين عند غاية الغلظة والشدة على غيرهم فاعتدل فيه
الانعام والانتقام ولم يكن لهمته سوى الله تعالى يعاشر الخلق بخلقه ويباينهم بقلبه ومن ثمة قال
بسند فيه ضعف ان الله تعالى بعثنى بتمام مكارم الاخلاق وكمال محاسن الافعال وفى رواية الموطا
بلاغا بعثت لاتمم مكارم الاخلاق فكل خلق حميد اندرج تحت خلقه ومن ثمة قالت عائشة
كان خلقه القران قال السهروردى فى عوارفه فى ذلك رمز غامض وايماء خفى الى الاخلاق نفع الله به
الربانية فاحتشمت الحضرة الالهية ان تقول كان متخلقا باخلاق الله تعالى فعبرت عن المعنى بقولها
كان خلقه القران استحياء من سبحات الجلال وسترا للحال بلطف المقال وهذا من وفور عقلها
وكمال ادبها انتهى وقال بعض العارفين لما كان خلقه اعظم خلق بعثه الله الى جميع العالمين علم
من كلام عائشة ان كمالات خلقه لا تتناهى كما ان معانى القران لا تتناهى وان التعرض لحصر
جزئياتها غير مقدور للبشر وما انطوى من كريم الاخلاق لم يكن باكتساب ورياضة وانما كان
فى اصل خلقته بالجود الالهى والامداد الرحمانى الذى لم تزل تشرق انواره فى قلبه الى ان وصل لاعظم
غاية واتم نهاية واعلم ان كمال الخلق انما ينشا عن كمال العقل لانه الذى به تقتبس الفضائل وتجتنب
الرذائل والعقل لسان الروح وترجمان البصيرة فهو جوهر الانسان ولكن جوهر الصبر وفى القاموس
بعد الاشارة الى الخلاف فى تعريفه والحق انه روحانى به تدرك النفس العلوم الضرورية والنظرية
وابتداء وجوده عند اجتنان الولد ثم لا يزال ينمو الى ان يكمل عند البلوغ انتهى والحديث المشهور

اول

اول ما خلق الله العقل قال له اقبل الى اخره موضوع وعقل نبينا صلى الله عليه وسلم وصل فى الكمال الى الغاية
لم يصل اليها ذو عقل ومن ثم روى ابو نعيم وابن عساكر عن وهب انه وجد فى احد وسبعين كتابا
ان الله لم يعط جميع الناس من بدء الدنيا الى انقضائها من العقل فى جنب عقله صلى الله عليه وسلم الا
كحبة رملة بين رمال جميع الدنيا ومما يقطع بصحة ذلك سياسته صلى الله عليه وسلم للعرب الذين هم
كالوحوش الشاردة وصبره على طباعهم المتنافرة المتباعدة حتى قاتلوا دونه اهاليهم وهجروا فى رضاه
اوطانهم واحبابهم مع انه لم يطلع على سير الماضين ولا تعلم من العقلاء المحققين وفى هذا ما فى
الذى قبله تمام الثناء ولا غير محياه اى وجهه الروضة الغناء
اى الكثيرة النبات والازهار والثمار اى ليست الروضة الغناء الا وجهه لانه صلى الله عليه وسلم
احسن الخلق وجها كما مر مبسوطا هو رحمة وهى عطف وميل نفسانى غايتها
التفضل والانعام اى عينها سبب الغزاوة وهاء هو خبر مقدم واخبر بها وبما بعدها بلفظ الرحمة
اشارة الى انها فلما امتزجت بذاته واتصالها بها انقضائها عنه حتى كانها هى اى تركب منها وطبع عليها وخلق
منها كله كما قال الله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين يجوز نصب رحمة على الحال
على انها اسم فاعل ومفعولا لاجله او على حذف مضاف اى ذا رحمة والعالمين هنا قيل الجن والانس
وعليه الجمهور وقيل والملائكة وعليه غير واحد من المحققين ويدل له ايضا ليكون للعالمين نذيرا
ونقل الرازى وغيره الاجماع على انه لم يرسل للملائكة ورد بلا خذ بعض متاخرى ائمتنا
بظاهر خبر مسلم وارسلت الى الخلق كافة كما مر وعلى كل فهو رحمة للمؤمنين بالهداية وللكفار بالامان
من القتل وللمنافق بتاخير العذاب ولسائر الحيوانات لان به جهة يستسقى الغمام وبه عامة ما ينزل
من السماء فينبت النبات فيكون لها سقيا مهنيا وللمنافق وقال ابن عباس رحمة للبر والفاجر
لان كل نبى اذا كذب اهلك الله من كذبه ومحمد صلى الله عليه وسلم اخر من كذبه الى الموت والى

في السر والخلوة يحرضون على العلم بها وعلى اتباعها على بهم او لم يعلم ومن تامل احوالهم معه استحيى من
الله كما قال الامام المجتهد التقي السبكي ان يخطر له تشكك في انه معصوم في كل ما ذكرناه وكذلك الانبياء
كلهم معصومون كما ذكر وحكي في عصمتهم قبل النبوة خلاف ومحله في غير الجهل بالله وصفاته
اما هو فهم معصومون منه اجماعا بل لم ينشاوا الا على اكمل الاحوال من الايمان بالله ومعرفته كما
وحكي في عصمتهم من الصغائر بعد النبوة خلاف ايضا وهو في غاية الضعف بل الزم قائله
بخرق الاجماع وما لا يقول به مسلم ومحله في غير صغائر الخسة وكسرقة لقمة ونحوها ما يتعلق بطرق
التبليغ والاحكام فهم معصومون منهما اجماعا واما قوله تعالى ووجدك ضالا فهدى فللمفسرين
فيه اقوال كثيرة احسنها ما جاء عن ترجمان القران ابن عباس رضي الله عنهما الله تعالى واخرين من
صحابة وتابعين ان معناه وجدك ضالا اي غافلا عن معالم النبوة فهديك لها ويؤيده
قوله تعالى ما كنت تدري اي قبل الوحي ما الكتاب اي القران ولا الايمان اي الدعاء اليه اي
الفرائض والاحكام اذ الايمان يطلق عليها حقيقة نحو قوله تعالى وما كان الله ليضيع
ايمانكم اي صلاتكم الى بيت المقدس كما يصرح به سبب النزول وما جاء مرفوعا اي وجدك ضالا
عن جدك عبد المطلب حتى كاد الجوع يقتلك فردك اليه وهو من ضل الماء في اللبن اذا غاب
فيه اي وجدك مغمورا بين كفار مكة فنصرك عليهم واما قوله تعالى ووضعنا عنك وزرك الذي
انقض ظهرك فاختلف المفسرون فيه على اقوال كثيرة بما يبطل الاحتجاج به للقول الساقط
السابق اتفاقا من احسنها ان المعنى خففنا عنك اعباء النبوة التي اثقلت ظهرك القيام
بموجبها حتى كاد ان يكون له نقيض اي صوت او المراد عصمناك من الوزر الذي
لو تحملته صوت ظهرك من ثقله فسمي العصمة وضعا مجازا او رفعنا عنك اوزار امتك التي
اثقلت ظهرك خوف غائلتها حتى امنك الله ذلك في العاجل بقوله عز قائلا وما كان الله

ليعذبهم

ليعذبهم وانت فيهم واعطاك الشفاعة فيهم في الاجل واما قوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك
وما تاخر فاختلفوا فيه كذلك واحسن ما فيه ايضا قول ابن عباس رضي الله عنه انك مغفور
لك غير مواخذ بذنب ان لو كان او المراد بالذنب ذنوب امته على العاذ او ترك الاولى والافضل
كما قيل حسنات الابرار سيئات المقربين وعليه قوله تعالى عفا الله عنك لم اذنت لهم اي محي عنك
ما ارتكبته من خلاف الاولى ووقع لبعض مشاهير المفسرين في بعض هذه الايات ما لا ينبغي من
التساهل وسوء الادب فاحذره وحفظ ايضا صلى الله عليه وسلم من اعدائه الحريصين على قتله
فكان اصحابه يحرسونه حتى نزل قوله تعالى والله يعصمك من الناس فاخرج صلى الله عليه وسلم
راسه من القبة وقال يا ايها الناس انصرفوا فقد عصمني ربي وتواعد جماعة على قتله فلما قربوا منه
سمعوا صوتا هولا فغشي عليهم ثم تواعدوا مرة اخرى فلما راوه جاءت الصفا والمروة فحالتا
بينه وبينهم وواعد ابو سفيان قريشا ان راوه ليطان على عنقه فاعلموه به فذهب اليه فلما قارب
فشل فقال لما دنوت منه اشرفت على خندق مملوء نارا فكدت ان اهوي فيه وابصرت هولا
عظيما وخفق اجنحة قال صلى الله عليه وسلم تلك الملائكة لو دنا لاختطفته عضوا عضوا
ووفد عليه عامر بن الطفيل وزيد بن قيس ليقتلاه فشغله عامر فاراد زيد قتله فلم ير الا ما
وحياء كله كما صح في البخاري عن ابي سعيد رضي الله عنه كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم اشد حياء من العذراء اي البكر في خدرها قيل ذكره من باب التتميم لان العذراء
في خدرها يشتد حياؤها اكثر مما يكون خارجة عنه لان الخلوة مظنة وقوع الفعل بها
وقيل الظاهر ان المراد تقييده بما اذا دخل عليها في خدرها لا حيث تكون وحدها فيه والحياء
بالمد لغة تغير يعتري الانسان من خوف ما يعاب به وشرعا خلق يبعث على اجتناب القبيح
ويمنع من التقصير في حق ذي الحق من الحيوة وكذا الحياء وهو المقصور المطر وقوته

ضعف بقوة حيوة القلب ضعفه وهو اقسام ثمانية يطول استقصاؤها منها حياء الكرم كحيائه
صلى الله عليه وسلم ممن دعاهم الى وليمة زينب فطولوا عنده المقام ان يقول لهم انصرفوا ومن ثم
كان لا يواجه احدا بما يكره بل اذا بلغه عن احد شيء قال ما بال اقوام ولم يقل ما بال فلان قالت
عائشة ما رايت منه ولا راى مني ومنها حياء المحبة وهو ما يخطر بقلب المحب في غيبة محبوبه لهيبته
ومنها حياء العبودية وهو ممتزج بين محبة وخوف ومغايرة شهود عدم صلاح عبوديته لمعبوده
فيستحيي منه لا محالة ومنها حياء المرء من نفسه ان رضيت بالنقص وقنعت بالدون حتى كانه
له نفسين يستحيي باحديهما من الاخرى وهذا اكمل ما يكون من الحياء وهو حياء النفوس الشريفة
الرفيعة وهو الذي قال فيه صلى الله عليه وسلم الحياء لا ياتي الا بخير والحياء من الايمان
رواهما البخاري وجعله من الايمان مع انه غريزة لان استعماله على قانون الشرع يحتاج الى
اكتساب وعلم فالحياء المكتسب هو الذي جعله الشارع من الايمان وهو المكلف به دون
الغريزي فان من كان فيه غريزة منه فانها معينة على المكتسب حتى يكاد يكون غريزيا وهو صلى
الله عليه وسلم جمع الله له النوعين فكان في الغريزي اشد حياء من العذراء في خدرها
ومر ان عقله صلى الله عليه وسلم اوسع العقول ولذلك اتسعت اخلاق نفسه الكريمة اتساعا
لا يحد فمن ذلك اتساع خلقه العظيم في الحلم والعفو مع القدرة وصبره على ما يكره لا سيما
في الشدائد حتى انه **احتمل الباساء** اي الشدة وان افرطت لا سيما في الحروب
وقد اسعرت نيرانها واصطلمت عقول شجعانها **منه** متعلق بما بعده من الفعل
او المصدر المراد وتحمل **عرى الصبر** وهو حبس النفس على ما تكره اي اسبابه من الحلم
والعفو والصفح والشجاعة المبثة في اشتمالها على من قامت به حتى منعته من وقوع ما دونه
منه عند ثوران نار الغضب بحال ربطت على شيء واحكمت في عرى فاستمسكت عليه ولم

يمكن

يمكن حلها ولا نقضها فذكر العرى استعارة تخييلية وتشبيه الصبر بالثوب السابغ ذي
الازرار والعرى المحكمة استعارة بالكناية وذكر تحمل ترشيح ومن ذلك صبره على من حاربه يوم
يوم احد في اشد ما نالوه به من كسر رباعيته وشج وجهه فسال الدم على وجهه الشريف وشق
ذلك على اصحابه فقالوا يا رسول الله لو دعوت عليهم فقال اللهم اغفر لقومي او اهد قومي
فانهم لا يعلمون اي لا تعاجلهم بالعقوبة من اجلي فانهم لا يعلمون تفاصيل ما يترتب عليهم
في ذلك من انواع العذاب واصناف العقاب وروي عن عمر رضي الله عنه انه قال بابي وامي
يا رسول الله لقد دعا نوح على قومه فقال رب لا تذر الاية ولو دعوت علينا لهلكنا عن اخرنا
فلقد وطئ ظهرك وادمي وجهك وكسرت رباعيتك فابيت ان تقول الا خيرا فقلت
اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون وانما قال صلى الله عليه وسلم يوم الخندق حين شغلوه عن
صلوة العصر اللهم املا قلوبهم نارا لكان لان الحق لله وهو صلى الله عليه وسلم لم يكن يغضب
لنفسه وانما يغضب ان انتهكت حرمات الله تعالى امتثالا لقوله تعالى جاهد الكفار
والمنافقين واغلظ عليهم ومن ثم غضب صلى الله عليه وسلم في اماكن متعددة لاسباب مختلفة
لكن مرجعها الى انه لم يغضب لنفسه بل لربه وقد صح عن زيد بن سعنة بمهملة ونون
وهو اجل احبار اليهود الذين اسلموا انه قال لم يبق من علامات النبوة شيء الا وقد عرفته
في وجه محمد صلى الله عليه وسلم حين نظرت اليه الا اثنتين لم اخبرهما منه يسبق حلمه جهله ولا
يزيده شدة الجهل عليه الا حلما فكنت اتلطف له لان اخالطه فاعرف حلمه فابتعت منه
تمرا الى اجل فاعطيته الثمن فلما كان قبل محل الاجل بيومين او ثلاثة اتيته فاخذت
بمجامع قميصه ورداه ونظرت اليه بوجه غليظ ثم قلت الا تقضيني يا محمد حقي فوالله
انكم يا بني عبد المطلب لمطل فقال عمر اي عدو الله اتقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما

أسمع فوالله لولا الحاذر من خوفه لضربت بسيفي رأسك ورسول الله ينظر الى عمر في سكون وتؤدة
فتبسم ثم قال انا وهو كنا أحوج الى غير هذا منك يا عمر فأمرني بحسن الأداء وتأمره بحسن
التقاضي اذهب به يا عمر فاقضه يا عمر حقه وزده عشرين صاعا مكان ما رعته ففعل فقلت
يا عمر علامات النبوة قد عرفتها في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اثنين فذكرهما ثم
وقد عرفتهما فاشهدك اني قد اسلمت وروى ابو داود ان اعرابيا جاء اليه صلى الله عليه وسلم فجذبه
بردائه وكان خشنا حتى اثر في عنقه الشريف وقال له احملني على بعيري هذين فانك لا تحملني من
مالك ولا من مال ابيك فقال صلى الله عليه وسلم لا واستغفر الله ولا كررها ثلاثا حتى تقيدني
من جذبتك التي جذبتني كل ذلك والاعرابي يقول له لا اقيدك ابدا ثم امر له بحمل بعير تمر وبعير شعير وروى البخاري ان اعرابيا جذبه حتى اثرت حاشية البرد في عنقه الشريف من شدة
جذبته وقال يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك فضحك صلى الله عليه وسلم ثم امر له بعطاء وروى
الترمذي عن عائشة لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحشا ولا متفحشا ولا يجزي بالسيئة لكن
يعفو ويصفح اي لم يكن له الفحش خلقا ولا مكتسبا وروى البخاري ان رجلا استاذن عليه فلما
رآه قال بئس اخو العشيرة وبئس ابن العشيرة فلما اجلس اليه الان له القول وانبسط اليه فلما
رآه قال بئس اخو العشيرة وبئس ابن العشيرة فلما جلس اليه الان له القول وانبسط اليه فلما مضى
سألته عائشة عما قال وعما فعل فقال عهدتني فحاشا ان العشيرة القبيلة وانبساطه اليه تألفا له
لانه رئيس قومه وتعليم للامة وفيه جواز المداراة اتقاء الشر وهي بذل الدنيا لصلاح الدين
اما الدنيا او هما المداهنة فانها بذل الدين لصلاح الدنيا وهو صلى الله عليه وسلم انما بذل له من
دنياه حسن عشرته ولم يمدحه فكان قوله فيه حقا وفعله معه حسن عشرة وهذا الرجل بين
بعضهم انه عيينة بن حصن الفزاري وقد كانت منه اسوء في حياته صلى الله عليه وسلم وبعده

سوية يدل على ضعف ايمانه بل ارتد في زمن الصديق وحارب ثم اسلم في زمن عمر فما قاله صلى الله
عليه وسلم فيه من علامات النبوة ولا ينافي ما مر انه لم ينتقم لنفسه امره بقتل عقبة بن ابي معيط وعبد الله بن
خطل وغيرهما ممن كان يؤذيه صلى الله عليه وسلم لانهم كانوا مع ذلك ينتهكون حرمات الله تعالى
فايس من ايمانهم ومن ثم لما طمع في ايمان المنافقين احلهم مع شدة ايذائهم له بما لا يصبر عليه
بشر وصبر على من اعلم بعدم ايمانه للمصلحة العامة كما اشار كذلك صلى الله عليه وسلم بقوله لمن قال
له اقتلهم لا يتحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه وصح عن انس كان صلى الله عليه وسلم احسن الناس
اجود الناس واشجع الناس وان اهل المدينة فزعوا ليلة فخرجوا فرأوه راجعا من جهة الصوت متقلدا
بسيفه على فرس لابي طلحة فقال لهم لن تراعوا ما رأينا من بأس وصارع صلى الله عليه وسلم ابطالا
معروفين بانهم لا يصرعون فصرعهم وفي البخاري عن البراء انه قيل له افررتم عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم يوم حنين فقال لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفر كان هوازن رماة وانا لما
حملنا عليهم انكشفوا فاكببنا على الغنائم فاستقبلونا بالسهام ولقد رأيت رسول الله صلى الله
عليه وسلم على بغلته البيضاء وان ابا سفيان الحارث آخذ بزمامها وهو يقول انا النبي لا كذب
انا ابن عبد المطلب وتأمل في نهاية الشجاعة كيف وقد جيشه عنه ولم يبق معه الا بضعة عشر
رجلا فوقف في نحو الوف مولفة على بغلة لا تصلح لكر ولا فر وهو مع ذلك يركضها الى وجوههم
وينوه باسمه الكريم ليعرفه من جهله ومن ثم قال الصحابة كنا اذا احمر البأس اتقينا برسول
الله صلى الله عليه وسلم اي جعلناه بيننا وبين العدو ووقفنا خلفه محتمين به ولما قال اللعين
ابي بن خلف يوم احد اين محمد لا نجوت ان نجا تناول صلى الله عليه وسلم الحربة من الحارث بن الصمة
وقال لاصحابه بعد ان ارادوا التعرض له خلوا سبيله فطعنه في عنقه طعنة كان فيها اتلاف نفس
الخبيثة اللعينة **ولا تستخفه** اي لا تخرجه عن ثباته وتواضعه وقاره

عامر من تلك الكمالات التي لا تحد ولا تعد علمت انه قد **عظمت نعمة الله عليه** اي عظيمة قطعت سائر الخلق عن ان يصل احد منهم الى مبادي غاياتها وغاياتها **فبسبب** هذه العظمة المذكورة **استقلت** بالبناء للمفعول **لذكره** اي عند
او وقت ذكر ما انعم الله به عليه ونظيره اقم الصلوة لذكري **العظماء** اي جميع ما انعم به
عليهم لانه اوتي غاية الكمالات الباهرة التي لا يدرك شأوها مخلوق ولو عرض معها على ذوي العقول
الكاملة جميع النعم والفضائل التي اوتيها غيره من المخلوقات لاستقلوها وعدوها بدون كمالاته
وقطعوا بان ما عنده اعظم واجل وافخم واعادت ضمير ذكره وجعلت العظماء على ذكره لان المتن صح
في ذلك باعتبار انه فرع الاستقلال على عظم النعمة وهذا امر اني لو لم افعل ذلك لاوهم ذكرالاستقلال
على ما هو المتبادر منه عرفا الاحتقار للعظماء الشامل لبقية الانبياء والمرسلين والملائكة المقربين
لاسيما وقد استعمله الناظم فيه بعد بيتين حيث قال استقل دنياك ولا نظر مع ذلك الى قبول
ذلك الايهام للمنع بان يقال استقلال الشيء عده قليلا حتى في العرف ولا شك ان ما عداه
صلى الله عليه وسلم بالنسبة اليه كنسبة القليل الى الكثير فان قلت يلزم على تسليم ذلك ان الايهام ان الاحتقار
متبادر حتى على ما ذكرت لان اضافة الاستقلال الى النعم يوهم احتقارها وهي محذور ايضا قلت
ممنوع لان النعم اي اصلها للتعظيم وغيره يوصف بالقلة تارة والكثرة اخرى فلم يوهم ذكر الاستقلال
فيها الاحتقار اصلا بخلاف الذوات فان وصفها بانها استقلت يوهم احتقارها اذ لا يستعمل الا
فيها الا بهذا المعنى غالبا فانه قرينة المقام لاسيما مع مراعاة وصفهم بالعظمة يدفع ذلك الايهام كما
جلي وبين عظمت والعظماء تجنيس الاشتقاق وكان صلى الله عليه وسلم من الحلم على من اذاه وفيه
الاحتمال لاعدائه وفرط الحلم عليهم والاغضاء عنهم بالغاية التي لم يصل اليها غيره ومن ثم قال
جهلت قومه في قريش وغيرهم **عليه** اي اذوه اذى لا يطاق فنفروه وخنقوه

اي الرخاء والسعة في الجيوش والفتوح التي منحها في اواخر حياته بل هو معها كهو قبلها ولم يزدد
الا تواضعا وحلما وعفوا وصبرا ومن ثم لما دخل صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح في تلك الجيوش
الهائلة التي لما رآها ابو سفيان قال للعباس لقد اصبح ملك ابن اخيك ملكا عظيما فقال له ويحك
انه ليس بملك ولكنها نبوة قال نعم وهو على ناقته القصوى في كتيبته الخضراء بين ابي بكر واسيد بن
حضير جاء انه صلى الله عليه وسلم وضع رأسه تواضعا لله لما رأى ما اكرمه الله به من الفتح حتى ان
رأسه ليكاد يمس رحله شكرا وخضوعا لعظمته اذا احل له بلده ولم يحله لاحد قبله ولا تمام ما
صلى الله عليه وسلم بهذه الكمالات التي لم توجد في غيره لانه **كرمت نفسه** لانه تعالى
لما اراد ايجاد خلقه ابرز الحقيقة المحمدية من انوار الصمدية في حضرة الاحدية ثم سلخ منه
العوالم كلها علوها وسفلها على ما اقتضاه كمال حكمه وسبق في ارادته وعلمه ثم اعلمه الله تعالى بكماله
ونبوته وبشره بعموم دعوته ورسالته وبانه نبي الانبياء وواسطة جميع الاصفياء وابو آدم بين
الروح والجسد بل ولا روح ولا جسد ثم انبجست منه عيون الارواح فظهر ممتلئا لها في عالمها
المتقدم على عالم الاشباح وكان هو الجنس العالي على جميع الاجناس والاب الاكبر لجميع الموجودات
والناس فهو وان تأخر وجود جسمه متميز على العالم كلهم بر فعته وتقدمه اذ هو خزانة السر الصمداني
ومنه تنفذ الامداد الرحمانية **فبسبب** كرامة نفسه وشرفها عن كل رذيلة ونقيصة **ما يخطر السوء** اي خلاف الكمال اللائق به صلى الله عليه وسلم **على سره ولا الفحشاء**
كيف وقلبه قد طهره الله بشق الملائكة له المرات المتعددة عند تنقله في الاطوار المختلفة
كما مر بيانه واخراج ما فيه مما جبل عليه النوع الانساني مما يقتضي ذنبه ثم طهر وغسل وحشي من
الحكم والعلوم بما لا يحيط به الا من امر به عليه وذكر الفحشاء مع العلم بانتفائها بالاولى من انتفاء
السوء لانها السوء الذي جاوز حده لان المقام مقام الاطناب واذا تأملت ما اتاه الله لنبيه

واغروا به سفهاءهم وصغارهم فضربوه ورجموه بالحجارة الى ان ادموا رجليه فسئل منهما الدم على نعليه وشجوا وجهه وكسروا رباعيته ورموه بالسحر والكهانة والجنون وتواعدوا على قتله وقرأت وحصروا لاجله بنى هاشم وبنى المطلب فى شعبهم سنين حتى كادوا ان يهلكوا من الجوع كما مر جميع ذلك وفى البخارى ومسلم من حديث عائشة رضى الله عنها انها قالت للنبى صلى الله عليه وسلم هل اتى عليك يوم اشد من يوم احد قال لقد لقيت من قومك وكان اشد ما لقيت منهم يوم العقبة وذكر ما مر من ذهابه الى ثقيف فاغروا به سفهاءهم وصبيانهم فضربوه ورجموه **فاغضى** عنهم حلما وكرما لا سيما وقد جاءه لما ان اشتد ايذاؤهم له ملك الجبال كما رواه البخارى ومسلم من حديث عائشة السابق آنفا فانه قال بعد ان ذكر ايذاء ثقيف لما خرج اليهم بعد موت ابى طالب يدعوهم الى الله تعالى ويستنصر بهم على قريش فانطلقت وانا مهموم على وجهى فلم استفق الا وانا بقرن الثعالب اى ميقات اهل الحجاز فرفعت راسى فاذا انا بسحابة قد اظلتنى فنظرت فاذا فيها جبريل فنادانى فقال ان الله قد سمع قول قومك وما ردوا عليك وقد بعث اليك ملك الجبال لتامره بما شئت فيهم فنادانى ملك الجبال فسلم على ثم قال يا محمد ان الله قد سمع قول قومك وانى ملك الجبال وقد بعثنى ربك اليك لتامرنى بامرك ان شئت ان اطبق عليهم الاخشبين فقال صلى الله عليه وسلم بل ارجو ان يخرج الله من اصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئا فكان الامر كما رجاه صلى الله عليه وسلم **واخو الحلم** اى التانى فى الامور وعدم الانتقام ممن اتى بمكروه وان عظم اى الذى طبع عليه حتى صار غريزة له مختلطا بلحمه ودمه **دابه** اى شانه وعادته المستمر هو عليها **الاغضاء** اى التغافل عن ان يلتفت الى اذى او ذى فضلا عن ان ينتقم ممن آذاه وفى كلام المقابلة لما قررته ان المراد بالجهل ما يلزمه من ايذاء بما لا يطاق ومن ثم لما اوذى يوم احد فشج وجهه وكسرت رباعيته قيل له ادع عليهم فقال اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون

اى علما

اى علما ينتفعون به اما الجهل اى اعتقادهم الشئ على خلاف ما هو عليه وكثير منهم كانوا كذلك فكانوا يعتقدون من جملة ايذائه ومقاتلته غفلة عما لو التفت قلوبهم اليه ادى الى النفاذ من معجزاته لعلموا الحق واتبعوه من فورهم واما العناد وهم الاكثرون قال الله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا اى فنزل علمهم منزلة الجهل بل هو اضر بهم منه كما لا يخفى وبهذا يعلم ان فى تعبير الناظم بالجهل تضمينا لجملة قوله لا يعلمون وان المراد بالحلم الاعراض عن الانتقام وفيه المقابلة ايضا كما بين الامساك والاعطاء والتحقيق والنفى الاثبات وفيه ايضا جناس الاشتقاق بين اغضى والاغضاء والتذييل بالمثل السائر واصل الاغضاء اطباق العين عن رؤية المكروه فاستعير لما ذكر بجامع الاعراض عن المكروه فيهما واذا كان اخو الحلم دابه ذلك فكيف بنبينا صلى الله عليه وسلم وهو الذى وصل من الحلم الى غاية لم يصل اليها مخلوق لان الله تعالى هو الذى تولى تاديبه بنفسه وافاض عليه من حقائق حلمه وفضله حيث قال له خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين وفسرها جبريل للنبى صلى الله عليه وسلم حين ساله فقال يا محمد ان الله يامرك ان تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتعفو عمن ظلمك وكل من يثبت فيه حلم وادرك حلم واحتمال عرفت له زلة وهفوة منافى الحلم الا نبينا صلى الله عليه وسلم فانه لا يزيد على كثرة الاذى الا صبرا وعلى جهل الجاهلين وما يبلغ الغاية الا حلما ولقد قالت عائشة ما رايته منتصرا من ظلامة ظلمها قط الا ان يكون حرمة من محارم الله اى المتعلقة به تعالى كما مر ذلك مستوفى فى شرح قوله لا تحل البأساء منه عرى الصبر ومن قصة الاعرابى الذى جذبه بردائه حتى اثر فى عنقه الشريف وقال له اعطنى من مال الله لا من مالك ولا مال ابيك فقال صلى الله عليه وسلم المال مال الله وانا عبده ثم طلب منه القود فقال لا قال صلى الله عليه وسلم لم قال لانك لا تكافى بالسيئة السيئة فضحك وامر له بحمل بعير ومن قصة

اليهودى الذى اسلم ان من علامات نبوته ان حلمه يسبق غضبه وانه لا يزيد شدة الجهل عليه الا حلما ولما دخل فى غزوة فتح مكة على قريش وقد جلسوا فى المسجد الحرام واصحابه ينتظرون امره فيهم من قتل او غيره قال لهم ما تظنون انى فاعل بكم قالوا خيرا اخ كريم وابن اخ كريم فقال اقول كما قال اخى يوسف لا تثريب عليكم اليوم اذهبوا فانتم الطلقاء **وسع** بالكسر **العالمين** جمع عالم وللمحققين فيه فى الاية كلام منتشر لا باس بتلخيصه وتحريره هنا وهو مع اشتقاقه من العلامة اسم لما يعلم به كالخاتم اسم لما يختم به مع كونه مشتقا من الختم ثم غلب فيما يعلم به الخالق تعالى فصار اسما لكل ما سواه تعالى من الجواهر والاعراض فانها لامكانها وافتقارها الى مؤثر واجب لذاته تدل على وجوده وجمع ليشمل ما تحته من الاجناس المختلفة ولا يعارضه ان المفرد وهو العالم ادل على الشمول والاستغراق اذ الجمع قد يحتمل غير الشمول لان الغرض هنا افادة ان له اجناسا مختلفة كالجن والانس والملائكة والافلاك والدواب والجماد وغير ذلك واستغراق جميعها بطريق المطابقة ولو قيل العالم لتوهم استغراق بعض افراد تلك الاجناس فقط ولاصحاب حواشى الكشاف هنا كلام متباين هذا احسنه وغلب جمعه بالواو والياء والنون من العقلاء لشرفهم وجمع جمع قلة مع ان الظاهر يستدعى الاتيان بجمع الكثرة تنبيها على ان العوالم وان كثرت قليلة فى جنب عظمة الله وكبريائه وقيل العالم اسم وضع لذوى العلم وهم الانس والملائكة والجن وتناوله لغيرهم على سبيل الاستتباع فهو مشتق من العلم وقيل عنى به الناس فان كل واحد منهم عالم من حيث انه يشتمل على نظائر ما فى العالم الكبير من الجواهر والاعراض التى يعلم بها الصانع ولذلك سوى بين النظر فيهما فقال تعالى وفى انفسكم افلا تبصرون وقد بين حجة الاسلام فى كتابه الانتصار كما فى الاحياء من الاسرار وجه اشتمال الانسان على نظير ما فى

العالم

العالم بما فيه طول فراجعه فانه بديع ومنه ان العالم انقسم الى عالم الملك وهو الظاهر المحسوس وعالم الملكوت وهو المدرك بالعقل وعالم الجبروت وهو المتوسط الذى اخذ بطرف كل عالم منهما والانسان كذلك فالمشابه للاول اجزاء بدنه وللثانى نحو روحه وعقله وارادته وللثالث الادراكات الموجودة بالحواس والقوى الموجودة باجزاء البدن **علما** تمييز اى وسع علمه علوم العالمين الانس والملائكة والجن لان الله تعالى اطلعه على العلم وعلم علوم الاولين والاخرين لما كان وما يكون كما مر وحسبك فى ذلك القرآن الذى اوتى مثله معه كما صح عنه وقد قال الله تعالى ما فرطنا فى الكتاب من شئ تبيانا لكل شئ ويلزم من احاطته صلى الله عليه وسلم بعلوم القرآن ومثلها الذى اوتيه ايضا انه احاط بعلم الاولين والاخرين وان علومهم مندرجة ومنغمرة فى علومه صلى الله عليه وسلم **وحلما** تمييز ايضا وبينه وبين ما قبله بعلومه الجناس المضارع اى وسع حلمه حلم العالمين باسرهم كما علم مما سبق انه ما من حليم قط الا وقد عرفت له زلة وهفوة تخدش فى كمال حلمه الا نبينا صلى الله عليه وسلم فانه لا يزيده شدة الايذاء له والجهل عليه الا حلما وعفوا وصفحا **فهو** بسبب جمعه لتلك المعانى لم يجتمع لغيره **بحر** اى واسع العلم والحلم وغيرهما من الاخلاق النفسية الزكية والصفات العلية فهو تشبيه بليغ او استعارة على قول مر ردة اى كالبحر الذى هو خلاف البر والنهر سمى بحرا لاتساعه وعمقه **لم يعيه** من اعيى فلان فى شيء اى تعب او وقف الحمل جمع عبء بكسر اوله وبالموحدة والهمزة وهو الثقل من اى شئ كان اى لم يكدر بحر علمه شك ولا شبهة وبحر حلمه ايذاء ولا جهالة فاستعار الاعياء لكدورة المشرب والاعباء للشبه والجهالات واذا تاملت ما تقدم من اوصافه الكاملة الباهرة وعصمته ونزاهته الظاهرة وانه البحر الذى ندرجت البحار كلها

في يمه والحليم الكريم الذي دخل كل كريم وحليم تحت حيطة كرمه وحلمه علمت انه لعصمته
من الالتفات لما سوى الله تعالى **مستقل** اي محتقر **دنياك** اي الاموال التي
هي من جملتها الدنيا في الاصل اسم لما بين السماء والارض **ان ينسب الاوما**
منها اليه وان ينسب اليه ايضا **الاعطاء** منها لانها الفنا فهاوكثرة
الاشتغال بها من المعاني الحقيقة بمزيد الاعراض عنها وعدم الالتفات الى مساكها و
اخراجها ولو لمستحقيها احتقارا لشانها وتعليما للامة عدم الاعتداد بها ودليل اعراضه
صلى الله عليه وسلم عنها اشد الاعراض خبر الترمذي انه صلى الله عليه وسلم قال عرض علي ربي ان
يجعل لي بطحاء مكة ذهبا فقلت لا يا رب ولكن اشبع يوما واجوع يوما فاذا جعت تضرعت
اليك وذكرتك واذا شبعت شكرتك وحمدتك وحكمة هذا التفصيل الاستلذاذ بخطابه
تعالى والا فهو عالم بالاشياء جملة وتفصيلا وروى الطبراني باسناد حسن انه صلى الله عليه وسلم
كان هو وجبريل على الصفا فقال يا جبريل والذي بعثك بالحق ما امسى لآل محمد سفة من دقيق
ولا كف من سويق فلم يكن كلامه باسرع من ان يسمع هدة من السماء افزعته فقال صلى الله عليه وسلم
امر الله القيامة ان تقوم قال لا ولكن امر اسرافيل ان ينزل اليك حين سمع كلامك فاتاه اسرافيل
فقال ان الله سمع ما ذكرت فبعثني اليك بمفاتيح خزائن الارض وامرني ان اعرض عليك ان
احببت ان اسير معك جبال تهامة زمردا وياقوتا وذهبا وفضة فعلت فان شئت نبيا ملكا
وان شئت نبيا عبدا فاومى اليه جبريل ان تواضع فقال بل نبيا عبدا ثلاثا فانظر الى همته
العلية كيف عرضت عليه خزائن الارض فاعرض عنها واباها مع انه لو اخذها لم ينفقها الا
في طاعة ربه لكنه اختار العبودية المحضة فيا لها من همة شريفة رفيعة ما اسناها ونفس زكية
كريمة ما ابهاها وقد اشار الناظم الى ما هنا بقوله في بردة المديح وراودته الجبال الشم من ذهب

الابيات

الابيات الثلث ومعنى البيت الثالث كيف يدعو ضرورة سيد المعصومين الى زخرف الدنيا
وزينتها وهي وما فيها انما خلقت لاجله كما صرح به الخبر السابق **تنبيه** قوله هنا استقل
الى اخره احسن من قوله ثم واكدت زهده فيها ضرورته لان بعض العلماء انكر وصفه صلى الله عليه وسلم
بالزهد ويؤيده قول محمد بن واسع وقد قيل له فلان زاهد فقال وما قدر الدنيا حتى يزهد فيها
واذا انكر وصفه بالزهد فبالضرورة من باب اولى وفي السيف المسلول للتقي السبكي عن الشفاء
واقره ان فقهاء الاندلس افتوا باراقة دم من وصفه صلى الله عليه وسلم في اثناء مناظرته باليتيم
ثم زعم ان زهده لم يكن قصدا ولو قدر على الطيبات لاكلها وذكر الزركشي عن بعض الفقهاء المتأخرين
انه كان يقول لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم فقيرا من المال قط ولا حاله حال فقير بل كان اغنى الناس بالله
قد كفي امر دنياه في نفسه وعياله وكان يقول في قوله صلى الله عليه وسلم اللهم اجعلني مسكينا ان
المراد استكانة القلب لا المسكنة التي هي ان لا يجد ما يقع موقعا من كفايته وكان يشدد النكير
على من يعتقد خلاف ذلك ولو قال لا المسكنة المرادفة للفقر اذ المقابلة له لكان انسب بغرضه
انتهى وما خبر الفقر فخري وبه افتخر فموضوع وقد صح انه صلى الله عليه وسلم استعاذ من فتنة الفقر
كما استعاذ من فتنة الغنا **فائدة** اكثر القران يشتمل على ذم الدنيا وصرف الخلق عنها
ودعوتهم الى الاخرة بل هذا هو المقصود بالذات من سائر الشرائع كيف هي عدوة لله لقطعها طريق
الوصلة اليه ولذلك لم ينظر اليها منذ خلقها وعدوة لاوليائه لانها تزينت لهم بزينتها حتى تجرعوا
مرارة الصبر في مقاطعتها وعدوة لاعدائه لانها استدرجتهم بمكرها واقتنصتهم بشبكتها حتى وثقوا
بها فخذلتهم احوج ما كانوا اليها وروى جماعة في قصة ثعلبة بن ابي حاطب الذي نزل الله فيه ومنهم
من عاهد الله لئن اتانا من فضله لنصدقن الايات انه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يدعو له بان الله يرزقه مالا فقال له قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه فاعاد السؤال

فقال له صلى الله عليه وسلم اما لك فيّ اسوة اما ترضى ان تكون مثل نبي الله اما والذي نفسي بيده لو شئت
ان تسير معي الجبال ذهبا وفضة لسارت الحديث بطوله وصح انه صلى الله عليه وسلم رأى شاة ميتة
فقال والذي نفسي بيده الدنيا اهون على الله عز وجل من هذه الشاة على اهلها ولو كانت الدنيا
تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء وفي الخبر الحسن الدنيا ملعونة ملعون ما
فيها الا ذكر الله تعالى وما والاه وعالم ومتعلم وصح ان ابا بكر رضي الله تعالى عنه دعا بشراب فاتي بماء
وعسل فبكى حتى ابكى اصحابه ثم بكى ثم مسح عينيه فسألوه فقال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
فرايته يدفع عن نفسه شيئا ولم ار معه احدا فقلت يا رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الذي تدفع عن
نفسك قال هذه الدنيا مثلت لي فقلت لها اليك عني ثم رجعت فقالت انك ان افلت مني
لم يفلت مني من بعدك وصح من جملة الحديث المشهور والله ما الفقر اخشى عليكم ولكن
اخشى عليكم ان تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم
كما اهلكتهم **تنبيهات** احدها المراد بالدنيا المذمومة في الاحاديث وغيرها ما في قوله تعالى
زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين الاية ويجمع ذلك كل ما لك فيه عاجل حظ
او شهوة من غير ان يعين على عمل اخروي ولا يقصد به ذلك فاتضح انه لا معارضة بين الاحاديث في ذم المال
ومدحه لانه تعالى مع ما سبق من ذم الدنيا سمى المال خيرا وفي الحديث نعم المال الصالح للرجل الصالح
وكل ما جاء في ثواب الصدقة والضيافة والاحسان والزكوة والحج ونحوها فهو ثناء على المال لانه
يتوصل به اليه وفي حديث البيهقي وغيره كاد الفقر ان يصير كفرا وهو ثناء على المال وصح
على نزاع فيه ولذلك قال بعض الحفاظ انه حسن ووهم بطلانه غلط صريح خبر اللهم من امن
بي وصدقني وعلم ان ما جئت به هو الحق من عندك فاقلل ماله وولده وحبب اليه لقاءك وعجل له
القضاء ومن لم يؤمن بي ولم يصدقني ولم يعلم ان ما جئت به الحق من عندك فاكثر ماله وولده

واطل

واطل عمره وطرقه كثيرة مختلفة فيها ما هي صحيحة على شرط الشيخين ان اباذر اتى النبي صلى
الله عليه وسلم فقال اني احبكم اهل البيت فقال له النبي صلى الله عليه وسلم الله قال الله قال فاعد للفقر
تجفافا فان الفقر اسرع الى من يحبنا من السيل من اعلى الاكمة الى اسفلها مع دعائه صلى الله
عليه وسلم لخادمه انس بان الله يكثر ماله وولده رواه الشيخان ووجه الجمع ان المدعو به في الاول
من قلة المال والولد المراد منه قلة فتنتهما لان الغالب فيهما الفتن كما هو واضح من الاحاديث والاي
وفي الثاني من كثرتهما المراد به كثرة فوائدهما وثمراتهما الاخروية فالمال ليس خيرا محضا من كل وجه
ولا شرا محضا من كل وجه وانما هو كالسيف في يد المقاتل يقتل به عدوه تارة ونفسه اخرى او
كحية في يد انسان فيها سم ودرياق لكن سمها اكثر واغلب واوحى للنفوس واذهب واذا تأملت ايضا
ما تقرر من حالاته العلية علمت انه **شمس** سماء العلوم والكمالات باسرها كيف وكل **ما**
تحلى به كل كامل فانما هو بواسطة استمداده من فضله واذا كان الامر كذلك **تحقق** منك
بمعنى ثبت **الظن** يعني الاعتقاد الجازم المطابق للواقع **فيه** اي في ذاته وصفاته **انه**
بالنسبة الى بقية الكمل في اشراقه ورفعته عليهم **الشمس** المشرقة على هذا العالم البائنة عنه
رفعة فلا يصل اليها احد منهم **وانه الضياء** المفيض عليهم اضواء
الكمالات وخوارق العادات وبين الشمس والضياء تجنيس ومراعاة النظير وفيهما التشبيه
البليغ او الاستعارة الاصلية المطلقة على القول الذي مر مرادا معنى اوائل الكتاب ما للبلغاء
في التشبيه بالشمس فراجعه لكن ليس كون المشبه به اعلى من المشبه امرا مطردا بل قد ينعكس الحال
كما في صلاة التشهد كما صليت على ابراهيم على احد الاجوبة فيه ولهذا منع ذلك كما تنبه الناظم
رحمه الله تعالى لذلك حيث بين انه صلى الله عليه وسلم اعلى شانا في الضياء من الشمس فقال
عاطفا بفاء السببية اشعارا بالنكتة التي ذكرناها انه تنبه لها **فبسبب** ان المشبه قد يكون

اعلى من المشبه به كان شانه صلى الله عليه وسلم انه اذا ما يتكلم الجلال بن هشام على هذه في المغنى
مع اتفاقها في القران في غير موضع وتكلم على اذ ما مع انه كونها ليست فيه وتكلم على تلك البهاء السبكي
في عروس الافراح فقال ولات الشرط لكنه لم يتعرض لمن زيادة ما حق لحقها الى الحرفية اولا قال الجلال
السيوطي رحمة الله عليه يحتمل ان يجري فيها قولا اذ ما قول سيبويه انها حرف وقول المبرد وغيره
انها باقية على الظرفية ويحتمل ان يجزم ببقائها على الظرفية لان لها البعد عن التركيب بخلاف اذ ما انتهى
وفي ما علل به الجزم نظر لانه قابل للمنع فالذي يتجرجس بان الخلاف وان الاصح بقائها على الظرفية
لان ما تزاد في نحو ذلك كثيرا وح فيجري فيها احكام اذا غير الفجائية من ان الغالب انها ظرف للمستقبل
متضمنة معنى الشرط وتختص بالجمل الفعلية ولو مقدرة كاذا السماء انشقت وتحتاج لجواب
وتقع في الابتداء عكس الفجائية وجوابها اما فعل كما هنا او جملة اسمية مقرونة بالفاء او باذا الفجائية
نحو قوله تعالى اذا هم يستبشرون او فعلية طلبية كذلك وقد يقترن الجواب لدلالة السياق او
المقام عليه ثم المحققون على ان ناصبها شرطها والاكثرون على انه ما في جوابها من فعل او شبهه ولا
يخرج من الظرفية عند الجمهور وزعم الاخفش في حتى اذا جاؤها انها مجرورة بحتى وابن جني في اذا
وقعت الواقعة بناء على نصب خافضة رافعة ان اذا الاولى مبتدأ والثانية خبر والمنصوبان
حالان وكذا ليس ومعمولاها ثم قد يخرج من الاستقبال الجزئي للحال نحو قوله تعالى والليل اذا
يغشى وللماضي نحو قوله تعالى واذا راوا تجارة الاية فانها نزلت بعد الرؤية والانفضاض وعن
الشرطية نحو قوله تعالى واذا ما غضبوا هم يغفرون فهي ظرف لهم الابتداء وزعم انه جوابها
بتقدير فهم غفلة من ان حذف الفاء ضرورة وان هم تاكيد لواو يغفرون الذي هو جوابها
تعسف وان جوابها محذوف تكلف بلا ضرورة وقد يستعمل للاستمرار الازمنة نحو قوله تعالى
واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى وقد ينظر فيه بان الاستمرار هنا وفي نظايره التي استدلوا بها
اتما

اتما اخذ من قرينة السياق دون موضوع اذا ويفارق ان في احكام كثيرة منها ان اذا للمتيقن
والمظنون الكثير الوقوع كما هنا في اذا ما وان للمشكوك او الموهوم النادر ولا يرد نحو قوله تعالى
لئن متم لان الموت لكثرة الغفلة عنه وللجهل بوقته نزل منزلة الموهوم ولا نحو قوله تعالى
واذا مس الانسان الضر لانه لتخويفهم واخبارهم بانه لا بد ان يمسهم بشيء من العذاب
ضحى اي شيئا عقب طلوع الشمس وهذا ليس لتقييد الجزاء بل المراد محو نوره الظل يكون في
هذا الوقت وغيره لكنه في هذا الوقت اظهر لقوة ضياء الشمس وضحو نوره هاج محا نوره
بهذا وضحى التجنيس اللاحق وبهذا والضحاء تجنيس الاشتقاق الظل مفعول اي ظل ذاته
الكريمة او مطلق الظل مبالغة بل حقيقة لان نوره صلى الله عليه وسلم اصل كل نور وهو لا يبقى معه
ظلة ومنها الظل او المراد بالظل كل ضلالة ونقص وبنوره المجاء به صلى الله عليه وسلم من الكتاب والسنة
والعلوم والاداب لكن المراد بمحا على هذا مطلق ظهوره في هذا الكون باوصافه الكاملة والحال
انه قد اثبت الظلال جمع ظل وهو ما تنسخه الشمس او ينسخها هو واخص منه الفيء
لانه اسم لما بعد الزوال من الزوال فهو ما نسخ الشمس وقيل كل ما تنسخه فهو فيء وظل وكل ما لم تنسخه
فهو ظل لا فيء الضحاء بالضم اي ارتفاع الشمس فنبينا صلى الله عليه وسلم الاكمل من الشمس
رفعة وضوء لان نورها يثبت الظل ونور نبينا يمحوه ويدل على المعنى الاول ان من خصايصه
صلى الله عليه وسلم انه اذا مشى في الشمس لا يظهر له ظل لطهارة ذاته عن كل نقص ولان الله تعالى
استجاب له دعاءه المشهور ان يجعل له كله نورا فكان بدنه صلى الله عليه وسلم في غاية الاضائة والنور
لا تحجب ما يقابلها وقيل مد الضحى لضرورة النظم انتهى وفيه نظر بل الذي في القاموس ان الممدود ما
قرب من انتصاف النهار كما مر ثم ذكر ان المقصور الشمس وح ان اريد بالضحاء الشمس كان مده
ضرورة او قرب انتصاف النهار كان مده صحيحا لا ضرورة فيه لكن لا يصح ارادة هذا هنا كما هو ظاهر

من جعل النظم جملة وقال الخ الحال من فعل تنبيه لك ان تستشكل تركيب قوله
شمس فضل الى اخره بان حكم عليه بانه شمس الفضل يغني عن قوله تحقق الظن الى اخره لانه اذا اثبت
اولا انه شمس الفضل الذي هو اسم لكل كمال علم انه الشمس في الرفعة وانه الضياء فقوله تحقق
الظن الى اخره لا حاجة اليه وجوابها ما اشرت اليه في حله من ان جملة تحقق الظن فيه الى اخره حال
مؤكدة لما قبلها وصاحب الحال الضمير العائد عليه صلى الله عليه وسلم اذ مستقل وشمس فضل
معطوفان على بحر بحذف حرف العاطف او مقدر لكل مبتداء استينافا لتعداد شمائله
صلى الله عليه وسلم اشارة الى ان كلا منها مستقل كامل في ذاته لتضمنه البقية كما مر في شرح قوله
كل وصف له ابتداء منه الى اخره ولما ورد على ظاهره فربه نظرا للاحتمال الثاني من ان نوره يمحو كل
ظل لم يبق له صلى الله عليه وسلم ان الغمامة كانت تظله بان يقال كيف يمحو نوره الظل والغمامة اظلته
فلم لم يمح نوره ظل الغمامة ولم احتاج اليه مع انه الضياء الاعظم من ضياء الشمس فلا يؤثر فيه
اشار الى الجواب ذلك لكن بما قد يقصر عنه عبارته ببادي الراي فقال فبسبب محو نوره الظل
الحسي على ما مر صلى الله عليه وسلم هو الظل المعنوي الاعظم على جميع اتباعه حتى كان
الغمامة لما اظلته قبل النبوة ارهاصا وتاسيسا لما سيصير اليه امره اعلمته بانها
استودعته الانه بارها لكن اصحابه بلا واسطة وهم الخلفاء ومن بعدهم بواسطة
استمداد الاولين من ظله والمداد لمن بعدهم من ذلك الظل ما الذين بواسطتهم من اي
الذين اظلت هم من بعض ظله الاعظم الدفقاء جمع دافٍ كعلماء
جمع عالم وهم جيوشه سمي الجيوش بذلك لانهم يدفون نحو العدو اي يسيرون اليه لقهره و
استيصاله وحاصل الجواب ان ذلك التظليل الذي كان قبل النبوة كان لحكمتين احديهما
الارهاص كما تقرر وثانيتهما اعلامه صلى الله عليه وسلم بما سيؤول اليه امره من ان الله سيجعل له انه
اكثر

اكثر الامم وانهم قرون متفاوتون وان كل قرن مستمد من القرن الذين قبلهم وان الكل مستمدون
وممدون من ظله فسابق القرون مستمدون منه وممدون من اصحابه واصحابه مستمدون منه و
ممدون من ظله وح فلا تنافي بين محو نوره الظل وبقاء الظل مع نوره عند تظليل الغمام
او لان المحو هو الاصل المستمد والبقاء انما كان على خلاف الاصل للحكمتين المذكورتين احديهما
الارهاص والثانية الاعلام له بعموم ظله المعنوي على امته من اولهم الى اخرهم فتامل ذلك فانه
مهم بل انغلق معنى هذا البيت على الشارح فقال انه موجد هذا البيت في بعض نسخه وانه غير ظاهر المعنى
وسبب انغلاقه عليه جعله الضمير المفعول في استودعته للظل لا يقال بل ما قاله من رجوعه للظل
يتضح به المعنى لكن ان جعلنا الدفقاء الطيور ويكون في البيت ح التلميح الى قصة ان الطيور
كانت تظل الانبياء قبله كداود وسليمان بل بني اسرائيل وظللنا عليهم الغمام وح فكانه
يقول الغمامة لما اظلته استودعت الظل الانبياء الذين اظلتهم الطيور من ظله لانا نقول هذا
المعنى لا يطابق اللفظ سلمناه مع ما فيه من البعد والتكليف فمن زعم دفقاء فعلاء وهو انما
يكون جمعا لفعيل اذا كان وصف مذكر عاقل بشروط اخرى ولما دل على سجية حمد او ذم
اخرى كشجاع وشجعاء وصالح وصلحاء وشاعر وشعراء وجاهل وجهلاء فعلم انه لا يصح حمله
على الطيور اصلا لانه انما يكون جمعا لصفة عاقل مذكر او سجية حمد او ذم بشرطهما على ان الذي
سمع في الطيور دفوف في العقاب وفعلاء لا يجمع عليه اصلا ودافٍ فيما يطير بجناحيه [illegible]
وهو وصف لغير عاقل ودفيف بوليس وصفا للطائر بل لحركته وبتسليم انه وصف لعاقل
فان قلت المعنى الصحيح ان الغمامة لما اظلته استودعت الظل الطيور التي اظلت الانبياء
من ظله فهلا يحمل النظم عليه قلت يعارضه ما تقرر في فاعل جمع فعلاء وبتسليم تجوز في الجمع
فالنظم يبنو عن هذا المعنى بكل وجه كما هو واضح فان قلت ظاهر كلام الناظم في البردة انه

احتاج لتظليل الغمامة لتقيه حر الشمس فينافي ما مر ان تظليلها للحكمتين السابقتين
قلت ما افهمه كلامه ثم تعارضه ان تظليلها لم تكن الا قبل النبوة اما بعدها كما مر ولو كان لما ذكره
لكان بعد النبوة ايضا فان قلت قد ظلل عليه صلى الله عليه وسلم عند رمي الجمرة بثوب وهو
يشعر بالاحتياج قلت هذا من ضرورة الجبلة البشرية وما نحن فيه من حيث الحقيقة والا
الاصلية فتامله وايضا فهو صلى الله عليه وسلم برز للشمس في عرفة ولم يظلل اشارة الى ان
للمحرم ان يبرز للشمس وظلل عند الرمي اشارة الى انه ليس البروز للشمس هنا كذا ذكره
وعليه فلا اشكال ابدا وعرفت قصة تظليل الغمام مرارا في شرح قوله فاناها ان الغمامة
والسرح اظلته منهما افيا. واذا تقرر ان كل فضل مستمد من فضله وان نوره محا الظلام على
سبق في معناه علم انه قد **خفيت عنده** اي جنب ما اوتيه **الفضائل**
التي اوتيها غيره من الانس والملائكة والجن **و** انه قد **انجابت** اي انكشفت **به**
اي بسبب ما بثه فينا من علومه وادابه واخلاقه **عن عقولنا** معترانه الاجابة والعقل
لغة المنع واصطلاحا غريزة يتبع العلم بضعفاء الاشياء بالضرورات عند سلامة الالات وفيه
خلاف طويل اشار اليه في القاموس وعبارته العقل العلم بصفات الاشياء من حسنها وقبحها وكمالها
ونقصانها او العلم بخير الخيرين وشر الشرين او مطلق الامور ولقوة بها يكون التمييز بين القبيح
والحسن ولمعان مجتمعة في الذهن تكون بمقدمات يتستب بها الاغراض والمصالح ولهيئة
محمودة للانسان في حركاته وكلامه والحق انه نور روحاني به تدرك النفس العلوم الضرورية والنظرية
وابتداء وجوده عند اجتنان الولد ثم لا يزال ينمو الى ان يكمل عند البلوغ انتهت **الاهواء**
اي الضلالات والنقائص فلم نقع في ورطة شيء منها كما وقع فيها من اعرض عن الهدى وسلك
سبيل الردى ثم استدل على ذلك الخفاء كشف الهوى بما افاده الاستفهام الانكاري

فقال

فقال على طريق اللف والنشر المرتب ايوجد **مع الشمس للظلام بقاء**
ا يوجد **مع الصبح للنجوم تجلي** اي انما خفيت من الفضائل عنده لانه
الفجر الصادق وغيره من سائر الكمل كالنجوم فكما ان النجوم لا يبقى نورها مع الفجر فكذلك سائر
الكمل وانما كشف عن عقولنا الاهواء لانه الشمس كما مر والاهوية والنقائص كالظلام فكما ان
الظلام لا يبقى مع الشمس فكذلك الاهوية والضلالات لا يبقى مع اشراق الشمس من
بينها وبين ما اشرقت عليه وبين الصبح والنجوم والظلام تجنيس التقابل وفي البيت الكلام
الجامع ولما قرر ما يتعلق بقوله شمس فضل بما بعده الى هنا الا انه مناسب له عطفه بحذف حرفه
واستانف نظرا لما مر فقال **معجز القول** لان الله تعالى امتن عليه بجوامع الكلم التي
اوتيها دون غيره ومن ثمة قال بعض العلماء ان كلامه معجز كالقران وكان الناظم اعتمد هذا القول
حيث عبر بما يوافقه وان احتمل ان يريد ما يوافق مذهب الاكثرين ان كلامه غير معجز **و** معجز
الفعال فلا يقدر مخلوق ان يوجد فعلا مطابقا للسابق المصالح الظاهرة و
الباطنة في ذلك الوقت الذي اوجد فيه ذلك الفعل غيره صلى الله عليه وسلم وهذه هي مرتبة
الخليفة الالهية الذي لا يدخل احد اليها الا باذنه كما يعلم **كريم الخلق** كما قدمته
مبسوطا في شرح قوله فتنزه في ذاته الى اخره **و** كريم **الخلق** بضم اوله كما مر مبسوطا
في شرح قوله ما سوى خلقه النسيم وبين القول والفعل والخلق والخلق تجنيس التقابل مع
تجنيس التحريف في الثاني **مقسط** اي عادل في احكامه واقواله والفعل والخلق
وافعاله فلا يصدر منه شيء قط الا على غاية العدل باطنا وظاهرا باتفاق كل من رآه وعلم احواله
اعدائه ومنا دير الاثر ان قريشا لما بنوا الكعبة والنبي معهم قبل النبوة فوصلوا الى موضع الحجر
الاسود اختلفوا فيمن يضعه في محله ثم اجمعوا على انهم يحكمون اول داخل المسجد فكان النبي

صلى الله عليه وسلم فقالوا هذا الامين محكما فامر بوضعه في ثوب وامر رئيس كل قبيلة ان يمسك
بطرف الثوب ثم يرفعوه ففعلوا الى ان بلغوا به محله فاخذه صلى الله عليه وسلم فوضعه في محله وصح
ان رجلا قال له وهو يقسم اعدل فقال ويلك فمن يعدل ان لم اعدل خبت وخسرت ان لم ا
وكان يقول ابلغوا حاجة من لا يستطيع ابلاغ حاجته فانه من ابلغ حاجة من لا يستطيع ابلاغها ثبت قدميه
الله يوم الفزع الاكبر وكان لا يواخذ احدا بقول احد ولا يصدق احدا في احد **معطاء**
اي كثير العطاء الذي يعجز عن ادناه الملوك فقد صح عن انس كان صلى الله عليه وسلم احسن الناس
واشجع الناس واجود الناس واقتصاره على هذه الثلثة من جوامع الكلم التي منحها
صلى الله عليه وسلم لانها امهات الاخلاق اذ في كل انسان ثلث قوى الغضبية وكمالها الشجاعة
والشهوانية وكمالها الجود والعقلية وكمالها اكتساب الفضائل واجتناب الرذائل وصح عنه
ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا الا اعطاه فجاءه رجل فاعطاه غنما بين جبلين فرجع
الى قومه فقال اسلموا فان محمدا يعطي عطاء من لا يخاف الفقر واعطى صفوان بن امية يوم حنين
حتى اسلم مائة من الغنم ثم مائة عن جابر ما سئل صلى الله عليه وسلم عن شيء قط فقال لا اي لا ينطق
بالرد بل ان كان عنده المسئول وساغ الاعطاء بان لم يرصد ما عنده لما هو اهم اعطاه والا
كما في حديث مرسل فحكم لا يناني الحديث الاية قلت لا اجد ما احملكم عليه فهو لا يقولها منعا للعطاء
بلا اعتذار حيث لا ينفع السكوت لنحو جهل السائل وفي حديث الترمذي انه حمل اليه سبعون الف
درهم فقام اليها فاقرها سائلا حتى فرغ منها وقال للسائل ما عندي شيء ولكن ابتع علي فاذا جاءنا شيء
قضيناه فقال له عمر ما كلفك الله ما لا تقدر فكره منه ذلك فقال انصاري انفق يا رسول الله
ولا تخف من ذي العرش اقلالا فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرف البشر في وجهه وقال بهذا
امرت وقوم ما اعطاه يوم حنين فكان خمسمائة الف الف قيل هذا غاية الجود الذي لم يسمع

لاحد

لاحد مثله وصح انه اتي بمال من البحرين فامر بصبه في المسجد وكان اكثر مال اتي به صلى الله عليه وسلم
وفي رواية مرسلة كان مائة الف فخرج للصلوة فلم يلتفت اليه ثم بعدها جلس اليه ففرقه ومع هذا الجود
الشائع الذائع كان صلى الله عليه وسلم يعيش عيش الفقراء ويأتي عليه شهران لا توقد في بيته نار وربما
ربط الحجر على بطنه الشريف من شدة الجوع وجاءه سبي فسألته فاطمة في خادم يكفيها مؤنة بيتها
فامرها ان تستعين بالتسبيح والتكبير والتحميد وقال لا اعطيك وادع اهل الصفة تطوى بطونهم
من الجوع واذا علمت اتصافه صلى الله عليه وسلم بهذه الاوصاف الجليلة التي لم توجد مثلها ولا ما
يقاربها في مخلوق غيره علمت ان من الواجب على كل من عرف ذلك ان يقول لمن لم يعرفه حق معرفته
لا تقس من قست الشيء بغيره قدرته على مثاله اي لا تشبه بالنبي الموصوف بما ذكر من نبينا
صلى الله عليه وسلم الجامع لتلك الصفات بل ولا في كل وصف منها على حدته لان كل وصف من اوصافه
وصل فيه الى غاية لم يلحقه مخلوق فيها **خلقا** نبيا او ملكا او غيرهما اي لا تعتقد ان مخلوقا
او يقاربه في وصف من اوصافه كما لم يمار اول الكتاب في شرح قوله لم يساووك في علاك الى اخره
فهو لا غيره **البحر** الجامع لكل وصف من اوصاف الكمال البالغ النهاية فيه **والانام**
هو كما في القاموس كسحاب والانام بالمد والانيم كامير الخلق او الجن والانس او جميع ما على وجه الارض
انتهى والمراد هنا الاول بدليل قوله الاتي في العالمين **اضاء** بالكسر والمد جمع اضاءة
وهي الغدير ويجمع ايضا على اضا كقناة وقنا وشتان ما بين البحر والغدير ففيه مراعات النظير وكيف لا
وكل فضل وجد **في العالمين** للانس والملائكة والجن **فهو** كائن
من فضل ذلك **النبي** الاكرم على ربه على سائر الانبياء والمرسلين والملائكة المقربين
وبين فضل والفضلاء تجنيس الاشتقاق **استعاره** حال من ضمير الظرف المستقر
الفضلاء لانه الممد لهم اذ هو الوارث للحضرة الالهية والمستمد منها بلا واسطة

في الفضل

غير فانه لا يستمد منه الا بواسطة فلا يحصل منها الكامل شئ الا وهو من بعض مدده وعلى يديه فايات
كل نبى انما هى مقتبسة من نوره لانه كالشمس وهم كالكواكب فهى غير مضيئة بذاتها انما هى مستمدة
من نور الشمس فاذا غابت ظهرت انوارها فهم قبل وجوده صلى الله عليه وسلم انما كانوا يظهرون
فضله وانوارهم مستمدة من نوره الفائض ومدده الواسع الا ترى ان ظهور جلالة آدم وا
بالاسماء كلها انما هو مستمد من جوامع الكلم المخصوص به نبينا صلى الله عليه وسلم ثم توالت الخلا
الى زمن وجوده جسمه فلما برز كان كالشمس اندرج فى نوره كل نور وانطوى تحت منشور ايته
كل اية لغيره من الانبياء فلم يعط احد منهم كرامة او فضيلة الا وقد اعطى مثلها او اعظم منها كما
الائمة وصححوه ومنه ان آدم لما اعطى خلق الله بيده اعطى نبينا انه شق صدره وملئ مع ذلك
النبوى فتولى من آدم الخلق الجسمى ومن نبينا الخلق النبوى الذى كان هو المقصود من خلق
آدم ومن ثمه لم يكن سجود الملائكة الا لنور محمد الذى فى جبهة آدم كما قاله الفخر الرازى وادريس
لما اعطى المكان العلى اعطى نبينا المعراج الافخم الاعظم ونوح لما ان نجى هو وقومه اعطى نبينا ان
الله لم يهلك امته بعذاب عام ووقع فى تفسير الرازى انه اعطى مكان السفينة انه دعا حجرا وهو على
شط ماء فانقلع وسبح الى ان جاء اليه وشهد له بالرسالة وابراهيم لما نجى من النار نجى نبينا من نار الحرب
قال الله تعالى كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله وروى النسائى انه احترق جلد طفل كله
فمسحه صلى الله عليه وسلم فصار صحيحا ولما اعطى ابراهيم مقام الخلة اعطى نبينا ذلك وزاد عليه
بمقام المحبة الارفع من كل مقام ومن ثمه يقول ابراهيم فى الموقف لما يسئله الشفاعة العظمى
كنت خليلا من وراء وراء ولما اعطى بناء الكعبة اعطى نبينا وضع الحجر الذى هو وجهها بحله لما
بنته قريش ولما اعطى موسى قلب العصا حية اعطى نبينا حنين الجذع الذى هو ابهر واغرب
وذكر الرازى وغيره ان ابا جهل اراد ان يرميه بحجر فراى على كتفيه ثعبانين فانصرف مرعوبا

واليد

واليد البيضاء التى بياضها يغشى البصر اعطى نبينا انه كان عنده عباد بن بشر واسيد بن حضير ليلة
فخرجا وبيد كل عصا فاضاءت لهما عصى احدهما فمشيا فى ضوئها فلما افترقا اضاءت عصى الاخر
صححه الحاكم واخرج البخارى فى تاريخه والبيهقى وابو نعيم عن حمزة الاسلمى قال كنا مع النبى
صلى الله عليه وسلم فى سفر فتفرقنا فى ليلة ظلماء فاضاءت اصابعى حتى جمعوا عليها ظهرهم وما هلك
منهم وان اصابعى لتنور والبحر اعطى نبينا انشقاق القمر الذى هو ابهر لانه تصرف فى العالم
العلوى على انه نقل ان ما بين السماء والارض بحرا يسمى المكفوف بحر الارض بالنسبة اليه كقطرة
من البحر المحيط فعليه يكون انفلاق لنبينا صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء وتفجر الماء من الحجر اعطى
نبينا تفجيره من بين اصابعه وهو ابلغ لان الحجر من جنس الارض التى ينبع منها الماء و
الكلام اعطى نبينا مثله ليلة الاسراء وزيادة الدنو والرؤية وبين البحرين شتان ما بين جبل
الطور الذى نوجى موسى عليه السلام وما فوق العرش الذى نوجى نبينا صلى الله عليه وسلم وهارون
الفصاحة اعطى نبينا ابلغ منها وابهر على انها فى العبرانية والعربية افصح منها ومن ثمه لم يكن فصاحته
معجزة بخلاف فصاحة نبينا فانها معجزة عند بعضهم وكذا عند الكل لكن بالنسبة لما اشتمل عليه
من الاخبار بالمغيبات ولم يتحد الانبياء بها ولقد قال له بعض اصحابه ما رأينا الذى هو افصح
منك فقال وما يمنعنى وانما نزل القران بلسانى بلسان عربى مبين ويوسف شطر الحسن وبل
الرؤيا اعطى نبينا الحسن كله كما فى الحديث وعرض الرائى فوقعت كما عبر ما لا يدخله الحصر و
تعبير يوسف انما كان فى تلك الرائى كما فى سورته وداود تليين الحديد اعطى نبينا ان العود اليابس
اخضر بين يديه وان شاة ام معبد درت ببركة يديه ولم تلد قط كما وسليمان كلام الطير اعطى
نبينا صلى الله عليه وسلم انه كلمه الحجر وسبح فى كفه الحصى وكلمه ذراع الشاة المسمومة والضب وشكى اليه البعير
والريح التى غدوها شهر ورواحها شهر اعطى نبينا البراق وهو اسرع من الريح بل من البرق

الخاطف فحمله من الفرش الى العرش فى لحظة واحدة واقل مسافة ذلك فوق سبعة الاف سنة وما
فوق العرش الى المستوى والرفرف لا يعلمه الا الله وايضا الريح سخرت لسليمان تحمله الى نواحى
الارض ونبينا صلى الله عليه وسلم زويت له الارض اى جمعت حتى راى مشارقها ومغاربها وا
فرق بين من يسعى الى الارض ومن تسعى له الارض وتسخير الجن اعطى نبينا ان الله مكنه من شيطان
تفلت عليه فى صلوته فاراد ان يربطه بسارية ثم خلاه حتى سليمان ولم يستحوا السليمان الا
فى العمل وهذا الطير من جملة جنده والعجب يفاوه حمامة الغار وعنكبوته بل هذا العجب لان فيه
الحماية من العدد الكثير بالشئ القليل وعيسى ابراء الاكمه والابرص واحياء الاموات اعطى نبينا
رد العين الى محلها بعدما سقطت فعادت احسن ما كانت ذكر الرازى انه صلى الله عليه وسلم
مسح برصى فشفيت والبيهقى ان رجلا قال له لا اومن بك حتى تحيى لى ابنتى فاتى قبرها
فخاطبها فاجابته وتسبيح الحصى وحنين الجذع ابلغ من تكليم الموتى لانهما من جنس من يتكلم
وبالجملة فقد اوتى نبينا صلى الله عليه وسلم مثلهم وزاد بخصائص لا تحصى على ما بانه الممد لهم
دائما وفيه تجنيس الاشتقاق وعدل عن الاستعارة ليصفهم بالفضل اى هم مع كونهم فضلاء
كاملين على بقية العالم انما يستمدون من محمد صلى الله عليه وسلم الاعلى وجه الاصالة و
الاستقلال بل على وجه الاستعارة المستحقة الرد اذ المراد ما المعير لهم لا يكون كذلك وقد **شق**
عن صدره وفى نسخة عن قلبه وكل منهما صحيح لانه شق صدره ثم قلبه المرة
بعد المرة الى ان تكرر ذلك الشق اربع مرات وخمسا مبالغة فى التطهير والتخليص من الاغيار
ولم يحصل لاحد من الكمل نظير ذلك ولا ما يقاربه وقد مر الكلام على ذلك مستوفى فى مبحث رضاعه
صلى الله عليه وسلم فراجعه فانه نفيس **وشق له** اى لاجله **البدر** اى القمر بمكة
قبل الهجرة بنحو خمس سنين لما كذبه كفار مكة وبالغوا فى عناده فطلبوا منه ايتهم بها اياهم تدل

ع

على صدقه وهى ان يشق لهم القمر نصفين فسئل ربه وانشق له كذلك كما نص عليه القران و
تواترت به الاحاديث كما حققه التاج السبكى وغيره واجمع عليه المفسرون واهل السنة اعلاما
بصدقه فى دعواه الرسالة والوحدانية لله تعالى وان ما يعبدونه باطل لا يضر ولا ينفع
لم يقع انشقاقه لغيره صلى الله عليه وسلم وهو من امهات معجزاته لا يكاد يعدلها شئ من
ايات الانبياء لظهوره فى ملكوت السموات خارجا من جملة طباع ما فى هذا العالم المركب من الطبائع
فلم يطمع احد فى الوصول اليه بحيلة وفى روايات ما يوهم تعدد الانشقاق مرتين وظاهر كلام
بعضهم حكاية الاجماع عليه لكن رد بان احدا من ائمة الحديث لم يجزم بذلك وبان من قال
مرتين اراد فرقتين كما فى روايات او فلقتين كما فى اخرى وفى روايات ان فرقة كانت فوق جبل حرى
واخرى كانت اسفله وفى رواية انه كان بمكة المراد منها ان ذلك كان وهم بمكة قبل الهجرة فلا دليل
فيه على انه صلى الله عليه وسلم كان بمكة ليلة اذ وفى رواية لاحد فصار فرقتين فرقة على هذا الجبل
وفرقة على هذا الجبل وفى روايات انه قال لهم اشهدوا فقالوا سحرنا محمد ثم اتفقوا على ان يسئلوا
السفار فجاؤا من كل جانب واخبروا به فقال بعضهم لبعض لا يستطيع محمد ان يسحر الناس
كلهم وانكار جمهور الفلاسفة ومن وافقهم من المبتدعة ذلك مبنى على انكارهم خرق الاجرام
العلوية والتيامها وذلك من جملة كفرهم وتفوقهم بمقتضى عقولهم سفاهة من الشرائع فيما
وردت به واما قول بعضهم الملاحدة لو وقع هذا النقل متواترا واشترك اهل الارض كلهم
معرفته ولم يختص بها اهل مكة لتوفر الدواعى على نقل العجائب فهو من فهو من ترهاته لانه انما
يتوجه لو كان نهارا او اول الليل والناس مستيقظون اما اذا وقع لحظة والناس الا القليل نيام
ومن لم ينم لم ينظر الى السماء فلا يلزم ما ذكره على ان الاجماع الموافق للقران او السنة لا
فيه مثل هذه التخيلات الفاسدة وكان هذا الملحد لم يسمع بما هو الواقع البديهى ان الكسوف قد

يدركه اهل قطر دون قطر الى آخره وما قيل ان القمر دخل في جيبه صلى الله عليه وسلم وخرج من كمه باطل لا اصل له **تنبيه** البدر القمر ليلة اربعة عشر وظاهر تعبير الناظم بالبدر ان الشق كان ليلة اربعة عشر ولم ار ذلك سلفا ولعله اراد بالبدر مطلق القمر وسمي بذلك لانه يبادر الشمس بالطلوع كانه يعجلها المغيب قبل التمام وتناسبها ومن المعجزة رد الشمس له صلى الله عليه وسلم بعد ما غابت حقيقة لما نام صلى الله عليه وسلم في حجر علي بالصهباء قرب خيبر حين غابت ولم يمكنه ايقاظه لاحتمال انه يوحى اليه فلما استيقظ سأله رسول الله صلى الله عليه وسلم اصليت العصر قال لا فدعا الله ان يردها عليه لانه كان في طاعة الله ورسوله فردت ليصلي العصر اداء كرامة له صلى الله عليه وسلم وهذا الحديث طعن في صحته جماعة بل جزم بعضهم بوضعه وصححه آخرون وهو الحق وقول اسماء في الرواية الصحيحة فرأيت الشمس طلعت بعد ما غربت حتى وقعت على الجبال وعلى الارض وقام علي فتوضأ وصلى العصر ثم غابت يرد لزعم انها انما وقفت ولم ترد ولزعم ان حركتها انما ابطات فقط وفي رواية سندها حسن امر صلى الله عليه وسلم الشمس فتاخرت ساعة من نهار ومن انها ردت عليه بعد الاسراء لما اخبرهم بعيرهم ولولا ذلك كله الحديث الصحيح لم تحبس الشمس على احد الا ليوشع بن نون حين قاتل الجبارين يوم الجمعة فلما ان ادبرت الشمس خاف ان تغيب قبل ان يفرغ منهم ويدخل السبت فلا يحل له قتالهم فيه فدعا الله فرد عليه الشمس حتى فرغ من قتالهم وذلك لان المراد على احد غيري الا يوشع على ان كثيرا او الاكثرين من الاصوليين على ان المتكلم لا يدخل في عموم كلامه ومن حبسها يوم الخندق حين شغل عن صلوة العصر وذكر البغوي في تفسيره ردها على لسليمان صلى الله عليه وسلم وهو مردود بان المراد الصافنات لانها المذكورة دون الشمس وبين شق وشق الجناس التام وهو ان يتفق اللفظان جرما وعددا وهيئة ومنه قوله تعالى ويوم

تقوم

تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة واعترض بان الساعة في الموضعين بمعنى واحد وشرطه اختلاف المعنى وان لا يكون احدهما حقيقة والآخر مجازا بل حقيقتين وزمان الساعة وان طال لكنه عند الله في حكم الساعة الواحدة فاطلاق الساعة على القيامة مجاز وعلى الآخر حقيقة وذلك يخرج الكلام عن التجنيس كما لو قلت ركبت حمارا ولقيت حمارا يعني بليدا انتهى فان قلت هلا يأتي هنا لان الشق في الموضعين بمعنى واحد وبتسليم الاختلاف فهو في احدهما حقيقة وفي الاخرى مجاز قلت يمكن ان يقال ان فيهما مختلف وحقيقي اذ شق الاجرام الجمادية غير شق الاجرام الحيوانية من حيث الصورة والاثر ايضا فشق القمر شق جرمه كله وشق الصدر ازالة غشاوة الاغيار وكفى بهذا اختلافا فانه المتبادر من كل منهما انه حقيقي كما لا يخفى قيل ليس في القرآن من الجناس التام غير هذه الآية واستدرك عليه شيخ الاسلام ابن حجر بآية يكاد سنا برقه يذهب بالابصار فان استعمل الابصار اولا بمعنى العيون وثانيا بمعنى البصائر وقد ينظر فيه بان استعمال الابصار في البصائر مجاز وقد تقرر انه لا يكفي وقد يجاب بادعاء انه حقيقة عرفية وكل فالاول في القرآن آية اخرى اظهر من تينك وهي يلوون السنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب فالاول ما كتبوه بايديهم المذكور في فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم والثاني التوراة والانجيل والثالث الجنس الشامل لكتب الله كلها اي وما هو من شيء من كتب الله فان قلت هذا اعم من الثاني فليس مغايرا له من كل وجه قلت بل يستحق مغايرة الحقيقة كما صرحوا به وعلى التنزيل وان هذا التغاير لا يكفي هنا فيكفي التغاير بين اللفظين الاولين فيتحقق الجناس التام فيهما فان قلت لم لم يعد وامسح ان النفس بالنفس الى آخره قلت كانه يكون هذا مميزا يمنع تمام التجنيس وهو الباء الداخلة على المقابلة فتأمله فان قلت لم اكتفي في التورية بكون احدهما مجازا لا هنا قلت لوضوح الفرق اذ مبنى التورية على قصد المعنى البعيد والمجاز قد يكون كذلك ولا كذلك الجناس التام فلم يكتف فيه كون احدهما مجازا

ومن ثمة اقر بعض المحققين شرط كونهما حقيقتين وعليه يحتمل ان يقال لا بد ان يكون كل منهما في الشرع او في العرف او في اللغة فلا يكفي كون احدهما حقيقة شرعية والآخر حقيقة لغوية مثلا لان هذين كالحقيقة والمجاز وقد تقرر انهما لا يكفيان ويحتمل ان يقال يكفي ذلك ويؤيده اطباقهم على ان الآية فيها الجناس التام مع ان حقيقة الساعة لغة او عرفا او شرعا شيء واحد انما الاختلاف من حيث انها في مطلق الزمن حقيقة لغوية وفي القيمة حقيقة شرعية وهذا الثاني اقرب وتمادى بل اشتراط كونهما حقيقتين انما هو لفظهما الباقي دائما الاول حقيقة ومجاز فلو قلنا بانه يكفي كون احدهما مجازا لزم وجود التجنيس في غالب الالفاظ او كلها وهو بعيد جدا ولك ان تاخذ من قولهم ليس في القرآن جناس تام الا ما مر مع ما فيه من نحو النفس الذين قال لهم الناس البحر بالبحر ونحو ذلك ان شرط الجناس التام ان لا يكون في اللفظ قرينة ظاهرة تدل على تغاير معنى اللفظ المتحد وهو متجه لان مع فهم التغاير ليس فيه تعمية اصلا ومبنى الجناس التام انما هو التعمية على السامع مما امكن نظير التورية ولم ار احدا من اهل البديع في هذا المبحث ما ينبغي فتامله فان قلت ما ذكره في شق من الاختلاف فانما هو بالنظر المتعلق الشقين دون موضوعهما وذلك لا يكفي قلت هذا وان كان ظاهر كلامهم الا انه لا يمنع من ان يلحق به اختلافهما من حيث المتعلق اذا تباينت بصورتهما وانما شق له القمر لانه شق عن صدره حتى اخرج قلبه ثم شق وطهر مجزيا على ذلك اذ **من شرط كل شرط** وقع في البدن لغرض مقصود ان يكون لاجزاء من يريد منه معنى او غيره فكذا هنا لما وقع صلى الله عليه وسلم بشق قلبه المرة بعد المرة وبما حصل له من الخوف والتألم جوزي على ذلك بجزاء عظيم مشابه له في الصورة هو شق القمر الذي هو اظهر معجزاته وابهرها بعد القرآن وفي كلامه الجناس التام بين شرط وشرط اذ هما مختلفان معنى وهما حقيقتان ولا يقدح فيه كون الاول حقيقة لغوية والثاني حقيقة عرفية على ان الاول يحتمل

انه

ان يكون بمعنى العلامة فيكون مع كون الثاني بمعنى الجرح كل منهما حقيقة لغوية فجاء التجنيس التام اتفاقا وبفرض ان احدهما مجاز يكون فيه التورية او حقيقة ايضا لكنه بعيد منهما من اللفظ يكون فيه الجناس التام والتورية ومر الكلام فيهما مستوفى اذ الشرط المراد به في الاول ما علق عليه حصول شيء آخر يسمى جزاء وفي الثاني شق الجلد واللحم والجزاء فيه تورية ايضا اذ هو يطلق على الجزاء النحوي والجزاء العرفي وهو المجازاة على صنيع وقع منه ومنه جزية وجائزة بما صنع جزاء ومجازاة ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم ايضا انه في غزوة بدر وغزوة حنين **رمى** اعداءه **بالحصى فاقصد** اي اصاب فاهلك ففي القاموس اقصد السهم اصاب فقتل مكانه **جيشا** عظيما كانوا تألبوا عليه حتى ظن ظان انهم لا يبقون احدا من المسلمين وبيان ذلك انه لما التقى الجمعان يوم بدر تناول صلى الله عليه وسلم كفا من الحصى فرمى به في وجوههم وقال شاهت الوجوه اي قبحت وانهزمت فلم يبق مشرك مع كثرتهم وقلة ذلك الحصى الا دخل في عينيه ومنخريه منها شيء فانهزموا فقتل الله من قتل من صناديد قريش واسر من اسر منهم قال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم في قوله وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى قال هذا يوم بدر اخذ صلى الله عليه وسلم ثلاث حصيات فرمى بحصاة في ميمنة القوم وبحصاة في ميسرة القوم وبحصاة بين اظهرهم وقال شاهت الوجوه فانهزموا ولذلك روى غير واحد انها نزلت في رميه يوم بدر وان كان رمى في غيره ولاهل الجبر في هذه الآية غلط لا باس بذكره ثم رده فقالوا انما سلب الفعل النبي صلى الله عليه وسلم عنه واضافه الى ربه وهو عين الجبر وابطال نسبة افعال العباد اليهم وليس كما زعموا اذ لزم من ان لا تكليف ولا عقاب وسر ما في الآية ان تلك الرمية من البشر لما لم تبلغ هذا المبلغ كان منه صلى الله عليه وسلم مبدؤها وهو الحذف ومن رب العالمين نهايته وهو الايصال فاضاف اليه رمي الحذف الذي هو مبدؤه ونفى عنه رمي الايصال الذي هو نهايته ونظير هذا في

الآية بعينها فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم فاخبرهم تعالى انه المتفرد بالتاثير وان غيره ليس منه الا
تظهر للناس قيل ورماهم بالحصى يوم الاحزاب وفيه نظر وانما الذى نقل انه صلى الله عليه وسلم لما
بلغت القلوب الحناجر دعا عليهم فقال اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اهزم الاحزاب
اللهم اهزمهم وزلزلهم فارسل الله عليهم الريح فرمتهم بالحصباء وسفت عليهم التراب واقلعت
اوتاد خيامهم فسقطت عليهم وكفات قدورهم وسمعوا فى ارجاء معسكرهم التكبير وقعقعة
السلاح فارتحلوا خائبين اليسين ومن ثم اخبر صلى الله عليه وسلم انهم لا يغزونهم بعد اليوم
فكان كذلك ولما التقى الجمعان يوم حنين استقبل المسلمين من هوازن مالم يروا مثله قط من السواد
والكثرة فحملوا حملة واحدة فانهزم المسلمون ولم يبق معه صلى الله عليه وسلم يومئذ الا ناس قليلون
من اهل بيته العباس وابى سفيان بن الحارث وعلى والفضل واصحابه ابى بكر وعمر والخوين فامر
صلى الله عليه وسلم ان ينادى فى الناس ليرجعوا فلما سمعوا نداءه اقبلوا كانهم الابل اذا حنت على
اولادها يقولون يا لبيك يا لبيك فاقتتلوا مع الكفار واشتد القتال حتى قال صلى الله عليه وسلم
حمى الوطيس وهو التنور الذى يخبز فيه اى اشتدت الحرب حتى اشبهت التنور وح تناول صلى الله عليه وسلم
حصيات من الارض ثم قال شاهت الوجوه ورمى بها فى وجوه المشركين فما خلق الله منهم انسانا
الا ملا عينيه من تلك القبضة وفى رواية لمسلم قبضة من تراب والجمع بينهما انه يحتمل انه رمى
بكل مرة اتيا عبيد الله يا عبيد الله وانها قبضة واحدة لكنها مختلطة وفى رواية عند احمد وغيره
ان المسلمين لما ولوا قال صلى الله عليه وسلم انا عبد الله ورسوله ثم اقتحم عن فرسه واخذ كفا من
تراب وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق منهم احد الا امتلأت عيناه وفمه ترابا ولاحمد و
الحاكم عن ابن مسعود فحادت به بغلته فقلت ارتفع رفعك الله فقال ناولنى كفا من تراب
فضرب وجوههم فامتلأت اعينهم ترابا وجاء المهاجرون والانصار سيوفهم بايمانهم كا

الشهب

الشهب فولى المشركون الادبار واذ قد علمت ما مر تنبه على ميزه صلى الله عليه وسلم بالحصا من تشتيت
جمعهم وافتراق شملهم وهزيمتهم ان لك ان تقول لمن قال لك ان القاء موسى العصاء للسحرة
لحبالهم وعصيهم يعادل الرمى بالحصا لا نقل ذلك ما استفهام انكارى العصا التى
القاها موسى على حبال سحرة فرعون وعصيهم حتى ابتلعت ذلك عنده اى الحصا الرمى
وما الالقاء لتلك العصا على تلك الحبال والعصى التى فعلها سحرة فرعون اى
لا تقاس معجزة نبينا صلى الله عليه وسلم فى القاء ذلك الحصى عصاه على ما ذكر لان معجزة نبينا
اظهر وابهر اذ القاء موسى لعصاه حالك بالقاء السحرة لحبالهم وعصيهم ومعجزة نبينا لم تحاك
قط ووصول تلك الحصيات القليلة الى جميع ذلك الجيش الذى هو الوف مؤلفة حتى هزمهم
عن آخرهم وشتت شملهم اظهر من قلب العصا ثعبانا وابتلاعها لتلك الحبال من حيث انها مع ذلك
لم تقهر العدو ولا شتت شملهم بل ازداد بعدها طغيانه وعتوه على موسى وقومه وجانس بين الحصا
والعصا وتقابل بين رمى والالقاء تنبيه اكثر معجزات بنى اسرائيل كانت حسية
لبلادتهم وعمى بصيرتهم واكثر معجزات هذه الامة عقلية لفرط ذكائهم وكمال افهامهم ولان هذه
الشريعة لما كانت باقية على صفحات الدهر الى يوم القيمة خصت بالمعجزات العقلية الباقية
ليراها ذوو الابصار كما قال صلى الله عليه وسلم فى حديث البخارى ما من الانبياء نبى الا
واعطى ما مثله آمن عليه البشر وانما كان الذى اوتيته وحيا اوحاه الله الى فارجو ان اكون اكثرهم
تابعا فى معناه قولان من هنتا فيين اذ يرجع حاصلهما الى ان المراد ان معجزات الانبياء
انقرضت بانقراض اعصارهم مع كونها حسية تشاهد بالابصار كعصا موسى وناقة صالح فلم
تشاهدها الا من حضرها ومعجزة القرآن تشاهد بالبصيرة وتستمر الى يوم القيمة لا يمر عصر الا و
يظهر فيه شىء اخبرنا بانه سيكون ادعاه فكان من يتبعه لاجلها اكثر اذ ما يدرك بالعقل يشاهده

كل من جاء بعد الاول ومن معجزاته ايضا انه دعا للانام من تغير ولكن المراد بهم هنا غير
ثم آدم هنا اهل المدينة ومن ضاهاهم اذا اى وقت او لاجل ان دهتهم اى غشيتهم من اجل سنة
متعلق بما بعده اى شدة جدبها وقحطها شهباء اى لا خضرة فيها ولا مطر والسنة من
الجدب والمحل ومطلق الزمن المخصوص فعلى الاول لتنبيها تاكيد وعلى الثانى تاسيس وسبب
دعائه ما فى الصحيحين ان الناس اصابتهم سنة على عهده صلى الله عليه وسلم فقام اعرابى وهو صلى
الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة فقال يا رسول الله هلك المال وجاع العيال فادع الله لنا فرفع يديه
وليس فى السماء قطعة سحاب فما وضعهما حتى صار السحاب امثال الجبال فلم ينزل حتى اصابه
المطر واستمر الى الجمعة الاخرى فقام ذلك الاعرابى او غيره فقال يا رسول الله تهدم البناء و
غرق المال فادع الله لنا فرفع يديه فقال اللهم حوالينا ولا علينا فانقلعت السحاب وخرجوا
يمشون فى الشمس وسال وادى قناة شهرا ولم يجئ واحد من ناحية الا حدث بالجود وهو المطر
الجيم المطر الواسع الغزير فسبب دعائه استهلت بالغيث اى صبت المطر
بشدة سبعة ايام كوامل لما علمت انه من خطبة الجمعة الى خطبة الجمعة الاخرى فان
الكسر عليهم سحابة فاعل استهلت وطفاء اى مسترخية الجوانب لكثرة
مائها حال لكونها تتحرى اى تقصد تلك السحابة بمائها واسناد ذلك اليها مجاز نظيرها
يأتى فى جدار يريد ان ينقض الا ان يراد الملائكة الموكلون بها مواضع الرعى
اى الكلأ الذى يرعى ومواضع السقى التى يجتمع الماء فيها للشرب منه البهائم وفى الرعى
والسقى مراعاة النظير والسقى والسقا تجنيس شبه الاشتقاق وتتحرى ايضا حيث
العطاش اى مواضعهم التى يوهى بالبناء للمفعول اى يخرق السقاء
منهم فيها اى ان تلك السحابة عمت جميع الاماكن بمائها حتى انها تتحرى الامكنة المعطشة التى تخرق

السقى

نحو لها مر

العطاش فيها فيحتاجون الى الغدران للشرب منها وهذا اظهر واولى مما سلكه الشارح كما يعرف مما لكما
لا يقال مواضع السقى تشمل مواضع الشرب فلا يحتاج لقوله حيث الى آخره الا انا نقول قرينته
قرن السقى بالرعى يصرفه الى سقى البهائم فاحتاج فى افادة عمومها الى التصريح بمواضع شرب العطاش
ايضا قال الشارح ايضا فى قوله حيث العطاش الى آخره اقتباس المثل وهو قولهم خل سبيل من وهى
سقاؤه ومن هريق فى الغدير الغلاة ماؤه يضرب لمن لا يستقيم امره فضرب به المثل هنا فى المحل و
الجدب انتهى ملخصا وفيه نظر لبعد معنى المثل مما نحن فيه الا بتكلف لما تقرر ان مراد الناظم لما
دلت عليه عبارته من ذلك النص على عموم ذلك الغيث لجميع الاماكن ولما استمرت عليهم سبعة
ايام وكادت ان تهلكهم اتى الناس اليه صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر كحاله يوم سئلوه ان
يدعو بها يشتكون اذاها اى تلك السحابة اى الماء النازل منها القطعة السبيل لكن
تعطيله المعاش وتخريبه البيوت وذكر الناس مع ان الشاكى واحد لان ما به بهم فكان الكل شاكيا
بلسان الحال فلذا اسنده الى كلهم ونظيره قوله تعالى الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا
لكم اذ المراد بالناس الاول واحد كما هنا ورخاء اى سعة من المطر يؤذى الاغلاء
اى شدة عظيمة واصله ارتفاع السعر المؤدى الى الشدة وبين اذاها ويؤذى جناس الاشتقاق
والرخاء والغلاء جناس التضاد فبسبب ان هذا الرخاء الذى المقصود منه حياة النفوس انتقل
الى ضده وهو اهلاكها دعا صلى الله عليه وسلم ربه ان يكشفه عنهم فانجلى الغمام
اى السحاب عقب دعائه وخرجوا يمشون فى الشمس كما مر واذا تقرر هذا فقل ايها العالم بهذه الامور
ما شئت من الكلام الدال على التعجب او فتعجب فى وصف غيث اقلاعه
اى تركه انه استسقاء اى ذو استسقاء على خلاف المتعارف اذ الاستسقاء غالبا
انما يكون لطلب وجوده لا لطلب رفعه وبهذا يندفع قول الشارح الاحسن ان الاستسقاء بمعنى السقى

لانه يلزم فوات هذه النكتة التي هي سبب **ثم** بعد ذلك الغيث الواسع النافع ببركة دعائه صلى الله عليه وسلم
اثرى الثرى اي كثر المطر الواقع عليه حتى كثرت فوائد التراب لكثرة ابنائه الزرع
والثمار المؤدية الى كثرة الاموال من آثر الرجل كثر ماله **فبسبب** الكثرة **قرت** اي فرحت و
من اقر الله عينه اي اعطاه حتى لا تطمح عينه الى من هو فوقه **عيون** لاهل المدينة
بسبب ما زال عنهم من الكرب وحصل لهم من الخصب و بسبب عمارة **قراها** اي العيون او
المدينة وبلادها بتلك الفوائد الكثيرة بعد خرابها **واحييت** بعد ما حصل لها من الجدب
والشدة ما صيرها كالموتى من احياه الله فحيي بالفك وحي بالادغام وهو الاكثر **الاحياء**
جمع حي اي قبائل العرب بواسطة احياء نفوسها ومواشيها وفيه تجنيس الاشتقاق في اثرى الثرى
وقرت قراها واحييت احياء **فترى** انت لو شاهدت تلك الواقعة **الارض غبة**
اي عقب ذلك الغيث المتولد عنه ما يدهش الابصار من النبات والزهور **كسماء**
حال ان جعلت رأى بصرية وهو الظاهر او مفعول ثان ان جعلت علمية **اشرقت**
اي انارت منها **من** اجل **نجومها الظلماء** ففيه تجوز اذ الاشراق انما
يستعمل للنور ووجه الشبه ما حصل للارض باصابة الغيث وللسماء من النجوم من زوال
ظلمتها الحقيقية في السماء والمجازية في الارض وبين الارض والسماء والاشراق والظلمة الطباق
وتراها ايضا **تخجل** اي تغير وتدهش **الدر** اي اللؤلؤ **واليواقيت**
وهي فارسي معرب واسناد الخجل اليهما مجاز او هو على حذف مضاف اي اهلهما بمعنى ان
من بايديهم تلك الجواهر يشاهدونها فالبيك ونها لا يملكون نفوسهم عن هيئة تلك الازهار
الغريبة والاعشاب العجيبة **من نور** بفتح النون اي زهر وهو بيان لفاعل تخجل
الاتي **رباها** بضم الراء المحال المرتفعة منها وخصت لان ما بها انظر كما هي من

بقيتها

من بقيتها **البيضاء** راجع للدر **والحمراء** لليواقيت اي يخجل نورها
الابيض الدر ونورها الاحمر اليواقيت ففيه اللف والنشر المرتب ومراعاة النظير بذكر
المتناسبين والتقابل بذكر الضدين ويسمى التدبيج لانه من الالوان وما تقرر ان الناظم انما اراد بالغيث
المذكور التي كانت بالمدينة وصحت بها الاحاديث هو الظاهر ويجوز ان يريد ايضا ما وقع بمكة
على ما ورد ان قريشا لما ابطأوا عن الاسلام ودعا عليهم صلى الله عليه وسلم بالقحط فاخذتهم سنة
حتى هلكوا فيها واكلوا الميتة والعظام جاءه ابو سفيان فقال يا محمد جئت تامر بصلة الرحم
وان قومك هلكوا فادع الله فدعا فسقوا الغيث واطبقت عليهم سبعا فشكى الناس كثرة
المطر فسأل الله رفعه ولما ذكر من صفاته صلى الله عليه وسلم الباهرة ما يشوق كل سامع لشيء
منها الى رؤية وجهه الكريم تمنى ذلك فقال **ليته** هي للتمني ما لا طمع في حصوله او ما فيه
عسر **خصني برؤية وجهه** اي ليتني ادركته بان اكون من اصحابه
لانهم افضل من جميع من جاء بعدهم عند الاكثرين وذهب ابن عبد البر الى انه يمكن ان يكون
فيمن بعدهم من هو افضل للخبر الحسن بل قيل انه يرتقي الى درجة الصحة مثل امتي مثل
المطر لا يدرى اوله خير ام اخره اي لا خيرية اوله وللخبر الحسن ايضا ليدركن المسيح اقواما انهم لمثلكم
او خير ثلاثا وفي حديث ابي داود والترمذي يأتي ايام للعامل فيهن اجر خمسين قيل منهم او منا
قال منكم ويجاب عن الاول باحتمال انه قبل ان يعلم افضلية الصحابة فلما علمها صرح بها
بقوله لو انفق احدكم مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه وبقوله خير القرون
قرني وعن الثاني بان لو فيه يحتمل ذلك ايضا وعن الثالث بانهم صرحوا بان مجرد زيادة
الثواب لا تقتضي الافضلية على ان فضيلة الصحبة لا يعادلها عمل ومن ثمه لما سئل ابن
المبارك عن عمر بن عبد العزيز ومعاوية رضي الله عنهما ايهما افضل قال للغبار الذي دخل

في انف فرس معاوية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم خير من كذا وكذا مثل ابن عبد العزيز واشار
بعضهم الى ان محل الخلاف في من لم يحصل له الا مجرد الرؤية واما من زاد على ذلك بنحو قتال
او غزو فلا نزاع فيه او ليتني اراه في الموقف او على الحوض وفي الجنة شافعا نافعا او ليتني اراه في
النوم رؤية تدل على عظيم اعتنائه لاخباره صلى الله عليه وسلم في الاحاديث الصحيحة بان من رآه
فيه رآه حقا وان الشيطان لا يتمثل بصورته ولا يتشبه بها وبان من رآه فيه فقد رآه في
اليقظة اي كانه رآه في اليقظة لما تقرر ان الشيطان لا يتشبه به فهو وان امكن من التصور
باي صورة اراد لم يمكن من التصور بصورة نبينا صلى الله عليه وسلم مطلقا وقال جمع انه رآه
بصورته التي كان عليها وقال بعضهم ان رآه بصفته التي قبض عليها حتى عدد شيبه وصح
هذا عن ابن سيرين وعن ابن عباس ما يفهمه وفي حديث ضعيف في الرؤيا في كل صورة وصح
النووي وغيره انه يرى حقيقة ولو على غير صفته وقال ابن العربي وغيره لكن رؤيته على غير صفته
مثال فرؤيته مقبلا او بصورة حسنة كالمة تدل على خير وعكسه بعكسه وقال عياض في رواية
مسلم من رآني فيراني في اليقظة ويحتمل ان المراد رؤيته على صفته موجبة لرؤيته في الاخرة
على نوع من قربه منها او شفاعته له وفي هذا اقوال اخر كثيرة وقال الغزالي في ظلمة رؤيته صفة على
ليس المراد رؤية ذاته حقيقة بل مثال محكيها على التحقيق كما في رؤية الله تعالى اذ لا صورة له
ترى بل معرفته لها من نور وغيره او ليتني اراه في اليقظة بناء على امكان ذلك وهو ما حكاه
ابن ابي حمزة والبارزي واليافعي وغيرهم عن جماعة من التابعين ومن بعدهم انهم راوه
اي في المنام فراوه بعد ذلك في اليقظة وسئلوه عن اشياء غيبية فاخبرهم بها فكانت كما اخبر
قال ابن ابي حمزة وهذا من جملة كرامات الاولياء فيلزم منكرها الوقوع في ورطة انكار كرامات الاولياء
وفي منقذ الغزالي ان ارباب القلوب في يقظتهم قد يشاهدون الملائكة وارواح الانبياء

ويسمعون

ويسمعون منهم اصواتا ويقتبسون منهم فوائد وقال البدر حسين الاهدل وقوعها
للاولياء تواترت باجناسها الاخبار وصار العلم بذلك قويا انتهى عنه الشك وما تواترت عليه الاخبار
لم يبق فيه شبهة ثم اخذ يبطل ذلك ويفسده ويعظم النكير على مجوزه بما لا حجة فيه ومما يبطل جميع
ما تمسك به وجاوز فيه الحد ان من المعلوم انه صلى الله عليه وسلم حي في قبره وانه لا يرى في اليقظة الرؤية
النافعة الاولى وانه لا يبعد ان من اكرم برؤيته انه يكرم بازالة الحجب بينه وبينه فهو صلى الله عليه وسلم
مع كونه في قبره يراه الاولياء في اليقظة في قبره ويحادثونه وان بعدت ديارهم واختلفت مراتبهم في الحالة
الواحدة ولا يلزم من وقوع ذلك لهم على جهة الكرامة الباهرة انهم صحابة لان الصحبة انقطعت بموته
صلى الله عليه وسلم ولذا كان من رآه بعد موته وقبل دفنه غير صحابي فهو لاء كذلك بالاولى فاندفع قول
فتح الباري هذا مشكل جدا ولو حمل على ظاهره كانوا صحابة انتهى ومما يؤيد ان الناظم يحتمل انه اراد ذلك
انه تلميذ القطب ابي العباس المرسي وهو الذي حلت عليه بركته حتى وصل الى النظم البالغ الذروة في
والقطب المذكور وارث القطب الاكبر ابي الحسن الشاذلي وكل منهما حفظت عنه رؤية النبي
صلى الله عليه وسلم يقظة بل قال ابو الحسن لو حجب عني النبي صلى الله عليه وسلم طرفة عين ما عددت
نفسي مسلما والقطب علي بن القطب محمد بن ابي الوفاء وهما من جملة المنتسبين الى القطب الشاذلي
ومن ثمه قالوا طريقة الوفائية خلاصة طريقة الشاذلية ممن حفظت عنه رؤية النبي صلى الله عليه وسلم
يقظة مرارا لا سيما عند قبر والده بالقرافة كما هو مسطور في كراماته فكون الناظم منسوبا لهؤلاء الاكابر
لعل الرؤية يقظة يقرب انه يسئلها وقوع ذلك له كما وقع لهم ولقد كان شيخي وشيخ والدي الشمس محمد بن
ابي الحمائل كولده شمس الشاذلي رضي الله عنه الذان عادت علي بركاتهما وتربيت في حجرهما ولا زال
داخلا في سوابغ بدرهما الى في رغد نعيمهما يريان النبي صلى الله عليه وسلم يقظة كثيرا حتى يقع له انه
يسئل عن الشيء فيقول حتى اعرضه على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يدخل راسه في جيب قميصه ثم يقول

قال النبي صلى الله عليه وسلم فيه كذا فيكون كما اخبر لا يتخلف ذلك ابدا فاحذر من انكار ذلك فانه السم
الموحي تنبيه ما ذكرته من مناسبة الاول والثاني بعيد اذ لا يناسبه لفظ خص بل
ولا معناه لان الذي تمناه رؤيته في حياته من اصحابه انه الموقف والجنة وكل مسلم يتمنى ذلك
فالمتمني امر عام لا خصوصية فيه ومن الثالث قريب لمناسبة لفظ خص ومعناه اي لنبيه خص فيما
مضى برؤيته له في النوم الرؤية السابقة فالمعنى فيه صحيح وكذا الخصوصية لان مرائي الناس له
في النوم متعددة الانواع والكيفيات فلا بدع ان يتمنى وقوع رؤية تخصه دون غيره باعتبار ما
تدل له عليه من اللحظ والامداد وغيرهما ولا نظر الى كونه مفضولا بالنسبة لاكثر الاولياء والعلماء
لان ذلك لا يمنع ان يحصل له من ذلك الجناب من نوع امداد ولحظ ما لم يحصل لغيره ومن المعنى
الرابع قريب ايضا لكن على القول بوقوعه وح فيتجه او وح نتج ان احسن هذه الاحتمالات الذي
لا نزاع فيه هو الاحتمال الثالث تنبيه اخر من المقرر عند المحققين ان البا في خصاص
وما اشتق منه يجوز دخولها على المقصور والمقصور عليه فهي هنا داخلة على الاول على كل من الثالث
والرابع واما على الاولين فخص فيهما بمعنى اعطاني والماضي قد يستعمل ويراد به الاستقبال ايضا
تنبيه اخر ما تقرر من ان خص وما اخذ منه يفيد الحصر وانه يفيد خصه بكذا قصره
عليه قصر قلب تارة وافراد اخرى هو المشهور ايضا خلافا لمن فرق بين الاختصاص والحصر في القاموس
خصه بالشيء خصا وخصوصا وخصوصية وقد يفتح وخصيصى ويمد وخصية وتخصة فضله
وخصه بالود كذلك ثم قال والتخصيص ضد التعميم ولا يتوهم من ان الاختصاص عن الحصر لانه
لا يستقيم فضله به الا ان حصره فيه ويؤيده قوله التخصيص ضد التعميم التصريح فان التخصيص قصر العام
على بعض افراده فتامل ذلك كله فانه نفيس مهم زال اي تحول فزال هنا تامة لا ناقصة
عن كل من راه مؤمنا في حياته او بعد موته في يقظة الرائي لان ذلك لا يقع
الا

الا لاكابر الاولياء او في النوم على صفته التي كان عليها لما مر ان ذلك يدل على الخير ومزيد الخصوصية
في الاخرة الشقاء اي جميع انواعه لان الصحابة رضوان الله تعالى عليهم كلهم عدول كما
مما يشهد له الكتاب والسنة نحو اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وما وقع لبعضهم مما يخالف ذلك
تداركه الله فيه برحمته فوفقه للتنصل منه بصحبته وجاهه بجعله من اجتبى ببركة حلول نظر نبيه صلى الله عليه وسلم
ولما ذكر ذلك الوجه الكريم من زوال الشقاء عن كل من راه اتبعه بذكر صفات وخصوصيات له ذاكرا
مع كل ما يناسبه كما هو شان البلغاء فقال مسفر ذلك الوجه حسنا نحو صفة الكتيبة
ثانيه لوجه او مشرق نوره الذي يكاد يخطف بالابصار يلتقي ذلك الوجه ايضا
الكتيبة اي الجيش بالمثلثة او المثناة من تكتب بنو فلان اذا اجتمعوا والكو
بساما اي متبسما يفتر عن مثل سنا البرق او عن مثل حب الغمام اذا اسهمت
اي تغيرت من سهم بفتح عينه او ضمها وجهه اذا احمر وتغير الوجوه اللقاء للعدو
فهو في الحالات التي ينزعج غيره ويضطرب ويتغير وجهه على غاية من الطمانينة والثبات والتبسم
لعظيم ما اتاه الله من الشجاعة التي لم يصل غيره الى ادناها وقد صح كما مر عن انس انه كان اشجع الناس
وان صياحا وقع بالمدينة ليلا فخرج صلى الله عليه وسلم الى ان بعد فلم ير شيئا فلما رجع راى الناس
خارجين فقال لن تراعوا اي روعا عن حقيقة ما راينا من شيء وصح انه صرع ركانة مرات ولم
يصرع قط فقال له متعجبا منه ان شانك لعجيب وصرع اخر بلغ من شدته انه كان يقف على جلد
البقرة ويتجاذب اطرافه عشرة لينتزعوه من تحت قدميه فيتمزق الجلد ولم يتزحزح عنه انه في غزوة حنين
لما تفرق عنه اصحابه ولم يبق معه الا بضعة عشر ثبت على بغلته مع انها لا تصلح للكر ولا للفر وهو
مع ذلك يركضها الى وجه العدو وينوه باسمه ليعرفه من لم يعرفه فاه وان النبي صلى الله عليه وسلم
لا كذب انا ابن عبد المطلب ولا شجاعة وراء ذلك ومن ثم قال الصحابة رضي الله عنهم كنا

اذا حمي احمر الوطيس اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم اي جعلناه امامنا واستقبلنا العدو به
وقمنا خلفه وذهب بعض المالكية الى ان من قال ان النبي صلى الله عليه وسلم هزم يستتاب فان تاب
والا قتل لانه تنقيص اذ لا يجوز ذلك عليه في خاصة نفسه لعلمه بان الله تعالى ناصره وحافظه وعاصمه
بعض المالكية بما حاصله انه حيث كان ذلك تنقيصا لم يستتب ولم يقبل له توبة انتهى وفيه
انه هنا خلافا فالمعنى اخطأ فيه انه ان نوى بذلك تنقيصه كفر والا فلا واذا قلنا بكفره فذهب
بعض ائمتنا الى انه لا يقبل توبته وحكى فيه الاجماع والمعتمد قبولها **جعلت**
الارض كلها **مسجدا له** اي لذلك الوجه المكرم ولامته بطريق التبع له
كما اخبر بذلك صلى الله عليه وسلم في الاحاديث الصحيحة حيث قال اعطيت خمسا لم يعطهن احد
قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا فايما رجل من امتي ادركته
الصلوة فليصل الحديث والمراد بقوله مسجدا موضع سجود اي ان السجود لا يختص بموضع منها
دون غيره قيل ويمكن ان يكون مجازا عن المكان المبني للصلوة وهو من مجاز التشبيه لانه لما جازت
الصلوة في جميعها كانت كالمسجد في ذلك وقيل المراد جعلت لي الارض مسجدا وطهورا ولغيري
لا طهورا لان عيسى صلى الله على نبينا وعليه الصلوة والسلام كان يسيح فيها ويصلي حيث ادركته
الصلوة وقيل المراد ان الصلوة لم تبح الا في محل يتيقنون طهارته بخلاف هذه الامة ابيحت لها
في الارض الا ما يتيقنون نجاسته والاصح الاول وهو انها لم تبح لمن قبلنا الا في اماكن مخصوصة
كالبيع والكنائس والصوامع للخبر المصرح بذلك وكان من قبلي انما يصلون في كنائسهم و
يدفعه رواية لم يكن من الانبياء احد يصلي حتى يبلغ محرابه وبهذين يرد الاحتجاج بقضية
عيسى المذكورة بمنع ما ذكر فيها الدلالة هذين على خلافه وبفرض صحته فهو لا ينافي الخصوصية
لانها ثابتة لنبينا وامته بخلاف عيسى **ف**بسببه الجبل **اهتز** اي تحرك طربا وفرحا

به صلى الله عليه وسلم **للصلوة** اي لاجلها **فيها** اي الارض **حراء**
بالكسر والمد ويجوز قصره ومنعه ومنع صرفه وعدمه باعتبار المكان والبقعة كسائر الاسماء الامكنة وهو الجبل
الذي كان يصلي صلى الله عليه وسلم يتعبد فيه قبل النبوة وهو مشهور ودليل ذلك انه صلى الله عليه وسلم
كان على حراء هو وابو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير فتحركت الصخرة فقال صلى الله عليه وسلم
اسكن حراء فما عليك الا نبي او صديق او شهيد وفي رواية وسعد بن ابي وقاص ولم يذكر عليا اخرجهما
مسلم واخرجه الترمذي وذكر انه كان عليه العشرة الا ابا عبيدة وقال اثبت حراء وفي رواية اثبت
حراء ورواه البخاري في احد بلفظ انه كان معه ابو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم فضربه
صلى الله عليه وسلم برجله اثبت احد فانما عليك الا نبي وصديق وشهيدان ورواه النسائي
والترمذي في ثبير وهو جبل مقابل لحراء انه صلى الله عليه وسلم كان عليه ومعه ابو بكر وعمر وعثمان
فتحرك حتى تساقطت حجارته بالحضيض اي التي في قراره واسفله فركضه صلى الله عليه وسلم برجله وقال
اسكن ثبير فانما عليك الا نبي وصديق وشهيدان ومال الحلبي الناظم بتعبيره باهتز من ان
ذلك التحرك انما كان للطرب والفرح لا للغضب نقله شارح البخاري ابن التين في احد
فقال قيل الحكمة في ذلك انه لما رجف اراد صلى الله عليه وسلم ان يبين ان هذه الرجفة ليست من
جنس رجفة الجبل بقوم موسى لما حرفوا الكلم وان تلك رجفة الغضب وهذه هزة الطرب ولهذا
نص صلى الله عليه وسلم مقام النبوة والصديقية والشهادة التي توجب سرور ما اتصلت به
لا رجفانه فاقر الجبل بذلك فاستقر انتهى واستشكل ما ذكر بان الهز طربا فرع العلم بمن فوقه
وقوله اثبت الى اخره يقتضي عدم علمه وبان قوله فانما عليك الخ يقتضي ان تحركه لغير السرور ويجاب بانه
علم من الاحاديث الصحيحة التي منها احد يحبنا ونحبه ان احدا ودع علما به صلى الله عليه وسلم ومحبة
له وصلة اليه فاذا اهتز لاجل ذلك دل على نوع طيش وخفة فتناسب ان يركضه صلى الله عليه وسلم برجله

الكريمة وان يذكره بان مقام النبوة والصديقية والشهادة كل منها يقتضي الرزانة وعدم التحرك فلما علم
الجبل ذلك سكن وخضع فكان ما منه من الاهتزاز والطرب اخذا بسكون الحياء والامتثال والادب وتحمل
انزاره بعد هيبته لجلاله صلى الله عليه وسلم فامره صلى الله عليه وسلم بترك ذلك وذكره بان ما عليه من المقامات
الثلاثة السابقة يقتضي هزة الجمال واللقاء المنبئين عن غاية الفرح والسرور وقال الجزري وغيره
اختلاف الروايات يحمل على انها قصص تكررت وهو واضح لان كلا منها صحيح قال وجد الله التعدد و
قلت شيخ الاسلام الحافظ العسقلاني بعد ما توقف فيه بان الذي معه بحرا الزيادة ممن معه باحد فان
ما وجه التعليل في قول الناظم للصلوة فيما قلت كانه يشير الى ان الله تعالى لما قطع نبيه الارض وجعلها
كلها مسجدا له شرفها بصلوته فيها ودخل في ذلك جبالها فاذا صعد بعضها تذكر الجبل ذلك الجبل
وتلك الصلوة اللذين حصل بهما للجبل كبقية الارض غاية الشرف فحرك امامه ما للاية جعل له
مما يوجب السرور والطرب ثم رايت بعضهم جعل ضمير فيها للجبل وجعل المراد بالصلوة صلوته صلى الله
عليه وسلم لما كان يختلي فيه قبل البعثة وهذا كلام ساقط لانه لم يعرف انه صلى الله عليه وسلم قبل النبوة
ولان الاهتزاز بعد النبوة بكثير لرواية ان العشرة الا واحدا كانوا معه **مظهر** ذلك الوجه
الكريم **شجة الجبين** اي جرح جبينه وهو المنحرف عن الجبهة فوق الصدغ
وفي التعبير به مسامحة وتجوز لما ياتي ان الذي شج جبهته وفي رواية وجنته والجبين غيرهما فالتعبير
بالجبين من مجاز المجاورة **على البراء** اي فيه او معه من برى المريض بالكسر يبرأ بالفتح وبرء
يبرء بالفتح فيهما وهذه الشجة كانت يوم احد اخرج ابن هشام عن ابي سعيد الخدري ان عتبة
بن ابي وقاص اخا سعد بن وقاص وسعد بن ابي وقاص اول من رمى بسهم في سبيل الله وكان
صلى الله عليه وسلم يناوله السهام يوم احد ويقول له ارم فداك ابي وامي قال فلم يجمع ابويه لغيره وكان
يفتخر به ويقول هذا سعد خالي اي لانه من زهرة قبيلة امه خاله فشتان ما بين هذين الاخوين رمى

رسول

رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد وكسر رباعيته اليمنى السفلى وجرح شفته السفلى وان عبد الله بن شهاب
الزهري شجه في جبهته وان ابن قمئة جرح وجنته فدخلت حلقتان من المغفر فيها ووقع صلى الله عليه وسلم
في حفرة وفي رواية وهشموا البيضة على راسه ورموه بالحجارة حتى وقع لشقه في حفرة الحديث وروى
الطبراني وغيره ان عبد الله بن قمئة رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد فشج وجهه وكسر رباعيته
فقال خذها وانا ابن قمئة فقال صلى الله عليه وسلم وهو يمسح الدم عن وجهه اقماك الله فسلط الله
عليه تيس جبل فلم يزل ينطحه حتى قطعه قطعة قطعة واحمد والترمذي والنسائي عن انس كسرت
رباعيته صلى الله عليه وسلم يوم احد وشج وجهه فجعل الدم يسيل على وجهه وجعل يمسحه ويقول كيف
يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم الى ربهم فانزل الله تعالى ليس لك من الامر شيء او يتوب
عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون وفي مرسل قوي ان وجهه صلى الله عليه وسلم ضرب يومئذ بالسيف
سبعين ضربة وقاه الله شرها كلها **كما** مصدرية **اظهر الهلال البراء** بفتح
الموحدة وهو اول ليلة من الشهر اي ان وجهه المكرم اظهر اثار تلك الشجة مع برئها ظهورا واضحا اليس فيه
ادنى شين بل فيه غاية الجمال كظهور الهلال ليلة استهلاله للحكمتين ليتذكر الراؤن لذلك والراؤن منهم
ما وقع له صلى الله عليه وسلم من المحنة وعظم الصبر عليها حتى يقتدى به في ذلك وليعلم ان تلك الشجة
لم تشنه حاشاه من ذلك بل زادته جمالا على جماله لانها صارت بعد البرء كالهلال في وجه بلا حسن من
الهلال كما قال **ستر** ذلك الوجه **الحسن** الاصلي **منه بالحسن**
العارض بالشجة **فاعجب الجمال** الاصلي **له الجمال** العارض وفي
هذا كالذي قبله الجناس التام المتماثل بناء على ما مر مع الكلام عليه في شرح قوله شق عن قلبه وشق له
البدر واما جزم الشارح بان من ذلك مع اختلاف موضعه باعتبار الاصلي والعارض كما تقرر ومن
حيث الوضع فغير صحيح ولو حصل تمام التجنيس من اللفظين مع اتفاق الوضع واختلاف المراد لعله قال

منه الذين قال لهم الناس اى الناس ان الناس الى النفس بالنفيس الى اخره نعم يمكن ان يقال قد يقاس

اختلاف المراد باختلاف الوضع حيث لا قرينة تميزه كما هنا بخلاف ما في الايات فان قرينة التغاير

فيها ظاهرة تمنع التجنيس فلو عبر التوبيجمال ونحوه ليسلم من الجزم بهلاكهم كالصريح في رده وفي

البر والبراء الجناس المحرف **وقاء** وسبب ذلك ان الله تعالى اعطى نبيه غاية الجمال التي لم يعطها احد

كما مر بليلة في باطنه وظاهره ويكفيك شاهدا على ذلك ما مر ان الله تعالى جعل بحائه نورا لم يظهر لخلل

فكان جلده ساترا لجمال الباطن فاذا ازالته الشجة ظهر من انوار الباطنة ما حيره وعلى الهلال فوق وجهه

وصار ذلك حسن ظاهره مستورا بما ظهر من حسن باطنه فهما جمالان عظيمان صار باطنهما وقاية لهما

وهذا مما يتعجب منه ولذلك شبهه تشابيه توضح ذلك وتكشفه فقال **فهو** اى ما ظهر بالشجة

من باطن بدنه الشريف **كالزهر** اى نور النبات اذا **لاح** اى ظهر **من سجف** بفتح

او له وكسره اى ستر **الاكمام** جمع كمة جمع كم بالكسر وهو غطاء النور المشبه هنا ظاهر الجلد **و**

هو ايضا مثل **العود** الذى يتطيب به اذا **شق عنه اللحاء** وهو قشر الشجر من

لحوة العود قشرته باللحاء فظاهر الجلد كاللحاء وباطنه كالعود وفي هذين التشبيهين ما يعلمك ان

جمال باطنه مما فاق جمال ظاهره ومن ثمة قال **كاد** ما ظهر بالشجة **ان يغشى العيون**

بالغين المعجمة من الغشي وما بعدها سدت مسد مرفوع كاد وخبرها اى يغطي عليها **سنى**

بالقصر اى ضوء عظيم خارج **منه لسر** عظيم وفي نسخة لسر **فيه** اى في ذلك الباطن

الذى ظهر هو فصيره كله ضياء اعظم من ضياء الشمس ومن ثمة كان اصل ذلك السر لا كما له

حكمته اى شابهته **ذكاء** بفتح المعجمة وعدم الصرف ويمتنع دخول ال عليها

اى الشمس وذكرها بعد سنى من مراعاة النظير بما تقرر علمان من اسباب عدم شينه بتلك الشجة

ما اوتيه من الحسن الذى لم يوته غيره ومن ثمة **صانه** الله **الحسن** لو انفرد فكيف

و

و قد انضم اليه **السكينة** اى وقار الظاهر مع طمانينة القلب على تحركهما لشي

من الموذيات التى لم يكن عندها عزم **ان يظهر فيه اثارها** هو ضمير الفاعل

المتقدم رتبة وهو **الباساء** اى الشدائد فلذلك لم يظهر عليه من تلك الشجة الا غاية

الطمانينة وغاية الجمال كما مر فعلم انه لما اودعه الله فيه من كمال الجمال وتمام البهاء في حالة

السراء كهو في حالة الباساء فلا تؤثر فيه الباساء البتة **وتخال** اى تظن انت **الوجوه**

ان قابلته اى عاينت وجهه وجواب ان محذوف لدلالة ما قبله عليه خجلت من فرط

جماله وتلونت بالوان المختلفة كما يشاهد ممن قوى خجله حتى كان تلك الوجوه عند ذلك التلون

البستها الوانها ضمير الفاعل المتقدم رتبة وهو **الحرباء** المشهورة ومن شانها

انها تستقبل الشمس وتدور معها كيف دارت وتتلون بالالوان العجيبة المختلفة **ف**بسبب هذا الجمال

الباهر المستلزم لباهر الافضال والاحسان **اذا شمت** بالمعجمة من شمت البرق نظرت

الى سحابه **بشره** اى طلاقة وجهه **ونداه** اى جوده اى اذا اطلعت الى مخائله بصرك منتظرا

اليه **اذهلتك** اى انستك بسبب ذلك **الانوار** الباهرة التى تحصل لك

من بشره عند رؤية وجهه **والانواء** جمع نوء وهو ما تضيف العرب الامطار اليه من النجم

او وقته نحو مطرنا بنوء الثريا وهي هنا كناية عن الخيرات الواصلة منه صلى الله عليه وسلم لمن قصد نداه

والمه ففيه لف ونشر مرتب لرجوع الانوار للبشر والانواء للندى وفيهما الجناس اللاحق ونوع من

النظير يسمى تشابه الاطراف وهو ان يختم الكلام بما يناسب ابتداءه في المعنى نحو قوله تعالى لا تدركه الابصار

الاية فاللطيف يناسب لا تدركه الابصار والخبير يناسب وهو يدرك الابصار ولما تمنى رؤية الوجه المكرم

واستتبعه باوصافه العلية اخذ في تمني تقبيل راحته الكريمة ووصفها باوصافها الباهرة فقال **او**

ليته خصني **بتقبيل راحة** اى بالتمني في اليقظة او النوم نظرا لمر لكفه التى **كان**

يده في الركوة فجعل الماء يفور من بين اصابعه كامثال العيون فتوضأنا كلهم وكانوا الفا وخمسمائة بل
قال جابر لو كنا مائة الف لكفانا وفي رواية لاحمد عنه فوالذي ابتلاني ببصري لقد رأيت العيون عيون
الماء تخرج من بين اصابعه فظاهر الروايات ان الماء نبع من نفس اللحم الكائن في الاصابع وبه صرح
النووي وجزم به غيره وانما استدعى قليلا من الماء تأدبا مع ربه فانه المتفرد بايجاد المعدومات من غير اصل نعم
في رواية عن جابر انه فعل ذلك مرة من غير ماء لكن استدعى بشن بالية ووضع يده فيها فنبعت عيون
الماء واما الثاني ففي مسلم انكم ستأتون غدا ان شاء الله تعالى عين تبوك وانكم لن تأتوها حتى يضحي النهار
فمن جاءها فلا يمس من مائها شيئا حتى آتي فسبق رجلان ومساه قبل ان يأتي فسبهما ثم اغترف له
قليلا فغسل به وجهه ويديه ثم صب الغسالة في العين فجرت العين بماء كثير ثم قال يا معاذ يوشك
ان طالت بك حيوة ان ترى ما ههنا بساتين وعمرانا وفي رواية الموطأ وغيره فانخرق من الماء
ماله حس كحس الصواعق وصح على مقال في بعض رواياته ان العطش اشتد بهم في غزوة تبوك حتى كادت
قلوبهم تنقطع وكان الرجل ينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه ويجعل الباقي على كبده فسأله ابو بكر ان يدعو
لهم فقال اتحبون ذلك قال نعم فرفع يديه فلم يرجعهما حتى سالت السماء فانسكبت فملؤا ما معهم من
آنية ثم ذهبوا ينظرون فلم يجدوها جاوزت العسكر وفي البخاري في غزوة الحديبية نحو ذلك مرتين
مرة امرهم بوضع سهم من كنانته في محل الماء ففاض ومرة وضع يده في الركوة فجعل الماء يفور
من بين اصابعه ومن اوصافها ايضا انه **اثمر النخل في عام** اي في سنة غرسه **بها**
اي بسبب مس تلك الراحة الكريمة لذلك النخل في قصة سلمان الفارسي رضي الله عنه التي ذكرها
اصحاب السير كابن هشام وابن سيد الناس وغيرهما وحاصلها انه صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة
اتاه سلمان وآمن به وكان مسترقا فامره صلى الله عليه وسلم ان يكاتب سيده فكاتبه على غرس ثلثمائة
ودية وتعهدها حتى يثمر وباربعين اوقية ذهبا ثم اخبره صلى الله عليه وسلم بذلك فامر اصحابه ان

يعينوه

يعينوه بالودي فاعانوه به ثم وضعه صلى الله عليه وسلم بيده فما ماتت منها واحدة بل اثمرت كلها في عامها
وفي رواية توقفت منها واحدة فقلعها صلى الله عليه وسلم واعادها فساوت البقية فاداها وبقي عليه
الذهب فجاء للنبي صلى الله عليه وسلم بمثل بيضة دجاج من ذهب من بعض المعادن فاعطاها له فقال
لا اين يقع هذه مما علي قال خذها فان الله سيؤدي بها عنك فوزن لهم منها اربعين اوقية ومن
اوصافها ايضا انه **سبحت بها** اي في راحته **الحصباء** اي الحصى كما رواه البزار
والطبراني في الاوسط وغيرهما انه صلى الله عليه وسلم كان عنده ابو بكر وعمر وعثمان فقبض حصيات فسبحن
في كفه حتى سمع لهن حس كحس النحل فناولهن ابا بكر فسبحن في كفه كذلك ثم عمر كذلك ثم عثمان
ثم اخذها الحاضرون فلم يسبحن مع احد منهم قال الحافظ شيخ الاسلام والحافظ العسقلاني ليس لحديث
تسبيح الحصا الا طريق واحد مع ضعفها لكنه مشهور عند الناس انتهى نعم اخرج البخاري من حديث
ابن مسعود كنا نأكل مع النبي صلى الله عليه وسلم الطعام ونحن نسمع تسبيح الطعام وفي فتح الباري عن الشفا
انه صلى الله عليه وسلم مرض فاتاه جبريل بطبق فيه رمان وعنب فاكل منه فسبح **تنبيه**
تسبيح الجماد كالطعام والحصى معناه ان الله خلق فيه اللفظ الدال على التنزيه حقيقة خرقا للعادة
ومع ذلك اضافة التسبيح اليه مجاز لان اللفظ انما يضاف حقيقة لمن قام به ومن اوصافها
العلية ايضا انها **احيت المرملين** اي الذين نفد زادهم من القحط حتى اشرفوا
على الموت فتسميتهم موتى حتى وصفوا بالحيوة مجاز كما ان اسناد الاحياء الى الراحة مجاز ايضا
فهو استعارة تبعية **من موت جهد** اي قحط شديد والاضافة بيانية مبالغة
بادعاء ان ذلك الجهد لما كان سببا قريبا للموت اطلق عليه اسمه **اعوز القوم**
عدل اليه عن اعوزهم الذي هو القياس لان الا ابهام لفظ المرملين انه خاص بذكورهم وان كانت
التغليب فيه مثل شائعا ذائعا فان قلت شمول القوم للاناث انما هو بطريق التبع فساوى

المرملين قلت الفرق بينهما واضح لان شمول القوم للاناث لفظي وان قلنا بالتبعية ومن ثمة لم
يحتج لقرينة بخلاف المرملين فافاد القوم ما لم يفده المرملين **فيه** اي ذلك الجهد **زاد**
وماء من اعوزه الشيء اذا احتاج اليه وعبر بزاد مع انه انما يقال في طعام المسافر اشعارا
بانهم لما حصلت لهم تلك الشدة التي ادت بهم الى الاشراف على الموت صاروا كالمسافرين بين المشرفين
على الهلاك وبين الموت والاحياء والزاد والماء الطباق كالري والشبع المفهومين مما ياتي اي ما
اجابه لهم كثر الله كرامة ومعجزة له الطعام والماء القليل جدا حتى **تغدى** بالدال المهملة
اي اكل وقت الغداء وهو ما قبل الزوال **بالصاع** الواحد وهو قدحان بالكيل المصري تقريبا
الف جياع وتروى بالصاع اظماء الف جمع ظامئ
اي عطشان تروى الالف الظماء بالماء القليل النابع من بين اصابعه تارة وببركة دعائه اخرى
فقد مر الكلام عليه مستوفى والتعبير بالصاع فيه المراد به الماء القليل جدا كما يعلم مما مر وانما ذكره
على جهة مجاز المشاكلة لما قبله نحو قوله تعالى وجزاء سيئة سيئة ومكروا ومكر الله تعلم ما في
نفسي ولا اعلم ما في نفسك وبالالف المراد به العدد الكثير ففي بعض المواطن كالحديبية كانوا
الفا واربعمائة او خمسمائة وفي بعض المواضع كانوا ثلثمائة وفي بعضها كانوا اقل وفي غزوة
تبوك كانوا الوفا مؤلفة واما تغدى الالف الجياع بالصاع فهو ما في الصحيحين عن جابر رضي الله
عنه رأى بالنبي صلى الله عليه وسلم في غزوة الخندق جوعا شديدا فذهب لامرأته واخبرها فاخرجت صاعا
من شعير وشاة داجنا اي سمينة فذبحها وطحنت الشعير فلما وضعت اللحم في البرمة ذهب للنبي
صلى الله عليه وسلم واخبره وطلب ان يأتي بنفر منه فصاح صلى الله عليه وسلم يا اهل الخندق ان جابرا
صنع سورا فحي هلا بكم حتى يجيء فلما جاء بصق في العجين وبارك ثم في البرمة فحي هلا بكم ثم امر ان لا ينزل
البرمة ولا يخبز العجين وبارك ثم امرها ان تدعو خابزة تخبز معها وان تغرف من برمتها ولا تنزلها

فاكلوا

فاكلوا وهم الف حتى تركوه وان عجينهم وبرمتهم كما هما وفيهما ايضا الا بعض زيادات ففي مسلم عن انس
في غزوة الخندق ايضا ان عمه زوج امه ابا طلحة رأى اثر جوع رسول الله صلى الله عليه وسلم في صوته فذكر
ذلك لام سليم زوجته فاخرجت اقراصا من شعير ولفتها بخمار واعطيته لانس ولفت طرف
الخمار على رأسه من تحت كالعمامة وارسلته الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجده بالمسجد اي الموضع الذي
اعده لمحاصرة الاحزاب معه الناس فقال ارسلك ابو طلحة قلت نعم قال الطعام قلت نعم فقال
لمن معه قوموا فتقدمهم انس فاخبر عمه فقال يا ام سليم فقد جاءنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالناس وليس عندنا طعام نطعمهم فقالت الله ورسوله اعلم فتلقى ابو طلحة رسول الله صلى الله عليه وسلم
هلمي يا ام سليم ما عندك فاتت بذلك الخبز فامر به صلى الله عليه وسلم ففت وعصرت عكة فادمته
ثم قال فيه صلى الله عليه وسلم ما شاء الله ان يقول ثم قال ائذن لعشرة فاكلوا حتى شبعوا فخرجوا فقال
ائذن لعشرة وهكذا فاكلوا وشبعوا وهم ثمانون ثم اكل صلى الله عليه وسلم واهل بيته وتركوا بقية وفي طرق
هذه القصة ما يقتضي تعددها وادخالهم عشرة عشرة لاتحاد القصعة وصغرها وقول انس نعم انما
لاستحيائه من كثرة الناس فقال ذلك ليتبعه النبي صلى الله عليه وسلم وحده واما الان من ارسله
ذكر انه اذا رأى كثرة الناس دعاه وحده وفي رواية ان ابا طلحة قال انما ارسلت انسا يدعوك وحدك
ولم يكن عندنا ما يشبع من ارى فقال ادخل فان الله سيبارك فيما عندك وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم
مسح القرص فجعل ينتفخ ويتسع في الجفنة وفي اخرى ان ابا طلحة رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرئ اصحاب
الصفة سورة النساء وقد ربط على بطنه حجرا وروى مسلم انهم في غزوة تبوك جاعوا فسألوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان يدعو بفضل ازوادهم ثم يدعو الله لهم عليها بالبركة ففعل فاجتمع شيء يسير فدعا
صلى الله عليه وسلم بالبركة ثم قال خذوا في اوعيتكم فما تركوا في العسكر وعاء الا ملؤه فاكلوا حتى
شبعوا وفضلت فضلة فقال صلى الله عليه وسلم اشهد ان لا اله الا الله واني رسول الله الحديث

وفيهما عن انس ايضا ان ام سليم ارسلته الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحيسة فى تور وهو عروس بزينب
فامره ان يدعو من لقى فدعا من لقى وكانوا زهاء ثلثمائة فوضع صلى الله عليه وسلم يده على تلك
الحيسة وتكلم بما شاء الله ثم دعا عشرة عشرة فاكلوا حتى شبعوا فارى حين وضعت كان اكثر
حين رفعت وصح عن سمرة بن جندب انهم تداولوا قصعة من غداة الى الليل يقوم عشرة ويقعد
عشرة فقيل له فما كانت تمد فقال مما كانت تمد الا من ههنا واشار الى السماء ومنها انه وفى
قدر بيضة اى بيضة دجاج **من نضار** اى ذهب **دين** سلمان الفارسى رضى الله عنه الذى كان من جملة ما كاتب عليه سيده وهو اربعون اوقية من الذهب كما مر انفا مع صغر تلك
البيضة وعظم ذلك الدين لكن ببركة مسه صلى الله عليه وسلم لتلك البيضة براحته الكريمة **حين
حان** اى قرب **الوفاء** اى حلول الاجل وبين وفى والوفاء الجناس الناقص وبين العجز
على الصدر وبين دين وحين وحان الجناس الناقص اللاحق وسبب هذا الدين على سلمان انه
كان يدعى قنا اى رقا بالباطل وملخص قصته كما حكاه هو عن نفسه انه من اصفهان وا جتهد
فى المجوسية حتى صار رئيسا فمر بكنيسة النصارى فاعجبه فذكر لابيه فقيده وقال له دينك ودين
ابائك خير من دينهم فارسل يسئل من النصارى عن علماء دينهم وكان سألهم عن اصل دينهم فقالوا
بالشام فارسل اليهم اذا جاءكم احد من الشام فاخبرونى ففعلوا فحل القيد وتوجه اليها فسئل عن
اعلمهم فدل عليه فخدمه الى ان مات ثم خدم من اقيم مقامه فلما احتضر قال له بمن توصى قال بفلان
بالموصل فجاءه واخبره فخدمه فلما احتضر قال له بمن توصى فقال بفلان بنصيبين فجاءه واخبره
وخدمه فلما احتضر ذكر ذلك له قال بفلان بعمورية من ارض الروم فلما احتضر قال له ذلك قال
يا بنى ما اعلم احدا على ما كنا عليه امرك ان تاتيه ولكن اظل زمان نبى هو مبعوث بدين ابراهيم يخرج
من ارض العرب يهاجر الى ارض بين حرتين به علامات لا تخفى يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة وبين كتفيه

خاتم

خاتم النبوة فان استطعت ان تلحق بارضه فافعل ثم مات فمر بى نفر من كلب فقلت لهم احملونى الى
ارض العرب واعطيكم ما عندى فحملونى فلما بلغوا وادى القرى ظلمونى فباعونى من يهودى ثم ابتاعنى
رجل من بنى قريظة بالمدينة قال فحملنى اليها فعرفتها فبعث صلى الله عليه وسلم بمكة فلم اسمع له ذكرا ثم
هاجر الى المدينة فبينا انا اجتنى لسيدى ثمرا جاءه ابن عمه فقال له قاتل الله بنى قيلة وهم الاوس والخزرج
انهم الان لمجتمعون بقباء على رجل قدم اليهم اليوم من مكة يزعمون انه نبى فاخذتنى رعدة وشدة حتى ظننا
انى ساقط فنزلت فقلت لسيدى ماذا قال لك بهذا فغضب ولطمنى لطمة شديدة وقال ما لك ولهذا
وقال لى اقبل على عملك فلما امسى اخذت شيئا وجمعت وذهبت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بقباء فقلت له
هذا صدقة فامر اصحابه باكله ولم يأكل فجمعت شيئا اخر واتى به وهو بالمدينة فقال له هذا هدية فاكل هو واصحابه
ثم جاءه وهو بالبقيع وقد تبع جنازة فجعل ينظر الى ظهره فعرف انه يتأمل شيئا وصف له فالقى رداءه عن ظهره
فرأى خاتم النبوة فقص عليه حديثه واسلم فامره صلى الله عليه وسلم ان يكاتب فكاتب نظرا للحالة الراهنة والا
فهو من جملة الاحرار الذين هم اتباع حوارى عيسى على نبينا وعليه الصلوة والسلام على غرس ثلثمائة نخلة
وتعهدها حتى تثمر والاربعين اوقية ذهب فغرس له النخيل فاثمرت من عامها واعطاه مثل بيضة من
ذهب فقضى منها الاربعين **فاعتق** باداء النجوم **لما اينعت** اى نضجت **من نخله**
حال من قوله **الاقناء** جمع قنو وهو العذق اى العرجون والاجل ما ذكر من سلمان انه لما جاء وسمعا
لذكر النبى صلى الله عليه وسلم اخذته الرعدة والشدة وهو على رأس نخلة يجنيها لسيده وشاهدها سيده منه
ومع ذلك الدال على نبوة محمد وانه بلغ امره وخفى الا بالبعد والاقارب للمسلم ان لم تلتفتوا الى سماع خبر
النبى صلى الله عليه وسلم لطمه لطمة شديدة لان كان من جملة اليهود الذين كانوا يفتخرون على النصارى بانه
قرب زمن نبى عربى يكونون اول من يتبعه ويقتلونهم معه قبل قتل عاد وارم فلما جاءهم المدينة
كفر به اكثرهم كما قال الله تعالى فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين ومن النائم منه

لما الى سلمان سكر اعليهم اذ لم يؤمنوا بنبينا صلى الله عليه وسلم مع ما شاهدوه من حال سلمان بل زادوا في
الطغيان بعزيه فقال انظروا سلمان وتمنعونه من الاجتماع بمحمد صلى الله عليه وسلم حتى لا يؤمن به **فلا
تعتد دون سلمان** اى يرون له عندا يمنعكم من ايذائه ومنعه وقد وضح الدليل عندكم
على نبوته **لما** اى حين **ان عرته** اى غشيته **من** اجل **ذكره** اى ذكر اليهودى له
النبى صلى الله عليه وسلم واجتماع الناس به فى قباء **العرواء** اى قوة الحمى وسيتها فى اول اخذها
للانسان بالشدة والرعدة وما ذكرته فى تقرير هذا البيت المطابق لما فى قصة سلمان والذى فيه غاية
المناسبة للمقام وغاية الانكار على اليهودى ورميهم بالعناد والبهتان اولى مما وقع للشارح فى تقريره
على ما فيه من النظر كما يعلم بتأمله وبين عرته والعرواء تجنيس شبه الاشتقاق **ومن** اوصافها تلك الراحة
ايضا انها **ازالت بلمسها** لمن به امراض اعيت الاطباء **كل داء به اكبرته**
اى استعظمته وعجزت عن برئه **اطبة** جمع طبيب هو العالم بعلم الطب الذى هو حفظ صحة
الانسان بمنع الواصل ودفع الحاصل **واساء** بكسر الهمزة اى مرضى جمع اس كراع ورعاء
وروى الدارمى ان امرأة جاءت الى النبى صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان ابنى به جنون وانه
ليأخذه عند غدائنا وعشائنا فمسح صلى الله عليه وسلم صدره فثعا من جوفه مثل الجرو الاسود
فشفى **فائدة** روى البخارى ان سلمة اصيب يوم خيبر بضربة فى ساقه فنفث فيها صلى الله عليه وسلم
ثلاث نفثات فما اشتكى قط **ومن** اوصافها ايضا انه برئت بها **عيون** ناظرة **مرت**
تلك الراحة **وهى رمد** اى معطلة الابصار **فادتها** اى تلك الراحة تلك العيون
ما اى الشئ البعيد الذى **لم تؤديها** فيه مع ادتها جناس الاشتقاق **الزرقاء**
بنت زرقاء اليمامة التى كانت ترى من مسيرة ثلاثة ايام روى البخارى فى غزوة خيبر انه صلى الله عليه وسلم قال
اين على اى ليعطيه الراية ويكون الفتح على يديه كما فى رواية اخرى قالوا يشتكى عينيه قال ارسلوا اليه

فاذنم

فاتى به فبصق صلى الله عليه وسلم فى عينيه ودعا له فبرئ حتى كان لم يكن به وجع وعند الطبرانى من على فما
رمدت وما صدعت منذ دفع الى صلى الله عليه وسلم الراية يوم خيبر وعند الحاكم عنه فوضع صلى الله عليه وسلم
رأسى فى حجره ثم بزق فى راحته فدلك بها عينى وعند الطبرانى فما اشتكيتهما حتى الساعة قال ودعا لى صلى
الله عليه وسلم فقال اللهم اذهب عنه الحر والقر فما اشتكيتهما حتى يومى هذا **فائدة** روى
ابن ابى شيبة والبغوى والبيهقى والطبرانى وابو نعيم انه صلى الله عليه وسلم نفث فى عينى فديك وكانتا
مبيضتين لا يبصر بهما شيئا وكان وقع على بيض حية فكان يدخل الخيط فى الابرة وانه لابن ثمانين سنة
وان عينيه لمبيضتان **و**منها ايضا انها **اعادت على قتادة** بن النعمان **عينا**
له ذهبت **فهى حتى** اى الى **مماته النجلاء** اى الواسعة والمراد واسعة
النظر وقصته ان عينيه اصيبت يوم احد فوقعتا على وجنتيه فاتى بهما الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال
يا رسول الله ان لى امرأة احبها واخشى ان رأتنى تقذرنى فاخذها صلى الله عليه وسلم بيده وردها الى موضعها
وقال اللهم اكسها جمالا فكانت احسن عينيه واحدهما نظرا وكانت لا ترمد اذا رمدت الاخرى وقيل
وفد على عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه رجل من ذريته فقال له عمر من انت قال انا ابن الذى سالت
على الخد عينه فردت بكف المصطفى احسن الرد فعادت كما كانت لاول امرها فيا حسن
ما عين ويا حسن ما رد فوصله عمر واحسن جائزته قال السهيلى وفى رواية اصيبت عيناه
يوم احد فسقطتا على وجنتيه فاتى بهما النبى صلى الله عليه وسلم فاعادهما مكانهما وبصق فيهما فعادتا
تبرقان قال الدارقطنى هذا حديث غريب تفرد به عمار بن نصر عن مالك وهو ثقة واخرج الطبرانى وابو نعيم
عنه كنت يوم احد اتقى السهام بوجهى دون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان اخرها سهما
ندرت منه حدقتى فاخذتها بيدى وسعيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآها فى كفى دمعت
عيناه فقال اللهم ق قتادة كما وقى وجه نبيك بوجهه فاجعلها احسن عينيه واحدهما نظرا

بين رواية الواحدة وبين رواية الثنتين على تقدير صحتهما بان احد الرواة ظن ان الساقط واحدة
وبعضهم علم انه ثنتان فاخبر كل بحسب علمه ومن قواعدهم ان زيادة الثقة مقبولة وبها يترجح رواية
الثنتين او كيفية خصتني في اليقظة او النوم نظير ما مر هو **بِلَثْمِ** اي تقبيل **التُّرَابِ** المنفصل
مِنْ قَدَمٍ له موصوفة باوصاف جليلة كسابقيها منها انها كانت اذا مشيت على حجر **لَانَتْ**
حَيَاءً اي لاجل او من وجه استحيائها منها اجلالا لها **مِنْ** اجل **مَشْيِهَا** اي تلك
القدم الكريمة لها **الصَّفْوَاءُ** اي الحجارة الصلدة فاعل لانت واعيد ضمير مشيها وما بعده عليها
لتقدمها رتبة ونبه بذلك على انه ينبغي لك ايها العاقل ان تستحي من مخالفتك ما جاء عن نبيك
لانك اذا علمت ان الحجر الاصم استحي منه ان تبقى على صلابته مع مشيه عليه فتشق عليه صلابته فلان
لحق اسهل عليه مشيه عليه فانت اولى بالاستحياء منه ان تبقى على مخالفته مع علمك بجليل اوصافه
وعلي اخلاقه ثم هذا الذي ذكره الناظم ذكره غيره ممن تكلم على الخصائص لكن بلا سند وعبارة
الحافظ السيوطي في خصائصه ومما اورده رزين اي صاحب الصحاح في خصائصه انه صلى الله عليه وسلم
اذا وطئ على الصخر اثر فيه وذكر الحافظ الشريف تقي الحنبلي تلميذ ابن القيم ذلك في خصائصه فقال
واما الانة الحديد لداود عليه الصلوة والسلام فان الانة الحديد معروفة بالنار وقد الان
الله تعالى الحجارة لمحمد صلى الله عليه وسلم ولا يعرف لين الحجارة بالنار ولا غيرها وهذا ابلغ ثم قال
العجيب من هذا انه كان اذا مشى على الصخر لان تحت اقدامه واذا مشى على الرمل لا يؤثر فيه خرقا
للعادة الجارية وقال في اول كتابه ونحن نذكر ما نقل عن كل نبي من المعجزات وما ثبت لنبينا
صلى الله عليه وسلم من الخصائص وانه من الفضائل والفواضل **مَوْطِئٍ** بدل من التراب
الْأَخْمَصِ بفتح الميم المراد به الجنس اي الاخمصين وهو من التعبير بالبعض عن الكل اذ
الاخمص من القدم الموضع الذي لا يلتصق بالارض منها عند الوطء والخمصاء المبالغ فيه ولم
يرد

يرد على كلامه ما رواه البيهقي عن ابي هريرة كان صلى الله عليه وسلم اذا وطئ بقدمه وطئ بكلها
ليس له اخمص وابن عساكر عن ابي امامة كان صلى الله عليه وسلم لا اخمص له يطأ على قدميه كلها لان
المراد ان اخمصه معتدل لا الخمص ومن ثم قال ابن الاعرابي اذا كان خمص الاخمص بقدر لم يرتفع جدا
ولم يستو اسفل القدم جدا فهو احسن ما يكون وان استوى او ارتفع جدا فهو ذم **الَّذِي**
نعت للمضاف ولا يصح كونه نعتا للمضاف اليه الا بتكلف **مِنْهُ** صفة للمبتدا الذي
وطاء تقدمت عليه فصارت حالا **لِلْقَلْبِ** خبر المبتدا وهو الفؤاد وقد يعبر به عن العقل
ومن المراد بالقلب والخلاف في العقل وذكر القلب بعد الاخمص فيه تجنيس ومراعاة النظير اذا
اي جنبي الذي اضطجع عليه **أَقَضَّ** بالقاف والمعجمة اي اصابه القضض وهو التراب الذي
يعلو الفراش كما في القاموس **وِطَاءٌ** اي فراش وصف ذلك التراب الذي هو موطئ القدمين
الشريفين بانه لو فرض ان مضجعه اصابه تراب فراشه الذي هو من جملة ذلك التراب اسرى سر ذلك
التراب الى قلبه فاناره واراحه من الاغيار وصيره على اكمل الاحوال وصار من فيائح الحضرات
الاحوال كما ان الفراش يصون من فرش له عن ذلك هذا ما ظهر لي واظهر مما حل به الشارح هذا البيت فتامله
ومن اوصافها ايضا **حَظِيَ الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ** يعني جميع حرم مكة اذ المسجد الحرام
يراد به ذلك كثيرا كما في القرآن في مواضع كثيرة بل كلما ورد فيه من ذلك المراد به مكة الا في نحو قوله تعالى
فول وجهك شطر المسجد الحرام **بِمَمْشَاهَا** اي بمشي تلك القدم فيه اي فضل حرم مكة
على سائر البقاع بالمواضع قبره المكرم كما عليه اكثر العلماء بواسطة ولادة النبي صلى الله عليه وسلم
وتربيته ونشأته فيه ومن ثم صح من غير نزاع فيه لاحيائه صلى الله عليه وسلم قال لمكة والله انك
لاحب ارض الله الى الله ولولا اني اخرجت منك كرها ما خرجت والحديث المعارض له انك الذي
يروى به مفضلو المدينة المنورة موضوع كما اعترف به امام المالكية ابو عمر بن عبد البر وصرح بان مكة

مكة هي الحق فلا من الم يهتدي وبرئ من التعصب **وَلَمْ يَنْسَ حَظَّهُ** منه **إِيلِيَاءُ**
اي بيت المقدس بل شرفه بمشيه فيه ايضا وصلوته فيه بالانبياء ليلة الاسراء كما جاء ذلك في
الاحاديث الصحيحة ولم يذكر المدينة لان الذي انشاء شرفهما كما قال في الحديث الصحيح اللهم ان ابراهيم
حرم مكة واني حرمت المدينة الحديث فقوله حرمت المدينة اي نقل تحريمها على انشاء ولم يسبق فيه
بخلاف مكة فان تحريمها من يوم خلق الله السموات والارض كما جاء في الحديث البخاري وغيره ان
ابراهيم حرم مكة معناه اظهر حرمتها الا جمعا بين الحديثين فانه متعين ما امكن وليس الكلام
فيما انشاء حرمته وانما هو فيما عرفت حرمته من قبله على لسان غيره من الانبياء عليهم الصلوة والسلام
ولكن ازدادت حرمته ببركة حلوله به ومشيه فيه ففضل غيره ففضل مكة وبيت المقدس لتقدم ليس
حرمتهما قبله صلى الله عليه وسلم بل لاجل حلوله ومشيه فيهما وبين حظي وحظه كورمت ورمى تجنيس
شبه الاشتقاق ومن اوصافها ايضا انها **وَرِمَتْ** كما جاء في حديث الصحيحين انه
صلى الله عليه وسلم قام من الليل حتى تورمت قدماه فقيل له اتتكلف هذا وقد غفر الله لك
ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال افلا اكون عبدا شكورا وفي رواية حتى تفطرت قدماه فقلت
انه لم يقنع بهذا وقد غفر الله لك ما تقدم وما تأخر من ذنبك فقال افلا اكون عبدا شكورا فلما بدن
وكثر لحمه صلى جالسا فاذا اراد ان يركع قام فقرأ ثم ركع والفاء للسببية والتقدير اتركت
تهجدي فلا اكون عبدا شكورا والمعنى ان المغفرة سبب لكون التهجد لمحض الشكر
فكيف اتركه قال ابن بطال شارح البخاري في هذا الحديث اخذ الانسان على نفسه بالشدة
في العبادة وان اضر ذلك ببدنه صلى الله عليه وسلم اذا فعل ذلك مع علمه بما سبق له فكيف بمن
لم يعلم بذلك فضلا عمن لم يأمن انه استحق النار انتهى قال بعض المفسرين قام صلى الله عليه وسلم
طول الليل على قدميه الا قليلا فلما تورمت قدماه كان يقف على اطراف اصابعه فانزل الله
عليه

طه اي طأ الارض بكل قدمك واسترح مما انت فيه من التعب فانا ما انزلنا عليك القرآن
لتشقى **إِذْ** اي وقتا او لاجل انه **دَمِيَ بِهَا ظُلَمَ اللَّيْلِ** فيه استعارة بالكناية شبه
القدم الشريفة لسهم صيبا من حيث ان قيام القدم في طاعة الله وجب زوال ظلم الليل وحشته
كما ان رمي السهم في طاعة الله يزيل سورة عدوه وطغيانه وطاعته فتشبيه القدم بالسهم في ذلك
بالكناية لبنائها على هذا التشبيه المكني في النفس واثبات الرمي له استعارة تخييلية وهذا النوع من البديع
المبني للبناء على حالها بنفع ذم التراث انها بمعنى من او عن وانه لا يصح بقائها على حالها ولما كان قيام
الليل كذلك بينه اما من مزيد خوف وسعة رجاء بين الناظم رحمه الله ان قيامه صلى الله عليه وسلم
لم يكن لاجل ذلك وانما كان لمحض الشكر كما افاده قوله افلا اكون عبدا شكورا مع التلذذ بمناجاة الله
تعالى والقيام بين يديه وان خوفه ورجاءه اللذين وصل فيهما الى غاية لم يصل اليها غيره وانما كانا
لمحض التقرب بهما الى الله تعالى فقال **إِلَى اللَّهِ** خبر مقدم **خَوْفُهُ** منه قال صلى الله عليه وسلم
انا اعلمكم بالله واخوفكم منه **وَالرَّجَاءُ** اي وسعة امله فيما عنده لا الى غرض اخر لان الله تعالى
عصمه عن ان ينظر او يميل الى غيره طرفة عين بل هو دائم المثول في حضرات الشهود والقدس والتملي بجمالي
القرب الانفس ووقع للشارح رحمه الله حل هذا البيت على خلاف ما ذكرته وما ذكرته اولى واشبه بمقام
صلى الله عليه وسلم كما لا يخفى على متامل ثم رايت القرطبي اشار الى ما ذكرته حيث قال ظن من سأله صلى الله عليه وسلم
في حديث الصحيحين المذكور عن سبب تحمل المشقة في العبادة انه انما يعبد الله خوفا من الذنوب وطلبا
للمغفرة والرحمة فمن تحقق انه غفر له لا يحتاج الى ذلك فافادهم ان هنا طريقا اخر للعبادة وهو الشكر
اذ هو الاعتراف بالنعمة والقيام بالخدمة فمن كثر ذلك منه سمي شكورا ولكنه قليل كما قال الله تعالى وقليل
من عبادي الشكور وفي الحديث بيان لما كان عليه صلى الله عليه وسلم من الاجتهاد في العبادة و
الخشية من ربه قال العلماء انما الزم الانبياء انفسهم بشدة الخوف لعلمهم بتعظيم نعمة الله عليهم وان

ابتدأتهم بها قبل استحقاقها فبذلوا مجهودهم في عبادته ليؤدوا بعض شكره ان حقوق الله تعالى اعظم من
ان يقوم بها العباد انتهى وقيام الليل كان في اول الاسلام واجبا عليه وعلى امته كما ذكره الله تعالى في اول سورة
المزمل ثم نسخ ما في اخرها ثم نسخ عن الامة بالصلوة الخمس وكذا عنه على الاصح كما نص عليه الشافعي رحمه الله
ولكن اكثر اصحابه على انه لم ينسخ عنه لقوله تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك اي فضيلة زائدة في فرائضك
لان الامر للوجوب وقيل معنى الاية خالصة لك لان تطوع غيره يكفر ذنبه وتطوعه خالص له لكونه لا ذنب
عليه فسكونه تطوعاته صلى الله عليه وسلم لمحض زيادة الدرجات والقرب والاحاديث اللهم اني اسألك الجنة
وما قرب اليها من قول وعمل واعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل فهو تعليم الامة وبين الخوف
والرجاء المقابلة ومن اوصافه ايضا انه دميت اي خرج دمه في الوغا قال الزهري الصوت
والجلبة ويقال للحرب لما فيها من الصوت والجلبة وكثرة اختلاط الاصوات وهو المراد هنا انتهى
لتسكب طيبا ما التي اراقت من الدم بيان لما الشهداء جمع
شهيد فعيل بمعنى فاعل لانه يشهد الجنة وما اعد الله له فيها عند طلوع روحه او مفعول لان ملائكة
الرحمة تشهده عند ذلك وهو فاعل لترقى اي من حكم خروج الدم من جملة المشرفة ان يعم طيبه
الدم وبركته على جميع دم الشهداء حتى يكون رائحة دمهم كريح المسك كما اخبر صلى الله عليه وسلم
عنه من بابه كذلك وكان ينبغي للناظم ان يذكر هذا من اوصافه الكريمة لان الذي في البخاري
انه صلى الله عليه وسلم دميت اصبعه فقال هل انت الا اصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت
وقد يحمل كلام الناظم على ما سبق انه صلى الله عليه وسلم خرج الى ثقيف يدعوهم الى الله فابوا واغروا به
سفهاءهم فرموه بالحجارة الى ان دميت رجلاه فجلس من شدة الالم وزيد مولاه يحميه منهم فان قلت
ليس هنا حرب والناظم قيد ذلك بالوغا قلت قد علمت ان اصل الوغا الصوت والجلبة وهذا
موجود هنا على ان لنا ان نمنع قولك ليس هنا حرب وسند المنع انه اقام شهرا يدعوهم وهم لا ...

بل يغرون

بل يغرون به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه قال موسى بن عقبة ورجموا عراقيبه بالحجارة حتى اختضبت نعلاه
صلى الله عليه وسلم بالدم زاد غيره وكان اذا اذلقته الحجارة قعد الى الارض فيأخذون بعضديه فيقيمونه
فاذا مشى رجموه وهم يضحكون وزيد بن حارثة يقيه بنفسه حتى لقد شج في رأسه شجاجا وهذا حرب
اي حرب لان من اقام بين ظهراني العدو فواجههم بما يكرهون من غير ان ينزجر بزجرهم ولا
ينفك منهم بفرارهم محارب لهم ويدل لذلك ان الائمة عدوا من المتحاربين الصفين اذا
تقابلا بحيث يصل سلاح كل الى الآخر وان لم يقع قتال اصلا ولا سل سيف ولا رمي سهم تنزيلا
لما بالقوة منزلة ما بالفعل فكذلك هنا بالاولى لانه وجد من جانبهم ضرب وجرح وغيرهما ومن جانبه
غلظة عليهم وسب لهم ولالهتهم وبما قررته يعلم ان الشارح في صرفه الوغا عن معناه الحقيقي
الى معناه المجازي وقال ان المراد هنا كما يقتضي سياق النظم لكن كان عليه ان يبين ما يشهد لذلك
المراد من كتب السير او غيرها واذا تقرر انه صلى الله عليه وسلم قام على قدميه حتى تورمت وانه دميت في الحرب
لتسكب طيب دمه دم الشهداء طيبا فهو حينئذ قطب المحراب وقطب الحرب اي
اليه انتهى الثبات في الصلوة والحرب الى حالة لم توجد في غيره لانه صلى الله عليه وسلم لا اتقى ولا اخشى لله منه
ولا اشجع منه كما مر فهي قطب العبادات والجهاد في سبيل الله لا تتحرك ولا تنتقل من مكانها فلذا دارت
عليها قبائل العرب الذين اكرمهم الله بطاعته لانقيادهم والمجاهدة معها كما قال وكم اي مرات كثيرة
دارت عليها ما في طاعة الله حال من قوله ارحاء اي قبائل العرب وهذا
تذييل وقطب الرحى ما يدور عليه ويسمى امير الجيش قطب رحى الحرب لانها تدور عليه
من ذلك ففيه كون دائرة الوجود فهو نقطة الكون الموجود لاجله ابتداء والمتصرف فيه انتهاء وبين
المحراب والحرب تجنيس الاشتقاق واراه اي اعلم ان النبي صلى الله عليه وسلم لو مع
شرطها وجوابها سدت سد المفعول الثاني ويصح ان ماجت هو المفعول وجواب لو محذوف

دل عليه ماجت واعلم ان الكلام على لو كثر اختلاف العلماء فيه وقد اردت هنا ايراد خلاصته لانه مما يضطر
الى معرفته فاقول هي شرط للماضي غالبا واختلفت عبارات النحاة في معناه حتى قيل انهم لم يفهموه قال سيبويه
هي حرف لما كان سيقع لوقوع غيره وقال البصريون هي حرف امتناع لامتناع واختلف في مرادهم بذلك
فقال ابن الحاجب مرادهم امتناع الشرط لامتناع الجواب لا عكسه لان انتفاء السبب لا يدل على انتفاء مسببه لجواز ان
يكون للشيء اسباب واستدل لذلك بقوله تعالى لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا لانها سيقت
لنفي تعدد الالهة بامتناع الفساد لا عكسه اذ لا يلزم من انتفائه انتفاؤه لان المراد فساد نظام العالم
عن حالته وذلك جائز ان يفعله الاله الواحد سبحانه انتهى وردوا عليه واطالوا وصوبوا ان المراد امتناع
جوابها لامتناع شرطها كما هو المتبادر للافهام واعترض ذلك بان الجواب قد لا يمتنع في اماكن كثيرة نحو
قوله تعالى ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام الاية وقول عمر رضي الله عنه نعم العبد صهيب
لو لم يخف الله لم يعصه لان عدم النفد محكوم به وجد الشرط ام لا وكذلك عدم العصيان
وجد الخوف ام لا فلذلك حول جمع من المحققين العبارة عن معناها فقالوا انها حرف يقتضي امتناع
ما يليه واستلزامه لتاليه من غير تعرض لنفي التالي فقيام زيد من لو قام زيد قام عمرو محكوم بانتفائه
وبكونه مستلزما ثبوته لثبوت قيام عمرو وهل لعمرو قيام اخر غير اللازم عن قيام زيد او ليس له
لا تعرض لذلك ثم ان ناسب بان لزم التالي الاول عقلا او شرعا او عادة ولم يخلف المقدم في
ترتيب التالي عليه غيره لزم انتفاؤه بانتفائه كلو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا ففسادهما لازم
لتعدد الالهة على وفق العادة عند تعدد الحاكم من التمانع في الشيء ولم يخلف التعدد في ترتب
الفساد عليه غيره فينتفي الفساد بانتفاء التعدد المفاد بلو وان خلف لم يلزم كلو كان انسانا لكان حيوانا
فالحيوان لازم للانسان فالانسان لازم للحيوان عقلا لانه جزؤه ويخلف الانسان في ترتب
الحيوان غيره كالحمار ويثبت الثاني مع انتفاء الاول ان لم يناف انتفاؤه وناسبه اما بالاول كما في قول عمر

المرتب

المرتب فيه عدم العصيان على عدم الخوف وهو بالخوف المفاد بلو انسب بالترتيب عليه ايضا في قصده والمعنى انه
لا يعصي الله مطلقا لا مع الخوف وهو ظاهر ولا مع انتفائه اجلالا له تعالى عن ان يعصيه او المساوي
كقوله صلى الله عليه وسلم في بنت ام سلمة لو لم تكن ربيبتي في حجري ما حلت لي لانها بنت اخي من
الرضاعة رواه الشيخان اي لا تحل لي اصلا لان لها وصفين متساويين المصاهرة والرضاع لو انفرد
كل منهما حرم او الادون كلو انتفت اخوة الرضاع ما حلت للنسب الادون من الرضاع لم يكن
موجبها اي بقدمه الكريمة قبل بالبناء على الضم حراء مفعول يسكن بالصرف هنا لان
لانه يذكر ويؤنث وفي غير هذا يجوز كل منهما باعتبارين المذكورين كما ماجت اي تحركت و
اضطربت به اي القدم او النبي صلى الله عليه وسلم وفي نسخة بها الدهماء اعلم ان الشراح تكلموا على هذا البيت
بما فيه خفاء فقال لانه جعل مفعول اراه الثاني ماجت ولو لم يكن شرطها جوابه محذوف ... الكلام
عليه وقال في الدهماء هي بالمعجمة كانه اراد بها سرعة الحركة وقال في حله ومن اوصافه انه لو لم يكن بالقدم
المذكورة حراء المراد التحنث فيه ماجت بسرعة الحركة واستمر اضطرابه صلى الله عليه وسلم كما انه لما تعلق
احد تحرك به فقال اثبت احد فذاك تسكين بالقول وهنا بالفعل انتهى ولم يظهر من هذا الكلام
ما قبله من الاعراب معنى يطابق النظم وجعل سرعة الحركة فاعل ماجت في غاية الخفاء مع عدم المناسبة
لما قبله على انه في القاموس لم يذكر الذماء بالمعجمة اصلا ولا الذأمة بالمعجمة معنى مناسبا لسرعة الحركة
ولا مقاربا لها اصلا وانما ذكر الذأمة ما يقرب من سرعة الحركة وهو الرعب عبارته في ذأمه
بالمعجمة كمنع حقره وذمه وطرده وخزاه والاذآم الرعب وما سمعت له ذأمة كلمة انتهت
وانما ذكر الدهماء بالمهملة فقال دهم الحائط كمنع دمره ويدهم المكان الشيء غمره والفحل الناقة
تجللها وتدأمه الامر كتفاعلوا تراكم عليه وتزاحم والدهماء البحر ثم قال وجيش يدأم كل شيء
على كل شيء انتهى والذي يتجه في حله ان ماجت جواب لو وان الدهماء بالمهملة وانها البحر وان

الاستعارة المصرحة لانه شبه الجبل بالبحر لانه لما تحرك به صلى الله عليه وسلم اشبه تحركه تحرك البحر
وان ماجت استعارة مرشحة لانها تناسب المشبه به وهو البحر اذ لا يستعمل الموج الا في الماء كما يصرح به
كلام القاموس وح فالمعنى واعلم انه لو لم يكن بقدميه حرا قبل اي عند ابتداء تحركه بقوله له اثبت
حرا الى اخر ما مر في شرح قوله فاهتز به للصلوة فيا حراء لما ماج اي استمر اضطرابه وتحركه الى اخر الذي
لما مر انها هزة الطرب والسرور برقيه صلى الله عليه وسلم عليه وكان القياس لو لم يكن بقدميه قبل حرا
ماج لكن لما احتاج الى تشبيه الجبل بالبحر فيما ذكره عدل عن ذلك الى ماجت الا انه افادة ما في تشبيه
الجبل بالبحر من المبالغة المبنية على الاستعارتين المذكورتين فان قلت الذي مر في حرا انه انما قال
له اثبت حرا ونحوه ولم يذكر به بقدمه وانما الذي ضرب بقدمه احد وثبير فمن اين للناظم قوله لو لم
يكن بها قبل حرا قلت كانه نظر الى ما في بعض الطرق في مسند الحارث ابن ابي اسامة اذ فيها [illegible]
بالثبات وصح في رواية حرا وفي رواية احد فاقتضى ذلك ان الضرب بالقدم الكريمة في حرا كما انه
في احد ولك ان تحمل كلام الناظم على ان المراد لو لم يكن حرا قبل اي قبل طلوعهم عليه هو واصحابه
بقدميه اي بسيره عليه واقامته فيه للتعبد قبل النبوة لاستمر تحرك جده واضطرابه حين طلع عليه ثانيا
واصحابه وح لا يرد على الناظم شيء الا ان يقال المسكن له كل من قدميه مع قوله له اثبت او اهدا حرا فانه
لتخصيص القدم بالذكر وقد يجاب بانه لا مانع ان المسكن له كل من الامرين فنسبته الى القدم لا
تنافي انه لا سكن غيرها ولك ايضا ان تجعل الذي ماج به الارض تسمية للمحل باسم الحال وح فالمعنى
لو لم يكن بقدمه حرا اي تعبده فيه قبل النبوة لما جت به الارض بعد النبوة فرحا وطربا الى اخر الدهر
مختص حرا لانه صلى الله عليه وسلم خصه بتعبده فيه دون غيره **تنبيه** اشار صلى الله عليه وسلم
في احد الى ان سبب تحركه به محبته له فقال احد جبل يحبنا ونحبه رواه الشيخان قال الخطابي والمراد
يحبنا اهله حب اهل المدينة نحو قوله تعالى واسئل القرية ورده البغوي وتبعوه بانه لا مانع من حمله

على ظاهره

على ظاهره ولا ينكر وصف الجمادات بحب الانبياء والاولياء واهل الطاعة كما في نظيرها من حنين الجذع
لما فارقه صلى الله عليه وسلم وحديث ان حجرا كان يسلم علي قبل النبوة وروى البزار وابو نعيم لما اوحى الله الي
جعلت لا امر بشجر ولا حجر الا قال السلام عليك يا رسول الله ولما ذكر جملة كثيرة من معجزاته صلى الله
عليه وسلم حديث التي من شاهدها امن بها امن غيره بين ان الكفار الذين شاهدوها لم تزدهم الا
ضلالا حقيقين بان يتعجب من شانهم **عجبا** بدل من اللفظ بفعله وهو الامر المستغرب
الخارج من قبيل العقول **الكفار** اي منهم حال كونهم **زادوا ضلالا بالآيات**
القرآن ومنها **الذي فيه** اي في كل فرد من افراده **للعقول** السليمة
الخالية عن العناد والخذلان والحسد والغل ومدار الكلام على العقل وما فيه من الخلاف **اهتداء**
اي الى الدين الحق الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم والى صحة ما تحدى به ويصح ان يراد العقول الاولى
بالقيدين المذكورين حملا للاهتداء على ما يشمل ما بالقوة وما بالفعل اذ المعجزة فيها الاهتداء بالقوة
وان قارنها عناد او خذلان وبين الضلال والاهتداء الجن والانس الاتيين الطباق ووجه التعجب
تعنتهم واضح فانهم كانوا مع ما شاهدوه من الايات والمعجزات التي ترشد العقول الى الحق لا يزدادون
لما عندهم من الحسد والتلبيس على الضعفاء منهم الا اباء وكفرا وتمردا كما قال تعالى عنهم وان يروا
اية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر **و** عجبا ايضا من **الذي يسئلون منه**
على جهة التعنت والعناد وهو كثير منه **كتاب منزل** معه عليهم من السماء **قد**
اتاهم برؤيتهم ومشاهدته **وارتقاء** منه اليها وبعد ذلك كما حكاه الله تعالى عنهم بقوله تعالى
وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا او تكون لك جنة من نخيل وعنب
فتفجر الانهار خلالها تفجيرا او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا او تاتي بالله والملائكة
قبيلا او يكون لك بيت من زخرف او ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا

كتابا نقرؤه قل سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا وقالوا له ايضا لقد علمت انه ليس احد من
الناس اضيق بلدا ولا اقل مالا ولا اشد عيشا منا فاسئل ربك فليسير عنا هذه الجبال التي ضيقت علينا
وليبسط لنا في بلادنا وليخرق فيها انهارا كانهار الشام وليبعث لنا من مضى من اباءنا وليكن فيهم قصي بن
كلاب فانه كان شيخ صدق فان صدقوك صدقناك وما قررته في هذا البيت اولى مما قرره الشارح في
من ان الذي مبتدا خبره كتاب وارتقاء معطوف عليه لانه ح لا يتعلق بما قبله ولا بما بعده مع ما فيه
من غموض المعنى بخلاف ما ذكرته فان مناسبته لما قبله واضحة وكذا لما بعده كما يدل عليه الاستفهام
التعجبي الانكاري عليهم في قوله **ا** يقولون ذلك كله ويتعنتون به **ولم يكفهم** عن
ذلك كله **من الله** حال من فاعل يكفي وهو **ذكر** واصل اليهم وتسميته ذكرا اما
لانه مذكر به التشرف كما في قوله تعالى وانه لذكر لك ولقومك وفي اخرى مراد به انه مذكر الخلق بما ينفع
ومحذرهم عن كل ما يضر **فيه للناس** والجن بل والملائكة **رحمة** باهتداء
المؤمنين به وتاخير عذاب الاستيصال عن الكافرين ببركة كونه بين ظهرانيهم **وشفاء**
من كل داء ظاهر وباطن حسي ومعنوي كما قال الله تعالى قل هو للذين امنوا هدى وشفاء
وتخصيص المؤمنين لانهم المقصودون بذلك بالذات وغيرهم بطريق التبع وانما قلت و
الملائكة لقول بعض الاكابر من ائمتنا ان الملائكة لم يعطوا فضيلة حفظ القرآن لكنهم حريصون
على استماعه من غيرهم قال العلماء لم ينزل الله من السماء شفاء قط اعم ولا انفع ولا اعظم ولا
انجع في ازالة الداء من القرآن فهو للداء شفاء ولصدأ القلوب جلاء كما قال الله تعالى وننزل
من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين قال الفخر الرازي وغيره ليست من للتبعيض بل
للجنس والمعنى وننزل من هذا الجنس الذي هو القرآن شفاء من الامراض الروحانية كالاعتقادات
الفاسدة في الالهية والنبوة والمعاد وفي القرآن من النصوص القاطعة بفساد تلك ما يكفي و

وكالاخلاق

وكالاخلاق المذمومة وفيه اوضح بيان لانواعها وحض على اجتنابها ومن الامراض الجسمانية بالتبرك بقراءته
عليها لكن مع الخلوص وفراغ القلب من الاغيار وقربه واقباله على الله تعالى بكليته وعدم اكل الحرام
وعدم دين الذنوب وعدم استيلاء الغفلة على القلب وصح حديث ان الله تعالى لا يقبل الدعاء من
قلب غافل لاه وقد اشتهر من هذه حالته على اي مرض كان مرئيه له وان اعيى الاطباء ومن ثم قال بعض الائمة
متى تخلف الشفاء فهو اما لضعف تاثير الفاعل ولعدم قبول المحل المنفعل او لمانع قوي فيه يمنع ان
ينجع فيه الدواء كما يكون ذلك في الادوية والادواء الحسية وقد روي حديث من لم يستشف بالقرآن
لا شفاه الله نعم روى ابن ماجة انه صلى الله عليه وسلم قال خير الدواء القرآن وعن العارف الامام الكبير
ابي القاسم القشيري رحمة الله عليه ان ولده اشتد به مرض فانزعج عليه فرأى النبي صلى الله عليه وسلم
فشكى اليه ما بولده فقال له اين انت من ايات الشفاء وهي ست ايات مشهورة فكتبها ومحاها بماء
وسقاها له فكانما نشط من عقال ثم استطرد بذكر شيء مما اشتمل عليه القرآن العزيز من المعجزات البادية
والايات الظاهرة فمن ذلك انه في قمع المعارض وادحاض الجاحد انه **اعجز** قبل علم اعجازه ضرورة
والاصح ان محله فيمن شاهد النبي صلى الله عليه وسلم او علم وجوه الاعجاز وظاهره ان المشاهد يحصل
له العلم الضروري باعجازه وان لم يعلم وجوه الاعجاز ولا يستبعد ذلك لان من كشف عن قلبه الغطاء
عند المشاهدة يحصل له قطعا العلم الضروري بانه رسول الله وما جاء به من عند الله وانه معجز للخلق عن محاكاته
لان هذا امر يدركه الذوق السليم وان لم يمكن صاحبه ان يعبر عنه بل المدعي منع ان ذلك قد يحصل
لبعض حذاق العلماء لم يبعد لاسيما وقد بلد به فرقا بين يعنيا بين القرآن وغيره من صاحبها **الاوس**
ايات عربها تبعا للقاضي ولم يبال بان الذي عليه الجمهور ان اقل ما وقع به التحدي اقصر سورة
منه وهي ثلاث ايات او مثلها طلب منهم صلى الله عليه وسلم ان ياتوا بمثله فعجزوا فطلب ان ياتوا
بعشر سور من مثله فعجزوا فطلب منهم ان ياتوا بسورة من مثله فعجزوا فكان اقل ما طلب منهم قدرا

سورة من مثله وذلك لان في دليل الجمهور شيئا اذ لا يلزم من كونه لم يطلب منهم دون السورة انهم
قادرون على اقل منها لان المشاهدة قاضية بانهم عجزوا حتى عن بعض الاية المفيد كما يفيده قول الناظم
الاقل او بعضها لان في ارتباطها بما قبلها او ما بعدها انواعا من بدائع الحكم لا يحيط بها غيره صلى الله عليه وسلم
فالحق انهم عاجزون عن محاكات اية من اياته حتى ثم نظرا او بعضها المفيد لكن مع النظر لمناسبتها
لما قبلها او ما بعدها اما التصريح بانه لم يقع العجز الا عن ثلاث ايات فترده المشاهدة الخارجية اذ لم
يسمع من احد قط انه حاكى شيئا منه **منه و عجز الجن** الزمنه ايضا وذكرهم كالانس
لان التحدي وقع لهم ايضا لانه صلى الله عليه وسلم مبعوث اليهم اجماعا فزعم انهم انما ذكروا ما تعظيما
لا مجازه لانهم ليسوا من اهل اللسان العربي يرد بان الاية تقتضي بانهم يحسنون اللسان العربي نادعا
خلافه يحتاج لدليل قبل ولم يذكر الملائكة لانه صلى الله عليه وسلم ليس مرسلا اليهم ويرد بان الا
خلافه ومن ثمة قال بعضهم انهم مستوون في الاية ايضا وانهم لا يقدرون على معارضته اي وكان
عدم ذكرهم عصمتهم عن المخالفة فلم يحسن تحديهم وعلى كل فلم يستطع احد من الفريقين بل الثلاثة
في زمنه صلى الله عليه وسلم ولا بعده ان ياتي بمثل اية او سورة منه على نمط البديع ونظمه البليغ المنيع وعذوبة
منطقه وما فيه من الامثال والاخبار بالمغيبات ودلائل البعث والنبوة والاخلاق الكريمة
منه هاو هذا مقتبس من قوله تعالى قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا
الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا **يأتي به** اي بمثل ما ذكر من السورة
او **بعضها** اي الاية والمراد بعضها المفيد **البلغاء** جمع بليغ اي حينئذ **فهلا**
هي في اصلها للتحضيض والمراد بها هنا التهكم ونظيره من حيث ان لولا بمعنى هلا فيثبت لهذه
ما لتلك فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ الاية فهي هنا للتوبيخ والتنديم فكذلك
هذه هنا التوبيخ من يزعم امكان المعارضة كبعض اهل الضلال والالحاد **ببعضها** اي الاية

والمراد

والمراد بعضها المفيد في نسخة شرح عليها الشارح به والاحسن عود ضميره على ما ذكر من الاية واعادة
على القران وما قلناه ابلغ **البلغاء** جمع بليغ والفرق بين الفصاحة والبلاغة ان الاولى خلوص
اللفظ من تنافر الحروف والغرابة ومخالفة القياس اللغوي ويوصف بها الكلام والمتكلم والكلمة
والثانية مطابقة الكلام لمقتضى الحال بان يدل على ما يقتضيه حال المتكلم او المخاطب او المحكي من
تنكير او اطلاق او تقديم او اضمار او ايجاز او فصل او ضد كل ويوصف بها ما عدى الكلمة وبلاغة
المتكلم ملكة يقتدر بها على ايراد الكلام البليغ غير محتاج الى تعقب واستدراك وافاد الناظم رحمه الله
بهذا ان البلغاء فضلا عن غيرهم مع انهم العرب الفصحاء والخطباء البلغاء والشعراء الفهماء
في قريش وغيرها والمتقدمون في اللسن والبيان والرتق شاؤا في قوانين المعاني والبديع والبيان والغر
في ميادين الفصاحة والشجعان في مهام البلاغة اظهروا اعوار عجزهم عن المعارضة وعشار عقلهم عن
المناقضة ومن ثمة كان عجزهم عن ذلك اعجب من الاية واوضح في الدلالة من احياء الموتى وابراء الاكمه و
الابرص لان قوم عيسى لم يكونوا يطمعون في ذلك ولا يتعاطون علمه وقريش كان اعلى اربهم ومنتهى
طلبهم التفنن في ابنية الفصاحة والنثر في رياض البلاغة والتقدم في اعاجيب الخطابة واساليب البراعة
فدل عجزهم عنه مع ذلك انه انما هو لكونه من اعلام نبوته وبراهين رسالته وهذه حجة قاطعة
ومحجة ساطعة قاطعة اذ محال ان يلبثوا ثلاثا وعشرين سنة على السكوت من معارضة اية
منه المستلزمة لنقض امره وتفريق اتباعه وزوال شوكته وحيازة حريته مع قدرتهم عليها اي لولا عجزهم
منهم وقتل اكابرهم وسبي ذراريهم وهو لا يزداد الا تقريعا لهم بعجزهم حتى ينكشف من نقصهم
ما كان مستورا وقال لهم ان زعمتم اني افتريته لعلمي باخبار الامم فاتوا بعشر مثله فلم يرم ذلك خطيب
ولا طمع فيه شاعر ولا تكلفه متصنع ولا الناظم وجد من يستجيده ويحامي عليه ويزعم عجزه الله
انه عارض وناقض فاذا لم يوجد ذلك مع ان كثيرا منهم هجاه وعارض شعراء اصحابه وخطباءهم

قطع بعجزهم وتحيرهم وانقطاعهم ومن ثمة قال الخطابي وقد كان صلى الله عليه وسلم اعقل خلق الله
وقد قطع القول بان ما اتى به من عند ربه وانهم لا ياتون بمثل اقصر سورة منه فلولا انه على بينة
واضحة من ربه والا لم يقطع بشيء من ذلك على انه لم يزل ينادي عليهم بالعجز عن معارضته وبالتقصير
بلوغ الغرض في مناقضته فلم يستطع احد منهم ان يناديه ولم يرفع راسه الى ان يناديه بل رضيت همتهم
وانفسهم الابية اذ كانوا انفس شيء واشده حمية بسفك الدماء وهتك الحرم ولذا قال العلماء من
اعلام وجوه اعجاز القران ان فصاحته وبلاغته خرقت عادة العرب مع انهم اوتوا منهما ما لم يؤت
غيرهم لانهم كانوا ياتون منهما على البداهة بالامر العجيب يدلون به الى كل سبب فيخطبون بديها عند الشدة
الخطب ويرتجزون به بين الطعن والضرب ويتوسلون في وديتهما فياتون منهما بالسحر الحلال و
من دررهما الجل من نمط الجلال والجمال فلا شك عاقل انهما طوع مرادهم وسلك قيادهم فما
راعهم الا رسول كريم بكتاب قديم لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ
حَمِيدٍ بهرت بلاغته العقول وظهرت فصاحته على كل مقول وهم افصح ما كانوا في هذا الباب مجالا و
اشهر ما وجدوا في الخطابة والشعر مثالا صاح فيهم من كل حين مقرعا لهم على رؤس الملا اجمعين
فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ والا فانتم المردودون الى اسفل سافلين ثم لم يزل يقرعهم ويوبخهم ويسفه
احلامهم ويحط اعلامهم ويسب الهتهم ويستبيح نفوسهم واموالهم وهم لا يزدادون الا تقهقرا
عن المعارضة لم ياتوا بمقال صابرون على الجلاء والقتل والصغار والاذلال ناكصون عن معارضته
ومحاربون بعجز مماثلته يخادعون انفسهم بالتشغيب والتكذيب الاعتراف بالافتراء في قولهم ان
هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ وسحر مستمر وافتراه واساطير الاولين والمباهتة بالرضى بالدنية كقولهم
قُلُوبُنَا غُلْفٌ وَفِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ والادعاء مع
ظهور غاية العجز عليهم بقولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا وقد قال لهم تعالى وَلَنْ تَفْعَلُوا فما

فعلوا

فعلوا وما قدروا اذ لو اطاقوا ادنى معارضة لبادروا اليها ولنجى الخصم الذي كانوا مبادرين على
اطفاء نوره واخفاء امره مع طول الامد وكثرة العدد وتظاهر الوالد والولد بل ابلسوا فايسوا
وقطعوا فانقطعوا هذا كله والاتي اليهم به مكث بين ظهرانيهم اربعين سنة اميا لا يحسن نظم كتاب
ولا عقد حساب ولا تعلم سحرا ولا انشد شعرا ولا تحفظ خبرا ولا روى اثرا حتى اكرمه الله بالوحي
المنزل والكتاب المفصل قال الله تعالى وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَارْتَابَ
الْمُبْطِلُونَ روى البيهقي وغيره ان عتبة بن ربيعة قام من جمع قريش الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو جالس في المسجد وحده فعرض اليه المال وغيره ليكف عما هو فيه فقال اسمع مني وقرأ بسم الله
الرحمن الرحيم حم تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الى ان بلغ السجدة فسمع ما بهره فقال النبي صلى الله عليه وسلم
انت وذاك فقام الى اصحابه فقال بعضهم لبعض لقد جاءكم بغير الوجه الذي ذهب به فقالوا له ما
وراءك قال سمعت قولا ما سمعت مثله قط فوالله ما هو بسحر ولا شعر ولا كهانة اطيعوني معشر قريش
وخلوا بينه وبين ما هو فيه فوالله ليكونن له نبأ ولما ابلغ فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ
امسكت فيه وناشدته الرحم ان يكف وقد علمت انه اذا قال شيئا لم يكذب فخفت ان ينزل بكم
العذاب وروى ابن اسحق والبيهقي ان الوليد بن المغيرة كان زعيم قريش في الفصاحة طلب منه
ان يقرأ عليه فقرأ عليه إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ الاية فاستعاده اياها فعلها فقال
والله ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وانه ليعلو وما
يعلى وما يقول هذا بشر وما فيكم اعلم مني بالشعر واجمعوا فيه رايا قبل حضور وفود العرب
الموسم لئلا يكذب بعضكم بعضا فقالوا نقول كاهن قال ما هو بزمزمة ولا سجعة قالوا مجنون
قال ما هو بخنقة ولا بوسوسة قالوا شاعر قال لقد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه و
بسيطه ومقبوضه ما هو بشاعر قالوا ساحر قال ما هو بنفثه ولا بعقده وما انتم قائلون من هذا

شيئا الا وانا اعلم انه باطل ويروي الحاكم ان هذا الشقي لما رق لقراءة القران عليه جاءه ابو جهل فقال يا عم ان قومك يرون ان يجمعوا لك مالا لانك اتيت محمدا للمال فقال قد علموا اني من اكثرهم مالا قال فقل فيه ما يعلم قومك انك كاره له فقال ماذا اقول وذكر ما مر من مدح القران قال لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه قال فدعني حتى افكر فلما فكر قال هذا سحر يؤثر اي ينقله عن غيره فما قضاه هؤلاء الاشقياء على انفسهم بالعناد المحض والسفاه القبيح والتقول الباطل ومع ذلك لم يزدادوا الا ضلالا وعنادا وطغيانا وفسادا وما احسن ما قيل لو وجد مصحف بفلاة لحكم القول البليغ بانه من عند الله فكيف وقد جاء على يدي اصدق الخلق وقال انه من عند الله وتحداهم باقصر سورة منه فعجزوا هذا وقد علم مما تقرر وجوه اعجازه اجمالا واما تفصيلا فقد بينها الائمة بما حاصله ان ينحصر مقصود اعجازه في اسرار اربعة وعدها بعضهم اكثر من ذلك وهو يرجع الى ما قلناه احدها ما فيه من الاعجاز والبلاغة والتراكيب بحيث وصل في كل منهما ومن مراتب البلاغة فيها الى المرتبة العليا لفظا ومعنى لصدوره ممن احاط علمه بجميع مراتب الالفاظ ومعانيها فلا يضع لفظة عقب لفظة الا اذا لم يوجد غيرها ابلغ ولا انسب منها وغيره ليس كذلك ومن ثمة لما سمع اعرابي فاصدع بما تؤمر سجد وقال سجدت لفصاحة هذا الكلام ولما سمع نصراني قوله تعالى ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه الاية قال جمعت هذه الاية ما انزل على عيسى من امر الدنيا والاخرة ولقد رام بعض سخفاء العقول محاكاة بعض فصل المفصل فاتى من الهذيان بالعجيب العجاب كقول مسيلمة الكذاب اللعين يا ضفدع كم تنقين علام في الماء واسفلك في الطين لا الماء تكدرين ولا الشراب تمنعين وقوله محاكاة للنازعات والذاريات والزارعات زرعا والحاصدات حصدا والذاريات قمحا والطاحنات طحنا والخابزات حفرا والباذرات بذرا والثاردات ثردا واللاقمات لقما لقد فضلتم على اهل الوبر

وما سبقكم

وما سبقكم من اهل المدر وقال اخر الم تر الى ربك كيف فعل ربك بالحبلى اخرج من بطنها نسمة تسعى من بين شراسيف وحشى وقال اخر الفيل وما الفيل وما ادراك ما الفيل له ذنب وثيل وخرطوم طويل فان ذلك من خلق ربنا القليل ثانيها ما اشتمل عليه مع كونه من جنس كلام العرب خارج عن سائر فنون من النظم والسجع والخطب والشعر ونحوها تحيرت عقولهم حتى لم يهتدوا الى مثل شيء منه اذ لا مثال له يهتدى عليه ولا امام يرجع عند الاشتباه اليه ولقد رام قوم من المتأخرين انتهت اليهم فصاحة في زمنهم شيئا من محاكاته فاعترتهم هيبة قطعتهم عن ذلك ومنهم من فصل كلاما وجعله سورا فسمع صبيا يقرأ وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي وغيض الماء وقضي الامر فتاب ومحى ما عمل ثالثها تأثيره في النفوس والقلوب بحيث يجد من اللذة والحلاوة عند سماعه ما لا يجده عند سماع غيره ومن ثمة كان قارئه وسامعه لا يمله بل كلما ازداد تكريره ازدادت حلاوته وانفتحت طلاوته ورابعها ما فيه من الاحاطة بعلوم الاولين والاخرين ما فرطنا في الكتاب من شيء ومن الاخبار بالمغيبات لما وما يكون نحو لن تفعلوا ولا تتمنونه ابدا فما فعل مثله مخلوق ولا تمنى الموت يهودي وهذه ايضا من ابهر المعجزات قال بعض المحققين اعجازه من وجهين احدهما الدلالة من حيث لفظه ومعناه المخصوصان اذ تأليفه ليس على هيئة ما يتعاطاه البشر اذ لا يصح ان يقال فيه رسالة ولا خطابة ولا شعر ولا سجع وفنون كلام العرب لا تخرج من ذلك واما الحرف للناس عن معارضته مع الا مجانبة فيها ظاهر ايضا اذا اعتبر وذلك انه ما من صناعة محمودة او مذمومة الا وبينها وبين قوم مناسبة خفية واتفاق جلي ولذا تجد هذا يؤثر حرفة وينشرح صدره لها وذاك يكرهها وينشرح لاخرى هكذا فلما دعا الله اهل الخطابة الذين يهيمون في كل واد من المعاني بسلاطة لسانهم الى معارضة القران فعجزوا عن الاتيان بمثله ولم يتصدوا للمعارضة لم يخف على اولي الالباب ان صارفا الهيا صرفهم عن ذلك واي اعجاز ابلغ من ذلك انتهى ملخصا ومحاوله بذلك

توجيه القول بالصرفة مع انه للنظام من المعتزلة لكن افسدوه بان قوله تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن الاية دليل ظاهر على عجزهم مع بقاء قدرتهم ولو سلبوا القدرة لم تبق فائدة لاجتماعهم لانه حينئذ بمنزلة اجتماع الموتى وليس عجز الموتى مما يحتفل بذكره هذا مع ان الاجماع منعقد الى اضافة الاعجاز الى القران والقول بالصرفة يلزمه اضافته الى الله لا الى القران ويلزمه زوال الاعجاز بزوال زمان التحدي وفيه خرق لاجماع الامة ان معجزة الرسول العظمى باقية ولا معجزة له باقية اظهر من القران ويلزم من الصرفة ايضا بانه لا فضيلة للقران على غيره فان قلت القول بعجزهم مع بقاء قدرتهم فيه الجمع بين النقيضين وهو محال قلت معنى قدرتهم ان هممهم توجهت الى المحاكات لظنها القدرة عليها فعجزت وعلى القول بالصرفة لم يتوجهوا للمعارضة اصلا لقطعهم من نفوسهم بعجزها وانه لا قدرة لها عليها البتة فان قلت توجه الهمم اليها مع العجز عنها في نفس الامر لا يسمى قدرة قلت ممنوع بل يسمى قدرة باعتبار العرف وقطع النظر عن الغايات ولا شك ان اهل فن البلاغة لا يقطعون بسلب القدرة عن المحاكات ابتداء بل بعد الاختبار فتأمله لتعلم سقوط ما قيل كيف يحاجهم بالتحدي مع القطع بعجزهم عنه ونظير ذلك خطاب من علم الله منه عدم الايمان بالايمان كابي جهل وابي لهب نظرا للقدرة بتمامها عليه باعتبار الظاهر واعراضا عن النظر للغايات والعواقب ومن المفاسد ايضا قول فريق ضلال ان الكل قادرون على الاتيان بمثله وانما تأخروا عنه لعدم العلم بوجه ترتيب لو تعلموه لوصلوا اليه واخرين ان العجز انما وقع من الموجودين اما من بعدهم ففي قدرتهم الاتيان بمثله وتمادوا عليهم ان جماعة ممن انتهت الرياسة في الفصاحة تعرضوا لمعارضته كابن المقفع والمعري والمتنبي ومغفلاتهم فلم يأتوا الا بما تمجه الاسماع وتنفر عنه الطباع ونادى عليهم بالخزي والانقطاع وصيرهم مثلة وسخرية وضحكة الى ان تاب اكثرهم واظهر توبته ونسكه ولاشتمال القران على التحصي من العلوم المغيبات واحوال العالم الدنيوي والاخروي

ومن

ومن ذلك من العجاب الذي كان **كل يوم** اي وقت **تهدي** فاعله القراء اي تحمل وافاد التعبير به تشبيه المعجزات بالتحف المهداة ففيه استعارة بالكناية وتبعها استعارة تخييلية **الى سامعيه معجزات** من بيان المعجزة بما يتعين الوقوف عليه ليعلم منه ان المراد بها هنا الامر الغريب وان لم يصدق عليه حد المعجزة السابق مبتدأة **من لفظه** لعذوبته انسجامه وجزالة معناه وغاية ايجازه مع غاية بلاغته وبيانه مع فصاحته وخروجه عن جنس كلام العرب حتى صار جنسا اخر متميزا عنه مع اتحاد الحروف والاصطلاح وكثرة اخباره الصادقة تارة عن الامم الماضية وتارة اخرى عن المغيبات وما فيه من العلوم التي لا يمكن حصرها ونقل الامام ابن سراقة من اصحابنا ان كل واحد من هذه راى قوم انه سبب اعجاز القران ثم اعترضهم بانهم كلهم ما بلغوا في وجوه اعجازه جزءا واحدا من عشر معشاره وتبعه البدر الزركشي فقال اهل التحقيق على ان الاعجاز وقع بجميع ما سبق لاشتماله على الكل فنسبته الى احدها اي وحده تحكم بل فيه غير ذلك ككونه لا يزال غضا طريا على الالسنة وفي الاسماع وجمعه صفتي الجزالة والعذوبة وكلاهما كالمتضادين اذ لا يجتمعان غالبا في كلام البشر وكونه مستدركا على جميع الكتب قبله فهي مفتقرة اليه وهو غني عنها ومن ثمة كان ابرع الاعجاز من سائر معجزات الانبياء بل هو معادل للكل لان سبيلها واحد وهو مخالفة العادة وهو في سبيله كثيرة كما تقرر في وجوه اعجازه وسئل بعضهم ما موضع الاعجاز من القران فقال هذا شبيه بقول ما موضع الانسان من الانسان ومعناه انه ليس للانسان موضع من الانسان بل متى اشرت الى جملته فقد حققته ودللت على ذاته فكذلك القران لشرفه لا يشار الى شيء منه الا وكان ذلك المعنى اية في نفسه ومعجزة لمحاوله وهدى لقائله وليس في قدرة البشر الاحاطة بمراد الله تعالى من كتابه فلذلك حارت العقول وتاهت البصائر عنده واختلفوا في تفاوته في مراتب الفصاحة بعد اتفاقهم على بلوغه الذروة العليا كما مر فاختار القاضي الباقلاني المنع وان التفاوت في ادراك الناس له لا

ابو نصر القشيري وغيرهم تفاوتة وتبعهم ابن عبد السلام ولم يات كله بالافصح لئلا يخرج عن نمط
كلام العرب فجاء على نمط كلامهم ليتم ظهور بقاء العجز عن معارضته القرآء جمع قارٍ لان من سمع
الفاظ القران وتدبرها حق تدبرها علم ان من كل لفظ منها باعتبار ما دل عليه امر اعجاز لا يعارض و
لا يناقض ولذا بلغ القران في الجلالة التي وقعت الاشارة اليها ما لم يبلغه غيره كان حقيقا بان تحلى به
اي بسماعه المسامع من التحلية بالفاظه وتحلي من التحلية بالفاظه الافواه من الحلو
فهو الحلي راجع الى الاولى والحلواء بالفاظه راجع للثاني دق حسن اي
لفظا اي من جهته فلا تجد لفظة منه فيها ما ينافي كمال الرقة الموجبة للفصاحة من تنافر او نحوه
وراق اي تصفى من شوائب النقص فالعجب كل ناظر فيه معنى اي من جهته فلا تجد معنى
من معانيه الا وهو واصل في الاحكام ووضوح المراد الغاية القصوى ففي رق وراق والحلي والحلو من
الجناس كحلاها وحليتها وسور وصور والنظائر والنظراء الاتيان والمسامع والافواه و
اللفظ والمعنى مراعاة النظير كرقة والصفا والايات والحروف والهجاء الاتيان وفيما بعدها اللف و
النشر المرتب في بسبب كون سوره رقت وراقت جاءت فاعله الخنساء وما قبله حال منه
اي حال كونها في حلاها اي صفاتها الجليلة وحليها اي زينتها الخنساء
بنت عمرو وخصها من بين كثيرات غوامض ستميز بذلك لانها كانت شاعرة مفلقة
كما سياتي بسط الكلام في ترجمتها شبه سور القران في صفاتها العلية وزينتها بما اودعته من العلوم
البهية بامرأة بلغت من الزينة واوصاف الحسن ما لا يمكن التعبير عنه وادرتنا اي وضحت لنا وفي
رتبة الاتي فيه اي القران غوامض اي خفايا فضل كالعلوم والمعارف
المستنبطة منه التي لا حد لها ولا غاية ومن ثمة جاء عن علي كرم الله وجهه لو شئت ان اوقر بعيرا
من تفسير سورة الضحى لفعلت رقة كائنة من زلالها الزلال ماء في غاية الحلاوة

والبرودة

والبرودة توجد في اجواف صورة توجد في نحو الثلج تشبه الحيوان وليست في الحقيقة بحيوان كما قاله
بعض اكابر ائمتنا وصفاء من ذلك الزلال شبه اي القران في محاسن اساليبها وصفاء
موارده الموجبين لمن حذق في خفاياها ما حل بك تنطم وحقق غورها دقيق فكره برد
اليقين وصفاء القلب عن كل سوء حتى اطلع على مآخذ الغوامض من العلوم الالهية والمعارف
الاختصاصية والمواهب الرحمانية والمكاشف الروحانية بما في غاية العذوبة والبرودة وصفاء
الجوهرية ورقتها بحيث لا يمتنع منه رؤية ما تحته مما من شانه ان يخفى وبهذا الذي قررته من برد
وصفاء القلب يعلم ان ذلك انما يحصل لمن انصقلت مرآة فكره كما اشار الى ذلك بكلام
جامع بديع على عادته فقال انما تجتلي الوجوه اي تظهر ظهورا واضحا لا خفاء
معه بوجه اذا قوبلت بالمرآة اذا ما زائدة جليت اي زيلت وبين هذا وتجتلي تجنيس
الاشتقاق عن مراتها بكسر الميم والمد الاصداء فكذلك مرآة القلوب
لا تنجلي لها العلوم والمعارف من القران الا اذا جليت عنها اصداء الاغيار وادبت قواها فيما هي
بصدده اناء الليل واطراف النهار سور جمع سورة وهي الطائفة المخصوصة المسماة باسم مخصوص
توقيفي منه كبيانا الجنس لان ما ياتي ليس خاصا ببعض سورة بل يشمله كلها اشبهت
لاشتمال كل منها على مفادات من العلوم وغيرها مستقلة بها لا تتوقف على اخرى ومن ثمة
وقع التحدي باقصر سورة منه صورا جمع صورة وصورة الشيء شكله منا في اشتمال كل
منها على عقل وادراك وفهم وخلق لا يشاركه فيه غيره ولا يتوقف على اتي غيره وكان الناظم قصد بهذا
التشبيه الرد على من زعم ان الاعجاز انما هو بمجموع القران لا بكل من سوره لان ما فيه من الاعجاز انما انواع ص
انما يستفاد من مجموعه وهذه مقالة فاسدة لا يعول عليها لمنافاتها لقوله تعالى قل فاتوا بسورة
من مثله كما مر بيانه فالصواب خلاف هذه المقالة بل قائلوها معتزلة لا يقام لهم وزن ومثل

النظائر جمع نظير النظراء جمع نظير ايضا وهو المثل والمناظر ويطلق النظائر على الاماثل
والافاضل الذين يتناظرون في التحلي بالفضائل والتخلي عن الرذائل والاقاويل جمع قول
والمراد به هنا اللفظ المفيد عندهم اي الكفار ظرف للمبتدأ او الخبر وهو كالتماثيل
جمع تمثال وهي الصورة يعني ان تقولهم في القران وافترائهم عليه بما يقدح في حقيقته امر اخترعوه
نموه بالباطل كما ان التصاوير التي يخترعها المصورة كذلك فكما ان هذه لا وجود لها في الحقيقة
ولا اعتبار بها فكذلك تقولهم المذكور واذا تقرر لنا ان جميع ما قالوه في القران باطل قطعي
البطلان فلا يوهمنك الخطباء اي فاحذر ان يوقع مزخرف الكلام بتشدقهم
وتفاصحهم في ذهنك ادنى ريب او شك في شيء من اوصاف القران التي مر بيان بعضها او ما بقيه
على ما يجيء منها كم اي مرات كثيرة ابانت اي وضحت اياته جمع اية وهي لغة العلامة وا
قران مركب من جمل ولو تقديرا ذو مبدأ ومقطع مندرج في سورة قالت الجعبري ويشكل عدهم
نحو ثم نظر في المدثر اية لعدم هذه جمل لا لفظا ولا تقديرا فالاولى قول غيره طائفة من القران
منقطعة عما قبلها وما بعدها لكن قوله من القران الاولى ان يقول بدله من السورة وسميت الاية
بذلك لانها علامة على صدق الاتي بها وعلى عجز المتحدين بها وياتي قريبا عد اي القران
من زائدة من الاثبات كما هو راي جماعة علوم لا غاية لها كما قال الله تعالى ما فرطنا
في الكتاب من شيء وقال الله تعالى ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وفي حديث الترمذي
وغيره سيكون فتن قيل وما المخرج منها قال كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما
بينكم واخرج سعيد بن منصور عن ابن مسعود قال من اراد العلم فعليه بالقران فان فيه نبأ
الاولين والاخرين قال البيهقي يعني اصول العلم واخرج عن الحسن انزل الله مائة واربعة كتب
اودع علومها اربعة منها التورية والانجيل والزبور والفرقان ثم اودع علوم الثلاثة في الفرقان اي

ع

مع زيادات لا تنحصر ومن ثم قال الشافعي رحمه الله جميع ما تقوله الامة شرح للسنة وجميع السنة شرح
للقران وقال ايضا جميع ما حكم به النبي صلى الله عليه وسلم فهو مما فهمه من القران وما يثبت ابتداء بالسنة فهو في
الحقيقة ماخوذ منه لانه اوجب علينا اتباعه صلى الله عليه وسلم ولهذا قال الشافعي رحمه الله تعالى مرة بمكة
سلوني عما شئتم اخبركم عنه من كتاب الله فامتحن بذلك فاتى فاستنبطها من القران منها لو قتل
محرم زنبورا هل عليه جزاء فاستنبط لهم من ان لا جزاء عليه لان عمر رضي الله عنه امر بقتله
والنبي صلى الله عليه وسلم قال اقتدوا بالذين من بعدي ابي بكر وعمر والله تعالى يقول وما اتاكم
الرسول فخذوه الاية وتبعه اعني الشافعي العلماء على ذلك فقال واحد ما قال النبي صلى الله عليه وسلم
شيئا وحكم او قضى بشيء الا وهو وصله في القران قرب او بعد وقال الاخر ما من شيء في العالم الا
وهو فيه وقيل له فاين ذكر الخانات فيه وقال في قوله ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة
فيها متاع لكم فهي الخانات وقال الاخر ما من شيء الا ويمكن استخراجه من القران لمن فهمه الله تعالى
حتى ان عمره صلى الله عليه وسلم ثلثة وستين سنة استنبط من اخر سورة المنافقين لانها راس ثلث
وستين سورة وعقبها بالتغابن لظهوره بفقده صلى الله عليه وسلم وقال الاخر لم يحط بالقران الا المتكلم به
ثم بينه صلى الله عليه وسلم فيما عدا ما استاثر الله تعالى بعلمه ثم ورث عنه معظم ذلك اعلام الصحابة
مع تفاوتهم فيه بحسب تفاوت علومهم كابي بكر رضي الله عنه فانه اعلمهم بنقل ابن عمر وغيره وكعلي
كرم الله وجهه لقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الحسن خلافا لمن زعم وضعه انا مدينة العلم وعلي
بابها ومن ثمة قال ابن عباس رضي الله عنه جميع ما اتيته لكم من التفسير فانما هو عن علي كرم الله وجهه
وكان ابن عباس حتى قال لو ضاع لي عقال بعير لوجدته في كتاب الله ثم ورث منهم التابعون معظم ذلك
ثم تقاصرت الهمم عن حمل ما حمله اولئك من علومه وفنونه فنوعوا علومه انواعا ليستنبط كل لما
علما وفنا فتوسعوا فيه بقدر مقدورهم ثم افرد غالب تلك العلوم وتلك الفنون التي كادت

ان تخرج عن الحصر وقد بين هذا القائل وجه استنباطه غالبها منه بتأليف لا يحصى وقال ابن العربي
علوم القران خمسون علما واربعمائة علم وسبعة آلاف علم وسبعون الف علم على عدد كلم القران مضروبة في اربعة
اذ لكل كلمة ظهر وبطن وحد ومطلع ويضم لذلك اعتبار تركيب ما بينها من روابط لكن هذا لا يحصيه
الا المتكلم به فقال بعضهم امهات علوم القران ثلثة توحيد ووعظ واحكام ومن ثمة سميت الفاتحة ام الكتاب لاشتمالها على
هذه الثلثة والاخلاص ثلثه لاشتمالها على الاول وقال ابن جرير الثلثة التوحيد والاخبار
والديانات وقال آخر اشتمل القران على كل شيء كما قال الله تعالى ما فرطنا في الكتاب من شيء فما العلم
فلا تجد مسئلة هي اصل الا وفي القران ما يدل عليها وفيه عجائب المخلوقات وملكوت السموات و
الارض وما في الافق الاعلى وتحت الثرى وبدء الخلق واسماء مشاهير الانبياء والملائكة وعيون
اخبار الامم السابقة وشانه صلى الله عليه وسلم وغزواته واخباره الى مماته ثم شان امته من بعده وبدء
خلق الانسان الى موته وامارات الساعة وجميع احوال البرزخ والمحشر والجنة والنار ومن ثم الجاحظ
انه لا يوجد فيه شيء من المذهب الكلامي الذي هو احتجاج المتكلم على ما يريد اثباته بحجة تقطع الخصم
على طريقة ارباب الكلام ولا من النوع المنطقي الذي يستنتج منه من النتائج الصحيحة من المقدمات
الصادقة وردوا عليه بانه مشحون بذلك اذ ما من برهان ودلالة وتقسيم وتحديد تبنى من كليات
العلوم العقلية الا وكتاب الله قد نطق به وقد بين الاسلاميون من اهل هذه العلوم كثيرا من ذلك
منه انه من اول سورة الحج الى قوله ان الله يبعث من في القبور خمس نتائج تستنتج من عشر مقدمات
بل فيه الاشارة حتى لعلم الهندسة بل لاشكل ما فيه وهو الشكل الثلاثي بقوله الى ظل ذي ثلاث
شعب الآية قال الائمة وانما اوردت حججه على عادة العرب دون دقائق المتكلمين لقوله وما
ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ولان من استطاع ان يفهم فيه بالاوضح الذي يفهمه
الاكثرون لا ينبغي له ان ينحط الى الاغمض الذي لا يفهمه الا الاقلون والا كان ملغزا ومن ثم احتج
تعالى

تعالى في مخاطباته في محاجة خلقه في اجلى صورة واوضحها ليفهم العامة ما يقنعهم ويلزمهم الحجة
بسببه والخاصة ما يليق بهم من فائق المعارف التي منتهى بها كل ومبلغ امره ومن عجيب تلك الايات
انها ابانت تلك العلوم التي لا غاية لها مع كونها متولدة عن بينها وبين ان من اجناس الاحق
حروف قليلة بالنسبة اليها اخرج ابن الضريس عن ابن عباس قال جميع آي القران ستة آلاف
وست مائة آية وست عشرة آية وجميع حروف القران ثلثمائة الف حرف وثلثة وعشرون الف حرف و
ستمائة حرف واحدى وسبعون حرفا وهذه الحروف ليس المراد بها حروف التهجي بل مسمياتها
ثم حروف التهجي اسماء كاشفة عن تلك المسميات كما قال آبان اي كشف عنها الهجاء
وهو تعديد الحروف بذكر اسمائها فانك اذا قلت ضرب مركب من ض ر ب فقد عددت الحروف
البسيطة التي هي مادة الكلمة قبل ان تحصل صيغة والمراد انه ههنا انه يتهجى بالاسماء عن المسميات
حتى يتبين موضع كل وبيانه ان الحرف الذي اول زيد مثلا مسمى هو زه والخطاء فيه بحذف
هاء السكت لا يؤثر لانه للتعظيم وله اسم هو الزاي لانه يعتبره سائر علامات الاسم ومن ثمة قال
سيبويه قال الخليل يوما وسأل اصحابه كيف تقولون اذا اردتم ان تتلفظوا بالكاف التي في لك
والباء التي في ضرب فقيل نقول باء كاف فقال انما جئتم بالاسم ولم تتلفظوا بالحرف وقال اقول
كه به فحروف القران من الاول وحروف التهجي من الثاني ودليل تسميتها حروفا الخبر
الصحيح من قرأ حرفا من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر امثالها لا اقول الم حرف بل الف حرف
ولام حرف وميم حرف فتسمية كل حرف اما لغة او مجاز باعتبار مدلوله فهي اي حروف
القران وان عزت معانيها وكثرت احكامها لا يبعد منها ذلك وان كانت قليلة جدا بالنسبة
لما يستفاد منها لان لها مثالا يقربها نوع قرب كحروف اسماء الاعداد والا فشتان ما بينهما اذ
ما ياتي له الكل معلوم يغني عنه فيه عن قرب وهذه مستمرة النمو والزيادة على ممر الاعصار وتوالي الازمان

فهذه الدار بل وفي دار القرار كما يدل عليه الحديث الصحيح انه يقال للقاري في الجنة اقرأ وارق ورتل
كما كنت ترتل في الدنيا ويأتي ذلك قريبا بزيادة وذلك المثال وهو اما انها كحروف اسماء الاعداد فانها
مع كونها الفاظا محصورة لا ينتهي الوهم الى الحد فيها واما انها كالحب الذي يلقيه الزراع
والنوى الذي يلقيه الغارس بالارض فينشأ عن الاول من السنابل والحبوب ما
يكاد ان لا يحصى ولا يتناهى وعن الثاني من الثمار ما هو كذلك وفي هذه الحالة اعجب فاعله ياتي
فقوله ان فيه ضمير الحب والنوى وان فاعله سنابل سهو منه اذ كيف يتصور فعل ان له فاعلين
ضميرا وظاهرا في حالة واحدة الزراع والغراس كما يدل عليه ذكر النوى فهو اكتفاء كسرابيل تقيكم
الحر اي والبرد وفيه ايضا اللف والنشر المرتب لعود الزراع للحب والغارس للنوى وعود السنابل
للاول والنماء لهما منها اي تلك الزروع والاشجار سنابل وزكاء اي نمو
يفوق الحصر بحيث لو اجتمع اهل الارض على استقصاء عددها لما اطاقوه فقد علمت ان المتناهي
هنا كما يحصل منه ما لا يتناهى فكذلك حروف القران هي متناهية ويحصل منها من العلوم والمعارف
ما لا يتناهى وهذا المثل المراد به التقريب غير كاف تمام والا فشتان ما بين الامرين الا ترى ان عدم
تناهي تلك الحبوب والثمار انما هو في مدة قليلة ثم تفنى عن قرب واما تلك الحروف فان معانيها
لا تتناهى في الدنيا ولا في الاخرة ففي الحديث الصحيح انه يقال للقاري في الجنة اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل
في الدنيا وبه يعلم انه يقرأ ويتلذذ بالقراءة ومن لازم ذلك التلذذ بمعانيها وما يفتح الله به على القراء
من انواع المعارف اللائقة بتلك الدار وتلك اللذات التي تم فيها التاهل وذلك امر لا يتناهى ابدا
ومن عجيب شان الكفار انهم مع هذه الآية والمعجزات والآيات البينات كلها استمروا على ما هم عليه من
غاية الاعراض والانكار فاطالوا فيه التردد والريب اي الشك عطف
مرادف فقالوا كما حكاه الله عنهم في كتابه فهو تلميح مرة انه سحر اي تمويه لا حقيقة له

له واصل السحر لغة كل ما لطف ماخذه ورق وقالوا مرة اخرى انه افتراء اي كذب و
مرة اساطير الاولين الى غير ذلك من افتراآتهم واقتراحهم ومباهتتهم وتلبيسهم وضلوا فيها قالوه
بل هو والله المتفضل بانه قرآن مجيد في لوح محفوظ لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من
خلفه تنزيل من حكيم حميد فكل ذلك ينادي عليهم بالبوار والعناد وانه لا عقل لهم ولا راي و
استعداد ولكن ليس ذلك بكثير على من عدم التوفيق ولم يعرف سواء الطريق لما هو المقرر في العقول
السليمة من الحكم البديعة الجامعة انه اذا ما نات البينات اي الحجج القطعية البرهان الواضحة
البينات لم تغن هم اي لم تفدهم شيئا من الهدى فالتماس الهدى
بهن اي طلبه منهم بتلك الحجج بعد الياس من ايمانهم عناء اي تعب لا يفيد شيئا واذا
ضلت عن طريق الحق العقول جمع عقل وسبق الكلام عليه مستوفى على
علم منها بتلك الطرق اي اضلها بارئها فماذا يقوله اي فاي قول تقوله الانبياء
النصحاء وقولهم حينئذ لا يفيد شيئا والبيت الاول مقتبس من قوله تعالى وما تغني الآيات و
النذر عن قوم لا يؤمنون والثاني من قوله تعالى افرايت من اتخذ الهه هواه واضله الله
على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله افلا تذكرون
وبما قررت كلامه تعلم ان هذين البيتين من الكلام البديع الجامع تنبيه لا يتوهم من كلام الناظم
انه مخالف لقول الائمة اجتمع الائمة على التكليف بالمحال لغيره كتكليف ابي جهل مثلا بالايمان
مع علم الله بانه لا يؤمن وذلك لان التكليف بذلك انما هو بالنظر للحاجة الراهنة المنطوي عنا
عاقبتها فهم بالنسبة اليها مكلفون بالايمان لقدرتهم عليه ظاهرا وان كانوا عاجزين عنه بالنظر لعلم الله
بانهم لا يؤمنون لان هذا لا نظر اليه والا لارتفع الاختيار وثبت القول بالجبر المنافي لما جاءت به
الشرائع فاحذر ان تميل اليه فتزل قدمك وبحق بذلك واستحضر قوله لا يسئل عما يفعل وهم

يتساءلون فوائد منها قيل حكمة تنزيه القرآن من الشعر مع ان الوزن يورث الكلام عذوبة ان
الشاعر اي امام التخييل بتصوير الباطل في صورة الحق والافراط في الاطراء والمبالغة في الذم و
الايذاء دون اظهار الحق ولهذا نزه الله نبيه عنه ومن ثمه قال بعض الحكماء لم ير متدين صادق
اللهجة مفلقا في شعره اي غالبا ما وقع فيه على صورة الشعر لا يسمى شعرا لان شرطه القصد ومن ثمه لو
العرب ولو اعتقدوه شعرا لعارضوه وقيل دون البيتين ليس شعرا وقيل الرجز كذلك ومنها سئل
الغزالي عن قوله تعالى لوجدوا فيه اختلافا كثيرا فقال الاختلاف مشترك بين معان وليس المراد
نفي اختلاف الناس فيه بل نفي الاختلاف عن ذات القرآن فليس نظمه مختلفا ولا بعضه يدعو الى الدين
وبعضه يدعو الى الدنيا بخلاف كلام البشر لاختلاف قوام واغراضهم واحوالهم فيها ومنها ان سائر كتب
الانبياء لا اعجاز فيها من حيث النظم والتاليف لان السنتهم لا تفي بذلك بخلاف الاخبار بالغيوب
فان الكل جميعا يشترك فيه ولكون السنتهم كذلك كان كل ما في القرآن حكاية عنهم انما هو حكاية لمعنى
الفاظهم ذكره ابن جني وغيره ومنها ما وقع في القرآن آيات متشابهة من حيث النظم كايراد القصة الواحدة
في صور وفواصل مختلفة كولا فو كلا يذبحون ويذبحون ويستحيون ويستحيون وذلك كثير وقد اورد
حكاية الجواب عن ذلك بتاليف مستقلة ومن حيث ايهام التعارض عند عدم التامل نحو ولا يتساءلون
واقبل بعضهم على بعض يتساءلون واول من تكلم في الجواب عن ذلك ابن عباس رضي الله عنه ثم تبعهم
بعض الائمة حتى افرد بعضهم ذلك بالتاليف كالعلماء في مختلف الحديث وبيان الجمع بين الاحاديث
المتعارضة ومن حيث انها من المتشابهة الذي استاثر الله تعالى بعلمه او علمه ايضا الراسخون في العلم
وهو مبحث طويل فلا باس بذكر خلاصته وهي قيل القرآن كله محكم كما في رواية والاصح انقسامه
والمراد بالحكمة اياته انقنت ونزهت عن نقص يلحقها وبتشابهها انه يشبه بعضها بعضا في الحق
والصدق والاعجاز ثم المحكم ما عرف المراد منه قيل ولو بالتاويل والمتشابه ما استاثر الله بعلمه كا
والحروف

والحروف المقطعة اوائل السور وفيهما اقوال اصحها ثم المتشابه هل علم فيه قولان منشأهما الوقف
فعلى العلم وعليه طائفة قليلة كمجاهد والضحاك وهو رواية عن ابن عباس وقال النووي وهو الاصح لانه
يبعد ان يخاطب الناس بما لا سبيل لاحد من الخلق الى معرفته وابن الحاجب انه المختار والاكثرون من
الصحابة فمن بعدهم خصوصا اهل السنة ان الوقف على الله وهو اصح الروايات عن ابن عباس وقد
ابن السمعاني اختيار الاول هفوة وجمع بعضهم بان المتشابه منه ما يمكن الوقوف عليه ومنه ما لا يمكن فحمل
الوقفان بهذا الاعتبار ومن المتشابه ذكر آيات الصفات التي فيها ذكر نحو الاستواء واليد والعين
جمهور اهل السنة ومنهم اكثر السلف واهل الحديث على تفويض معناها المراد منها الى الله تعالى مع
عن ظواهرها وذهب الخلف الى تاويلها بما يليق بجلاله تعالى وكان امام الحرمين يميل اليه ثم رجع
فقال الذي نرتضيه دينا وندين الله به عقدا اتباع سلف الامة فانهم درجوا على ترك التعرض لمعانيها
فتبعه ابن الصلاح فقال على ذلك مضى صدر الامة وساداتها واياها اختار ائمة الفقهاء وقادا
والبهاد ما ائمة الحديث والنحو فقال واحسن فيما قال لا يصرف اللفظ عن ظاهره الا بدليل منفصل
وهو اما لفظي وهو لا يعتبر هنا مظنون اذ القطع به يتوقف على انتفاء الاحتمالات العشرة وهي مظنون
واما عقلي وهو انما يفيد صرف اللفظ عن ظاهره لاستحالته ونابيات المعنى المراد لانه يترجيح مجاز
على مجاز وتاويل وذلك انما يكون بلفظي وقد تقرر على انه لا يفيد الا الظن وهو لا يعول عليه في
المسائل الاصولية القطعية قال فلهذا اختار الائمة المحققون من السلف والخلف بعد اقامة الدليل
القاطع على ان حمل اللفظ على ظاهره محال ترك الخوض في تعيين التاويل انتهى وتوسط ابن دقيق
العيد فقال التاويل ان قرب لسان العرب نحو قوله تعالى ما فرطت في جنب الله اي حقه وما يجب له
والا بعد كتاويل استوى باستولى ولما فرغ من الحجاج مع المشركين وبين ما آل اليه امرهم شرع في
الكلام مع اهل الكتابين ليبين ما آل اليه امرهم ايضا يقبل فقال يا قوم وحذف حرف النداء

جائز الا في المندوب والاستغاثة ومع الضمير وكذا مع اسم الاشارة واسم الجنس على قول فيه عاملتي
المدعوين بالنصارى عاملتموا قوم موسى وهم اليهود بالتصديق
بكتابهم وهو التوراة بالذي عاملتكم بنظيره وهو التصديق بكتابكم الذي هو الانجيل
الحنفاء اي المسلمون جمع حنيف وهو المائل عن كل دين الى دين الحق القويم ثم بين ما افهمه قوله
عاملتي بقوله صدقوا اي قوم عيسى كتبكم وهو التوراة وما بعدها كالزبور وكذبوا
كتبهم وهي الانجيل وجمعت للمشاكلة او لتنزيله منزلة كتب متعددة وفي هذا ولهذا التفات لان قوم
عيسى حق طبواق لا واعيد عليهم ضمير الغيبة وقوم موسى بالعكس وبين عيسى وموسى الجناس
اللاحق كقابيل وهابيل الاتيين وبين التكذيب والتصديق الطباق ان ذا اي الذي فعلتموه
معشر اليهود لبئس البواء اي الصنيع الذي رجعتم به القهقرى وهذا مقتبس من قوله
تعالى وباؤا بغضب من الله لو جحدنا من الجحد وهو الانكار عن علم جحودكم
اي مثله بان انكرنا كتابكم كما انكرتم كتابنا وكتاب عيسى لاستوينا نحن وانتم ايكون ذلك
منا لا يتصور ذلك كيف وليس للحق وهو ما نحن عليه من التصديق بجميع كتب الله ورسله
بالضلال وهو ما انتم عليه من التصديق بالبعض والكفر بالبعض استواء اي مساواة
بل بينهما غاية التضاد فالحاصل انا لم نجحد شيئا من كتب الله وانما وقع الجحد من اليهود لكتاب
النصارى ومن النصارى لكتاب اليهود خلاف ما يوهمه النظم قال الله تعالى وقالت اليهود ليست
النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب كله اي المكذب لهم
في ذلك وكان الشارح اخذ من هذا قوله وانما وقع التجاحد بين اهل الكتاب في التعبير بالتفاعل مصرح
بما ذكر مما يخالف النظم ويوافق ظاهر الآية انتهى وقد يقال لا يلزم من ادعاء كل فرقة في الاخرى ما ذكر
انكار كتابهم اذ لا مانع ان النصارى قائلون في اليهود ذلك مع قولهم انهم ليسوا على شيء اي باعتبار
وتغيرهم

وتغيرهم فصح ما في النظم ويحتمل ارجاع ضمير صدقوا وكتبهم الى الحنفاء وضمير الخطاب في كتبكم و
كذبتم للفريقين اليهود والنصارى ويكون ذلك تغيير العاملتكم الحنفاء وفي السياق ما يؤيد كلا
من الاحتمالين لكن الاول اقرب ولما كان من المعلوم المستقر ان اليهود اشد الناس حسدا قال
الله تعالى ام يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله وانهم حسدوا عيسى حتى قتلوه بزعمهم في ذا
الفاسد واستمر حسدهم للنصارى من بعده حتى قالوا ليست النصارى على شيء الموجب لقول النصارى
فيهم ذلك ايضا وان الطائفتين حسدوا محمدا صلى الله عليه وسلم وامته حتى وقع منهم من العناد ما لا يصدر
عن سخفاء العقول فضلا عمن زعم شرع الناظم في بيان ذلك كله منهم على وجه بديع فقال ما لكم
اي اي حال حصل لكم معشر الفريقين اخوة الكتاب المراد به الجنس الشامل لكتابيهما سماهم
بذلك لانه لما جمعهم ما فيه من التكاليف والاحكام صاروا مستوين فيه كاستواء الاخوة في الانتساب الى اصل
واحد حال كونهم اناسا ليس شانكم انه يرعى للحق منكم اخاء بمعنى المواخاة
بكسر الهمزة نائب فاعل يرعى خبره اي مواخاة اي ليس يصدر منكم مراعاة للدين الحق بالقيام بما يجب له
من الحقوق التي منها تصديق محمد صلى الله عليه وسلم عملا بما في كتبكم من التصريحات الكثيرة بنبوته وعموم رسالته
وفي اخاء مع اخوة رد العجز على الصدر وبين الاخوة والاخاء جناس الاشتقاق كالشهادة والشهيد في الآية التي
ومن علامة عدم رعايتكم لذلك انه يحسد الاول الاخير كما وقع لليهود انهم حسدوا عيسى على
عليه الصلاة والسلام حتى زعموا انهم قتلوه وصلبوه وصاروا من المدعين انه شبه لهم مثله فقتلوه ونجاه الله
منهم ثم رفع الى السماء لينزل آخر الزمان حاكما بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم مصليا وراء المهدي اول
نزوله ليعلم انه نزل تابعا لهذه الامة عاملا بشريعة نبيهم ومنها انه لا يقبل الجزية بل يقتل كل يهودي
ونصراني في الارض لان دفعا ما من الشبهة المجوزة لقبول الجزية منهم ارتفع بنزوله وتكذيبه لهم وما
زال كذا اي هكذا المذكور من حسد الاول للاخير المحدثون والقدماء

من ولد آدم وهم اربعون جاء الرمن حواء في عشرين بطنا في كل بطن ذكر وانثى وبارك الله في نسله في
حيوة حتى بلغوا اربعين الفا هابيل الى اليوم قد مر للتحقيق علمتم يا اهل الكتاب
بظلم قابيل من اضافة المصدر الى فاعله وهو اول اولاد آدم وهم اربعون جاء الرمن حواء في عشرين
بطنا في كل بطن ذكر وانثى وبارك الله في نسله في حيوة حتى بلغوا اربعين الفا هابيل لشدة حسده
بين حجرين وهو ثاني اولاد آدم صلى الله عليه وسلم حسدا له على الدين من اجل كون الله قبل تقبل قربان هابيل
ولم يقبل قربانه ثم قال له لاقتلنك فاجابه بان يتسلم القضاء الله ولا يجزى بالسيئة السيئة كما افاد
ذلك ما حكاه الله تعالى عنه بقوله عز قائلا لئن بسطت الي يدك لتقتلني الآية ولذلك قال صلى
الله عليه وسلم في الحديث الصحيح كن خير ابني آدم كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل وجاء ان سبب
لانه تزوج اخت هابيل وكانت ليست بجمال اخته التي تزوجها هابيل وكانت من شريعة آدم ان اولاد
بطون حواء بمنزلة اختلاف الاسباب فكان يزوج ذكر كل بطن لاناث الاخرى وبالعكس وهو متسع
مخالفته لظاهر الآية يمكن تاويله بانه لا مانع ان حسده بسببين اخرويتي وهو ما في الآية ودنيوي وهو
ما ذكر على انه على ما جاء في القصة ان آدم عليه الصلوة والسلام لما امر قابيل ان يزوج اخته لهابيل فامتنع
ان يقربا قربانا لله تعالى وكانت العلامة على قبوله اذ ذاك نزول نار من السماء تاكله فقرب كل منهما
قربانه فتقبل قربان هابيل فزاد حسده الى ان قتله وبين الاول والاخير المحدثون والقدماء جنايات
الطباق كوقتهم وخانوا واحتشم واساءوا الاباء والابناء وعرفوه وانكروه الاثبات ومظلوم
الاضافة فيه بمعنى من ويصح بتكلف كونها بمعنى في واخبر عنه بالجمع لانه للجنس الصادق بالجمع وتسميته
الاتقيا لانهم الذين يصبرون على تحمل الاذى ولا ينتقمون لانفسهم وهذا في نحو رجال المثال الا
بعلى ما قبله وكذا وما زال الى آخره وعلم من قوله وهكذا فيه الى آخره انه ليس المراد بالاخوة بخصوص قابيل
وهابيل حتى يجاب منه بانه المراد بالاخوة الاخوين بناء على القول بان اقل الجمع اثنان وقد

هس

هو لليقين لان المراد في كل ذلك العلم بكيد ابناء يعقوب المسمى في القرآن باسرائيل
اي عبد الله بن اسحق الذبيح عند الاكثرين لكن الاشهر انه اخوه اسماعيل بن ابراهيم الخليل على نبينا
وعليهما الصلوة والسلام اخاهم يوسف كما هو مبسوط في قصته المصدرة بقوله تعالى نحن نقص
عليك احسن القصص اي لانها سيقت على اسلوب لم يسبق عليه غيرها من بقية القصص ولابيهم
كيدهم له المحكي عنهم في قصتهم ولا من ذكرهم اثر قابيل الكافر اللعين ان ذلك بناء في صلاحهم لانفاق
العلماء على انهم كلهم صلحاء عدل اليه عن الانبياء لانه الامر المتفق عليه كما تقرر ولقوة
الخلاف عنده في عدم نبوتهم بخلاف يوسف فانه لا خلاف في نبوته لكن الحق انما ظاهر الآية او صريحها
في قوله تعالى قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط
اذ الاسباط هم اولاد يعقوب وقد ذكرت الآية انهم انزل عليهم شيء يجب الايمان به غير ما انزل على آبائهم
وذلك الشيء هو الوحي كما هو المتبادر بل صرحت بآية واوحينا الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب
والاسباط في نفي نبوتهم المستلزم لنفي الوحي اليهم مناقض لصريح الآية فتامله ولا ينافي نبوتهم ما حكي عنهم
في تلك القصة لانه انما صدر منهم من تاويلات تراها شريعتهم ومما يقرب من ذلك ان العلماء
على صلاحهم وان تلك الامور التي جرت منهم لم تؤثر في صلاحهم فكذا في نبوتهم على ان في عصمة الانبياء
قبل النبوة خلافا محل بسطه كتب الاصول حين ظرف الكيد القوه في غيابت الجب
البئر التي لم تطو وغيابته قعره وكادوا بذلك حتى فامن تقلبه مع كونه اصغرهم عليهم الذي ابانت عنه
رؤياه المذكورة اول السورة اذ احد عشر كوكبا مثال لهم لانهم احد عشر والشمس والقمر ابوه وخالته
وسجود الكل له دخولهم تحت امره وطاعته وكان الامر كذلك كما في آخر السورة فانهم لما جاؤا اليه مع ابيهم
خروا له سجدا قال يا ابت هذا تاويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا وقد احسن بي اذ اخرجني
من السجن وجاء بكم من البدو من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي وليس النزغ

الشيطان بينه وبينهم ما يقدح في نبوتهم على القول بها قال الله تعالى لافضل خلقه واما ينزغنك من الشيطان
نزغ فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم لان معناه واما يستخفنك غضب يحملك على ترك الاعراض
المكذبين لك والنزغ ادنى حركة امره تعالى انه متى تحرك عليه ادنى غضب على عدوه واراد الشيطان
ادنى وسوسة اليه ان يستعيذ به تعالى ليكفيه امره وهذا من تمام عصمته لانه لم يسلط عليه باكثر من النزغ
بهذا الامر الذي لا تاثير له من غير قدرة له عليه ومن كيدهم له ايضا انهم ورموه بالافك حيث
قالوا ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل يريدون يوسف وهو براء اي بريء منه وفي تسمية
الناظم هذا افكا نظر ظاهر بل لا يصح كيف وقد اخرج ابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي
صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل قال سرق يوسف صنما لجده ابي امه
من ذهب وفضة فكسره والقاه على الطريق فعيره اخوته بذلك واخرج ابن جرير عن قتادة قال سرقته
التي عابوه بها انه صنما لابي امه وانما اراد بذلك الخير وروى نحو ذلك جماعة عن زيد بن اسلم و
جبير وابن جريج وزاد ان امه امرته بذلك لانها كانت مسلمة قال الشافعي رضي الله عنه كان زيد هذا
من العالمين بالقرآن فالحاصل انه وقع منه صورة سرقة فذكروها تعيير الفهم لم يكذبوا وانما الذي
فيه انهم عيروه بما لا عار فيه بل بما فيه غاية الرفعة والمدحة كما ذكرته في كتابي سعادة الدارين في صلح
الاخوين وذكرت فيه ايضا نحو ما سبق وملخصه ان واقعة يوسف مع اخوته واقعة عجيبة تشتمل
على غرائب وعجائب حكم واحكام وعبر وامثال وذل وانخفاض وعلو وارتفاع وعلى حسن عاقبة
الصبر وخسة عاقبة الحسد وعلى نصر المحق وان لم يكن له اعوان ولا انصار وعلى خذلان المبطل وان
كان اعوانه وانصاره الوزراء والملوك فضلا عن غيرهم وعلى ان التباغض والتحاسد بين الاخوة
او بين اقاربهم قل ما يسلم منه خيم او ادبهم وان كملوا وجلوا وعلت مراتبهم وزكت سعادتهم ومذاهبهم
لما روي ان اخوة يوسف مع ما وقع منهم مع كونهم صلحاء بل انبياء بنص قوله تعالى قولوا آمنا بالله

الآية

الآية اتفقوا على ان المراد بالاسباط اولاد يعقوب فكونه امرنا بالايمان بما انزل اليهم وبما انزل اليهم
ظاهر او نص في انه انزل عليهم ما يجب علينا به الايمان اجمالا وهذا صريح في نبوتهم وعليه فقد يشكل ما وقع منهم
في هذه القصة من الامور الكثيرة التي ظاهرها يجب تنزيه الانبياء صلى الله عليه وسلم عنها بناء على ان الاصح
بل الصواب ان الانبياء جميعهم الرسل وغيرهم معصومون قبل النبوة وبعدها من صغائر المعاصي وكبائرها
سهوها وعمدها ويجاب بان ذلك يتاتى على مذهب كثيرين بل نقل على الاكثرين ان العصمة انما هي بعد النبوة
لا قبلها والاولى ان يجاب بان هذه الامور انما تشكل على قواعد شرعنا لا على شرعهم فنحن لا نلتزم
ونفرض انه موافق شرعنا في ذلك فيحتمل انه له تاويل سوغ لهم ارتكاب ما فعلوه ويعبر كثيرين كالناظم
لبعضهم وحسدهم ونحو هذا من العبارات التي ظاهرها لا يليق بهم انما هو بناء على عدم نبوتهم كما
قوله فيهم واخرج ابن جرير وابن المنذر ان اباهم قيل له كيف تقرع نرتع ونلعب بالنون وهم انبياء
فقال لم يكونوا يومئذ انبياء والحاصل انه يجب علينا الايمان بنزاهتهم وبرائتهم من كل ما لا يليق
بهم انتهت عبارة كتاب المذكور واذ قد علمتم معشر المسلمين ما وقع لمن قبلكم من الشدائد والمحن وصبروا
عليها ففازوا برضى الله ومحبته فتاسوا اي تعزوا اذ التاسي التعزي من تاسيت بفلان تعزيت به اي
جعلت حالي على حاله ففي التاسي تسكين النفس على الامر الشاق وتصبيرها عليه والتعزي الحمل على الصبر
الاجر فمعنى التاسي والتعزي واحد او متقاربان وساغ ذكرهما على الاول لاختلاف لفظيهما بمن
مضى قبلكم من الكمل ذلك اذ اي وقت او لاجل ان ظلمتم من الكفار بما يسوءكم به من الجدل
والبغضاء والعداوة والقتال فالتاسي في المصائب لا سيما بالكمل للنفس فيه عزاء
اي تسل وتصبر يحملها على ان لا يصدر منها الا كمال الاخلاق والاعراض عن النظر الى ما يصدر من اهل
النفاق والشقاق وهذا من التذييل ابواكم الفاعل لاهل الكتاب والمفعول للمسلمين اي
ابتلكم اهل الكتاب وفيتم بما عاهدتم الله عليه فاظهرتم الحق ودمتم على العمل به حين

ظرف لوقيتم الواقع موقع المفعول الثاني خانوا ما عاهدوا الله عليه فكتموا الحق وابدلوه
من غيرهم أم متصلة لانها معادلة للهمزة السابقة تواكم أهل الكتاب أحسنتم
في اتباع نبيكم في جميع ما جاء به فلم تغيروا منه شيئا البتة فلم تبدلوا في حيوته ولا بعد وفاته إذ
أساؤا اللحوقية فلم تستمروا على العمل بما جاءكم به رسولكم بل بدلوه وغيروه ابتغاء لما نالوه من
اتباعهم من الحظوظ الدنيوية بل لا يدرون شيئا من ذلك وانما الذي حملهم على عدم اتباع انبياء
صلى الله عليه وسلم انه تمادت اي تتابعت واستمرت على التجاهل الموجب لرفض
الحق واتباع الباطل اي اظهار الجهل من نفوسهم مع علمهم بالحق وانهم على خلافه وجحدوا بها
واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا فاظهرتم الحق ودمتم على العمل به اباء بينه وبين الانبياء
القبائح كما تقفت اي اتبعت اثارها الباطلة الابناء من الاباء وجدنا
اباءنا على امة وانا على اثارهم مقتدون بينته توراتهم والاناجيل
وهم في جحوده شركاء بينته اي الحق الذي من جملته نبوة محمد وعموم رسالته
توراتهم المنزلة على موسى على نبينا وعليه الصلوة والسلام من اوريت الزند قدحته لتخرج ناره والنار
تستلزم النور والاناجيل المنزلة على عيسى على نبينا وعليه الصلوة والسلام من نجل الشيء اخرجه
التي لهم كما حكاه الله تعالى عنهما بقوله عز قائل الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه
مكتوبا عندهم في التورية والانجيل ولا ينافي جمع الناظم له لانه باعتبار افراده وهذا من اعظم
على صحة نبوته وعموم رسالته وعلى انه صلى الله عليه وسلم على البينة الواضحة من امره لانه صرح بذلك
على رؤس اهل الكتابين ولم يخش ان احدا منهم يقول ليس ذلك في كتابنا فاذ قد صرح بذلك
ولم يعترضوه كانوا عالمين به وكان تخلفهم عن اتباعه لمحض العناد والحسد قال تعالى يكتمون
الحق وهم يعلمون يحرفون الكلم عن مواضعه يعرفونه كما يعرفون ابناءهم ليطفئوا نور الله

بافواههم

قوله وهم في
جحوده وفي نسخة
جحودهم وعلى الثانية
المفعول محذوف اي حق ا
اليهود والنصارى والا
... بسوء صنيعهم والزامهم
الشنيعة القبيحة ان يكونون
على غاية نفاقهم وشقاقهم الذي
كان بينهم وقالت اليهود ليست
النصارى على شيء وقالت
النصارى ليست اليهود
على شيء فما الباعث
والسبب على جمعهم
واتفاقهم على معا
داته وهل هل
الاحسن لانه جل
وعلا وهل يهلك
الا القوم الظا
سرقي
قاسم
رحمه الله

بافواههم ويابى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون ومبشرا برسول ياتي من بعدي اسمه احمد
فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ما اخرج ابن عساكر في تاريخ دمشق ان ابن سلام لما سمع بمخرج النبي
صلى الله عليه وسلم بمكة ذهب اليه فقال له انت ابن سلام عالم يثرب قال نعم قال انشدك بالله الذي
انزل التورية على موسى هل تجدني في التورية قال انسب ربك فارتج النبي صلى الله عليه وسلم فقال له جبريل
قل هو الله احد الى اخرها فقرأها فقال ابن سلام اشهد انك رسول الله وان الله مظهرك ومظهر دينك
على الاديان واني لاجد صفتك في كتاب الله في التورية يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا
ونذيرا انت عبدي ورسولي سميتك المتوكل لست بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الاسواق ولا تجزي
بالسيئة مثلها ولكن تعفو وتصفح ولن يقبضه الله حتى تستقيم به الملة المعوجة حتى يقولوا لا اله الا
الله يفتح بها اعينا عميا واذانا صما وقلوبا غلفا واخرج البيهقي وابو نعيم عن كعب الحبار عن
عمرو بن العاص رضي الله عنه انهما نقلا عن التورية والانجيل نحو ذلك مع زيادة عليه وفي التورية تجلى الله
من طور سينا اي بتكليمه موسى عليه واشرق من ساعير على نبينا وعليه الصلوة والسلام فاشرق من ...
اي بتجليه عيسى عليه السلام واستعلن من جبال فاران اي جبال بني هاشم المظلة على شعبهم بمكة
بارسال محمد صلى الله عليه وسلم منها الى جميع الخلق كما بشر اليه بتغييره باستعلن وفي الانجيل كالتورية من ذلك
ما يضيق عنه هذا المحل وهم اي اليهود والنصارى في جحودها اي ذلك الحق الذي بينته كتابا هما وهو الانكار
بعد العلم شركاء اي مشتركون فلعنة الله عليهما ان تقولوا ما بينته فما زالت
بها عن عيونهم غشواء ان شرطية تقولوا يا اهل الكتابين
ما نافية بينته اي التورية والانجيل الحق المذكور فما زالت بها اي التورية
والانجيل عن عيونهم غشواء بالمعجمة والمهملة اي عن ابصارهم ظلمة مانعة
لهم من ابصارهم الحق من قولهم ركب فلان العشواء اذا كان قد خبط امره على غير بصيرة وقولهم ركب متن

وخبط خبط عشواء وهي الناقة التي لا تبصر امامها فهي تخبط بيديها على كل شيء ففيه الاشارة للمثل المذكور
الاستعارة بالكناية لانه شبه العيون بالبصائر والعشو بالظلمة المذكورة والاستعارة التخييلية في اثبات الظلمة
للعيون والترشيحية في قوله ما بينته لانه يناسب المشبه او تقولوا قد بينته كما هو الحق فما اي فاي شيء جعل
للاذن اي لاذنه سمعكم حتى انها عما تقوله التورية والانجيل واسناد القول اليهما
الاستعارتان السابقتان انفا وكذا في قوله الاتي من لحنتم الخ وقوله وكسا الى اخره صماء
اي غير سامعة له سماع قبول اي فلا موجب للاعراض عن ذلك الا محض العناد والحسد عرفوه و
انكروه وظلما كتمته الشهادة الشهداء عرفوه اي الحق السابق
معرفة يقينية ببواطنهم وانكروه بظواهرهم كما قال تعالى يكتمون الحق وهم يعلمون وبين عرفوه
وانكروه طباق وذلك نتيجة الالزام السابق وظلما مفعول لاجله كتمته اي الحق المذكور الشهادة بدل
الاشتمال من كتمته اي كتمت الشهادة به الشهداء الذين هم اهل الكتابين لانهم عرفوا صفة النبي صلى الله عليه وسلم
ووصف دينه معرفة قطعية ثم انكروا ذلك استحسانا وعنادا ومباهتة وتلبيسا على ضعفائهم ليبقى
ما ينالونه منهم ونكتة ايقاع الظاهر موقع المضمر اذ الاصل كتموا الشهادة به التسجيل عليهم بما قررته
انهم بلغوا من العلم به صلى الله عليه وسلم وبحقيقة رتبته مبلغ رؤية الشمس ومع ذلك كتموه وتمايل القوى
علم الشاهد اشترط اتيانه بلفظ الشهادة لانها ابلغ من العلم كما يفيده الحديث الصحيح على مثل هذه اي الشمس
فاشهد اشتراط اتيانه بلفظ الشهادة لانها ابلغ من العلم ومن ثم لم يكف قوله اعلم او نور الاله
تطفئه الافواه وهو الذي به يستضاء تكتمون ذلك وقد
تظهرون الضلال ونور الاله الذي هو النبوة والرسالة والاله المعبود بالحق تطفئه من اطفأت النار اذ
خمدتها الافواه اي الالسنة المتقولة بالباطل وهذا من الكلام البديع الجامع اي لا يكون ذلك يريدون
ان يطفئوا نور الله بافواههم ويابى الله الا ان يتم نوره وكيف يطفئ ذلك النور الالهي وهو الذي

به

به يستضاء ظاهرا وباطنا اي يميز الحق من الباطل والصادق من الكاذب يستمرون على ضلالهم و
ادعاءاتهم محقون وينكرون نبوته ولا ينكرون من لحنتهم اي اهلكتهم برحاها
اي اسلحتها عن امره الهيجاء اي حربه صلى الله عليه وسلم اي لا ينبغي ذلك بل الذي ينبغي
لهم الرجوع عن الضلال والاعتراف بانهم ان استمروا عليه طحنتهم برحاها به صلى الله عليه وسلم كما طحن اباءهم
وابناءهم واهاليهم بجلاء بني النضير الى ارض الشام والزمهم ان لا يحمل كل واحد منهم الا حمل بعير من غير سلاح
وقتل بني قريظة لشدة باسه وظهور نصرته صلى الله عليه وسلم وكساهم ثوب الصغار اي الذل كهرب الذل قبلة
من المقاتلين من بني قريظة استعار الالباس الصغار على حد قوله تعالى فاذاقها الله لباس الجوع والخوف
ثم قرنه بملائم المشبه وهو الكسوة وبملائم المشبه وهو طلول دماء وصون دماء فالاول ترشيح
والثاني تجريدية والحال انه قد طلت اي رفعت دماء منهم كبني قريظة وصينت دماء منهم كبني النضير المراد
دماء المسلمين لان الله تعالى جعل لهم الغلبة والكرة على اعدائهم واذا تقرر اتصاف اهل الكتابين
بتلك القبائح الشنيعة حق لهم ان يقال في حقهم كيف يهدي الاله منهم قلوبا
حشوها من حسبه البغضاء كيف يهدي اي يوصل الاله منهم قلوبا حشوها
اي ملؤها من حبه بمعنى الادمي المقوية حبيبه محمد صلى الله عليه وسلم متعلق بقوله البغضاء اي شدة البغض
يصح على بعد انها للتعليل اي من اجله او البدل اي حشوها بغضها بدل حبه وفي هذه الاستعارات ما تقدم
ايضا خبرونا اهل الكتابين من اين اتاكم تثليثكم و
البداء خبرونا اي اعلمونا يا اهل الكتابين اي التورية والانجيل من اين استفهام انكاري اتاكم
بتثليثكم اي ادعاؤكم معشر النصارى ان الله ثالث ثلاثة الاب والابن وروح القدس من اين لكم
معشر اليهود البداء بالموحدة والمهملة من بدا ظهر وهو كما ياتي ظهور مصلحة بعد خفائها وبنوا عليه
امتناع النسخ اي لم ياتكم واحد من هذين عن دليل صحيح بل عن محض سفهكم وعنادكم تنبيه

حكى ابن الصلاح عن بعضهم ان لفظ البداء غير صحيح لغةً لانه من بدا يبدو وانه ترده بان ابن دريد
ذكره قال التبريزي هو بالمد من قولهم بدا لي في الامر اي تغير رائي فيه عما كان ونقله الزركشي عن صاحب
المحكم عن سيبويه وقال السهيلي الاسم البداء ولا يقال في المصدر قال ومن اجل ان البدء والظهور كان
البداء في وصف الباري سبحانه وتعالى محالا لانه لا يبدو له شيء كان غائبا عنه ويجيء بدا بمعنى اراد كما
في حديث الاقرع والاعمى والابرص بدا الله ان يبتليهم اي اراد لا ظهر له تعالى كفرهم باني **ما أتى**
بالعقيلتين كتاب واعتقاد لا نص فيه بالعقيلتين المذكورتين
كتاب من كتب الله تعالى ابدا والاعتقاد هو جزم الذهن بالحكم ثم ان طابق ذلك الحكم ما في نفس الامر
كاعتقادنا فصحيح والا كاعتقادهم فباطل لا نص فيه اي الباته ومر النص هو ما لا يحتمل اللفظ غير معنى واحد
معين بان خلا من الاحتمالات العشر المقررة في محلها دون الدليل الاعم من ذلك لان الاعتقاد بالباطل
لا يكفي فيه الدليل الظني ادعاء اي باطل لانه اختراع في الدين بمجرد التشهي وكالنص حكم للعقل القطعي
فالاعتقاد المستند اليه صحيح وان لم يرد فيه نص بل لو ورد النص بخلافه وجب تاويل النص اليه كآيات
الصفات واحاديثها لان ظاهرها محال على الله عقلا فوجب صرفهما عنه بتاويلها بما يوافق العقل
وانكر جمع متاخرون من الحنابلة تاويلها والزموا باعتقاد ظواهرها من التجسيم والجهة والاطلاع
ذلك بما كانوا سببا لمحقهم وسحقهم في الدنيا والاخرة **والدعاوى ما لم يقيموا**
عليها بينات ابناؤها ادعياء والدعاوى التي يقولون بها معشر
اليهود والنصارى بفتح الواو وكسرها كالفتاوى ما مصدرية ظرفية لم تقيموا عليها بينات اي ادلة
قطعية لان الكلام في الاعتقاديات وهي لا يفيد فيها الظني ابناؤها اي نتائجها ادعياء اي باطلة
والدعي في الاصل ما ينتسب الى شخص بالكذب ومن يتبناه الانسان وليس بابن له وانه عرف فشبه
شبه دعويهم بوطي الزنا بجامع فساد كل وقبحه وعدم الاعتداد بما ينشاء عنه لانه ناشيء عن اصل فاسد

وهذا

وهذا استعارة بالكناية ثم خيل لها بذكر ما هو من لوازم المشبه به الذي هو وطي الزنا وهم الابناء
الذين هم نتيجته ثم رشح لها بذكر الادعياء المناسب للمشبه به وبين الادعاء والدعوى والادعياء جناس
الاشتقاق وشبهه كخلطوها والخلطاء والضعفا ووصفه الاتيات وفي النظم القياس الاقتراني
المركب من مقدمتين حمليتين المنتج انتاج الشكل الاول فالاولى الاعتقاد الذي لا نص فيه دعوى
الثانية الدعوى بلا بينة باطلة ينتج الاعتقاد الذي لا نص فيه باطل **تنبيه** فرق النصارى
ثلثة نسطورية ويعقوبية وملكية ولكل فرقة اعتقاد معروف وقد اشار الناظم للبحث مع الكل والرد
عليهم اجمالا واكثر الكلام مع القائلين بالتثليث لانهم اكثر واشد كفرا ومن ثم خصهم الله بذكر في قوله
عز قائلا لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلثة الاية **ليت شعري ذكروا الثلثة**
والواحد نقص في عدكم ام نماء ليت حرف تمني شعري اي علمي اي
ليتني علمت لما تقولونه انضباطا حتى اتكلم معكم في مدعيكم بما يليق بما هنا وهو ذكر الثلثة الصادر منكم تارة
حيث قلتم ان الله ثالث ثلثة الاب والابن وروح القدس وذكر الواحد الصادر منكم تارة اخرى حيث
ادعيتم توحيده نقص في عدكم ام نماء اي زيادة فحيث ذكرتم التثليث كان ذكركم الواحد نقصا وحيث
ذكرتم الواحد كان ذكركم التثليث زيادة وهذا تناقض عجيب لا يصدر عن عاقل لانكم تارة تثبتون
تعدد الاله وتارة تثبتون عدم تعدده ولذا قال متعجبا منهم **كيف وحدتموا**
لها نفي التوحيد عنه الاباء والانبياء الذين اثبتموها في دعواكم
التثليث **اله مركب ما سمعنا باله لذاته اجزاء** ايمكن ان يوجد اله
مركب من ثلثة اجزاء واقل او اكثر لانا ما سمعنا باله لذاته اجزاء او جزء ان اي بوجود اله كذلك بل ولا
تعقلنا لانه مما يحيله العقل بالبديهة كما انه يحيل تعدده كما يدل عليه برهان التمانع المذكور في قوله تعالى
لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا وبيان احالة العقل لما ذكر انه لو فرض اله مركب من اجزاء متعددة

قيل لهم **الكل منهم مصيب من الملك فهلا تميز الانصباء**
الكل منهم نصيب اي جزء من الملك فان قالوا نعم قيل لهم فهلا وفي نسخة فلم لا حذفت الف ما
الاستفهامية لدخول الجار عليها نحو عم يتساءلون تميز بالبناء للفاعل اي تميزا وللمفعول الانصباء
اي نصيب كل من الالهة حتى يكون ذلك التميز دليلا على ما زعمتموه ولا تميز فلا تعدد كما هو بديهي وبين
الثلثة والواحد والنقص والنما جناس التقابل كالحاجة والاضطرار والامانة والاحياء الاتيات
فان قالوا الكل نصيب او انصباء لكنهم خلطوها قيل لهم **اتراهم لحاجة واضطرار**
خلطوها وما بغي الخلطاء اتراهم اي اتظنهم لحاجة اي احتياج واضطرار
هو شدة الحاجة الى شيء بحيث لا يجد مندوحة عنه خلطوها خلطا يمنع تميزها فان قالوا نعم قلنا لهم الاله لا
يحتاج ولا يضطر لشيء مطلقا لانه غني بذاته عن غيره فاحتياجه واضطراره دليل قطعي على عدم الوهيته فان
قالوا اخلطوها لا لحاجة ولا لاضطرار قلنا لا يتصور وجود شركة دائمة بين شريكين فاكثر والحال انه
ما نافية بغي اي ظلم الخلطاء اي الشركاء اي بعضهم على بعض ولا يتصور ذلك بل متى وجدت شركة دائمة بين
شريكين وجد التمانع والتنازع المستلزم كل منهما خراب هذا العالم المشاهد لانهما ان استويا في القوة
تمانعا لم يقع فعل من احدهما وان تفاوتا وقع مراد الغالب فقط وتخلف مراد المغلوب فيلزم ان لا يتم
نظام هذا العالم لان الفرض وقوع الشركة وعدم التميز واحتمال توافقهما دائما الذي يجوزه العقل لا
نظر اليه لانه مما تحيله العادة التي هي مناط الادلة القرآنية والسلامة العرفية فليس ذلك دليلا اقناعيا
خلافا لمن وهم فيه بل الزم قال الكمال بعض المتاخرين والحق فيه لكنه الزام باطل كما هو جلي ودعوى العادة
تحيل ذلك فلا يحتاج لبيان لان كل من عرفها حكم ان شريكين في الايجاد والاعدام لا يتصور دوامهما
على التوافق لان من شان النفس ان لا تريد بقاء شريك معها وكل ذلك باطل لانا نشاهد هذا العالم
باقيا على اكمل وجوه الاتقان واحكم قواعد الشروط والاركان ويلزم من ذلك انتفاء الشريك مطلقا

وان

وان الاله لا شريك له وبيان بطلان التعدد من وجوه اخر وان عيسى كان يركب الحمار كما عرف ذلك
بالتواتر عنه ومن ثم يقال لهم ايقولون في حال ركوب عيسى للحمار هو اي الاله الراكب للحمار فان قلتم انه هو فركوبه
يستدعي حمله وثقله وتعبه وهو يستدعي عجزه والاله لا يكون عاجزا ولا حادثا وما زعمتموه يلزم منه عجزه وحدوثه
ومن فيا عجبا له تعجبية من دعواهم المستلزمة ذلك يمشي الادعياء اي التعب ام متصلة معادلها للهمزة تقولون
الثلثة الذين زعمتموهم الهة **جميع على الحمار** فيقال لكم **لقد جل** حينئذ حمار
يجمعهم اي الالهة اي مجموعهم مشاه صيغة مبالغة من مشي وقبح اله يحتاج الى ان يمشي به حمار
فالجملة الخبرية في النظم تفيد التعجب مما يترتب على ما قبلها **ام** متصلة معادلها للهمزة تقولون **سواهم**
اي الثلثة الذين على الحمار **هو الاله** ف بسبب ذلك **ما** استفهامية **لنسبة**
عيسى اليه خبر نسبة **والانتماء** هو الانتساب فهو عطف مرادف على النسبة اي
اخبروا في عن انتماء عيسى وانتسابه الى الاله هل يوجب التثليث الذي زعمتموه وكل عاقل يجزم بانه لا يوجبه
بل ولا يقتضيه وقوله فيا عجبا الى ما بعده تذييل منكرة **ام** متصلة كذلك **اردتم بها**
اي بالثلثة التي زعمتم انها الهة **الصفات** القائمة بذات الاله والصفة ما دل على معنى زائد على
الذات **فلم** من الكلام التفاعلها **خصت ثلاث** بالصرف للوزن **بوصفه**
اي الاله **وثناء** بضم اوله معدول من ثلاث ثلاث واثنين اثنين والمراد هنا ليس ذلك
التكرير بل نفس الثلثة فقط عند من نظر الى مجموع الثلاثة والاثنين فقط عند من نظر الى الاله بالحقيقة
والاله بالتجوز فان الاول واحد فقط والثاني اثنان فقط وعلى كل فالصفات لا تنحصر في اثنين ولا في ثلاث
فادعاء التثليث تحكم صرف وهو لا يقول به عاقل **ام** تقولون **هو** اي عيسى **الاله**
فيقال لكم لما اختص عيسى بذلك حتى انه ما نافية شاركه في معاني **النبوة الانبياء**
بل عيسى وبقية الانبياء في ذلك على حد سواء فادعاء النبوة لعيسى تحكم باطل ايضا **قتلتم**

اى عيسى **اليهود** حال كون قتلهم له اتمّا هو **فيما** اى فى القول الذى **زعمتم** معشر النصارى والزعم اصله وموضوعه قول كذب ومن ثمه قالت العرب زعموا مطية الكذب وقد يستعمل بمعنى قال مجردا عن التكذيب كقول ام هانى للنبى صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة زعم ابن امى اى على كرم الله وجهه انه قاتل من اجرته فقال لها النبى صلى الله عليه وسلم قد اجرنا من اجرت يا ام هانى وكيف تزعمون ذلك والحال انه لا سوائكم به اى بسبب عيسى **احياء** وهو رد الروح الى الجسد بعد مفارقتها له لانه كان فيكم يحيى الموتى فكيف يتمكن من من يحيى الموتى فيتمكن منه من يقتله فتصديقكم لليهود فى ذلك شاهد صدق على تخالف عقولكم وانه لا مسكة لها ولا تثبت لانكم تقعون فى التناقض الصريح ولا تنتبهون له وعلى كل حال انه **قولا** تاحكى عنكم كقولكم بالتثليث **اطلقتموه على الله تعالى** عما تقولون انتم واشالكم علوا كبيرا **اذكرا** اى ثناء وتعظيما له فى قولكم الله ثالث ثلثة **لقول هراء** اعجم الهاء من هرء الكلام اذا كثر الخطاء وفى نسخ بالزاى من قولهم هزء هزءا بالتسكين اى سخر وبالتحريك يهزء بالناس ويضحكهم ذكرا تميز عنه تعالى اى تعالى ذكره وهذا من القول البديع الجامع **مثل** بحسب نصبه حالا اى لقوله هذا حال كونه مثلا ونعتا لمصدر محذوف ورفعه خبر مبتداء محذوف اى هو مثل **ما قالت اليهود** اى قولهم بالبداء فالتشبيه من حيث مطلق الكفر وان تباين تفصيل كل من المقالتين **وكل** من الفريقين **لزمته** اى لزمت دعواه **مقالة شنعاء** اى قبيحة جدا اذهم **استقروا البداء** اى تتبعوه حتى قالوا اما عدا العيسوية منهم لا يجوز عقلا ولا سمعا على الله نسخ ملة بجملة لانه يوهم البداء وهو ظهور مصلحة له بعد خفائها حتى نسخ ما مضى لاجلها ووافقهم بعض غلاة الرافضة ومنهم من جوزه عقلا ومنعه شرعا واما قول بعض المسلمين الحكم الثابت لا يرتفع بل ينتهى فلا يكون نسخا فممنوع بل هو نسخ وح فالخلاف لفظى واعلم ان شريعة نبينا صلى الله عليه وسلم ناسخة لجميع الشرائع اجماعا واختلفوا فى شريعة عيسى

حا

صلى الله على نبينا وعليه الصلوة والسلام هل هى ناسخة لشريعة موسى صلى الله عليه وسلم او مخصصة والاظهر انها مخصصة لا ناسخة لقوله ولاحل لكم بعض الذى حرم عليكم قال الامام الرازى رحمه الله تعالى روى ان الرسل تبعى بعد موسى كلهم على شريعته الا شريعة عيسى **تنبيه** ذكر الامام ايضا فى المطالب العالية فى الحكمة فى نسخ الشرائع كلا ما حسنا فقال الشرائع منها ما يعرف نفعه بالعقل معاشا ومعادا فهذا يمتنع طرق النسخ عليه كمعرفة الله تعالى وطاعته ابدا ومجامع هذه الشرائع العقلية امران التعظيم لامر الله تعالى والشفقة على خلق الله ومنها سمعية لا يعرف الانتفاع بها الا من السمع وهذا يمكن طرق نسخه وتبديله وحكمة نسخه ان الاعمال البدنية اذا واظب عليها الخلف عن السلف صارت كالعادة وظن انها مطلوبة لذاتها فيمتنع الوصول بها الى ما هو المقصود من معرفة الله تعالى وتمجيده بخلاف ما اذا تغيرت تلك الطرق وعلم فان المقصود من الاعمال انما هو رعاية احوال القلب والروح فى المعرفة والمحبة فان الاوهام تنقطع عن الاشتغال بتلك الصور والظواهر الى تطهير السرائر وقال غيره حكمته ان الخلق طبعوا على الملالة من الشى فوضع فى عصر كل رسول شريعة جديدة لينشطوا فى ادائها واعظم حكمه اظهار شرف نبينا صلى الله عليه وسلم فانه نسخ لشريعته شرائعهم وشريعته لا ناسخ لها ومن حكمه ايضا ما فيه من حفظ مصالح العباد كطبيب يامر بدواء فى يوم وباخر فى يوم ثان وهكذا بحسب المصلحة وان كان الثانى افضل **تنبيه** اخر ما زعمه اليهود ان النسخ يستلزم البداء باطل لما تقرر ان المصالح الداعية الباعثة للنسخ ترجع الى احوال المكلفين او الازمنة وذلك لا يستلزم بل ولا يقتضى ان الله تعالى ظهر له شى بعد ان لم يكن يعد وزعم اليهود انه يستلزمه فمنعوا النسخ وزعم الكفرة هذا اغلظ من كفر الرافضة انه يجوز البداء عليه لوقوع النسخ منه وهذا اغلظ فى الاولين من كفر اليهود فعلم الجواب من قولهم الفعل اما حسن فيستحيل النهى عنه او قبيح فيستحيل الامر به فالنسخ محال على التقديرين وبيانه ان التحسين والتقبيح العقليين باطلان وبتسليمهما فنعلم العادى قاطع بان الفعل قد يكون

مصلحة فى وقت مفسدة فى وقت اخر وكذا بالنظر للمكلف يكون مصلحة فى حق واحد مفسدة فى حق اخر ولا مانع ان علمه تعالى يتعلق بان حرمة كذا ينتهى بوقت وفعل كذا قالوا والسمع يمنع النسخ ايضا لان اللفظ الدال على شرع موسى لما ان يدل على الدوام فان ضم اليه ما يقتضى نسخه فهو تناقض وان لم ينضم له ذلك كفى فى العلم به مرة فلا يتصور فيه نسخ قالوا ومما يمنعه ايضا ما علم بالتواتر من قول التورية تمسكوا بالسبت ابدا وجوابه انهم فى زمن بخت نصر قتلوا حتى لم يبق منهم الا عدد دون عدد التواتر بل قيل لم يبق منهم الا ستة اطفال على ان الابد كثيرا ما يراد به الزمن الطويل كما فى التورية فى مواضع كثيرة **وكم** اى مرة كثيرة **ساق وبالا** اى هلاكا **عليهم اليهم استقراء** وفى هذين كلتا المقالتين السابق جناس الاشتقاق كرد العجز على الصدر وفى المسخ والنسخ ونسخ ومسخ الجناس اللاحق وخالفهم الجناس المضارع لقرب المخرج والمصحف وقوله وكم الخ من التذييل البديع **وانهم** اى واعلم انهم لقولهم بذلك الساعى امتناع النسخ لئلا يلزم البداء **لم يجعلوا** اى لم يعتقدوا **الواحد** فى ذاته وصفاته وافعاله فلا شريك له بوجه ما **القهار فى الخلق** اى الخلق على مقتضى ارادته وصح تعليقه بفاعلا فهى على حالها **فاعلا ما يشاء** لان امتناع النسخ عليه يستلزم قهره وعجزه **جوزوا الفسخ** جائز لو الائمة يجوزونا **مثل ما** مصدرية **جوزوا المسخ عليهم لو انهم فقهاء** اى فهماء ولا فهم لهم اذ لا ابله فى الفرق الذى منهم والنسخ لغة الازالة والتغيير والنقل كنسخت الشمس الظل والريح التراب ونسخت الكتاب وشرعا بيان انتهاء حكم شرعى بخطاب شرعى ويدخل فيه متراخ ليخرج نحو الاستثناء مرة بان الكلام لا يعرف حكمه الا بانتهائه فلا يحتاج للاحتراز عنه بهذا القيد اى لو ثبتانهم فقهاء يجوز والنسخ لانه كما علم من حقه لا يلزم عليه محذور البتة ومنهم البداء باطل لا يعول عليه وتماديه على جوازه ووقوعه ما علم اليهود من وقوع المسخ وهو تحويل الصورة

لو

نها اى من العناصر الاربعة لماذا التركيب فى السماويات ولا تركب الجسم العنصريات بحيث يكون موجبا لغلبان الصور البسايط الامن جميع العناصر الاربعة لان طال المناسبة العقل العاشر مح حسيات النبات المقصد للعناصر الاربعة فانكون للمركب من جميعها من المعادن والحيوانات فان المركب اذا فاض عليه من المبدا صورة تحفظ تركيب زمانا تعتد به فان لم يتعين تحقق النشو والنمو يتعين تحقق الاحساس والحركة الارادية فانه يسمى نباتا وان تعين تحقق كل من النمو والاحساس فانه يسمى حيوانا وهذه الثلثة هى المركبات التامة المسماة بالمواليد قالوا ابانا الالة ترابها واجهاتنا العنصريات ولعل اختيار لفظ الجمع فى المعادن على المفرد ومكس فى النبات لاجل كون لفظ النبات مصدرا فى الاصل او لاجل الاشارة الى ان المختار ان المعدن تحته انواع مختلفة فان الحكماء اختلفوا فى ان المعادن هل هى متفقة فى الحقيقة ام مختلفة فيها فاختار بعضهم الاول والمحققون الثانى ولم يختلفوا فى النباتات بل كلهم متفقون على انها مختلفة بالحقيقة فاراد المصنف ان يشير الى مذهب المحققين فى المعادن فاختار لفظ الجمع فيها ولفظ المفرد فى النبات اشارة الى ذلك ومن المركبات ما ليس بتام التركيب هاحفظ له فلا يرجى له بقاء العمرية كالسحب والشهب وامثالهما وتسمى بالاثار العلوية والجمهاى اكمه المركبات اكمه العناصر التى هى بسايطها لان التركيب لا يقتضى زيادة فى حجم الاجسام فلا حاجة للمركبات الى الكمية زايده على الكمية بسايطها بكذا قيل وفيه ان هذا انما يصح ان لو لم تحدث بسبب التركيب تحلل او تكاثف والاولى ان يقال ذلك لكلم انما

الصور المغايرة هم

فيسمى معدنيا وان يتعين تحقق النشوفيه ولم يتعين هم

يكون لاجل ان البسايط منحصرة في العناصر والافلاك المحيط بالممتنع خرقها والتيامها ولما كانت الكثرة البسايط السفلية والعلوية منها لم يكن تحقق المركب في امكنة العلوية فامكنة المركبات انما هي امكنة البسايط
التي هي العناصر والمشهور ان المركب ان غلب احد اجزائه مطلقا فمكانه مكان الجزء الغالب والا فان غلب اجزاء التي امكنتها في جهة واحدة كالارض والماء مثلا فمكانه تحت التقعر وجوده فيه وبين الاعلى من شبهه لان المقصود بيان المكان الطبعي المركبات فاذ اغلب الجزء الارضي في المركب كان مكانه على ما ذكر متعدد لان نسبته الى اجزاء المكان الارض
على السوية فيلزم تعدد المكان الطبع وهو باطل وكذا الحال فيما غلب عليه اجزاء امكنتها في جهة واحدة والا فيما ليس فيه غالب اصلا
الجزء والتحقيق ان يقال ان فسر المكان الطبعي ما هو المشهور من انه الذي اذا خلي الجسم وطبعه طلبه لم يمكن اثبات الامكنة الطبعية للمركبات
العنصرية بما ذكره بل لم يكن لها امكنة طبعية بهذا المعنى فان المكان الطبعي للجسم بهذا المعنى هو مكان اذا لم يكن فيه الجسم فيه طلبه ولا يصرفه
على شي من المكانين المتعددين للمركب بهذا وان فسر المكان الطبعي للجسم بالمكان الذي لا يخرج عنه ذلك الجسم بطبعه اذا كان فيه امكن
ذلك الاثبات ولكن يكون المكان الطبع بهذا المعنى متعددا للمركبات المذكورة والاولى اختيار التفسير الثاني كما لا يخفى ولا خلاء محال
كان بعدا مادبا مجردا او موهوما فاطابا الاجسام قيل وهذه المسئلة على التقدير الاول العدم لان البحث عما هو مجرد عن المادة وعلى الثاني طبعه
اذ اصطلاح ان الاجسام يمتنع ان يكون بحيث لا يلاقي ولا يكون بينها

ما يلاقيها

ما يلاقيها او ذكره بهذه المسئلة مع كونها من المباحث لا يخلو عن شي احدهما ان تحقق في المكان هو مذهب المعلم الاول من انه السطح الباطن القائم المماس للظاهر المحوي كما هو المشهور ومما مهما وقع بسببه تمكن خطور بالي قوله والامكنة للبسايط هي انه جاز ان تحقق خلاء لم يكن فيه بسيط اصلا فجاز ان يحصل المركب الحاصل من البسايط في ان غير امكنتها وهو ما نقوله والخلاء محال اشار به الى انه لا خلو فيمتنع تركيب المركب مكان تحت السماء عن البسايط العنصرية بعضها
والمحل حركة مبداء لانها من الموجودات الممكنة فلا بد لها من علة فاعلة ثم الحركة يطلق على معنيين احدهما كون الجسم فيما بين المبداء والمنتهى بحيث يكون حاله في كل آن مخالفا لما قبله وما بعده وهو الحركة بمعنى التوسط وهو موجود في الخارج بلا شبهة كما هو المشهور والثاني هو الامر المتصل الممتد من المبداء الى المنتهى ويسمى حركة بمعنى القطع وهو ايضا موجود في الخارج في زمان متحد بين ان حصول المتحرك في المبداء وان وصوله الى المنتهى وباعتبار هذا النحو من الوجود لا يوجد اجزاءه متعاقبة كل جزء اذا يوجد في جزء من الزمان المحدود على الامس الذي هما طرفا ذلك الزمان اما في الوجود الحالي فاجزاءه مجتمعة في الوجود فيكون قار الذات في هذا الوجود وعدم قراره فانه انما يكون في الوجود الخارجي وهذا يدل على ان مراده بالحكماء الذين حكموا بعدم قرار ذاته من اثبات وجوده اثبات الوجود الخارجي محتاج كل من معنى الحركة الى المبداء والمؤثر ولا شك ان الجسم من حيث هو جسم ليس مبداء للحركة والا لعم الحركة الاجسام ودامت بدوامها بل هو قابل الحركة فلا بد هناك من فاعل مغاير له وقيل الحركة بمعنى القطع لا وجود لها الا في المحل لاستحالة وجودها في الاعيان لان الحركة

ماالم يصل الى المنتهى لم توجد الحركة تماما واذا وصل فقد انقطعت الحركة قلت هذا لا يدل على امتناع وجودها في الاعيان مطلقا بل انما يدل على امتناع وجودها في آن وصول الجسم الى المنتهى بل امتناع وجودها في الاعيان في كل آن من الآنات مسلم ولا يلزم منه امتناع وجودها في الاعيان اذ امتناع الخاص لا يستلزم امتناع العام والحاصل ان وجود الحركة بمعنى القطع انما يكون في زمان سابق آن وصول الجسم الى المنتهى سواء كان له آن هو بداية او لم يكن كحركة الفلك المنتهية الى حد مفروض هو منتهاها عند الفلاسفة فان قلت الحركة بمعنى القطع لا يتصف بالوجود العيني قبل الوصول الى المنتهى ولا حال الوصول اليه لما مر ولا بعده كما لا يخفى فلا يتصف بالوجود العيني قلت ان اردت بقولك قبل الوصول الى المنتهى اما قبل ان الوصول الى المنتهى فالترديد المذكور غير حاصر فلا يلزم من بطلان هذه الاقسام الثلثة بطلان القسم الرابع الذي غير مذكور وان اردت به اعلى ما عم من ان يكون آنا او زمانا فنختار ان الحركة بمعنى القطع تتصف بالوجود العيني في زمان قبل آن الوصول الى المنتهى لان صدقها في نهاية ذلك الزمان الذي هو الآن ووجود نفسها في نفس ذلك الزمان لا يقال فعلى هذا لزم ان الحركة الماضية الفلكية مثلا متصلة بالحركة المستقبلة بحيث يكون مجموعهما امرا متصلا موجودا في الخارج فلزم اتصال الموجود مع المعدوم بحيث يحصل منهما موجود وهذا باطل لانا نقول ان اريد باتصال الموجود بالمعدوم المذكور اتصال الموجود بالمعدوم المطلق بحيث يحصل منهما موجود عيني لم يكن ذلك لازما من اختيار كون الحركة بمعنى القطع موجودة في الاعيان كما لا يخفى وان اريد به اتصال الموجود في الزمان الماضي بالمعدوم الذي هو

موجود

موجود في الزمان المستقبل بحيث يحصل منهما موجود في مجموع الزمانين لم يكن ذلك محالا كما لا يخفى والمحرك ان لم يفارقه مبداء الحركة بالوضع اي بالاشارة الحسية على معنى انهما لا يتمايزان في تلك الاشارة وذلك اما بان يكون كل منهما قائما بالاخر او يكون الاشارة الى احدهما عين الاشارة الى الاخر كالنفس والجسم وطبعه المتحرك به واما بان يكون احدهما الاشارة الحسية دون الاخر كالنفس الناطقة والبدن المحرك له قيل له لكل المتحرك الذي لم يفارقه مبداؤه انه متحرك بنفسه وان فارقه في الوضع بان يكون الاشارة الحسية الى كل منهما مغايرة للاشارة الى الاخر نسب الحركة الى ذلك الجسم المتحرك ونسب التحريك الى ما فيه مبداؤه كزيد اذا حرك حجرا مثلا فيقال الحجر متحرك وزيد محركه اذ القوة التي هي مبداء الحركة مستفادة من زيد والمتحرك بنفسه ان كانت حركته على نهج واحد اي بلا اختلاف في نفس الحركة سمي المبداء طبعا سواء لم يكن الحركة طبيعة عنصرية اي بلا شعور وارادة كما في العنصريات او اراده ملكه فالطبع بهذا المعنى اعم من الطبع المختص بالعناصر اعني اذا قيد بعدم الشعور كما اشار اليه سابقا وان لم يكن حركة المتحرك بنفسه كذلك اي على نهج واحد سمي مبداء الحركة نفسا سواء كانت تلك الحركة بنائه مستندة الى نفس هي مبداء الحركات مختلفة من العنصريات والحيوانية بغير ارادة او حيوانية صادرة عن نفس هي مبداء الحركة متفاوته بارادة فانقسم حركة المتحرك بنفسه الى اقسام اربعة لانها اما ان يكون على نهج واحد او لا وعلى التقديرين اما ان يكون صادرة عن ارادة او لا والمحركة بغيره ان كان جزءا من المحرك كالكواكب المركوزة في الافلاك

وكالالتم في الاصبع اذ لها الحركة له مكانا بالطبع لها التبع الفلك الحاوى للمحوى ولها السعينه لو اكبها فالحركة عرضية والافقرية والاظهر ان يقال حركة المتحرك ان كانت الحركة مايقارنه في عرضه كحركة ساكن السفينة بحركة السفينة وحركة المحوى من الفلك الحاوى وان كانت بعوده [illegible] مستفاده عن امر مباين له في القسر — واما ما قيل من ان الاظهر ان يقال المتحرك بغيره ان كان به فتلك الحركة حركة قسرية كالحجر المرمى الى فوق وان قامت بذلك الحركة جسم ما يقارنه والنصف بين ما حاله [illegible] فالحركة عرضية كراكب السفينة فغيه ان الحركة بالحقيقة قامت بالمتحرك بالوضع بان قيامها به بالمجاز من قبيل وصف الشيء بحال متعلقه وبيان ذلك انه ليس معتبرا في الحركة ان منشاء الانتقال فيما فيه الحركة يكون في المتحرك بما ادام يكن الحركة الوضعية فيما فيها اذ ليس منشاءها هو الميل في المتحرك بما سواء كان ناشيا من ذاته وهو حركة المتحرك [illegible] او من امر مباين له وهو حركة المتحرك بالقسر وثانيهما ما يكون الميل الذى هو منشاءها ليس فيه بل في امر مقارن له وهو حركة المتحرك بالعرض والحاصل ان الكلام المذكور انما يصح ان لو اعتبر في الحركة مطلقا ان يكون الميل الذى هو منشاءها في المتحرك بها وفي هذا الاعتبار تامل بل التحقيق ~~ان المعتبر في الحركة مطلقا ان يكون الميل الذى هو منشاءها في الحركة المتحرك بها وفي هذا الاعتبار تامل بل التحقيق ان المعتبر في الحركة مطلقا~~ ليس الا احد من الامرين احدهما كون الميل الذى منشاءها في المتحرك بها وثانيهما كونه في المقارن المتحرك بها المتصل باسعاره والحركة بالطبع

الفلك الحركة صح

بالعرض فعلى هذا يكون الحركة على قسمين احدهما هو ما يكون الميل الذى هو منشاءها في المتحرك صح

سمع لي

الى قبح منها فى كثير منهم فرقة من يحيى لما خالفوا فى السبتة فمسخهم الله قردة وخنازير كما قصه الله علينا فى كتابه العزيز وكيف يمنعون النسخ وهو **لَيْسَ** فيه **اِلَّا اَنْ يُرْفَعَ الْحُكْمُ** الشرعى اى استمراره وتعلقه فعلم ان المراد بالحكم تعلقه بالمكلف بعد ان لم يكن او نفسه لكن من حيث دوامه بمعنى تكرره لا ذاته التى هى خطاب الله المتعلق بفعل المكلف من حيث هو مكلف اقتضاء او تخييرا لانه قديم وما ثبت قدمه استحال عدمه ثم النسخ يكون الى بدل والى غير بدل فان كان الى بدل زيد فى الحد بالحكم الشرعى وان كان لا الى بدل لم يزد ذلك **وَخَلْقٌ** اى ايجاد **فِيهِ** اى فى المسخ للصورة الثانية بعد اذهاب الصورة الاولى **وَاَمْرٌ** اى تصرف برفع الحكم الاول وايجاد الثانى **سَوَآءٌ** لما تقرر ان المسخ فيه رفع الصورة الاولى وخلق الصورة الثانية والنسخ فيه رفع الحكم الاول وخلق الحكم الثانى فاذا اجوزتم الاول لزمكم ان تجوزوا الثانى والا فانتم سفهاء معاندون لا يلتفت اليكم وكيف تستبعدون النسخ وانما غايته ان كان لبدل ان فيه حكمين المنسوخ وهو المراد بقوله **وَالْحُكْمُ مِنَ الزَّمَانِ اِنْتِهَآءٌ** والناسخ وهو المراد بقوله **وَالْحُكْمُ مِنَ الزَّمَانِ ابْتِدَاءٌ** ولا ينافى هذا تفسير النسخ بالرفع لما علمت ان المراد رفع تعلقه بالمكلف او دوامه وهو الانتهاء المذكور هنا وقول الشارح انه اشارة الى تفسيرين فى النسخ غير صحيح لان حقيقة الرفع مستحيلة فوجب تاويل التعبير به بما قلناه كما هو المقرر فى محله قاله وعلى كل فجواز النسخ اولى من جواز المسخ لان ذلك فى الاحكام وهذا فى الذوات سواء جعلنا النسخ رفعا ام بيانا وسواء جعلنا المسخ فى صورهم حتى صارت اقاربهم من المؤمنين لا يعرفونهم وهم يعرفونهم اذ يجيء القرد الى قريبه ويتمسح به ويدمع عيناه فيقول له الم ننهكم عن المخالفة فيشير برأسه اى ام نعم ام فى قلوبهم فقط على ما ذكره مجاهد والناظم يشير الى هذه القصة ففيه تلميح وبين ابتداء وانتهاء طباق واذا ادعيتم ايها المسلمون للمبالغة فى ادحاض حجتهم **فَسَلُوهُمْ** قائلين لهم **اَكَانَ فِى مَسْخِهِمْ** التفت عن خطابهم مبالغة فى تحقيرهم اى جعلهم قردة فى الصورة كما هو المشهور

او فى قلوبهم وجعلها كقلوب القردة لا تقبل هداية مع بقاء جعلهم ذواتهم على ما زعمه مجاهد **لِنَسْخِ الْاٰيٰاتِ اللّٰهِ** وهى الصورة الاولى مع احكامها او الادراك الاول على قول مجاهد **اَمْ اِنْشَآءٌ** لايجاد صورة مستقلة وحكم مستقل يتعلق بها او لادراك كذلك فان قالوا بالاول فقد ناقضوا انفسهم ولزمتهم الحجة او بالثانى فهو مكابرة للحس والحق ان المسخ مردد بين انشاء الخلق وبين النسخ لانه بالنسبة الى الصورة الاولى نسخ وبالنسبة الى الصورة الثانية المتجددة القبيحة انشاء لا يقال قد لا يعترفون بطروّ التغير على قلوبهم بناء على قول مجاهد لانهم اعترفوا بقولهم قلوبنا غلف اى مغطاة باغشية خاصة لا يصل اليها ما جئت به **وَبِلَآءٌ** بالمد وسبق معناه وهو مبتدا خبره **فِى قَوْلِهِمُ** الثابت عنهم ومقولهم **نَدِمَ اللّٰهُ عَلٰى خَلْقِ اٰدَمَ اَمْ خَطَاءٌ** منهم المشهور فيه القصر ويجوز مده كما جرى عليه الناظم وهو عطف على بلاء اى سلوهم عن قولهم هذا هو من قصد منهم او عن خطاء منهم وان قالوا عن قصد كان عين البداء الذى انكروه لانه يستلزم جهل الله تعالى بعواقب الامور فكيف يمنعون النسخ فرارا عن لزومه عندهم وهو البداء وهذا تناقض قبيح وان قالوا انه خطاء منهم فيكفيهم الاعتراض به على نفوسهم وانهم فى غاية السفاهة والغباوة وسبيلهم الاعتراف بالبداء او بالخطاء فافصح بطلان زعمهم استحالة النسخ حذرا من البداء وسلوهم ايضا عما لا يمكنهم انكاره لانه امر محسوس وورد القرآن على طبقه فقولوا لهم اماتة الليل والنهار كل منهما باقية فلا يزول احدهما بالآخر **اَمْ مَحَا اللّٰهُ** اى اذهب آيته اى علامته **اَلَيْلِ** اسم جنس جمعى واحده ليلة كتمر وتمرة واتى بالنهار بدله وهكذا الى يوم القيمة **ذِكْرًا** بمعنى التذكر تمييز اى من التذكر اى من جهة التذكر اى العلم والتفكر **بَعْدَ سَهْوٍ لِيُوجَدَ الْاِمْسَآءُ** اى الدخول فى المساء وهو بعد الزوال والمناسب ان يراد به هنا ما بعد الغروب اى سلوهم عن هذا المحو الواقع ام لا وبعرض وقوعه فهل هو عمد بعد سهو او عن سهو ابتداء فان قالوا بالاول لزمهم القول بالنسخ لانه بمنزلته او بالثانى من الترديد

الاول

الاول فقد كابروا الحس او من الترديد الثانى فلزمهم القول بالبداء لان من جوز السهو يجوز البداء لانه بمنزلته فلم يمنعوا النسخ حذرا منه وقد بين تعالى حكمة اختلاف الليل والنهار غير مرة فى آية فقال قل ارايتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا الآيات وقال وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة اى تخلف احدهما الآخر لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا وقال وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب والحاصل ان الحكمة كما تقتضى دوام اشياء بلا تبديل ولا تغيير تقتضى تبديلها وتغييرها وفى ذكر بعد سهو جناس الطباق كحسن والتحليل وحمد وافرائين **اَمْ بَدَا لِلّٰهِ فِى ذَبْحِ اِسْحٰقَ** حيث امر به والحال انه **وَقَدْ كَانَ الْاَمْرُ فِيهِ** اى بذبحه من الله تعالى للخليل ابراهيم صلى الله عليه وسلم فى النوم **مَضَآءٌ** اى امضاء فيه او فى نسخ قضاء به تعالى اى حتم وذلك لان رؤيا النبى والانبياء صلى الله عليهم وسلم وحى اى سلوهم عما وقع للخليل انه امر بذبح ولده ام اجازه ثم غفل عنه لما اضجعه على جنبه نسخه الله تعالى فامره بتركه وفداه بذبح عظيم وما يقال ان الرقبة ليست محاسا وانه امر بالسكين عليها فلم تؤثر ونحو ذلك مما ذكره الخطباء والقصاص فكله لم يثبت فيه شيء فان قالوا ان الامر به فذلكه وترك الذبح نسخ للامر بالذبح لزمهم القول بالنسخ مطلقا او غير نسخ لزمهم الجهل المفرط والغباوة الشنيعة انتهى **تَنْبِيهٌ** لم يجر عليه الناظم ان الذبيح اسحق وهو ما عليه الاكثرون قيل اجمع عليه اهل الكتابين لكن سياق الآية والمشاهدة بان اسمعيل هو الذى كان بمكة ومنى ولم ينقل قط ان اسحق حج ولم يات ذلك الا لكن قاضيا بانه اسماعيل وهو التحقيق كيف وقد صح ما يصرح بذلك وروى الحاكم فى المستدرك انه صنابحى قال حضرنا مجلس معاوية رضى الله عنه فتذاكر القوم اسماعيل واسحق ابنى ابراهيم عليهم الصلوة والسلام فقال بعضهم الذبيح اسماعيل وقال بعضهم الذبيح اسحق فقال معاوية رضى الله عنه سقطتم على الخبير كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتاه اعرابى فقال له

يا رسول الله خلقت البلاد يابسة والماء يابسا وضاع العيال فعاد على مما اتاك الله عليك يا ابن
الذبيحين فتبسم له رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ينكر عليه فقلنا يا امير المؤمنين وما الذبيحان قال
ان عبد المطلب لما امر بحفر زمزم نذر لله ان سهل له امرها ان ينحر بعض ولده فاخرجهم فاسهم
اى قرع بينهم فخرج السهم لعبد الله فاراد ذبحه فمنعه اخواله من بنى مخزوم وقالوا ارض ربك وافد
ابنك ففداه بمائة ناقة فهو الذبيح الاول واسماعيل الثاني وهكذا رواه ابن مردويه والثعلبي في
تفسيرهما وسلوهم فقولوا لهم تنكرون النسخ و تقولون ما حرم الله نكاح
الاخت بعد التحليل فى زمن آدم صلى الله عليه وسلم او تقولون حرم بعد ان حلله
وعليه فهو اى نكاحهما الزناء موجب للرجم ومحل الزنا العنت فان قالوا حرمها بعد ان
احلها فهذا صريح فى النسخ الذى انكروه وان قالوا لم يحرمها او لم يحللها فهو عناد محض وقاتله
لا يخاطب ولا يكلم واذ قد بان لك قبيح جهلهم وتناقضهم وعنادهم فاسكت عن حجاجهم لانك
ان اليهود و الحال انهم قد زاغوا اى مالوا عن الحق من جحود عبد الله
سفها وحسدا معشر اى قوم لؤماء جمع لئيم وهو الدنى الاصل الشحيح النفس
جحدوا بدل من زاغوا المصطفى اى المختار من الصفوة او المصطفى من كل نقص
اى انكروا نبوته ورسالته بعد علمهم بهما علما يقينيا قال تعالى وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم
ظلما وعلوا و الحال انه قد امن بالطاغوت اى الشيطان وكل ما عبد من دون
الله او صد عن عبادته وتعلو من الطغيان قوم هم عندهم شرفاء هذا كالذى بعد
بيان لعظيم لؤمهم وزيغهم عن الحق اذ جحدوا الحق الاظهر من الشمس واقروا من امن بالباطل
ومدحهم على ذلك بل عدوهم مع ذلك من شرفائهم ثم ظاهر النظم ان الذى امن بالطاغوت
فرقة من اليهود لا كلهم وليس كذلك بل كلهم امنوا به كما صرح به قوله تعالى الم تر الى الذين اوتوا
نصيبا

من الكتاب قال المفسرون هم اليهود يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا اى عن
اشرافهم او كفار العرب هؤلاء اهدى من الذين امنوا سبيلا ويجيب من الشارح حيث اخذ النظم على ظاهره
واستدل له بالاية مع انها انما تدل على الكل لا البعض ويصح ان المراد امن بالطاغوت قوم من قريش
هم عندهم شرفاء ومعنى الاية بالطاغوت قوم من قريش هم عندهم شرفاء ومعنى الاية ويقولون اى اليهود
للذين كفروا اى من كفار العرب الذين امنوا بالجبت هؤلاء اهدى من الذين امنوا سبيلا ويدل
على هذا ان حيى ابن اخطب لما ذهب لقريش وغيرهم ليحرضهم على قتاله صلى الله عليه وسلم ومعه اشراف
من اليهود سالوهم انحن خير دينا ام محمد قالوا انتم فقرحوا وخرجوا لقتاله صلى الله عليه وسلم
تنبيه جعل الواو للحال لا للعطف لدلالة عليه حذف فيها الامن قبل اولى من قول الشارح انها
عاطفة وان المسوغ للعطف وصف قوم بالجملة بعدها اى لما قررته فيها ان مدحهم للمؤمنين بالطاغوت
مع جحدهم لنبوة نبينا فيه غاية الغباوة واللؤم واحتجه الى ذكر المسوغ قولهم شرط قبول عطف الجملة
على الاخرى ان يكون بينهما مناسبة بجهة جامعة نحو زيد يكتب ويشعر وقد يقال فى النظم دلالة
لما فعله الشارح لانه اتى باربع جمل ثنتين بلا واو وثنتين بواو ونظر للمناسبة المعتبرة فى ذلك وبيانها
ايمانهم بالطاغوت مع جحدهم نبوة نبينا فيه ما مر وكذلك اتخاذهم العجل مع قتلهم للانبياء
واما قتلوا مع ما قبله فلا مناسبة ظاهرة بينهما فلم يعطف عليه قتلوا ابدل بدل وعطف بحذف
حرفه بناء على انه يمكن مناسبته لما قبله الانبياء كزكريا ويحيى وغيرهما جاء انهم قتلوا فى يوم
واحد سبعين نبيا ثم اقاموا السوق بقلهم ومعاشهم و اتخذوا العجل الها و
معبودا مع ان السامرى هو الذى صاغه لهم بحضرتهم من الحلى الذى استعاروه من القبط
قبل غرقهم والقى فيه قبضة من تراب اخذه من تحت حافر فرس جبريل الذى جاء به لفرعون حتى
دخل وراءهم البحر لما اغرق لهم لانه كان اجم عن دخوله فجرى بالقى فيه تلك القبضة خوار فقال

لهم هذا الهكم واله موسى فراج على عقولهم السخيفة كلامه فاعتقدوه الها معبودا كما قصه تعالى
علينا مبسوطا فى القران ومن ثم كان فى كلامه اقتباس كقوله الا حرف تنبيه لاستفراغ وسع
السامع فى القاء سمعه لما بعدها انهم هم السفهاء ولا يشعرون بجهلهم
اى مركب فلا اسفه ولا اغبى منهم جمع سفيه وهو من زاد نقص عقله حتى حصلت له خفة
وطيش وسخافة راى وانطماس بصيرة ومن ثم لم ينظروا الى كونه محمدا بحضرتهم من جادل لولاه
لا يكون كذلك عند من له ادنى عقل وتمييز ثم بين ادنى انواع سفههم بقوله ملمحا لما وقع لهم
وسفيه خبر مقدم او مبتدا ومسوغ الابتداء به وقوعه بيانا لما قبله كالتفسير من
ساءه اى احزنه المن وهو نوع من الحلو يسمى الترنجبين كان ينزل عليهم وهم فى التيه
فى غاية الاضطرار والسلوى وهو السمانى طير من اسمن الطير لحما وانفعها واطيبها
غذاء كان ياتيهم الى مجالسهم فرقا فرقا فيمدون ايديهم اليه وياخذون منه ما شاؤا وارضاه
القوم اى الثوم كما قرئ به وقيل الحنطة وهو بعيد من السياق لان الحنطة ليست من الادنى
والقثاء بل مثل فيهما وفى نظيرهما قال تعالى تبكيتا لهم بعد ما ذكر انه انزل عليهم المن و
السلوى واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض
من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها قال اتستبدلون الذى هو ادنى بالذى هو
خير ففى كلامه اقتباس وطباق بين ساءه وارضاه ومراعاة النظير فى المن والسلوى والفوم و
القثاء ملئت بالخبث وهو ما يتلوه من الفوم وما معه منهم صفة
تقدمت فصارت حالا بطون ليناسب ما انطوت عليه من الغل والحسد والعناد
والسفاهة او المراد ملئت بطونهم بالذات الخبيث اى الحصال الذى لحد واله وهو الغل نوما بعد
والى هذه يرشد ما رتبه عليه بقوله فهى نار اى مشتملة على ما يؤدى الى النار او سماها
نارا

نارا باعتبار المال كما فى انما ياكلون فى بطونهم نارا طباقها اى الناس الامعاء اى المصارين
اى مع معاها فوق قرنائه ثم معا فوق قرنائه وهكذا والى الاول يرشد قوله ملئت بالخبيث المشعر بان بطونهم
صارت بركنار ذات طباق بعضها فوق بعض وطباقها وهى امعاؤهم النجسة ويصح ان يراد ان بطونهم
صارت كنار ذات طباق بعضها فوق بعض فطباقها اذا الخبيث الذى ملئت به هو النار باوية
فاذا دخلها جذبته المصارين اليها وبعضها فوق بعض وايضا الخبيث بعضه اشد عذابا من بعض
فبعضه فوق بعض لتفاوت عذابهم بالنسبة الى الكلهم واكتسابهم هذا على الاصح عندنا فى الاصول انهم
مخاطبون بفروع الشريعة يعاقبون بخصوصها فى الاخرة وعلى مقابلهم كفروا من وجوه بعضها اشد
من بعض لو شرطية اريد وافى حال سبت مصدر سبتت اليهود اى عظموا
سبتهم بان تكون فيه تمام العبادة واصل السبت القطع بخير الباء زائدة للتاكيد كما
هو اى جاعة وكل من الظرفين متعلق باريد واعلى ان الثانى مفعوله ويصح كون الاول حالا
من خير اى لو اراد الله لليهود فى حال سبتهم الذى فرض عليهم تعظيمه خيرا كان سبتا
لديهم اى عندهم الاربعاء بتثليث الباء هذا من حيث ترتبه على ما قبله بطريق اللزوم
المستفادة من لو فى غاية الاشكال ولم ينبه الشارح على ذلك اولم يتنبه له وانما تكلم على بعض مفرداته
فقط ومنها قوله والسبت اخر الاسبوع والاربعاء رابعه قيل السبت اوله والاربعاء خامسه
وقد يقال كان الناظم نظر الى ان السبت القطع كما مر والى ان الاربعاء محل النور الحسى لما ياتى ان
الله خلق النور فيه فيكون محلا للنور المعنوى الذى هو الوصل فكانه يقول لو اريد بهم الخير بدلهم
قطعهم وصلا ولا ينافى ذلك قوله هو يوم مبارك لانه باعتبار ما فرض عليهم من تعظيمه وتخصيصه
بالعبادة وما نحن فيه باعتبار انه لو اريد بهم تمام الخير جعل محل عبادتهم مؤذنا بوصلهم الذى من
شانه ان ينشا من العبادة واما اذا جعل محل عبادتهم مؤذنا بقطعهم باعتبار اصله فلعله فهو مما

يؤذن بنقصهم وانهم لم يرد بهم كمال الخير لو اريد بهم كمال الخير وتمام توضيحه ان الله ادخر لهذه
الامة يوم الجمعة المؤذن بغاية الوصل اذ مقام الجمعية هو مقام الوصل الذي هو اكمل المقامات وافضلها
وجعل لليهود السبت المؤذن بقطيعتهم وحرمانهم وللنصارى الاحد المؤذن بوحدتهم و
تفردهم عن نيل الحق الخيرات والسعادات فكان فيما خصت كل امة من الايام دليل على حالها
ومايؤل اليه امرها فنبه الناظم رحمه الله على هذه الحقيقة العرفانية والحكمة الربانية زيادة في مدح
هذه الامة وذكر ذم غيرها او يقال ان الناظم رحمه الله اراد بذلك انهم لو اريد بهم الخير لكانت الايام
كلها سبتا عندهم ليحيوها جميعا بالعبادة واما تخصيص يوم منها بالعبادة دون بقية الاسبوع فهو
من جملة ما اريد بهم من خلاف الخير وعلى هذا مع ما فيه من البعد والتكليف يكون معنى حال سبت
ذكر شانه ويكون ذكر الاربعاء للمثال لا للتقييد ويكون قوله هو يوم الى اخره رجوعا الى مدح
ما شرع لهم ولا ينافي ما قبله لان تركهم لا ينافي ان تعطلهم عن العبادة بقية الاسبوع غير خير وا
اعلم ان قول الشيخ والسبت الى اخره عجيب منه اذ لم يحكه بقيل المهذب هو الذي صح به الخبر وعليه الاكثرون
وهو من هيئنا كما في الروضة واصلها ونقله في شرح المهذب عن الاصحاب بل قال السهيلي نور رضي
لم يقل بان اوله الاحد الا ابن جرير واستدل له في شرح المهذب بخبر مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه
قال اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فقال خلق الله تعالى التربة يوم السبت وخلق الجبال
يوم الاحد وخلق الشجر يوم الاثنين وخلق المكروه يوم الثلثاء وخلق النور يوم الاربعاء وبث
فيها الدواب يوم الخميس وخلق ادم بعد العصر من يوم الجمعة في اخر الخلق في اخر الساعة من
النهار فيما بين العصر الى الليل وبهذا الخبر صرح الاسنوي كالسهيلي وابن عساكر ان اوله السبت
وجرى النووي في موضع على ما يقتضي ان اوله الاحد فقال في يوم الاثنين سمي به لانه ثاني الايام
الا ان يجاب بانه جرى في توجيه التسمية المكتفي فيه بادنى مناسبة على القول الضعيف انتهى لكن
اوله

اوله الاحد الذي جزم به القفال من اصحابنا بان الخبر السابق تفرد به مسلم وقد تكلم فيه الحفاظ
علي بن المديني والبخاري وغيرهما وجعلوه من كلام كعب وان ابا هريرة انما سمعه منه ولكن اشتبه
على بعض الرواة فجعله مرفوعا ويجاب بان من حفظ الرفع حجة على من لم يحفظ والثقة لا يرد
حديثه بمجرد الظن ولعل لذلك اعرض مسلم عما قاله اولئك واعتمد الرفع وخرج طريقه في صحيحه فوجب
قبولها ومن ثم انتصر ابن عساكر لكون اوله السبت بما حاصله ان تاييد ابن جرير لكون اوله الاحد
بان هذا العالم خلق في ستة ايام وادم خلق يوم الجمعة انما يصح بتقدير ان يوم الجمعة داخل في الستة التي
خلق فيها العالم ولم يصح ذلك لانه صلى الله عليه وسلم فسر خلق الاشياء وجعل خلق ادم في يوم السابع
وهو يوم الجمعة ولم يثبت انه خلق في الايام وانما اخبر تعالى انه خلق العالم في ستة فاخرها الخميس وخلق
ادم بعد الفراغ من خلقها اشارة لكونها خلقت لمصالحه كيف وسياق خبر مسلم المذكور ظاهر في ذلك
ويؤيده ايضا الخبر الصحيح ان الله هدانا ليوم الجمعة واضل عنه اليهود والنصارى اي لان اليهود لما
اعتقدوا ان اول الاسبوع الاحد كان الجمعة سادسا فاخذوا السابع وهو السبت والنصارى
لما اعتقدوا ان اوله الاثنين اخذوا الاحد واما هذه الامة فاعتقدوا ان اوله السبت فاخذوا
السابع وهو الجمعة قال ولا حجة في اشتقاق نحو الاحد من الواحد وهكذا لان هذه التسمية لم تثبت
بامر من الله ولا من رسوله فلعل اليهود وضعوها على مذهبهم فاخذتها العرب عنهم ولم يرد في
القران الا الجمعة والسبت وليسا من اسماء العدد انتهى على ان هذه التسمية لو ثبتت لم يكن فيها
دليل لان العرب تسمي خامس الورد اربعا وهكذا وهذا هو الذي اخذ منه ابن عباس رضي الله عنهما
قوله الذي كاد ان ينفرد به ان يوم عاشوراء هو تاسع المحرم وتاسوعاء ثامنه وهكذا **هو**
اي يوم السبت **يوم مبارك** لان الله تعالى ابتدا فيه خلق هذا العالم كما مر خلافا
لما زعمه اليهود انه ابتداه يوم الاحد وفرغ منه يوم الجمعة واستراح يوم السبت قالوا فنحن

نستريح فيه كما استراح الرب فيه وهذا من جملة غباوتهم وسفاهتهم ومن ثم رد الله تعالى عليهم
بقوله عز قائلا وما مسنا من لغوب اي تعب تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا اذ لا يتصور التعب الا
من حادث مفتقر للمعين والاسباب وان الله تعالى بخلاف ذلك كله انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له
كن فيكون اي يوجد فورا فلا يتخلف عن الارادة فقوله كن كناية عن ذلك **قيل**
بناه للمجهول لضيق النظم فلا يتوهم انه قول ضعيف **للتصريف** اي للتصرف فيه
ببيع او نحوه **من اليهود اعتداء** اي ظلم وعدوان وكان سببا لمسخ كثير منهم
قردة وخنازير وذلك انهم لما امروا ان يجردوه للعبادة اعتدى فيه ناس منهم في زمن داود
صلى الله على نبينا وعليه الصلوة والسلام اثنى عشر نفرا فاصطادوا فيه وكانوا بايلة قرية على جانب البحر
فابتلاهم الله تعالى بان الهم السمك يوم السبت انه لا يبقى حوت في البحر الا خرج خرطومه واخرج
فاذا مضى السبت تفرق السمك ونفر فاجمع راي جماعة منهم على حيلة يمسكون بها السمك ويمنعهم
من الاصطياد يوم السبت فحفروا يوم الجمعة حفرا في جانب البحر وجعلوا فيها جداول من البحر فكانت
تمتلي منه يوم السبت وياخذونه يوم الاحد فشووا واكلوا فشم جيرانهم فسالوهم فاخبروهم بالحيلة
فقالوا ان الله معذبكم ثم تمادوا لم يعاجلوا بالعقوبة تبعهم جماعة ثم جماعة حتى صاروا قدر الثلث
فسكت قدر الثلث واعتزلهم الثلث الباقي فبنوا بينهم حائطا فاصبحوا وقد مسخ الثلث الاول
قردة وخنازير بالثالث وكذا الثاني على خلاف فيه اي لان الاية فيه محتملة ومن ثم قال ابن
عباس لا ادري ما فعل بالساكت انجاهم ام مسخهم اكذلك قال مالك وفي هذا تحريم الحيلة ووجوب
سد الذرائع انتهى وفيه بان المقرر في الاصول ان شرع من قبلنا ليس بشرع لنا فان ورد في
شرعنا ما يوافقه بالدليل هو شرعنا لا هو **فبظلم** متعلق بعدتهم **منهم** وهو وضع الشيء في
غير محله كخيانتهم في يوم السبت واكلهم الربا واخذهم اموال الناس بالباطل **وكفر**
ومن

من عطف الاخص لزيادة الاهتمام به **عدتهم** اي فاتهم **طيبات** من الرزق
حرمها الله عليهم وهذا مقتبس من قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات
احلت لهم الاية ومن شان الطيبات انه يوجد **في تركهن** الذي يحتم الامر به
ابتلاء اي اختبار ومحنة للعبد يكون سببا لفلاحه او هلاكه **خدعوا** اي يهود
المدينة وما قرب منها بدل من ضمير خدعوا لكن ذلك عام وهذا خاص لتقييده بالظرف بعده
بالمنافقين من الاوس والخزرج الذين يدعون انهم فيهم فاظهروا الاسلام فاظهروا
النفاق واتخذوه جنة من القتل مع بقائهم على كفرهم باطنا وكان هوى بني الاكثر مع اليهود
لانهم مثلهم باطنا فكانوا يدسون اليهم المكر والخديعة وكانت احبار اليهود هم الذين يتعنتون
على النبي صلى الله عليه وسلم فينزل القران مكذبا لهم تارة ومجيبا عن شبههم اخرى ومنبها على احوال
المنافقين الذين معهم بالمنا اخرى ومعنى كونهم خدعوا بهم انه اريد بهم المكروه من حيث
لا يعلمون بسبب المنافقين الذين كانوا يصدونهم عن النبي صلى الله عليه وسلم فيخدعون لهم
لغباوتهم وسفاهتهم كما قال **وهل ينفق الا على السفيه الشقاء**
اي وما ينفق فيهم الاسلام فاظهروه السفهاء وهم اليهود لانه شبه الشقاء الحاصل لهم بملازم
تحرف متخرج في الشر فهو استعارة بالكناية واثبت لها ما هو من لوازم المشبه به وهو النفاق تخييل
وجعل الشقاء نفقا من النفاق اي الرواج فعليه شبه الشقاء بالسلعة المعروضة للبيع واثبت لها النفاق
تخييلا ومرشحا وجرد بذكر السفيه الملائم للمشبه والمشبه به **واطمانوا** في نهيهم عما كانوا ايتين قبوله
من النبي صلى الله عليه وسلم بسبب **قول الاحزاب** اي طوائف اهل مكة ومن
كان معهم من قبائل العرب الذين تجمعوا لحربه صلى الله عليه وسلم بعد وقعة احد **اخوانهم**
في الكفر بهم **وانا لكم اولياء** اي متوالون ومتفقون على حرب

محمد صلى الله عليه وسلم وسبب ذلك ان جماعة من اليهود منهم اللعين حيي بن اخطب ازدادت عداوتهم
له صلى الله عليه وسلم حتى قدموا على قريش بمكة فدعوهم لحربه صلى الله عليه وسلم وقالوا نكون معكم عليه
حتى نستاصله فوافقوهم اذهبوا الى غطفان وذكروا لهم ذلك فوافقوهم فخرجت قريش وقائدهم
ابو سفيان وغطفان ومن معهم من اهل نجد وقائدها عيينة بن حصين فاجتمعوا في عشرة
آلاف واليهود قاطعون بانهم بذلك يستاصلون المسلمين فلما سمع بهم صلى الله عليه وسلم اشار
سلمان بحفر الخندق لان العرب لم تكن تعرفه فاجتهد فيه صلى الله عليه وسلم هو واصحابه فلما
وصل العدو اليه خرج اليهم في ثلاثة آلاف فمكثوا نحو عشرين يوما او خمسة عشر وهو الاكثر ولا قتال
بينهم الا الرمي بالنبل والحصا ثم اشتدت الحرب فجاء نعيم بن مسعود الى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال له اني اسلمت ولم يعلم بي قومي فمرني بما شئت فامره ان يخذل عنهم ما استطاع فان الحرب
خدعة فذهب الى بني قريظة وكان نديمهم في الجاهلية فحسن لهم التخلف عن معاونة قريش الا ان
ياخذوا منهم رهنا وخوفهم على اموالهم واولادهم فقالوا اشرت بالراي ثم ذهب للعرب وقال
لهم عن اليهود مثل ذلك وانهم ندموا على ذلك وارسلوا اليكم بذلك فارسلوا رسلهم لقريظة فذكروا
لهم ذلك فاعتقدوا صدق نعيم وانحل عزمهم فخذلهم الله وارسل عليهم الريح في ليال
شديدة البرد فكفات قدورهم وطرحت خيامهم وبلغه صلى الله عليه وسلم تخالفهم فعلم ما هم
فيه فقال لحذيفة بن اليمان اذهب فانظر ماذا يفعل القوم ولا تحدث شيئا حتى تاتينا
فدخل بينهم فسمع ابا سفيان يقول لينظر الرجل منكم من جليسه قال حذيفة فاخذت
بيد من بجنبي فقلت من انت فقال فلان ابن فلان ثم قال ابو سفيان والله يا معشر قريش
ما اصبحتم بدار مقام لقد هلك الكراع والخف واخلفتنا بنو قريظة ثم امرهم بالرحيل فلولا
عهد النبي صلى الله عليه وسلم ان لا تحدث شيئا لقتلته بسهم ثم سمعت غطفان ما فعل قريش

فرجعوا

فرجعوا ايضا فلما اصبح صلى الله عليه وسلم رجع الى المدينة وقال لا تغزوكم قريش بعدها ابدا و
لكن انتم تغزونهم وكان كذلك ولما وضعوا السلاح جاءه جبريل متعجرا بعمامة من استبرق
على بغلة عليها قطيفة ديباج وفي رواية البخاري انه لما وضع السلاح اغتسل فاتاه جبريل فقال
قد وضعت السلاح والله ما وضعناه اخرج اليهم اي بني قريظة فاني عامد اليهم ومزلزل بهم وفي
رواية ثم فشدد عليك سلاحك فوالله لادقنهم دق البيض على الصفا فبعث صلى الله عليه وسلم
مناديا يا خيل الله اركبي فخرج اليهم في ثلاثة آلاف مقاتل وستة وثلثين فرسا فحاصرهم خمسا و
عشرين ليلة او خمسة وعشرين وقذف الله في قلوبهم الرعب فعرض عليهم رئيسهم الايمان وقال
لهم انه نبي مرسل وانه الذي يجدونه في كتابهم فابوا فقال الليلة السبت فلعلهم امنوا فانزلوا
لعلكم تصيبون منهم فقالوا انفسد سبتنا ونحدث فيه ما لم يحدث فيه من قبلنا الا من علمت
ما اصابهم ما لم يخف عليك من المسخ ثم اشتد عليهم الحصار فنزلوا على حكم النبي صلى الله عليه وسلم
فحكم فيهم سعد بن معاذ سيد الاوس فحكم فيهم بان يقتل رجالهم وتقسم اموالهم وتسبى ذراريهم
فقال صلى الله عليه وسلم لقد حكمت فيهم بحكم الله الذي حكم به فامر صلى الله عليه وسلم بهم فادخلوا المدينة
وحفر لهم اخدود في السوق وجلس صلى الله عليه وسلم ومعه اصحابه واخرجوا اليه فضربت اعناقهم
وكانوا ما بين ستمائة الى سبعمائة ولا ينافيه الرواية الصحيحة انهم كانوا اربعمائة مقاتل لان الباقين
اتباع وقد تقرر علم ان الاحزاب **حالفوهم** اي اليهود اي عاهدوهم مع الايمان المغلظة
على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم **وخالفوهم** في ذلك فرحلوا عنهم واسلموهم للنبي صلى
الله عليه وسلم حتى قتلهم عن اخرهم **ولم ادر لماذا تخالف الحلفاء** والمراد
بنفي الدراية على طريقة تجاهل العارف اغراء للسامع على البحث عن سبب ذلك وان كان ظاهرا
وهو ان الله تعالى اراد خذلانهم بتفريق كلمتهم واستيصال امرهم **تنبيه** تجاهل العارف

سماه السكاكي سوق المعلوم مساق غيره وهو سؤال المتكلم عما يعلمه على سبيل التعجب او الانكار
او التوبيخ كما هنا او التقدير نحو قوله تعالى وما تلك بيمينك يا موسى **اسلموهم**
اي المنافقون عبد الله بن ابي واصحابه اليهود المسمين بني النضير **لاول**
الحشر مقتبس من قوله تعالى هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم
لاول الحشر ما ظننتم ان يخرجوا وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله فاتاهم الله من
حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بايديهم وايدي المؤمنين
فاعتبروا يا اولي الابصار اي في اول حشرهم واجلائهم من جزيرة العرب الى الشام امرهم بمحلهم
الى محل اخر وانما كان اول لانهم لم يصبهم قبل نظير ذلك او في اول حشرهم الى القتال لما اتى في
قصتهم انهم عزموا على القتال ففشلوا والقى الله الرعب في قلوبهم واخر حشرهم اجلاء عمر لمن
بخيبر منهم وهو اجلاء من اهلها الى الشام او في اول حشر الناس الى الشام لانها فتحت بعد ذلك بقليل
وقصدها الناس للاقامة بها وعليه فاخر حشرهم بها عند قيام الساعة لانها ارض المحشر **لا**
ميعادهم اي المنافقين لليهود لانهم نصروهم على النبي صلى الله عليه وسلم **صادق**
لانهم تولوا لهم قتالهم وانهم يعينونهم ثم تخلفوا عنهم **ولا الاولياء** اي الحلفاء منهم لهم صادق
ايضا **سكن الرعب والخراب قلوبا وبيوتا منهم نعاها**
الجلاء سكن الرعب اي هيبة النبي صلى الله عليه وسلم وخشية انتقامه منهم وظن ظفره
عليهم والخراب الاتي للدور قلوبا من اليهود المحصورين وغيرهم من اهل خيبر وغيرها فهذا
راجع للاول وبيوتا منهم راجع للثاني ففيه لف ونشر مرتب نعاها اي اخبر بتلك البيوت عن
اهلها المحتوي من نعاه ينعاه نعوا ونعيا ونعيانا اخبر بموت الجلاء اي خروجهم من ديارهم
في كونه معلما بقهرهم وزوال شوكتهم المشبه بالموت بانسان مخبر بما ينفع وما يضر فهي استعارة

بالكناية

بالكناية وذكر النعي الملائم للمشبه به استعارة تخييلية ومجيب من الله حيث لم يتكلم على هذه الجملة مع ما
علمته فيها من الاستعارتين المذكورتين بل فيها استعارة ثالثة كما اشرت اليها بقولي المشبه بالموت
وظاهر النظم ان واقعة بني النضير هذه بعد الخندق المشار اليها بقوله السابق وما خانوا الى اخره وهو
اوهم كلام بعض اهل السير لكنه مردود بان بني قريظة هم الذين ظاهروا الاحزاب واما بنو النضير فلم يكن
لهم في الاحزاب ذكر بل كان من اعظم الاسباب في جمع الاحزاب ما وقع من اجلائهم فانه كان من رؤوسهم
حيي بن اخطب وهو الذي حسن لبني قريظة الغدر وموافقة الاحزاب حتى كان من هلاكهم
ما كان فكيف يصير السابق لاحقا وخلاصة ما قاله اهل السير في واقعة بني النضير انه صلى الله عليه وسلم
خرج اليهم يستعينهم في دية قتيلين قتلهما بعض حلفائهم فاظهروا له الاجابة ثم تواعدوا على قتله صلى الله
عليه وسلم وهو جالس الى جنب جدار لبعض بيوتهم على ان يصعد واحد منهم ويلقي عليه صخرة
منه فنهاهم بعضهم وقال والله ليخبرن بما هممتم به وانه لنقض العهد الذي بيننا وبينه فلما
الرجل لذلك اخبر به صلى الله عليه وسلم فقام مظهرا انه يقضي حاجة وترك اصحابه في مجلسهم و
رجع مسرعا الى المدينة فطلبه اصحابه فاخبرهم ونزل في ذلك يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله
عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم الاية فامر صلى الله عليه وسلم بالتهيؤ لحربهم والسير اليهم
فسار اليهم وحاصرهم فساروا اليهم وحاصروهم ست ليال فتحصنوا بالحصون فقطع النخل
وحرقها وخرب بيوتهم ولما وقع في نفوس بعض المسلمين من ذلك شيء نزل ما قطعتم من
لينة الاية واللينة اصناف التمر ما عدا العجوة والبرني ففي الاية انه صلى الله عليه وسلم لم يحرق من
نخلهم الا ما ليس بقوت وكانوا يقتاتون العجوة وفي الحديث العجوة من الجنة وتمرها يغذو احسن
غذاء والبرني ايضا كذلك وكان رهط من بني عوف من الخزرج منهم ابن ابي بعثوا اليهم ان
اثبتوا وتمنعوا فانا لن نسلمكم ان قوتلتم قاتلنا معكم وان اخرجتم خرجنا معكم فتربصوا فقذف الله

في قلوبهم الرعب فسئلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يجليهم عن ارضهم ويكف عن دمائهم وفي
رواية ابن سعد انهم لما هموا بالغدر ارسل اليهم محمد بن مسلمة ان اخرجوا من بلدي وقد اجلتكم عشرا
فمن رأى منكم بعدها ضربت عنقه فشرعوا في التجهيز فارسل اليهم ابن ابي بانهم يمتنعون ويمدهم
بمن ينصرهم فارسلوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون لا نخرج فاظهر التكبير وكبر المسلمون تكبيرة
بتكبيره فسار اليهم وعلي كرم الله وجهه يحمل رايته فلما راوه قاموا على حصونهم يرمون بالنبل
وخذلهم ابن ابي وغيره فحاصرهم خمسة عشر يوما ثم قال لهم اخرجوا ولكم دماؤكم وما حملت الابل
الا الدروع فنزلوا على ذلك فكانوا يخربون بيوتهم بايديهم فلحقوا بخيبر ثم الى الشام والحيرة على
بعيره لكون الفاعل لهم مجرها لان عند ما بقي من اموالهم له صلى الله عليه وسلم يقسمه بين المهاجرين
ليرفع مؤنتهم عن الانصار **و** خدعوا ايضا اي بنو قريظة منهم **بيوم الاحزاب اذا**
زاغت الابصار فيهم **وضلت الاراء** وذلك ان الاحزاب
لما اقبلوا ونزلوا حول المدينة وخرج النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون فجعلوا ظهورهم الى سلع والخندق
بينه وبين القوم خرج عدو الله حيي ابن اخطب حتى اتى كعبا القرظي صاحب عقد بني قريظة
وعهدهم فاغلق كعب دونه باب حصنه وقال له انك امرؤ مشؤوم واني عاهدت محمدا فلست بناقض
ما بيني وبينه فاني لم ار منه الا وفاء وصدقا فقال ويلك افتح ولم يزل به حتى فتح فقال يا كعب
جئتك بعز الدهر جئتك بقريش انزلتهم بمجتمع الاسيال ومن دونه غطفان وقد عاهدوني على ان
لا يبرحوا حتى ان لا يبرحوا يستاصلوا محمدا ومن معه ولم يزل به حتى نقض عهده وبرئ مما كان بينه
وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فبلغه ذلك فعظم البلاء واشتد الخوف واتاهم عدوهم من
فوقهم ومن اسفل منهم حتى ظن المؤمنون كل ظن ونجم النفاق في بعض المنافقين وانزل الله
تعالى واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض الاية وقال رجال ممن معه يا اهل يثرب
لا مقام

لا مقام لكم فارجعوا ثم وقع ما مر من ان الله خذل الاحزاب وبدد شملهم وجعل الدائرة عليهم والغلبة
لرسول الله صلى الله عليه وسلم واهلك بني قريظة عن اخرهم كما مر وبما تقرر علم ان في كلام الناظم في هذا البيت
والذي قبله تلميحا من وجوه مديدة **وتعدوا** ظاهر سياق ان الضمير للنصارى واليهود
والمنافقين ويحتمل عوده لمطلق الكفرة الشامل لكفار العرب وغيرهم اي تجاوزوا حتى وصل ايذاؤهم
الى النبي صلى الله عليه وسلم **حدودا** حدها الاسلام ومنعهم من مجاوزتها
فلم يعظموا عندها فلذلك **كان فيها** اي مجاوزتها **عليهم** احد الظرفين حال
والاخر خبرا **العدواء** اي بعدهم عن النجاة ووقوعهم في الهلاك الابدي وفي هذا تلميح الى قوله تعالى
ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون وبين تعدوا والعدواء جناس شبه الاشتقاق
او شبه بين هتهم وانتهت والبذي والبذاء والخيل والخيلاء واكداه وكداه وعفا وعفو وساء
وسواء والجمت والجون والحلم والحليم الاتيات **ونهتهم** اي اولئك المعتدين قوم منهم على
ما هم عليه من مخالفة النبي صلى الله عليه وسلم وايذائه قائلين لهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حقا **و**
ما انتهت عنه اي عن مخالفة النبي صلى الله عليه وسلم وايذائه **قوم** بل استمروا
على ما هم عليه من ايذائه والاغراء **ف** بسبب ذلك ابيد اي اهلك **الامار** منهم بايذائه **والنهاة**
عن اتباعه لبقاء كل من الفريقين على ضلاله ومر ان عتبة بن ربيعة لما اشتد اذى قريش له صلى الله
عليه وسلم ذهب اليه لينهاه فقرأ عليه فصلت فرجع الى قومه ومدح القران وامرهم ان يخلوا بينه وبين ما
هو فيه وبين لهم ان القران ليس بسحر ولا شعر ولا كهانة وانه صلى الله عليه وسلم ليس بمجنون وانه ليكونن لقوله
نبأ فقالوا له سحرك محمد بلسانه فقال افعلوا ما بدا لكم فلم يردهم ذلك الا طغيانا وايذاء له بالقول
والفعل وقتل عتبة يوم بدر مشركا وبين الامار والنهاة جناس الطباق كنهتهم وما انتهت و
العشاء والغدق والقطع والوصل والتقريب والاقصاء والملائم والاطراء والتباين والوفاء الا

وتعاطوا في احمد صلى الله عليه وسلم وخصه بالذكر لانه لم يسم به احد قبله كما ان
محمدا لم يسم به قبله الا خمسة عشر نفسا كما بينه الحافظ العسقلاني **منكر القول و**
اي القول المنكر اي الذي ينكره سامعه بل المتلفظ به لعلمه بقبحه وفساده وان الحامل له عليه انما
هو محض عناد وحسد فقالوا مرة ساحر ومرة كاهن ومرة مجنون كما سبق ذلك مبسوطا في
بيان اعجاز القران وطاف صلى الله عليه وسلم هو وابو بكر وعثمان رضي الله عنهما فلما مر بابي جهل وعقبة بن
ابي معيط وامية ابن خلف اسمعوه بعض ما يكره ثم اراد ابو جهل الاخذ بمجامع ثيابه صلى الله عليه وسلم
فدفعه عثمان فوقع على استه فدفعه ابو بكر امية والنبي صلى الله عليه وسلم عقبة ثم قال والله لا تنتهون حتى
يحل بكم عقابه عاجلا فما منهم الا من اخذه رعدة وجعل صلى الله عليه وسلم يقول لهم بئس القوم انتم
لنبيكم ثم قال لاصحابه ابشروا فان الله مظهر دينه ومتم كلمته وناصر نبيه ان هؤلاء الذين ترون ممن يذبح
الله بايديكم عاجلا قال عثمان فوالله لقد رايتهم ذبحهم الله بايدينا ومن ايذاء المنافقين قولهم يوم
الخندق محمد يعد اصحابه ان ينفقوا كنوز قيصر وكسرى واحدنا اليوم لا يامن على نفسه ان يذهب الى
الغائط وقد حقق الله تعالى ما قال لنبيه صلى الله عليه وسلم فملك الله المسلمين كنوز قيصر وكسرى في زمن
عمر وعثمان رضي الله عنهما ثم تذييل بجملة مشتملة على معنى ما قبلها جارية مجرى الامثال فليس تتميما
خلافا للشارح لانه لما اتي به لمجرد المبالغة والتاكيد ولا تكميلا لانه لم يات به لدفع الايهام نعم في ذلك اضطراب
بين اهل البديع فقال **ونطق** اي منطوق **الاراذل** اي الاسافل الاخساء الذين لا مروءة
لهم ولا عقل الكلمة **العوراء** اي القبيحة **العوراء** الساقطة اي شانهم النطق بالفحش
هؤلاء كذلك وكيف **وكل رجس** اي قذر خنق وغضب قام بهم **يزيده** ما جبلوا عليه
الخلق السوء بفتح السين وضمها اي القبيح **سفاها** بفتح السين من سفه
بالضم سفاها وسفاهة ومصدر المكسور سفها وهو ضد الحلم وسببه خفة العقل وطيشه **و**
يزيده

يزيده سفاهة ايضا وبعدا من الخير **الملة** اي الشريعة سميت بذلك لانها تملى وتكتب **ام لم**
اي الباطلة شبهها بطريق عوجاء لا تهدي سالكها الى مطلوبه بل تتوه وتضل فيها على سبيل الاستعارة
المكنية ثم اثبت لها العوج تخييلا واولئك الاراذل اجتمع فيهم الوصفان الخلق السوء والتمسك بالملة
الباطلة فتضاعفت سفاهتهم **ف** بسبب ازديادهم من السفاهة والجهل **انظروا** ايها
العقلاء **كيف** هي وما بعدها سدت مسد مفعولي انظروا او انظر كيف في موضع المفعول
الثاني **عاقبة القوم** المفعول الاول فهو تمام يصح بفرض زيادة كان ولا يحوج لذلك
كما مر في ما قررته **كان** تامة **عاقبة** اي مآل ومصير **القوم** المعروفين بما ذكر
وهو خزي الدنيا وعذاب الاخرة ثم كان عاقبة الذين اساؤا السوءى الاية ففيه اقتباس **و** انظروا
ما موصولة سدت مسد المفعولين ايضا وعجيب من الشارح حيث لم يبين اعرابه مع احتمال في
نحو فيه غير ما ذكر لكن ما ذكرته اولى كما هو واضح **ساق** الشان كقوله **للبذي**
بالمعجمة اي بذاؤهم اي فحشهم وهو تخلفهم من عز الدنيا وسعادة الاخرة وفيه تشبيه البذي بدابة مسوقة
والبذاء بسائقها وهما استعارتان مكنيتان واثبات السوق للبذاء على جهة كونه واقعا عليه تخييل **و حل**
البذي **السب** اي الشتم **فيه** اي النبي صلى الله عليه وسلم **سما** اي مهلكا اي
مهلك وبين السب والسم الجناس المضارع **ولم يدر** ذلك البذي ان سبه عين السم
القاتل لوقته لفظا **اذ الميم في مواضع** حال من الخبر وهو **باء** كقولهم في بنيه
مبذ وهي لغة مازن قال المازني دخلت على الخليفة الواثق فقال لي ممن الرجل قلت من بني مازن قال با
بريد ما اسمك وهو لغة قوم يبدلون الميم باء ثم قال اجلس فاطان يريد فاطمئن وقال ابن جني في سر الصناعة
اخبرنا ابو علي باسناده الى الاصمعي قال كان ابو سوار الغنوي يقول باسمك يريد ما اسمك فهذه الباء
بدل من الميم انتهى لفظا ومعنى لانه اهلكهم كما يهلك السم بل هو ابلغ من السم لان اهلاك السم في الدنيا

والبذايا

ولاد ويتزيله واهلاك النسب فى الدنيا والاخرة ولاد وامله كان من اجل اصله من فيه
اى فم البذى حال من الضمير المستتر فى الخبر وهو بيده قتله لنفسه بيديه وقتل الانسان
لنفسه اشد من قتل غيره له ف سبب ذلك هو اى البذى والقاتل لنفسه المذكور فى
الاتصاف بما وقع منه سوء فعله بنفسه المرءة المشهورة بالملك القاهر فى العرب التى هى
الزباء بفتح الزاى وتشديد الموحدة اى شبيها فانها تناولت خاتما مسموما فمصته حتى قتلت
نفسها وقالت بيدى لا بيد عمرو فكان قتلها لنفسها بسببتها ولعدم نفعها من يدها لما ظفر بها عمرو ابن اخت
جذيمة الابرش لما كان بينها وبينه من تعقد سباياها وحاصل القصة وهى طويلة ذكرها الاخباريون
وابن هشام وابن الجوزى وغيرهم ان جذيمة ابن مالك التنوخى وقيل الازدى وهو اول من ساس العرب
واول من اتخذت له الشموع واوقدت بين يديه واول من اجتمع له الملك بارض العراق من قبل
اردشير وكان ابرص فكنوه من ذلك بالابرش والوضاح قيل كان لا يأنف من الابرص لان فى العرب
من يفتخر بذلك وكان له اخت اسمها رقاش اعجبها نديمه عدى بن نصر الايادى فوافقها على ان ينكحها منه اذا غلب السكر
عليه فسأله فى ذلك فانكحها اياها واشهد عليه ودخل بها فلما اصبح وعلم بذلك تغيب عدى فلم
يعرف له اثر فولدت له ولدا اسمى عمروا فاحبه جذيمة ثم اختطفته الجن ثم ردوه فزاد حظا عند خاله
وكان ابو الزباء سميت بذلك لكثرة شعرها لانه كان يجللها ويسحب من ورائها فى ملك ما بين الفرات
والروم فغزاه جذيمة وقتله قبل بعثة عيسى على نبينا وعليه الصلوة والسلام وطردها فلحقت بالروم
وجمعت الجيوش واستخلصت من جذيمة ملك ابيها وبنيت لها بجانب الفرات قصرا حصينا ثم ان
جذيمة نفسه بخطبتها لانها بكر واجل اهل عصرها وطمع فى ملكها فارسل لها فاظهرت غاية الفرح
وارسلت له بهدية سنية فاستشار فى السير اليها فبالغ قصير بن سعد فى منعه وقال ان ذلك مكيدة
منها فلم يصغ اليه وسار اليها فلما قرب منها اعاد الاستشارة فاعاد قصير رأيه فلم يصغ اليه وسلم اليها
وكانت

وكانت اورت عسكرها اذا وصل ان يحيطوا به ويمنعوه ومن معه ففعلوا وقصير معه فلما رأى ذلك
ركب فرس جذيمة التى تسبق الريح وفربها ثم ادخل جذيمة عليها وليس معها الا جوارى فكانت
شعرها تحته جوارى فكشفته له وقالت امتاع عروس ترى فقال بل متاع امة بظراء ثم قالت خذ وابيد
و بعل هو لاتكن فاجلسوه على النطع ففعلوا ثم امرتهن يقصدن عروق يديه ففعلن ووضعن له
طستا فنزف دمه فيه الى ان قضى عليه فامرت به فدفن ثم اقبل قصير على عمرو واخبره الخبر وامره
ان يأخذ بثأره منها فافهمه انه لا قدرة له عليها فقال اجدع انفى واذنى واضرب ظهرى حتى يؤثر
فى ففعل به ذلك وقيل ابى ففعل قصير بنفسه ذلك ثم ذهب اليها مستجيرا بها من عمرو فراجت
عليها الحيلة واكرمت منزلته قال لها ان لى فى العراق مالا كثيرا وذخائر فسيرينى لاتى به ففعلت
فرجع اليها باموال هائلة ثم عاد الى العراق ثانيا ثم رجع اليها باكثر من الاول فازدادت مكانته عندها
ولم يزل يتلطف حتى عرف سردابا جعلته تحت الفرات يصعد منه الى قصرها وبابه من جانب الفرات الآخر
ثم خرج ثالثا فرجع باكثر من ذلك كله فزادت مكانته وعدلت عليه فى امورها فاظهرت له انها تريد
غزوا فاراد ان يذهب باتيها بالعبيد والعدد فقال لها ان لى فى بلد عمرو الف بعير وخزانة مال وسلاح
فاعطينا ما اراد من المال وقالت الملك يحسن بمثلك فعاد الى عمرو وقال قد اصبت الفرصة منها
فقال له عمرو قل بما شئت فقال الرجال والاموال فعمد الى الفى رجل من فتاك قومه فحملهم على
الف بعير على كل بعير اثنان فى غرارتين سوداوين وعمرو فيهم وساقوا الخيل والكراع والسلاح وكان
يكمن النهار ثم دخل عليها فقال انظرى الى العير فنظرت فقالت ما للجمال مشيها وئيدا اجندلا
يحملن ام حديدا ام الرجال جثما قعودا ام الرجال فى الغرار السودا ولما صكت العير المدينة
طعن بوابها جوالقا بمخصرة بيده فصوتت من صاحبه فاراد الصياح ففض به قيصر بسيفه فقتله
ثم حلت الجوالق فخرج الرجال ودخل عمرو باب السرداب ليصعد الى الزباء فلما رأته مصت خاتما

فى يدها مسموما وقالت بيدى لا بيد عمرو فماتت وقيل ان عمروا قتلها بسيفها واحتوى على بلادها
ثم ذلك او هو فى سوء فعله النحل اى شبيهه ثم بين وجه الشبه فقال قرصها
اى لسعها لغيرها يجلب الحتف اى الموت اليها عقب لسعها والحال ان لسعها ما
نافية له انكاء اى قتل ولا جرح بل ولا دم ولا تأثير فى تبع الملسوع فكل منهما قتل
نفسه بما خرج منه مع انه لا مصلحة تعود اليهما بما كان سببا لهلاكهما صرعت قو
صلى الله عليه وسلم الذين ارسله الله اليهم فلم يؤمنوا به اى القتهم قتلى بين يديه حبائل جمع حبالة
وهى التى يصاد بها وناصبها يسمى الحابل بغى صلى الله عليه وسلم مدها اى تلك الحبائل
اليه المكر حال الكون منهم وهو ابطان السوء مع اظهار خلافه والدهاء بالكسر وهو
كالدهى جودة الرأى وفى كلامه استعارة بالكناية من حيث تشبيه القوم الذين حاربوه صلى الله عليه
صلى الله عليه وسلم بعصفور هو وعز بين يدى الصياد ومن حيث تشبيه البغى بشبكة الصياد ومن حيث
تشبيه المكر والدهاء بالصياد كما يقتضيه نسبة المد اليها وبحال الشبكة التى يمدها الصائد حتى
يقع فيها الصيد وتخييلية باثبات المد الآزم للمشبه به ومرشحة بذكر الصرع اللائق بالمشبه وبما
تقرر يعلم ان فى كلامه استعارات ثلاث مكنيات الاولى تشبيه القوم بالصيد وجرد لها بذكر الصرع
والمكر والدهاء لهم ورشح وخيل لها بذكر الحبائل والمد والثانية تشبيه البغى بالشبكة وخيل لها
باثبات الحبائل له ورشح بذكر المد وجرد بذكر الصرع الملائم للبغى والثالثة تشبيه المكر والدهاء
بالصياد ثم ملائم تخييلا باثبات المد ورشح بذكر الحبائل وجرد بذكر الصرع هنا ايضا اذ لا مانع
من اشتراك المكنيتين او اكثر فى كون الشئ الواحد تخييلا او ترشيحا او تجريدا للكل اعتبار الكل
على حدتها بما يناسبها فسبب مكرهم ودهائهم انهم من قبله صلى الله عليه وسلم ما اوجب مد تلك
الحبائل اليهم ولا يحيق المكر السيئ الا باهله فلا يمكرون به مكرا ولا يكيدونه كيدا الا عاد
عليهم

عليهم وكيف لا وكلما تحزبوا لحربه وخالوا اخفاء امره رد الله جمعهم وقتل سادتهم واظهر امره عليهم
وهو الذى ايدك بنصره وبالمؤمنين فمن ذلك انهم اتتهم خيل الى الحرب تختال
اى يتبختر بها راكبوها تيها وعجبا وللخيل النفائس وعليها الشجعان فى الوغا
اى الحرب متعلق بقوله خيلاء اى كبر وترفع عن الوقوع فى دهوة او الاصطلام بنحو
وهذا تذييل قصدت فيهم اى فى ابدانهم القنا اى الرماح جمع قناة وفيها
الاستعارة المشهورة فى قوله تعالى جدارا يريد ان ينقض ولا ينافى ذلك عد كثيرين له من انواع
المجاز باعتبار ان فيه اضافة الفعل الى ما لا يصح منه وهو الارادة التى هى من صفات الحى لان ذلك مبنى
على تشبيه مثل الموقوع بالارادة له والاستعارة مجاز علاقته المشابهة ومن ثمة قيل من روح المجاز التشبيه
فتولد بينهما الاستعارة وهل هى مجاز لغوى او عقلى والاصح الاول لانها موضوعة للمشبه به لا للمشبه و
لا لاعم منهما فاسد قوله فى رأيت اسدا يرمى موضوع للسبع لا للشجاع ولا للحيوان الجرئ فبا
تصدها لم كانت قوافى الطعن اى الطعنات المشبهة بالقوافى فى تتابعها حال الكون ذلك
الطعن منها اى تلك الرماح ما شانها اى ما يعاد فى نحو شانه اى الطعن الا بطله
لانه لم يوجد فيها الايطاء التالية تصدق بنفى الموضوع وهو تكرير القافية المتحدة لفظا ومعنى قبل مضى
عدد من المثبتة الطعنات الواردة على محل واحد من غير ان تقع التالية شيئا لم تؤثر المتلوة وهو مخلف
المثبته به لانه يدل على عى الشاعر وتقصيره والمثبتة لانه يدل على قصر ساعد الشجاع وعدم تمكنه و
وهذا المحل اولى مما سلكه الشارح كما يعلم بتأمله نعم قوله ولكثرة ما عملت رماحهم فى اجسادهم تاتى
الطعنة الثانية مكان الاولى حتى كانهما واحدة لسرعة الطعن بقرب اجله واثارت اى اوقعت
تلك الخيل لما ركضت فى مهامه الحرب بارض العدو فى الاقطار الحجازية وغيرها حتى فى مكة
فى غزوة الفتح لما ازدحمت قرب دخولها نقعا اى غبارا اظلم الجو حتى ظن ان

الغدوّ اي وقته وهو ما بين صلوة الغداة وطلوع الشمس منها اي من اجل تلك
الخيول التي اثارت ذلك النقع ومن اجل تلك الغبرة المفهومة من الغبار التي اثارتها تلك الخيول
العشاء اي وقتها وهو اذا غاب الشفق الاحمر وقضية كلام الشيخ ان المراد العشاء
بفتح العين وهو ما بين الغروب والعتمة وفيه نظر وما ذكرناه اولى واسلم تاثرت وفي قوله فا
نقعا تلميح الى قوله تعالى في سورة العاديات فاثرن به نقعا وخلاصته شيء من هذه الغزوة التي حصل
بها ذلك الفتح هو اعظم فتوح الاسلام لان الله تعالى اعز به دينه ورسوله وجنده وحرمه وبلده
واستبشر به اهل السماء وضربت اطناب عزه على مناكب الجوزاء ودخل الناس في دين الله افواجا
واشرق به وجه الدهر ضياء وابتهاجا وسببها انه وقع الصلح بالحديبية انه صلى الله عليه وسلم لا يتعرض
لمن دخل في عقد قريش وانهم لا يتعرضون لمن دخل في عقده وكان ممن دخل في عقده خزاعة وفي
عقدهم بنو بكر وكانا متعاديين فخرج بعض بني بكر وبني خزاعة فاقتتلوا فامدّ قريش بني بكر فخرج
اربعون من خزاعة اليه صلى الله عليه وسلم يخبرونه ويستنصرونه فقام وهو يجر رداءه ويقول لا نصرت
ان لم انصركم بما انصر منه نفسي ولما احس ابو سفيان بمجيئهم جاء الى المدينة ليجدد العهد ويزيد في
المدة فابى النبي صلى الله عليه وسلم فرجع فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في عشرة الاف ثم لحقه الفان لليلتين
من رمضان سنة ثمان فلما كان بقديد عقد الالوية والرايات ودفعها الى القبائل ثم
لما نزل مر الظهران امرهم ان يوقدوا عشرة الاف نار فرآها ابو سفيان ارسلته قريش ليأخذ لهم
امانا او لعلمهم بتجهزه صلى الله عليه وسلم اليهم فلما رأى تلك النيران ابهره امرها فادركه الحرس فاتوا
به رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلم بعد تمنع وتهديد فسال العباس النبي صلى الله عليه وسلم ان يظهر له فخرا
في قومه فقال من دخل دار ابي سفيان فهو امن وقال للعباس احبسه عند حطم الجبل حتى ينظر
المسلمين وفي رواية احبسه عند مضيق الوادي حتى تمر به جنود الله فيراها فاحبسه فمرت به القبائل

كتيبة

كتيبة وهو يسئل عن كل قبيلة منها العباس فيقول مالي ولها ولما مرت به كتيبة الانصار وصاحب
رايتها سعد بن عبادة وقال له سعد يا ابا سفيان اليوم يوم الملحمة اي الحرب اليوم تستحل الحرمة
اي الكعبة فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فامر عليا كرم الله وجهه بدفع الراية لابنه قيس و
اخبر ابا سفيان انه لم يامر بقتل قريش وان اليوم يوم المرحمة وان الله يعز قريشا وخشي سعد ان
يقع منه شيء ايضا فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فدفعها للزبير وكانت راية النبي صلى الله عليه وسلم
والمهاجرين مع الزبير ايضا وكان راية النبي صلى الله عليه وسلم كتيبة والمهاجرين مع زبير ايضا فبعثه
ومعه المهاجرون وخيلهم وامره ان يدخل من اعلى مكة وان يغرز رايته بالحجون ولا يبرح حتى
ياتيه كذا ذكره موسى بن عقبة وغيره وقول الشيخ انه صلى الله عليه وسلم امر الزبير ان يدخل من كدا بالقصر
تصحيف والصواب من كداء بالفتح والمد وقوله وامر سعد بن عبادة ان يدخل في بعض الناس من كدا بالفتح لم
ار في الروايات المعتمدة ما يشهد له وانما الذي صح انه صلى الله عليه وسلم دخل من اعلاها وخالد من
اسفلها ورواية عكس ذلك ضعيفة لا يعول عليها ولعل الشيخ اخذ ذلك من الرواية الاتية عن مسلم
وانت خبير بانه ليس فيها نص بكدا ولا بكداء وبعث خالد بن الوليد في قبائل ليدخل من اسفل مكة
ويغرز رايته عند ادنى البيوت وبعث سعد بن عبادة في كتيبة من الانصار في مقدمة رسول الله صلى الله
عليه وسلم وامرهم ان يكفوا ايديهم الا عن من قاتلهم ولما دخل خالد من اسفل مكة قوتل فقاتلهم حتى دخل
المسجد الحرام من باب الحزورة ثم كف ولما قال صلى الله عليه وسلم لم قاتلت وقد نهيتك قال كففت
يدي ما استطعت فقال قضى الله خيرا وصح في مسلم وغيره انه صلى الله عليه وسلم بعث على احدى
المجنبتين خالد بن الوليد وبعث الزبير على الاخرى وبعث ابا عبيدة على الذين بغير سلاح
فقال يا ابا هريرة اهتف لي بالانصار فهتف لهم فجاؤا فاطافوا به فقال لهم اترون الى اوباش
قريش واتباعهم ثم قال باحدى يديه على الاخرى احصدوهم حصدا حتى توافوني بالصفا قال

ابو هريرة فانطلقنا فما نشاء ان نقتل احدا منهم الا قتلناه فجاء ابو سفيان فقال يا رسول الله ابيحت
خضراء قريش لا قريش بعد اليوم فقال صلى الله عليه وسلم من اغلق بابه فهو امن ومن هذه اخذ
الاكثرون ان مكة فتحت عنوة ويرد بانه صلى الله عليه وسلم لم ينص الا على اوباشهم الذين من شانهم
الجهل والمبادرة بالقتال فهو محله وهذا كقوله من اغلق بابه فهو امن ظاهر في ان الكلام انما هو
فيمن قاتل ليوافق الروايات الاخر المقيدة بذلك وبهذا يتقوى ما ذهب اليه امامنا الشافعي
رضي الله عنه انها فتحت صلحا كما هو قضية التامين الذي وقع منه صلى الله عليه وسلم لمن دخل
دار ابي سفيان واغلق بابه او دخل المسجد ولم يقع قتال من جهة اعلى مكة التي دخل منها صلى
الله عليه وسلم والعبرة بها لا بغيرها على ان القتال الذي وقع في غيرها انما كان دفعا لقتالهم
كما مر وعلم مما تقرر في القصة انه صلى الله عليه وسلم امر اكثر اصحابه بان يدخلوا من الحجون وهو كداء
بالفتح والمد وكان معهم في كتيبة خضراء لكثرة ما معهم من السلاح على ناقته القصوى بين ابي بكر
واسيد بن حضير وفيها المهاجرون والانصار ولا يرى منهم الا الحدق من الحديد فراى ابو سفيان
ما لا قبل له به فقال للعباس لقد اصبح ملك ابن اخيك ملكا عظيما فقال ويحك انه ليس بملك
ولكنها نبوة قال نعم فامر بقية اصحابه ان يدخلوا من اسفلها وهو كدا بالضم والقصر ولذا قال
احجمت اي كفت وامسكت عنده اي ذلك النقع الذي حصل بمكة لما اجتمعت
فيها جنود الاسلام مع ما لهم فيه من كثرة الخيل والسلاح والداخلون من اعلاها واسفلها
الحجون بفتح الحاء وهو الجبل المطل على مقبرة مكة المسماة بالمعلاة وذلك هو الكداء
بالمد والفتح اي ان الفرقة التي كانت بالحجون وان اثارت فيه من النقع شيئا كثيرا لكنه قليل
بالنسبة لما في مكة فامسك عن محاكاة ما بمكة واكدى اصله قلة الخير والمراد هنا قلة التراب
عند حالة من كدا اعطائه اي كدا المتقدم ذكره والمصدر مضاف للمفعول وفاعل

الاعطاء

الاعطاء النبي صلى الله عليه وسلم القليل من الناس مفعول المصدر الثاني كداء بضم
الكاف والمد لغة قليلة فيه اي وقل غبار الكداء الذي هو اسفل مكة لان الفرقة الداخلين منه
الذين اعطاهم النبي صلى الله عليه وسلم لما كانوا قليلين وعجيب من الشيخ حيث لم يبين لهذا الشطر معنى
ملائما كونه اوهم ضبط كدا هذا بالفتح وهو فاسد لان المفتوح الحجون السابق في الشطر الاول
او قريب منه كما يصرح به كلام ائمتنا في المناسك وغيرهم فان قلت هذا البيت وان كان فصيحا لفظا لما
فيه من الجناس والمجاز والاستعارة من حيث التعبير بالمحل عن الحال والمجاز والاستعارة من حيث
اسناد الاحجام والمنع اللذين هما من صفات الحي الى غيره على حد قوله جدارا يريد ان ينقض كما مر
بيانه الا انه ركيك معنى اذ لا حاصل له لان من المعلوم ان ما بمكة من مجموع الفرقتين الداخلين
من اعلاها واسفلها انما هو من مجموعهما اكثر مما من كل منهما ومثل هذا ليس له كثير جدوى قلت بل فيه
معنى يستفاد وله جدوى كفاية وهو ان دخوله صلى الله عليه وسلم واكثر اصحابه كانوا من الحجون والبقية
من كدا ووجه اخذه من النظم واضح فان خص اعطاء القليل بكدا فدل على ان الكثيرين دخلوا من
الحجون ويصح ان يراد نفس البقعتين مبالغة وعليه فيصح ان يكون احجمت معطوفا على اثارت بحذف
حرف العطف وفيها ضمير هو الفاعل يعود على الخيل وان اكدى مبني للمفعول والتقدير ان من فوق
ذلك الخيل انها فرتهم حتى اماكنهم فكفت الحجون ومنعت الكدى والحجون عن ان تنتشر الا هلها
لو تصور منهما ذلك لاستيماد خيل كدا اذا كانت قليلة ويصح بقاء النظم على ظاهره الاول وهو ان
الحجون فاعل وان اكدى مبني للفاعل وان المراد انه صلى الله عليه وسلم نفير عليهم نقصا باهرا حتى
بقاعهم سامت نعم عليهم والتقدير ان الحجون وكدا امتنعا من ان يمدا اعينهما اليه صلى الله عليه وسلم
او الى احد من عسكره وفي هذا وما قبله من المبالغة ما لا يخفى عظيم وقعه عند الفصحاء وبين الحجون
وكدا جناس معنوي ودهت اي اهلكت تلك الخيل والخيالة اوجها من الناس

اى بمكة فانك كما فى الرواية المصرحة بذلك المحمول عليها الرواية المطلقة وكذا جماعة لم يقاتلوا
لكن كانوا يبالغون فى ايذائه صلى الله عليه وسلم واظهار هجوه فامر بقتلهم وان كانوا متعلقين باستار الكعبة
وعدد منهم ستة رجال واربع نسوة **و اهلكت بيوتاً** كان اهل مكة يرجعون اليها اهلها **ضل**
اى تيه **منها الاكفاء** وهو فى الشعر المخالفة بين هجائها والحروف كان يكون بعضها ميماً والآخر
باء وهنا انكفاء تلك الوجوه على الناس لعلها تنجيها او تجيرها **والاقواء** اصله من قولهم نزل
اقوى اى لا انيس به واقوت الدار وقوت اى خلت ثم استعمل فى الشعر مراداً به ان تختلف حركات اعراب الروى
وبما قررت به كلامه هنا وفيما قبله فى قصدت فيهم القنا الى آخره يعلم ان الناظم استعمل القوافى للطعن
المتتابع ورشح بذكر الايطاء ولمح بذكر البيوت ترشيحاً لبيوت الشعر الموشح بها وبذكر ما يختص بها من الاقواء
والاكفاء الى الاستعارة الاولى فيما تقدم ولف ونشر مشوش لان مرجع الاقواء للبيوت باعتبار بيوت الشعر
الشعر والاكفاء للوجوه لان الرئيس اذا انقطع انكفأت الوجوه وتحولت واستعمل الاقواء فى الخلو من حيث
بيت المسكن وفى تغير القافية من حيث بيت الشعر وكذلك الاكفاء من حيث تغير حركة الروى فيه بسبب
ما حصل لاهل مكة من الخوف الذى ظنوا انه مهلك لهم عن آخرهم **دعوا** محمداً صلى الله عليه وسلم
احلم البرية فى الاصل اى الخلق اى طلبوا منه يوم الفتح ان يعفو عنهم وان لا يعاقبهم بما
منهم مما كانوا او صلوه اليه من الايذاء الذى لا يتحمله غيره صلى الله عليه وسلم فاجابهم الى العفو فقال لا
لهم لا تثريب عليكم اليوم كما يأتى **والعفو** عمن ساءه **جواب الحليم** من حلم
بالكسر اذا ترك الانتقام بحق **والاغضاء** اى اغماض الجفون من الحياء وتذكر الحلم
والعفو والاغضاء مراعاة النظير **ناشدوه** بدل من دعوا **القربى** اى حلفوه
عن ان يصل قرابتهم ويعفو عنهم والقربى على حذف الجار اى حلفوه بالقرابة التى بينهم وبينه
ان يعفو عنهم **التى** وصلت اليه **من** سائر بطون **قريش** وهم ولد النضر بن كنانة
احداجداد

احد اجداده صلى الله عليه وسلم حال الكون تلك القربى **قطعتها الترات** بفوقيتين جمع
ترة وهى مصدر وتره اى قتل له قتيلا ولم يدرك دمه **والشحناء** اى التباغض والتحاسد
الذى كان بينهم **ف**بسبب تلك المناشدة **عفا** صلى الله عليه وسلم عنهم **عفو قادر** لانه
كان يسهل عليه ابادتهم عن آخرهم **لم ينغصه** اى يكدر ذلك العفو **عليهم**
بسبب **ما مضى** منهم صفة اغراء تقدمت عليه فصارت حالا **اغراء**
من اغريت الكلب بالصيد اى حملته على اصطياده وهو فاعل ينغص اى لم يكدر عفوه منهم اغراءهم
سفهائهم وجهلائهم فيما مضى حال الكون منهم حتى بالغوا فى ايذائه بما لا يتحمله مخلوق كما تحمله صلى الله عليه وسلم
وخلاصة ما اشار اليه الناظم انه صلى الله عليه وسلم لما كان الغد من يوم فتح مكة قام خطيباً فى الناس فحمد
الله واثنى عليه ومجده بما هو اهله ثم قال يا ايها الناس ان الله حرم مكة من يوم خلق السموات والارض
وهو حرام بحرمة الله تعالى الى يوم القيمة لا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر ان يسفك بها دماً او
يعضد بها شجرة فان احد ترخص فيها لقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقولوا ان الله اذن لرسوله
صلى الله عليه وسلم ولم يأذن لكم وانما احلت لى ساعة من نهار اى من الفجر الى العصر وقد عادت حرمتها
اليوم كحرمتها بالامس فليبلغ الشاهد الغائب ثم قال يا معشر قريش ما ترون انى فاعل فيكم قالوا خيراً
اخ كريم وابن اخ كريم ثم قال اذهبوا فانتم الطلقاء اى من الاسر والاسترقاق وفى رواية انه قال لهم
اقول لكم كما قال يوسف لاخوته لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين وسر هذا
وهذه الوصلة منه صلى الله عليه وسلم لهم بعد القطع انه ناظر الى الله تعالى دون غيره **و اذا كان**
القطع والوصل لله كما هو حال النبى صلى الله عليه وسلم **تساوى** عند فاعل
ذلك **التقريب** الاقارب والبعداء **والاقصاء** اى الابعاد للاقارب والبعداء
ولم يتميز باحدهما قريب ولا اجنبى لان النظر لرضى الله وامتثال امره لا غير وهذا من القول البديع الجامع

وسواء بفتح السين والمد ويجوز كسرها والقصر وهو فيهما بمعنى مستو ويستعمل الاول بمعنى
التمام ومنه قوله تعالى سواء للسائلين الى سواء الصراط والوسط ومنه قوله تعالى فى سواء الجحيم وبمعنى
قيل ومنه قوله تعالى فقد ضل سواء السبيل وهو وهم وانما هى بمعنى وسط **عليه** اى الذى
ما قصد اذاه لله لا غير واجل من اتصف بهذه المرتبة نبينا صلى الله عليه وسلم كان خلقه القران يرضى برضاه
ويسخط بسخطه وهذا خبر مقدم ويصح كونه مبتدأ **فيما اتاه من سواه** محلهما حال من
المبتدأ او الخبر وهو **الملام** بالسب والتنقيص **والاطراء** اى المبالغة فى المدح حتى بغير
الواقع اى سواء عليه اللوم والاطراء حال كونهما مندرجين فيما اتاه من غيره من خير وشر اى استوى عنده
مدح الغير وذمه لانه ليس ناظراً الى النفس وانما نظره الى تعريف الحق وخلقه بما اراد منهم **تنبيه**
ما وقع للناظم هنا من حذف همزة التسوية بعد سواء والعطف بالواو وهو ما درج عليه الفقهاء فى كتبهم
وهو لغة وان كانت بخلاف الاشهر الشائع من ذكر الهمزة والعطف بام وقد صرح فى الصحاح
بتلك اللغة فقال تقول سواء على قمت او قعدت وكذلك فى القاموس فقال وسواء تطلب
اثنين تقول سواء زيد وعمرو اى ذو واستواء من استوى وتساويا تماثلا وقد صرح سيبويه بالمسئلة انه تصح
واوضحها اكمل ايضاح فقال فى البديع منه اذا كان بعد سواء همزة استفهام فلا بد من اسمين او
فعلين وان كان بعدها فعلان بغير الف الاستفهام عطف الثانى باو تقول سواء على قعدت او
قمت وان كانا اسمين بلا الف عطف الثانى بالواو وتقول سواء على زيد وعمرو وان كان بعدها
مصدران كان الثانى بالواو وحملا عليها انتهى فعلم صحة ما عليه الفقهاء فاندفع قول ابن هشام ان
ذلك لحن وان ما فى الصحاح سهو وانه قراءة او لم تنذرهم من الشذوذ بما كان انتهى ملخصاً
فانه سهو **و منعة لو** من نها فى بحث اوصاف قدمه صلى الله عليه وسلم ما ينبغى مراجعته لعزته ونفاسته
ان انتقامه صلى الله عليه وسلم اى غضبه واستيفاءه الذى صدر منه كان **لهوى**
النفس

النفس الامارة بالسوء والمطبوعة على التكبر على الغير وحب التميز عليه بما يقهره ويذله **لدامت**
قطيعة للرحم **وجفاء** اى ابعاد لها ولكنه لم يكن كذلك وانما كان حيث قطعهم
قطعوا ما امر الله به ان يوصل ووصلهم عين ما نظر اليه منهم من قتل اصحابه لا سيما بأحد والتمثيل
بهم وشج وجهه وكسر رباعيته حيث وصلوه باحتمال اوامره واجتناب نواهيه كيف لا **وقد قام**
صلى الله عليه وسلم **لله** وحده لا لهوى ولا لحظ ولا لرعاية رحم او صديق وفى نسخة بالله اى متعيناً
فى الامور جميعها **ف**بسبب قيامه لله او به **ارضى الله** تعالى **منه** صلى الله عليه وسلم
وهو متعلق بارضى او حال من فاعله وهو **تباين** اى تخالف الاعداء اذا الله تعالى **ووفاء** لاوليا
الله تعالى من غير تعويل على حظ سوى رضى الله تعالى ربه ولهذا كان **فعله** صلى الله عليه وسلم **كل**
جميل لصدوره على امتن قوانين الاعتدال واحقه موازين الكمال البديع وذلك **هل**
اى ما **ينضح** اى يسيل مما فيه على ظاهره **الا بما حواه** عائد على متقدم الرتبة وهو **الاناء**
اى لا ينضح الاناء الا بما فيه فمن امتلأ اناؤه قلبه خيراً كانت افعاله المشبهة بما ينضح الاناء قلبه كلها
خيراً ومن امتلأ اناؤه قلبه شراً كانت افعاله كلها شراً وكل ليس احد متحلياً بمعالى هذه الصفات
الباهرة الا نبينا صلى الله عليه وسلم وهل من التذييل ومنه قوله تعالى وهل نجازى الا الكفور ويصح
ان يكون من التتميم وفيه تلميح الى المثل السائر وكل اناء بالذى فيه ينضح **اطرب السامعين**
اى اسرهم وافرحهم ونشطهم الى محبته وانبائه وامتثال جميع ما يرد من حضرته ذكر علاه لانهم يجدون
لذلك روحاً تفوق روح الراح **يا** حرف استغاثة **لراح** اى خمر مستغاث ولذا فتحت لامه
سميت بذلك لان شاربها يستريح ويرتاح من هموم الدنيا ما دام سكران بها **مالت** اى
سكرت وتواجدت **به** اى بالراح المستعار لذكر علاه فهو مذكر لفظاً ومعنى فاندفع ما قد يقال ان
الراح الخمر وهى مؤنثة وتذكيرها شاذ **الندماء** اى شاربو الخمر سموا بذلك لانهم يتنادمون

اى يتخاطبون عليها بالاشعار التى فيها مدحها وفيه استعارة تصريحية او استعارة تخييلية ترشيحية
لانه شبه ذكر علاه فى اطرابه لسامعه بالراح فى اطرابها الشارب بجامع قرن بذلك ما يلايم المتعاطى منه
وهو ذكر الميل والندماء واعلم ان هذا الموصوف بهذه المعانى الذى اطرب السامعين ذكر علاه
هو النبى الامى نسبة الى الام وهو من لا يكتب ولا يقرء المكتوب كانه على اصل ولادة امه
او مثلها اذ الغالب فى النساء عدم الكتابة وقيل نسبة لام القرى اى مكة وقيل غير ذلك كعلمه بسرائر
ام الكتاب ومع كونه لا يقرء ولا يكتب اطلعه الله على علوم الاولين والآخرين وجعله القدوة العظمى
لكل مخلوق فى كل علم وحلم وحكمة وخلق حسن وسائر اوصاف الكمال واراه من الاحاطة بجميع مصالح
الدنيا والدين وقوانين سياسات العالم ومتفرقات الشرائع وعوارف المعارف ما لم يصل لشاوه
مخلوق وهذا مقتبس من قوله تعالى الذين يتبعون الرسول النبى الامى الذى يجدونه مكتوبا
عندهم فى التورية والانجيل الايات اعلم الخلق جميعا حتى من اى الانبياء والمرسلين الذين
اسند اى روى عنه الرواة والحكماء اى العلماء الذين يضعون كل شىء فى
محله فهو من عطف الخاص على العام ولما قدم كثيرا من اوصافه صلى الله عليه وسلم واحواله وسيره و
انتقل بطريق لطيف الى ذكر دار مولده ومبعثه ودار هجرته لانهما شرفا به على سائر الامكنة ولذكر
زيارته وتاكيدها والاشارة الى انها من افضل القربات وانجح المساعى وقد الفت فيها كتابا حافلا لم ار
الى مثله مشتملا على جميع ما يتعلق بها وسميته الجوهر المنظم فى زيارة القبر المكرم وفيه ابلغ الرد والتضليل
لمن نازع فى ندبها بما يكون سببا لسواد وجهه وتبابه فى الدنيا والآخرة فقال كاشفا عن منة الله تعالى
عليه باشارة الى انه هيأ له اسباب تلك الزيارة من الزاد والراحلة الموصوفة بالصفات الحسنة
حتى كانها فاطبة له على ظهرى فانى احملك ذهابا وايابا مع السلامة من التعب والراحة من السرى
وعدتنى ذكر الموعود فى حيزها لما بينها يوجب اشتراكها بين الخير والشر وانما يقع التمييز بالقرائن

وحذفها

وحذفها يعينها للخير ويعين للشر او عدا ذ زياره اى النبى صلى الله عليه وسلم افتعال من الزيارة وابدلت
الدال من التاء فى نحو ذلك مطرد وهو منصوب بنزع الخافض اى بزيارة هذا العام وجناء
اى ناقة قوية من الوجن وهى الارض الصلبة ومنت بوعدها الوجناء الوجنا
المذكورة وهذا كما علم انها كانت بها او لا كناية منه على نيته عن نيته الزيارة فى تلك السنة واعداده ذلك المركوب
لها فهو اخبار عن لسان حال ذلك المركوب وبما تقرر من ان ال فى الوجنا للعهد الذكرى اندفع قول الشارح بين
وجناء والوجناء جناس والعجيب منه انه صرح مع ذلك بان ال للعهد المستلزم لاتحاد اللفظين وان
الاول هو عين الثانى اى يليق بى ان اترك الزيارة او اتباطاء فيها فلا انطوى اى انضم نفسى
على تلك الوجناء التى منت على بما ذكر لها اى لاجلها ليسهل سيرها بى فان حسن سير المركوب من حسن
ركوب راكبه فى حصول اقتضائه اى طلبى منها ذلك الموعود فالمصدر مضاف للفاعل و
والهاء مفعوله فان اردت الاضافة اليها ايضا كانت هذه الاضافة غير صحيحة لانه لجمع فيها اداتى
التعريف هو الاضافة الى كل من الضميرين وقد قالوا يمتنع اجتماع اداتى تعريف على معرف واحد قالوا
وانما جاز فى اضافة الصفة من اسم الفاعل او المفعول او الصفة المشبهة وامثلة المبالغة اقتران المضاف
دون سائر المضافات بال لان اضافة الصفة الى معمولها لا تفيد تعريفا بل تخفيفا فليس هنا محذور
اجتماع اداتى تعريف بخلاف بقية المضافات انتهى فنجرى لنا قول ان اضافة المصدر المرفوعه او
غير مختصة له فعلية يجى ما وقع فى النظم لانه لم يجتمع اداتى تعريف فتامله اما اذا لم ترد الاضافة اليها وانما الراد
بقاؤها على نصبها ففيه ارتكاب ضرورة اتصال الضمير مع امكان انفصاله الى هنا ليطوى
للفاعل او للمفعول والاول اولى اذ لا يلزم عليه زيادة بخلاف الثانى ما اى المسافة البعيدة التى
بيننا اى بينى وبين ذلك القبر الكريم على الحال به افضل الصلوة والسلام الافلا
كما فى القاموس وعبارته والفلاة القفر او المفازة التى لا ماء فيها ثم قال والجمع فلا وفلوات

وفلى جمع جمع فلاة انتهى وبه يندفع ما للشارح هنا وجوز ان فيه كسر الهمزة مصدرا اى السير الى فلاة بعد اخرى ولا
يلزم على بنائه للفاعل وان الافلا جمع اتحاد الفاعل والمفعول لانهما مختلفان بالاعتبار بل وبالحقيقة
اذ التقدير تلك المسافة المطوية الى السير البعيد وفى الافلا اى الامكنة المقفرة ولا شك ان السير غير محله فتامله
وبين انطوى وليطوى جناس الاشتقاق كهو اى شبهه بين مبارك والبركة وحادرتها والحوادث وحنين
ونفت والانفاء والاخلاص والخلاص والاثبات ب وجناء الوف صيغة مبالغة من الالف
متعلق بتطوى وكان القياس بها لكن اظهر لافادة وصفها بهذا الوصف الممدوح البطحاء
ذهنا وهى مكة وتوابعها واصل الابطح والبطحا مسيل متسع فيه دقاق الحصا وهذا وما بعده اشارة الى شدة
على لسان حالها مبالغة فى انه بعد تلك الاوصاف لو كان لراحلته ادراك لكانت مثله فيما اشاهد من حاله
يجفلها اى يزعجها ويقلقها النيل اى ارض مصر من الاقامة بها مع انها وطنها ومرباها
لشدة شوقها الى التحلى بتلك الانوار والتعرض لرضاب تلك الاثار وبين الالف والاجفال جناس الطباق
والحال انه قد شفف اى شرب رطوبة جوفها او النخل جوفها الاظماء اى شدة
العطش فى طريقها فهى راجية لهذه المشقة الموجبة الى التكلف فى جنب ما تلقه فى تلك الحضرة من مزايا الانعام
وخفايا التحف ولاجل ذلك انكرت مصر لانها لا تنال فيها من تلك المواهب العلية معشار
ما تلقه فى تلك الحضرة الاحمدية والساحة المصطفوية فبسبب هذا الانكار المسبب عن ذلك الاصل
هى تنفر بكسر الفاء وضمها اى تجفل الهرب من مصر الى تلك الحضرات ما مصدرية ظرفية لاح
اى ظهر من ارض مصر بناء لعينها او خلاء اى فضاء ولا ينافى هذا قوله بالوف
البطحاء لانها انما تقطعها حتى تصل الى مطلوبها فعند توجهها اليه تجد فى السير وتنفر الى جهة
سواه لاح لها فى غير تلك الجهة بناء او فضاء ومن الاستحالة بالحشيش الرطب يوجب بنظر اذكره انها
تجد فى السير الى جهة مطلوبها وان ظهر لها فى غيرها قوتها الذى هو الحشيش الرطب وهذا فيه من زيادة

المبالغة

المبالغة ما لا يخفى عظيم وقعه لكن يبعده مقابلته بالبناء بخلاف ما ذكرته وقيل المراد به ما بين ابنية
مصر وهو اقرب انتهى وهو غاية البعد كما لا يخفى فافضت من الفيض وهو الماء العذب السائل
على مبارك ما بركتها بير اول محل يلى طريق الحجاز يجتمع الحجاج فيه لتاهب سفرهم ولذلك
كان مجمعا عظيما يجلب اليه كل ما يحتاجه الحجاج سميت بذلك لان ماء النيل ياتى اليها فيمكث فيها زمنا
طويلا وكانت فضاء صرفا فعمر فيها القطب الربانى البرهانى المتولى قدس سره من نحو سبعين سنة جامعا
وجعل فيه فقراء يقرؤن القرآن فعادت بركته عليهم حتى ذكر بعض صالحيهم ممن ادركناه يوما بالجامع
الاظهر انه اشتهى زيارته بالعجم وهو غمه فاستاذن الشيخ فى السفر لذلك فلم ياذن له فدخل الى خلوته و
يقرؤن القرآن على بابها فرأى نفسه ببلده عند امه فسلم عليها واقام عندها اربعة اشهر بعدتها بالايام
والليالى ثم اشتاق الى الشيخ فرأى نفسه فى خلوته فخرج فرأى القراء قد قرؤا فى تلك المدة نحو ربع القرآن
وهذا من بعض كرامات الاولياء ان الله يطوى لهم الارض وينفسح لهم فى الزمن وقد وقع لهم من نظائر ذلك
ما لا يحصى وانكار اتساع الزمن القليل دون طى الامكنة تحكم لان كليهما من جنس الكرامة فاذا جاز احدهما
جاز الآخر فتامله ثم بنى الشيخ ثم بنى الناس من حول ذلك الجامع ابنية وبساتين لا زالت تتسع بركته
حتى صارت الآن قرية كبيرة فافاضت البركة على مبارك تلك الناقة من الماء العذب ما اروتها به كما هو
من معه فبعد البركة منازل الحجاج فى هذه الطريق اكثرها مشهور لغالب الحجاج فلا حاجة لنا الى
بيانها وهى البويب وانما حلت النظم على هذا لايهام ان افضت عام فى الكل وهو غير مراد ان اريد
ما ذكرناه فان اريد به انه من الفضاء اى فانتشت على مبارك الها الناقة بركتها المزيد سعتها صح عطف ما بعد
عليه من غير حاجة الى التاويل الذى ذكرته ويجيب عن الشارح حيث حله على المعنى الاول ولم ينبه على عطف ما بعد
عليه الذى لا يصح الا بعناية ما ذكرته لان تلك المنازل اكثرها قفر معطش لا ماء فيه اصلا فالخضراء
وهى قرية قريبة من المحل المسمى الان بعجرود وفيه بئر ماء مر تسهل ويجانبها بركة عملت من بيت المال بعد احتياج

الحجاج اليها وكان ذلك من اصله حذف بعد الناظم وانما قلت من اصله لان بركته معلومة الحدوث في اوائل هذا القرن فالقباب التي تليها اي المنازل السابقة اي الوادي المسمى بوادي القباب اي من جبل الرمل المشبه لارتفاعها وبياضها بالقباب البيض الحسية فبئر النخل وبجانبها بركة تملأ من بئر الماء ايضا ماؤها احسن من الذي قبلها بكثير ولذا قال والركب قائلون عندها اي ساكنون وقت القيلولة رواء من الماء بكسر الراء جمع ريان او ريا وغدت ايلة اي عقبتها و حقل محل بعدها قريب منها تسميها العامة مدة حقل وقر ليس هذا الاسم مشهورا عند الناس اليوم خلفها اي الناقة لكونها جاوزتها فالمغارة اي المنسوبة الى شعيب النبي على نبينا وعليه الصلوة والسلام الفيحاء اي الواسعة فعيون الاقصاب سميت بذلك لكثرة ما فيها من القصب الفارسي يتبعها النبك هذا ايضا ليس بمشهور وفي القاموس النبك بالنون فالموحدة بلد بين حمص ودمشق ويتلو النبك كفافة وبها قبر ولي يسمى مزروقا شهير البركة وله ذرية كثيرون مشهورون بالصلاح وللحجاج فيه اعتقاد وتعظيم خارج من الحد العوجاء اي المنحرفة من جادة الطريق وجعل الش كفافة مفعول يتلو والعوجاء فاعله فعليهما يكون متغايران وفيه نظر لانه ليس ثم محل يعرف بالعوجاء اصلا فالموافق للخارج ما ذكرته جاوزتها اي جاوزت الناقة الحوراء فيما بعده شوقا فانها اي الناقة مشتاقة له ومساكنة اليه ما اثبات الشوق للجمادات عن منكر لقوله تعالى لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم ولا مانع لحمله على التسبيح بلسان الحال اذ لو كان مراده لم يقل ولكن الى اخره احد جبل بجنبها وتجنه فينبوع حاورتها شوقا ايضا وهي بلدة معروفة من جملة الحجاز الذي هو مكة والمدينة والجامة و قراها فقد ذكروا ان ينبوع منه مرحلة من المدينة فبسبب مجاورتها لها رق الينبوع

والحوراء المذكور لسماعهما ما يتعلق بالزيارة ومشاهدتهما الزائرين لاح اي ظهر بالدهنوين اي منهما تثنية دهنا اما الكوفة غلب اسمها وهو الدهنا محل قبيل بدر على مجاذ منها او ان ثم محلين كل يسمى بالدهنا بدر وهي الان قرية عامرة بها عين كبيرة ونخيل وهي محل الوقعة المشهورة التي اعز الله بها الاسلام مشهور يزار ويتبرك بمن دفن به من الشهداء رضي الله عنهم وفي بدر قرية مرتفعة بلاح المناسب للمعنى الغير المراد وبقرب ارتها باقية من اباتة صلى الله عليه وسلم وهي سماع صوت هائل كصوت طبل الحرب في الجو اشتهر على الالسنة ان هذا لاجل نصرته صلى الله عليه وسلم والفرح بها وقد انكره قوم فقالوا لا حقيقة له وانما هي اصوات الريح تسمع في ذلك الوادي عند قوة هبوبها لان في اوله جبلين عظيمين من الرمل فاذا مشى الانسان بينهما وقوي عصف الريح سمع ذلك الصوت انتهى وقال اخرون من ائمة المتاخرين بل له حقيقة لانا ذهبنا الى ذلك المحل واقمنا به صلى الله حتى سمعناه والحق ساكن لا ريح البتة وتكرر سماعنا له المرة بعد المرة انتهى وقوله وقع لي ايضا سماعه مرات متعددة حيث لا ريح و حركة ولا شاة ثم ولقد كنت في بعضها مرافقا لجمع من وجوه مكة مدرسا آثارها وعلمائها من المالكية والحنفية فجرى الكلام بينهم في ذلك فمنهم من انكره ومنهم من اثبته ثم وقع الاتفاق على الذهاب لذلك المحل والرقي الى اعلى احد الجبلين ليحقق ما سبب ذلك الصوت فذهبنا واقمنا عليه نحو ربع النهار ونحن لا نسمع شيئا وقد هدأ الريح ولا احد ثم عزمنا ولبس الرحيل متاهبا في اخر الامر سمعنا ذلك الصوت الهائل مرة واحدة فقط فانتشر فيه من المنكرين من رجع ومنهم من اصر على انكاره ولقد جاورنا فقيه ساكن يؤذن ويؤم بمسجد بالبلد فقيل فحلف انهم ليلة الاثنين والجمعة يسمعون ذلك من اول الليل الى اخره وفي غيرهما لا يسمعون الا احيانا والله اعلم بحقيقة ذلك لها اي للناقة بعد وفي نسخة قبل لاح لها من ارض حنين يقال انه جبل صغير قريب بيده والظاهر ان الناظم اهمل هذا على ما هو المشهور في السنة العامة اذ لم يذكر في القاموس غير حنين المذكور في الاية الذي هو بين مكة

والطائف فظاهر قول الش ان نسخة قبلا وضح لان حنين بعد بدر لما ذكره الناظم مستند لكن هذا يكفي مع كون القاموس الجامع المستوعب لم يذكر الاكام وحنت لتلك الناقة وادي في الصفراء قرية معروفة منحرفة عن طريق اهل مصر لانه يمرون عليها الا عند ذهابهم للزيارة ونضت اي خلعت بزدة اي جنبها المشهور واسناد ذلك اليه والى ما بعده مجازي ورابغ فالجحفة محل بعيد رابغ كانت بلدة مشهورة لليهود فدعا صلى الله عليه وسلم ربه ان ينقل حمى المدينة اليها فكان الطير يمر بها احد حتى انفلكوا الان وهي ميقات الحجاج المتوجهين من هذه الطريق كما صرح به الخبر عنها اي عن تلك الناقة لما انها استبشرت بقطعها لتلك الاماكن ما اي ثوب التعب الذي حاكه اي نسجه الانضاء اي الهزال الشبه الهزال بحائك الثوب والثوب بالهزال من حيث ان الهزال يوجب للبدن من التعب ما يعمه ويستر قوته كما يستر الثوب البدن ثم خيل له باثبات ما هو من لوازم استعارة المشبه به وهي الحياكة ورشح له بذكر الخلع فهي استعارة بالكناية تبعها استعارة تخييلية وترشيحية وادركتها اي ادركت تلك الناقة الخلاص من التعب بئر فاعل علي وهي اخر الجحب الذي يعبد رابغ الى مكة فعقاب السويق بعدها بقليل فالخلصاء اي المحل المشهور الان بخليص عين واسعة وبركة كبيرة فهي اي تلك الناقة من ماء بئر عسفان المشهور او من لمدعين بطن مر ظمانة اي العطشانة خمصاء اي جوعانة لان العادة ان الحجيج اذا وصلوا الى عسفان اشتد شوقهم فاشتغلوا من سقي دوابهم واطعامها الا ان يدخلوا مكة قرب الزاهر المشهور قبيل ذي طوى المساجد المعروفة بمساجد عائشة بالتنعيم منها اي الناقة اي وان حصولها للرحلة جعل الزاهر قريبا منها لان المسافة بينهما نحو ميلين بخطاها اي بسبب شدة جريها لما احست بالوصول فالبطوء الحاصل منها وحاء بمهملة قبلها واو مفتوحة اي سرعة وكان مراده انها لما احست بالوصول انقلب بطوؤها سرعة بمعنى ان بطأها

زال وخلفته سرعة شديدة هذه اي المذكورات عدة غالب المنازل بين مصر ومكة التي عليها المعول لان بها يعلم طريق الوصول الى تلك المعاهد ويتضح سلوك الواقد ويشط ببيانها القاصد لا ما اي منازل القمر الثمانية والعشرين التي عد فيه ذكره نظرا للفظها السماك الاعزل الذي هو من منازل القمر ولهم سماك اخر يسمى السماك الرامح لكنه ليس من المنازل و العواء منزلة من منازل القمر وهي خمسة انجم فلا يشتغل بهذه كالاعتداد بتلك فكاني بها اي على تلك الناقة ارحل من مكة الى عرفة لان الحج عرفة كما صح به الخبر الحج عرفة ولانها باب الملك الذي يقف به السائلون ويلوذ به المحتاجون ثم الى مزدلفة للمبيت بها لان ذلك واجب او مندوب الا لمن كان كالوقوف اول الاصح عندنا الاول وان فيها مقام الحج الاكبر وهي مزدلفة سميت جمعا وفي حديث في سنده ضعيف انه صلى الله عليه وسلم دعا ربه بعرفة ان يغفر لامته بالحج حتى التبعات فلم يستجب له فدعا بذلك في مزدلفة فاستجاب له ثم الى منى للرمي والمبيت بها الى بقية المشاعر التي حول مكة فيها شمسا اي حال كون تلك الناقة كالشمس في ارتفاعها بارتفاع ما هي قاصدته وقوة سيرها لما عندها من عظيم الشوق فتشبيهها بالشمس استعارة بالكناية واثبات الشمس لها تخييل وذكر الرحيل والبيداء تجريد لملائمتها للمشبه التي هي الناقة سماؤها اي تلك الناقة المشبهة بالشمس كالتقرير البيداء اي المفازة الواسعة تشبيه بليغ شبه الناقة بالشمس لما في شبه البيداء التي هي محل سيرها بالسماء التي هي محل سير الشمس بجامع السعة ولما ذكر مكة استطرد لذكر ما شرفها الله تعالى به على سائر البلاد فقال موضع اي الكعبة بالتجديد مرفوعة بدل بعض من كل او بالرفع خبر هي محذوف وعليه فمعنى كونها موضعا انه في بعضها وفيه اقتباس من قوله تعالى ان اول بيت الاية مهبط الوحي نعت او بدل بعد بدل او معطوف بحذف العاطف على ما فيه من الضعف والشذوذ وكذا يقال فيما بعده اي محل نزوله على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث عشرة سنة والوحي لغة الاشارة وكل كلام خفي وشرعا الملجاء به النبي

صلى الله عليه وسلم المبعوث من ربه على لسان الملك او بالالهام او في النوم او الالقاء في الروع **مأوى**
اي منزل ومكان الى منزله **الرسل** الكرام بل وسائر الانبياء ومن تعريف النبي صلى الله عليه وسلم
اول الكتاب لانه ما من نبي الا حج البيت كما في الحديث واستثناء صالح وهود لاشتغالهما بامر قومهما لم
حيث ظرف مكان مبني كالذي بعده بدل مما قبله **الانوار** الالهية منزلة ثم وقدرت بهذا لان
الاصح منع اضافة حيث الى المفرد اي بيتها دائما على قلوب الطائفين ثم العاكفين والركع السجود
حيث اي الحسن المعنوي المكني به عن حصول ملائم النفس من الحكم والمعارف للمفاضة على
هذه الحضرة الالهية والمقاصد الربانية تحقق الله لنا ذلك فيها بمنه وكرمه امين وراعي النظر بذكر
الوجوه والرسل والانوار والبهاء وكذا الطواف وما بعده فيما يأتي **حيث فرض الطواف**
في حج او عمرة واما خارجهما فهو حيث لم ينظر سنة مؤكدة ورد في فضائل جمة تحمل من احاط بها على
مزيد الاكثار منه بل قال بعض ائمتنا انه للغرباء افضل من الصلوة لانه عبادة خاصة بهذا المحل
لا يوجد في غيره واختلفوا في ايما افضل اركان الحج هو او الوقوف بعرفة فقال جمع هو لانه المحوي
فيشترط فيه شروطها بخلاف الوقوف فانه امر عادي لا يشترط فيه شيء ولذا لم يقبل الصرف وقال الاخرون
بل الوقوف للحديث الصحيح الحج عرفة اي معظمه ذلك لان من ادركها ادركه بخلاف الطواف ولانه المتكفل
بمغفرة الذنوب وقضاء المارب كما في الحديث الصحيح وبانه يشترط وقوعه حال الاحرام المشعر بغاية الذل
والافتقار بخلاف بقية الاركان وهذا اصح كما حررناه في كتبنا الفقهية **و حيث السعي**
اي فرضه في احدهما ايضا بناء على انه ركن لا واجب كما هو مذهب الشافعي رحمه الله منه **و**
حيث **الحلق** والتقصير في احدهما ايضا اي فرضه بناء على الاصح عندنا انه ركن **و**
حيث **رمي الجمار** اي ايجابه لا على جهة الركنية **و حيث الاهداء** اي سوق الهدي
الى مكة ثم ذبحه بها وتفرقته على ثلثة من مساكينها المقيمين والغرباء والاولون اولى لان بمكة

العزباء

الغرباء احوج والمراد بمكة كل الحرم وهذا محله ان نذر ذلك لان المعروف من مذهبنا الذي هو مذهب
الناظم ان اصل الاهداء سنة ولو لغير الحاج ومن ثمه كان صلى الله عليه وسلم يرسله اليها من المدينة وهو
مقيم بها لا واجب وهذه السنة كانت في زمن السلف من مشاهير السنن ثم تناساها الناس و
اعرضوا عنها بالكلية ويصح ان يريد بالاهداء كل دم وجب في النسك وتوابعه اثم بسببه كالحلق تعدى
ام لا كالتمتع وموضع تفاصيل ذلك كله كتب الفقه والمناسك وذكره الفرضية في الطواف فقط يوهم
انه فرض دائما فلا يتنفل به وان ما بعده ليس بفرض مع انه منه ما هو ركن ولا يتصور ندبه ولا وجوبه في
النسك وهو السعي والحلق وما هو واجب لا ركن وهو الرمي وما هو واجب تارة وهو ما حصل الترفه
او جناية ومندوب اخرى وهو ما فعل تطوعا اي من غير سبب وكان الناظم وكل امر هذا التفصيل للشهرة
وانه ليس بصدد بيان ذلك **حبذا حبذا** تأكيد لفظي وهو شائع ههنا ومر اول الكتاب
الكلام على حبذا بما ينبغي مراجعته **معاهد** جمع معهد وهو في الاصل المنزل الذي يعود اليه
مفارقوه دائما وهذه الملح كذلك لان من فارقها فهو عاكف اليها بالفعل تارة وبالعزم اخرى
منها اي مكة امتازت على بقيتها كالكعبة ومسجدها ودار خديجة والصفا والمروة ومحل ولادته
صلى الله عليه وسلم وغير ذلك من المواضع المأثورة بها وبالحرم كمنى ومزدلفة بل وخارجه كعرفة
لم يغير اياتهن اي علاماتهن الدالة على شرفهن من تعظيم الائمة لهن وازدحامهم
على التبرك بزيارتهن والقيام بحقوقهن **البلاء** بفتح الباء اي طول المدة الذي من شأنه
ان يغير الاشياء عما هي عليه وذلك لان الله تعالى صانها من التغيير لحرمتها لديه وفضلها عنده
وليستمر لهذه الامة على التمتع بها الى اخر الدهر **حرم محرم** بحرمة الله تعالى من يوم خلق السموات
والارض كما في الحديث الصحيح وحديث ان ابراهيم حرم مكة المراد به انه اظهر حرمتها التي كانت خفيت
على الناس فلا تعارض بين الحديثين وهذا بدل من موضع البيت بدل كل من بعض على حد

جنات عدن في مريم بناء على اثبات ذلك البدل كما هو رأي قوم قالوا به ولم ينظروا لانكار الجمهور له
والملين شنع الاستدلال بالاية نظرا الى ان ال في الجنة للجنس فيصدق بالجميع ايضا قال بعض محققي
منه الكل وللعهد الخارجي لانه الخارج حتى يكون معهودا او الذهني لان مدخول اللام ح بمنزلة
النكرة وهي موضوعة للمفرد وكان وجه علم نظر مثبت ذلك البدل لما ذكر من وجوه المنع انه نظر الى ان
جنة عدن علم على الجنات الثمانية الموجودة الان والجنة حيث اطلقت انما يتبادر منها واحدة من تلك
الثمانية فصح ادعاء انه بدل البعض بهذا الاعتبار والمجوزون انه بدل كل من كل نظر الى جنات عدن علم
كما تقرر وموضوعه شخصي فيكون ابدال علم من نكرة وذلك اقرب الى كونه بدل كل من كل فقد يجاب عنه
بان هذا المدلول الشخصي اكثر في الخارج من مدلول النكرة الذي هو الفرد المنتشر وذلك اقرب الى كونه بدل
كل من بعض منه الى كونه بدل كل من كل وبهذا الذي قررته فما يكفي مثله في اثبات ذلك الرأي المخالف لرأي
الجمهور يندفع ما اطال به السيد من التشنيع على من اثبته كيف وقائله لا يبعد توجيه كلامه بنحو ما
ذكرته وكلما قرب مأخذه بل لو احتمل لا تشنيع على قائله ويجوز فيه العطف نظرا من وانه خبر مبتداء
وحدوده معروفة في كتب الائمة وعند اهل تلك الاماكن من اكثر نواحيه **امن** اي يأمن من فيه
من شر الغارات واستباحة المحرمات بل كان الانسان يرى قاتل ابيه فيه فلا يتعرض له ولما دخله
الطوفان لم تحد فيه دابة على دابة وكان رجل من قوم ابرهة فيه فلم يصبه من رمي الابابيل شيء
حتى خرج منه هذا في الجاهلية واما بعد بعثته صلى الله عليه وسلم فالمراد امن صيده وشجره ونباته
وكذا لقطته وترابه من ان يتعرض احد اليها بقتل او قطع او قلع او تملك او نقل الا ما استثنى وهذا
مقتبس من قوله تعالى حرما امنا وفيه كبيت حرام الاتي نوع تلميح **وبيت حرام** اي ذو
حرمة باهرة وعزة قاهرة وهذا اقتباس من قوله تعالى جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس **و**
مقام بفتح الميم مقتبس من قوله تعالى ايات بينات مقام ابراهيم وهو الحجر الذي نزل لابراهيم

الخليل

الخليل صلى الله عليه وسلم من الجنة كما صح به الحديث ليقوم عليه عند بنائه الكعبة اذ طال البناء فكان يعلو به
الى ان يضع الحجر محله ثم يقصر الى ان يتناول الحجر من اسمعيل عليه السلام وقيل انه قدمه الكريمين
وهو الذي نادى عليه لما فرغ من بناء الكعبة ايها الناس ان الله بنى لكم بيتا فحجوا اليه فسمعته النطف
في الاصلاب والاجنة في الارحام فاجابوه بلبيك وفي رواية انه نادى بذلك على الحجون وثنا في الجبال
انه نادى مرتين قال الائمة وبقاؤه من غير ان يتعرض له احد في الجاهلية ومع كثرة السيول التي كانت
تدخل الحرم وتزحزح ما هو اكبر منه باضعاف مضاعفة من ايات الله الباهرة واختلفوا في موضعه الموجود
فيه اليوم هل هو الذي كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم او انما كان عند باب الكعبة فرده عمر بن الخطاب
رضي الله عنه الى موضعه اليوم اجتهادا منه قولان اصحهما الاول ومن الغرائب ما قيل ان المراد الحجر الذي
وضع الخليل عليه رجليه لما جاء بعد موت هاجر عليها السلام ليزور اسمعيل فرآه غائبا فسأل زوجته
فشكت فقال عليه السلام مري زوجك فليغير عتبة بابه فجاء فاخبرته فطلقها ثم جاء فقد تزوج
اخرى فوجده غائبا ايضا فسألها عن حالهم فاثنت ثم امرته بالنزول ليطعم فابى فوضعت له حجرا
ليغتسل عليه فوضع قدمه عليه ومال لها برأسه فغسلت فلما فيه ثم حولته فغسلت الاخرى فيه ثم
قال لها مري زوجك فليلزم عتبة بابه **فيه** اي في البيت او الحرم ولا يصح عوده للمقام نظرا ومن
دخله كان امنا **المقام** بضم الميم وجوز بعضهم فتحها اي الاقامة **قلاء** بفتح القاف الفوقية
اي جعله المحل نزوله الرحمات واقالة العثرات ولا يصح عوده للمقام وكان اخذ هذا من ان اهل مكة
يسمون جيران الله اي بيته وحرمه والعجب من الشارح حيث لم يبين معنى هذه اللفظة مع خفائها
واشتراكها بين معان كثيرة كما في القاموس لا يناسب منها هنا الا هذا وبين حرم وحرام جناس الاشتقاق
كهو او شبهه بين مقام والمقام وما يأتي من قطنينا والقطنا ورمينا ورماء ولثم وشمت وشممت و
قباب وقباء ورجفتها والرجفاء وحطنا ومحطنا وقرانا والاقراء وسعينا ويسعى وذهلنا

واذهل فقضينا اى ادينا اذ القضاء يطلق على الاداء لغة كما فى قضيت الدين بها
اى بمكة وبما ينسب اليها كعرفة ومزدلفة ومنى مناسك جمع منسك من النسك وهو العبادة اى
اركان الحج والعمرة وواجباتهما وسننهما لا يحمد الا فى فعلهن
اى لا يحمد الاداء حمدا مخصوصا فى فعل العبادة الا فى فعلهن كيف وقد تميزت بين الحج المتكفل
بالجنة من غير عمل آخر وبخروج فاعله من الذنوب كيوم ولدته امه وبكونه اشعث واغبر ويمنعه من الرفاهة
الحسية والمعنوية وبفراقه لاهله ووطنه وبتكفير تبعاته على ما فيه من الخلاف وبكونه لا يضع قدما او
يرفعها الا كتب له من الثواب ما لا يحيط به الا المتفضل به وبقولى مخصوصا يندفع ما يورد على النظم ان
غير الحج الافضل منه والمساوى له والمفضول عنه يحمد فاعله ايضا تنبيه ما قررت به قوله
فقضينا والقضاء يندفع ما للشارح هنا من جملة قوله او يفسر القضاء آخر البيت بالفعل فى تعين ضد
اثر الفراغ او ضد الاداء ففسر القضاء بما ليس معناه لغة ولا شرعا وبما لا يتصور فى الحج وهو قوله او
الاداء على ان استعمال القضاء بمعنى الاداء اشهر من الشمس لغة وشرعا وقد حضر بعض المتأخرين ان
القضاء لا يتصور فى الحج لانه ما فعل خارج وقته والحج وقته العمر وتضييقه لخوف نحو عضب او مال
او فوت لا يقتضى انه لو بان الامر على خلاف ظنه يكون قضاء فما بعد ذلك الوقت الا على الوجه الضعيف
فى نظيره فى صلوة يضيق عليه فعلها فى الوقت ثم بان خلاف ما ظنه انها تسمى قضاء وان فعلت فى الوقت
وليس كذلك بل المعتمد خلافا للكثيرين انها اداء كما اتفق عليه الاصوليون ان القضاء ما يفعل خارج
الوقت المقدر له شرعا تنبيه ثان لا يتوهم ان ما وقع فى النظم من تقديم المستثنى المختلف فيه
لان محل ما قاله الجمهور من منع تقديمه انما هو ان كان اول الكلام نحو الا زيدا قام القوم وجوزه الكوفيون
فان تقدم على المستثنى منه وعامله فقط ففيه مذاهب والذى عليه الاخفش وصحح ابو حيان جوازه
ان كان العامل متصرفا فقط نحو الا كل شىء ما خلا الله باطل فالاستثناء من ضمير باطل العامل
فى ذلك

فى ذلك الضمير وما هنا لا تقدم فيه على المستثنى منه لانه مقدر كما قدرته ولا على عامله وانما هو على حد اذا
لم يكن الا النبيون شافع وحكى سيبويه مالى الا ابوك احد قال فيجعلون احدا بدلا والا ابوك مبدلا منه
قال ابن عصفور ولا يقاس على هذه اللغة وقد قاسه الكوفيون والبغداديون وابن مالك وعليه فلا
اعتراض على المتن ورمينا بها اى الناقة الفجاج جمع فج وهو الطريق اى القيناها
فيها لنسير بها الى طيبة هى المدينة على مشرفها افضل الصلوة والسلام سميت بذلك لان الله
تعالى طيبها لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فجعلها دار هجرته ومحل تربته وموضع تربته ولها اسماء اخر
كثيرة جدا والسير بالمطايا جمع مطية وهى الدابة التى تمطو اى تجد فى سيرها دارماء
مسلم رامية اى تشبه سير السهم اذا رمى به فبسبب ان سيرها يشبه سير السهم اشبهت القوس حتى
المبناعن قوسها غرض القرب الى المدينة المشبهة بالغرض فى كونه المقصود بالرمى
اما السير فتشبيه الناقة بالسهم استعارة بالكناية واثبات الرمى لها استعارة تخييلية وذكر القوس والغرض
ترشيح ويصح كونها شبهت بالقوس فهى استعارة بالكناية ايضا واثبات القوس لها تخييل وذكر السهم
والاصابة والغرض ترشيح ونعم الخبيئة اى الذخيرة الناقة الكوماء اى
المخصوصة بالمدح وهو خبر مبتدا محذوف او عكسه فقول الشارح ان صفة الخبيئة ليس فى محله وهى
اى الكوماء العظيمة السنام فرأينا اى ابصرنا المدينة وما حولها التى شرفها الله تعالى بان جعلها
ارض الحبيب اى حبيب رب العالمين فتميز صلى الله عليه وسلم بمقام المحبة الذى هو اجل
او اعلى من مقام الخلة لان المحبة الكاملة تستدعى الخلة وزيادة اى ارض المدينة وما حولها يغض
اى يخفض الطرف مفعول يغض منها اى من اجل الجلالة التى حفتها الضياء
المشرق عليها حسا ومعنى والالاء لاء اى البرق اللامع على صفحاتها المشار بها الى هو
الحق المفاضة على الزائرين وفى الضياء والالاء مراعاة النظير فكان بالتشديد وقد تخفف

كان لم يعد عنا الى خير سنة للتشبيه المؤكد لان الاكثر انه مركب من كاف التشبيه وان المؤكدة
فالاصل نحو كان زيدا اسد ان زيدا كاسد قدم حرف التشبيه اهتماما به ففتحت ان لدخول حرف الجر
عليها قال بعضهم وانما تستعمل حيث يقوى الشبه حتى يكاد الرائى يشك فى ان المشبه هو المشبه به او غيره
ولذلك قالت بلقيس كانه هو قيل وترد للظن والشك فيما اذا كان خبرها غير جامد البيداء
من تلك الارض وهو اسم لمحل قريب من ذى الحليفة المسمى اليوم بابيار على من للتعليل او
ابتداء الغاية وكل منهما خفى فالاحسن انها زائدة على مذهب الاخفش وجماعة حيث ما [illegible]
قابلت العين الناظرة اليها روضة غناء اى كثيرة العشب والنبات
والازهار والثمار وكان البقاع اى الاماكن التى حول المدينة المنورة لكثرة ما نشأ
من الانوار والاضواء المنزلة على ضريحه المكرم صلى الله عليه وسلم زررت عليها اى البقاع
طرفيها عائد لقوله ملاءة بضم اوله وهو ثوب عريض او ثوبان ملفوفان كذا
قيل وعبارة شرح بعض الشمائل الترمذى الملاءة بالضم والمد وهى كما فى القاموس كل ثوب لم يضم بعضه الى بعض
بخيط بل كله نسج واحد وفى النهاية هى الازار وفى الصحاح هى الملحفة ولا ينافى لصدقها على التعريف الاول
بكل من هذين انتهت وبه يعلم ان الثوبين الملفوفين ملاءتان لا ملاءة واحدة حمراء اشبهت
تلك الانوار والاضواء التى غشيت تلك البقاع وعمتها من سائر جهاتها بحمرة حمراء شددت على ما فيها
ازدان بها فى ارجائها من سائر جهاتها وكان الارجاء اى نواحى المدينة الغراء ينشر
اى تذيع نشر اى ريح المسك فيها اى فى تلك الارجاء الجنوب هى
الريح التى تقابل الشمال والجربياء بكسر الجيم ككيمياء وهى كما فى القاموس الشمال او بردها
او الريح بين الجنوب والصبا وهى التى تنشر السحاب وهى المرادة هنا فاذا شممت او
شممت رباها لاح منها برق وفاح كباء بكسر
الشين

الشين المعجمة اى نظرت الى سحاب البرق التى تمطر فى تلك البقاع او شممت فى القاموس شممت بالكسر
اشمه بالفتح وشممته اشمه بالضم رباها جمع ربوة بتثليث الراء وهى ما ارتفع من الارض لاح
اى ظهر وهو راجع لشممت منها اى من تلك البقاع برق راجع للاول وفاح راجع
لشممت ففيه لف ونشر مرتب كباء بوزن كساء عود البخور او ضرب منه اى [illegible]
بالتشديد ثوبه اى بخره وبين لاح وفاح جناس مضارع اى نور اى نور باهر واى
نور بفتح اوله اى زهر نضر وبينهما الجناس المحرف ومنه حديث اللهم كما حسنت خلقى فحسن خلقى
شهدنا بها اى رأيناها بابصارنا وبصائرنا يوم ظرف لشهدنا ابدت
لنا القباب التى هناك قباء محل مشهور بينه وبين المدينة نحو ثلثة اميال قرى منها
دمعى اى كثر وانهمل منها من اجل ما شهدته حسرة على ما مضى لى من فراقها او فرحا بوصولى
اليها او خوفا من التقصير بعدم رعاية الادب فى تلك الحضرة الجليلة وفر اى ذهب اصطبارى
لا سيما بعد ان وصلت الى هذه الربا واخطب على قبا وبين قر وفر الجناس المصحف فدموعى
يسيل او صبرى جفا بضم الجيم اى زبد فكما ان السيل يذهب بذلك الزبد فى اسرع وقت
فكذلك دموعى تذهب صبرى فلا يبقى عندى منه شىء وهذا من جناس التذييل كقوله الاتى وكم
اذهل صبا الى آخره وفيه لف ونشر مرتب فبسبب اذكار ما شوهد يوجب كثرة الدمع وفناء
الصبر فترى ايها المخاطب الركب طائرين اى جادين فى السير حاثين لمطاياهم على
ما اقصى ما يمكنها من الاسراع من اجل الشوق الى طيبة فكيف بمشرفها عليه افضل الصلوة
والسلام لهم ضوضاء اى اصوات عالية بالصلوة والسلام عليه صلى الله عليه وسلم وعبارة
القاموس الضوضى مقصورة الجلبة واصوات الناس لغة فى المهموزة انتهت وبها يعلم رد ما قاله الشارح
فكان عطف على فترى الزوار ما مست الباساء اى شدة السير ومشقته

منهم خلقا ولا الضرآء تاكيد لما قبله وكيف يمسهم شئ منه ذلك وكل نفس
منهم بتكرر منها ابتهال اى تضرع الى الله تعالى فى ان يقبل عثارها ويقبل اثارها
وسؤل اى توسل الى الله تعالى باحب خلقه اليه ودعآء اى المناب ورغبة
فيما عند الله تعالى من جزيل الثواب وابتغآء اى طلب لما عند الله تعالى وزفير اى
تواتر النفس وصعوده لشدة ما يعترى القلب من خشية المؤاخذة بما فرط منه وتضييق الشهوة الامارة
النفس للشدة وتارة بجليه فيه قصور عن ذكر نصائحه الذى لا بد منه فى حقه تنطق ابها اللحاظ
منه اى من اجل كثرة ذلك الزفير وشدته بحيث يسمع له صوت فى الصدر ومن ثمة جاء ان
صدره صلى الله عليه وسلم لشدة ما عنده من الخوف كان يسمع له ازيز كازيز المرجل صدورا
مفعول الاول طبق صارخات اى مصوتات يعتادهن زفاء بالزاى والقاف
اى صوت عال والحاصل ان ذلك الزفير من شدته ظهر له فى صدورهم صوت يشبه صوت الطيور
التى يعتادهن التصوت لشدته وعلو صوت وبكآء يعتريه بالعين اى
ملازمة لها مقل اى سيل من الدموع نشاء من حرقة القلب لفراق المحبوب او خشية قطعه
او عن فرحه بلقاء الحبيب المئول فى حضرته ونحيب وهو رفع الصوت بالبكاء يحثه
اى يحصل كويزيد فيه استعلاء اى علو الصوت لشدته وتتابعه بالبكاء وجسوم
كانما رحضتها اى غسلتها ولذا سمى المغتسل مرحاضا من عظيم
المهابة اى العرق الكثير من اثر الحيآء اى جسوم قام بها من عظيم المهابة ما انزعجوا منه حتى سال
عنه كثرة عرقها حتى كانه غسلها ووجوه تتلون بالوان مختلفة لما عندهم من القلق اى اضطراب
والخوف والحيآء منه صلى الله عليه وسلم عند القدوم عليه بوصف التقصير وعدم كمال الاتباع له حتى
كانما البستها من اجل حيآء بالمد ومر تفسيره وانه غريزي كانما اكتسبا
اعلم

اصلى ومكتسب باعتبار كماله الوانها الحرباء دويبة مشهورة ذات الوان متعددة تتلون
الشمس براسها ودموع منشئة البكاء والخوف والحزن على عدم القيام بواجب تلك الحضرة
منه فيها عليه افضل الصلوة والسلام كانما ارسلتها من جفون سحابة
وطفاء اى مسترخية الجوانب لكثرة مائها شبه ما عندهم من الحزن الباعث لهم على غزارة الدمع
وكثرة تتابعه بسحابة مملوة ماء ثم جرى فيه ذكر الجفون مرشح بذكر الوطف وخيل باثبات السحابة المثنية ففيه
ابداع استعارات وفى قوله كل نفس الى هنا من مراعاة النظير والانسجام البديع الذى هو سهولة الالفاظ
وعذوبتها بحيث تشابه الماء العذب الذى من شانه الانسجام او السيلان والرقة والحلاوة مالا يخفى
على ذى ذوق عظيم بلاغته ومن له كثير من هذا النوع بعد ان وصلنا الى ذلك القبر المكرم على ساكنه افضل
الصلوة والسلام على ما بينا تمام شرحه بقوله كل نفس الى هنا حططنا الرحال بفناء كرمه
صلى الله عليه وسلم لنستمطر سحائب القبول والانعام ونستقيل عثرات التقصير والاثام ولو انهم
اذ ظلموا انفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما
حيث اى فى مكان يحط الوزر اى الاثم والثقل عنا فيه بشفاعة
شرفه صلى الله عليه وسلم وترفع عنا بلحظه واسعافه وامداده الحوجاء اى الحاجة
بفناء النفوس وطلوع البدر وشروق الشمس حتى يصل الى العيان ويستغنى عن الاستدلال والبرهان و
بين الحط والرفع طباق وقرآن السلام اكرم اى على اكرم خلق الله
وافضلهم كما مرت ادلته مستوفاة اول هذا الشرح واقتدى الناظم فى هذا بالسلف فان جاء السلام عليه
وسلم عند قبره عن ابن عمر وغيره من السلف بل قال المجد اللغوى السلام عليه صلى الله عليه وسلم عند قبره
افضل من الصلوة عليه وعنده اى للاحاديث الكثيرة فيه كخبر ما من احد يسلم على عند قبرى الا رد الله
على روحى حتى ارد عليه السلام ويعارضه الحديث الصحيح انه تعالى يصلى هو وملائكته على المصلى على

فى الصلوة الواحدة عشرا او فى رواية مائة وصلوة الله افضل من رده صلى الله عليه وسلم وان كان رده دعاء
لا يرد على انه صلى الله عليه وسلم يرد الصلوة عليه كالسلام فالاولى ان توجه افضلية السلام بانه شعار
اللقاء والتحية فيختص افضليته بحالة اللقاء عند كل زيارة اما اذا سلم سلام اللقاء فالصلوة بعده اولى
من استمرار السلام وان كان باقيا فى مقام الزيارة ويدل لذلك ايضا صنيع العلمآء فانهم لما ذكروا
ان الزائر يبدء بالسلام ذكروا انه يختم بالصلوة عليه صلى الله عليه وسلم من حيث اى من مكان
وقوفنا بتلك الحضرة الذى يسمع الاقرآء كالسلام منه وفيه رد العجز على الصدر وما
اقتضاه كلامه من ان زائره صلى الله عليه وسلم اذا صلى وسلم عليه عند قبره يسمعه سماعا حقيقيا ويرد عليه
من غير واسطة وان من صلى او سلم عليه من بعيد لا يسمعه الا بواسطة يدل عليه احاديث كثيرة ذكرتها فى كتابى
در المنضود فى الصلوة والسلام على صاحب المقام المحمود وذكرت منها جملة فى الجوهر المنظم فى زيارة القبر المكرم
منها المجاء عنه صلى الله عليه وسلم بسند جيد وان قيل انه غريب من صلى على عند قبرى سمعته ومن صلى على
من بعيد اعلمته وصح وان نوزع فيه ما من احد يسلم على الا رد الله على روحى حتى ارد عليه السلام وصح
عن نزاع فيه بعد ذلك ان من افضل ايامكم يوم الجمعة فيه خلق ادم وفيه قبض وفيه النفخة وفيه الصعقة
فاكثروا على من الصلوة فيه فان صلاتكم معروضة على قالوا يا رسول الله وكيف تعرض صلوتنا عليك
وقد ارمت اى بليت يعنى بليت قال ان الله عز وجل حرم على الارض ان تاكل اجساد الانبيآء
وفى رواية زيادة فنبى الله حى يرزق وبقيت احاديث اخر متعارضة جمعت بينها فى الكتاب السابق بانه
صلى الله عليه وسلم يبلغ الصلوة والسلام اذا صدرا من بعيد ويسمعهما اذا كانا عند قبره الشريف و
مع سماعه لهما يبلغهما ايضا زيادة فى اكرام الزائر والاعتناء بشانه والاستمداد له بذلك وسر
ليلة الجمعة وغيرها الوارد فهو عام لمن عند قبره ولغيره ولانه صح خصوصيته ان من سلم على قبر اخيه
المؤمن سمعه ورد عليه فلو اختص رده صلى الله عليه وسلم بزائره لم تكن لخصوصيته بذلك وكل
الزائر

الزائر تميز انه صلى الله عليه وسلم يسمع صوته من غير واسطة ويكفى المصلى والمسلم من بعيد وقريب رده
صلى الله عليه وسلم ومعنى رد روحه صلى الله عليه وسلم السابق رد نطقه لانه صلى الله عليه وسلم حى على الدوام
روحه لم تفارقه ابدا وصح ان الانبيآء احيآء فى قبورهم يصلون والاحاديث فى ذلك كثيرة جمعها
الامام البيهقى فى جزء واستدل بها على دوام حيوة الانبيآء عليهم السلام حيوة مخصوصة اعلى واتم من
حيوة الشهدآء المنصوص عليها فى القران وذهلنا اى غبنا من احساسنا او عما علمنا بصدد
عند اللقاء لما استولى علينا من سبحات تلك الجلال ونفحات ذلك الجمال ولا بدع فى هذا الذهول
اذ لم اذهل صبا اى شديد كثير الصبابة التى هى رقة الشوق وغلبة استيلائه من الحبيب اى
المحبوب وهو متعلق بقوله لقاء لان من شانه انه يدهش القلب ويخرس المحب ويغيبه بما عدا
المحبوب والاستلذاذ بشهوده وانسه ووجمنا بفتح الجيم اى سكتنا عن الكلام من اللقاء وبعد
ما دمنا فى تلك الحضرة العلية فلم يبق فينا متسع له من اجل المهابة اى الاجلال والمخافة
حتى اجتمع علينا امران لا يوجد اجتماعهما الا فى نحو هذا المقام وهما الاكلام منا
بما نريد ولا ايمآء منا بوجه الى ما نطلبه وذلك حال من قهره الجلال واستولت عليه
خوارق الاحوال كقول القائل وكم رمت بث الشوق عند لقائها فلما التقينا ما ملكت
ولا حرفا ورجعنا الى بلادنا وللقلوب التفاتات كثيرة جدا بمراعاة المقام
اليه اى نبينا صلى الله عليه وسلم بمعنى انها منجذبة للمثول بين يديه صلى الله عليه وسلم والاستمداد
منه مع ادامة الصلوة والسلام عليه وللجسوم جمع جسم وجسم الشئ جرمه الثانى من الارض
انثنآء اى انعطاف الى البقاء فى حضرته صلى الله عليه وسلم لولا ان تيسر والا فالى زيارته صلى الله عليه وسلم
وسمحنا اى جدنا بما اى بنفيس لا يجود احد بمثله وهو التمتع بتلك الحضرة العلية الذى
نحب دوامه وعدم مفارقته ولكن ضرورتنا الى العود لبلادنا لاجل القيام بمن فيها

الملائم علينا اذ الضرورات تبيح المحظورات وايضا فاننا وان كنا بخلاء بهذا الفراق لنا اسوة با
لبخلاء في ذلك **وَقَدْ** وقع يقينا انه **يَسْمَحُ عِنْدَ الضَّرُورَةِ** التي لا يستطاع معها الترك
الْبُخَلَاءُ بالاموال ونحوها وبين السماح والبخل الطباق ولما تم مقصده بزيارته صلى الله عليه وسلم
المتكفلة بكل خير شرع يناديه صلى الله عليه وسلم بكنيته المختصة به والمناسبة لطلبه منه انه يخصه من تلك
القسمة التي والاها الحق له ويقسم عليه باقسام كثيرة كلها تتضمن ما هو بصدده من تمجيده صلى الله عليه وسلم
والثناء استعطافا له لينظر اليه بما يفوز به في الدنيا والآخرة ويامن به من كل محنة بالمنة وظاهره ومن
ثم خص جواب قسمه بقوله الآتي الامان الامان الخ فقال **يَا أَبَا الْقَاسِمِ** هذه كنيته صلى الله عليه وسلم
التي اختص بها فلا يجوز لاحد التكني بها مطلقا على الاصح عندنا سواء كان في زمنه صلى الله عليه وسلم
او بعده لمن اسمه محمد او غيره لقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح تسموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي
والعبرة كما تقرر في الاصول بعموم اللفظ لا بخصوص السبب كما هنا فان سبب النهي ان اليهود كانوا
ينادون بذلك فيلتفت صلى الله عليه وسلم اليهم فيقولون له لا نعنيك فنهى الناس عن التكني
بذلك ومن ثم اخذ بعض ائمتنا ان المنع خاص بزمن حياته وبعضهم انه خاص بمن اسمه محمد و
تكنية علي كرم الله وجهه ولده محمد بن الحنيفة رضي الله تعالى عنه بذلك باذن منه صلى الله
عليه وسلم ان صح خصوصية له وتكنية غيره بذلك اجتهاد منه ووجه مناسبة اختصاصه بتلك
الكنية به الاعلام بانه صلى الله عليه وسلم هو الخليفة الاعظم من الله تعالى في جميع شئون لا سيما مقام
قسمة الارزاق والعلوم والمعارف والطاعات ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح ايضا
انما انا قاسم والله المعطي ولاجل هذا كان من خصائصه صلى الله عليه وسلم انه اعطي مفاتيح الخزائن
قال بعض العلماء وهي خزائن اجناس العالم ليخرج لهم بقدر ما يطلبون فكل ما ظهر في هذا
العالم فانما يعطيه محمد صلى الله عليه وسلم الذي بيده المفاتيح كما اختص تعالى بمفاتيح الغيب
الكلي

الكلي فلا يعلمها الا هو كذلك اختص صلى الله عليه وسلم باعطائه مفاتيح الخزائن الالهية فلا يخرج منها
شيء الا على يديه وقيل انما كني بذلك لانه كان له ولد من خديجة رضي الله عنها يسمى القاسم **الَّذِي**
ضُمِّنَ من تضمن كذا اشتمل عليه **اِقْسَامِي عَلَيْهِ** بكسر الهمزة بالاقسام الآتية في نيل
مطلوبي منه صلى الله عليه وسلم **مَدَائِحُ** فرقوا بينه وبين الحمد بامور احدها ان الحمد هو الثناء على الجميل
الاختياري والمدح يكون على ما لا اختيار للعبد فيه كالحسن ثانيها ان الحمد انما يكون عن علم بصفة
كمال والمدح يكون عن ظن وبصفة مستحسنة وان كان فيها نقص ثالثها ان في الحمد من التعظيم والفخامة
ما ليس في المدح والحمد اخص بالعقلاء والعظماء واكثر اطلاقا على الله تعالى وقول الكشاف انهما اخوان
اي متشابهان لا مترادفان قال الطيبي وقال السيد بل مترادفان واستدل له بكلام الفائق واشتهر بعض
المحققين للاول بما ليس هذا محل بسطه واكثر العلماء على ان الحمد يختص بالاختياري والمدح اعم
لَهُ وَثَنَاءٌ هو على القول الاخير مرادف للمدح لانه لا يكون الا في الجميل الاختياري وغيره والمدح على
ذلك القول كذلك وبما تقرر انه عليه اكثر العلماء يندفع قول الشارح هذا من مراعاة النظير وعلى ما قيل الا
يكون فيه مراعاة النظير في الجملة وعليه يحمل كلام الشارح اما المدح والحمد فبينهما تقابل او مراعاة النظير او
ترادف **بِالْعُلُومِ** اي اقسم عليك بها التشفع لي بما يؤمنني من كل مكروه وبان يعطيني الله
منه وكذا يقال في الاقسام الآتية فالمراد بها هنا الشفاعة والاستعطاف ليجاب سؤاله ومن ثم
قال بعض اصحابنا في اقسم او اقسمت عليك لتفعلن كذا انه لا يكون يمينا الا ان نواه وجعلها
اول الاقسام لان مرتبة العلم الاعلى منها بل ولا مساوي لها ومن ثم لم يؤمر صلى الله عليه وسلم بالسؤال
للزيادة مما هو عليه الا للعلم وقل رب زدني علما وهو صفة يتجلى بها المذكور لمن قامت به تجليا يمنع
احتمال النقيض **الَّتِي** نزلت **عَلَيْكَ مِنَ اللهِ** حال كونها **بِلَا كَاتِبٍ**
من الكتب هو الجمع وانما الموصل **لَهَا** اليك **اِمْلَاءٌ** اي اقراء من جبريل وهذا الذي

قرينة عليه في اعراب هذا البيت اولى مما سلكه الشارح فتامله وبين القاسم والاقسام جناس مطلق والكتابة
والاملاء طباق **وَ** اقسم عليك بما اوتيته ايضا من **مَسِيرِ الصَّبَا** وهي الريح التي مهبها من مطلع
الشمس عند استواء الليل والنهار وهي مراد الحسن في قوله اذا جعلت ظهرك الى باب الكعبة والصبا
تقابلك وهي مستقبل باب الكعبة وقول ابراهيم ابن يونس الصبا ما جاء من قبل وجه الكعبة وتطلق على
ما يهب من يمين هذا المطلع الى قريب سهيل ويساره الى قريب القطب الشمالي واخرج ابو الشيخ عن ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما ان ما بين مطلع الشمس والجدي يسمى شمالا وتسميته صبا صح عن جمع
من السلف حيث قال حد الصبا من مطلع الشمس الى بنات النعش وفي القاموس الشمال الريح
التي تهب من قبل الحجر اي بكسر الحاء ثم قال والصحيح انه ما مهبه بين مطلع الشمس وبنات نعش او من مطلع
الشمس الى مسقط النسر الطائر وفيه والصبا ريح مهبها من مطلع الثريا الى بنات النعش والدبور ريح
تقابل الصبا والجنوب ريح تخالف الشمال مهبه من مطلع سهيل الى مطلع الثريا ولهذه الريح اثر
بين في نصرته صلى الله عليه وسلم في وقعة الخندق المسماة بالاحزاب كما قال **بِنَصْرِكَ** اي بسببه وهو
الرُّعْبُ الذي قطع قلوب اعدائه واخمد شوكتهم وبدد جموعهم **شَهْرًا** مقتبس من قوله صلى الله عليه وسلم
نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور مع قوله صلى الله عليه وسلم اعطيت خمسا لم يعطهن احد من الانبياء
قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر الحديث ومنهما يعلم ان الصبا كانت تسير بسبب نصره صلى الله عليه وسلم
الرعب اي الخوف منه المزعج لاعدائه مسافة شهر من سائر نواحي المدينة فلم يرفع احد منهم راسا الا
لوامع سيوف نصرته صلى الله عليه وسلم وقد اصف سنة قهره والتحديد بالشهر اشارة الى ان ما
عليه لا يزيد مسافة في جهته صلى الله عليه وسلم على شهر فلا ينافي ان ملك امته يزيد على ذلك بكثير
واحترز به عن غيره من الانبياء عليهم الصلوة والسلام فان رعبهم ان وجد لا يصل الى هذه المسافة
وفي رواية ونصرت على العدو بالرعب ولو كان بيني وبينهم مسافة شهر قال بعضهم والظاهر اختصاصه
به

به مطلقا وانما جعل الغاية شهرا لانه لم يكن بين بلده صلى الله عليه وسلم وبين احد من اعدائه اكثر
من شهر وهذه الخصوصية حاصلة له على الاطلاق حتى لو كان وحده بغير عسكر وهل هي حاصلة لامته
من بعده فيه احتمالات اظهرها كما تقتضيه المشاهدة انهم رزقوا من ذلك حظا وافرا **فَكَانَ**
الصَّبَا لَدَيْكَ رُخَاءٌ وهي الريح اللينة المسخرة لسليمان غدوها شهر ورواحها
شهر لكن معجزة نبينا صلى الله عليه وسلم اظهر واعظم لان تلك سخرت لذات سليمان عليه السلام وهذه
سخرت لصفة من صفات نبينا صلى الله عليه وسلم وهو هيبته عليه السلام وايضا فتلك انما كانت تسير
بامر سليمان لها وهذه تسير بامر ربها من غير نوط امر نبينا صلى الله عليه وسلم فهو من تشبيه الاعلى بالعالي
نظير كما صليت على ابراهيم في التشهد على احد الاجوبة فيه وفي ذكر الرخاء بعد الصبا مراعاة النظير
اصول الرياح اربعة الصبا وهي التي تهب من جهة باب الكعبة وهي حارة يابسة والدبور من ورائها وهي
رطبة والجنوب من جهة يمينها حارة رطبة والشمال من جهة شمالها باردة يابسة ولم يشر اليه بقوله اصول
الى ان لهن فروعا كالنكباء وفسرها بعض السلف بانها بين الصبا والجنوب وقال في القاموس النكباء
فيها وحاصله النكباء ريح انحرفت ووقعت بين ريحين او بين الصبا والشمال ونكب الرياح اربع
الازيب نكباء الصبا والجنوب والصابية وتسمى النكيباء ايضا نكباء الصبا والشمال والجربياء
نكباء الشمال والدبور وهي نتيجة الازيب والهيف نكباء الجنوب والدبور وهي نتيجة النكباء وتفسير كل فيه انما
هو الاصل فلا ينافي ان الاتفاق من اطلاق بعضها على جانب فسرت به هنا وفي القاموس الجنوب ريح
تخالف الشمال مهبه من مطلع سهيل الى مطلع الثريا **تَنْبِيهٌ** ثان روى مسلم ان الشمال ريح
الجنة التي تهب عليهم ويناقضه الحديث الذي اخرجه ابن جرير وابن مردويه وابن ابي الدنيا وابو الشيخ
ريح الجنوب من الجنة وهي من اللواقح وفيها منافع للناس والشمال من النار تخرج فتمر بالجنة
فتصيبها نفحة من الجنة فبردها من ذلك ويجاب بان ما ذكر في الحديث الاخير هو حال الشمال في الدنيا

فجوجها اولا من النار ثم تتكيف بريح الجنة وبردها فحكمة ذلك جمعها للقوة النارية والقوة البردية
لان من شان الاولى كثرة الحركة وشدة الانفلاح والثانية ما يلائم النفس عند ازالة اكدارها فهذا حالها
في الدنيا واما في الحديث الاول هو حالها في الاخرة فاهل الجنة لا يريدون سواها كما يصرح به قوله وهي ريح
الجنة وحديث ريح الجنوب من الجنة غاية امرها انها يدل على ان ريح الجنوب من بعض رياح الجنة
وما دل عليه حديث الشمال من ذكر حالها وما اختصت به في الدنيا والاخرة اعظم مما دل عليه حديث الجنوب
فتامله فان قلت جاء عن ابن عباس ان الجنوب سيد الارياح واسمها عند الله الازيب قلت هو معارض
بما جاء عن قيس بن سعد بن عبادة سيد الخزرج رضي الله عنهما الشمال ملح الارض ولولا الشمال
لا تنبت الارض فهذه فائدة جليلة دنيوية نشات عن حسن وجهها الا من النار خلت عنها الجنوب
فلتكن الشمال افضل او يقال كل منهما افضل من وجه فالجنوب لكونها تخرج اولا من الجنة والشمال
لكونها هي التي تهب على اهل الجنة ومع هذا كله يفرض تكافي سند الحديثين وليس الامر كذلك اذ سند حديث
مسلم لا يوازنه شيء وح لا يعارض حديثه شيء من الاحاديث الاخر لانها ليست في مرتبته بل ولا قريبة منها
لانها من حيز الضعيف وهو لا يعارض الحديث الصحيح اصلا وفي اثر عثمان الاعرج انه ذكر الارياح الاربع
محدثا فقال فقط الا الشمال فزاد انها تمر بجنة عدن فتاخذ من طيب عرفها وتمر بنيران الاربع ساكنها
تحت اجنحة الكروبيين وحملة العرش وانها تهيج فتقع بعجلة الشمس فتعين الملائكة على جرها ثم تهيج
من عجلة الشمس فتقع في البحر ثم تهيج من البحر فتقع برؤوس الجبال ثم تهيج من رؤوس الجبال فتقع في البر
ثم ذكر ان حد الشمال من كرسي بنات النعش الى مغرب الشمس وحد الدبور منه الى مطلع سهيل ه
الجنوب منه الى مطلع الشمس والصبا منه الى كرسي بنات النعش فان قلت علم مما تقرر ان كلا من الجنوب
والشمال له مزية بخلاف الصبا مع انها التي خصت به صلى الله عليه وسلم فكان القياس ان نصرته صلى الله عليه وسلم
باحد ذينك ليكون الافضل ولو من وجه للافضل بل كان القياس اختصاص ذلك بالشمال لما

تقرر

تقرر انها الافضل مطلقا قلت ان اخذنا بما عرف مما مر ان الشمال تطلق على ما يعم الصبا فالامر واضح
وان قلنا بتغايرهما فما هو الاصل لحكمة ذلك والله اعلم ان وقت هبوب الصبا هو المعين على قتال العدو
بخلاف وقت هبوب الشمال وقد يكون في المفضول مزية بل مزايا لا توجد في الفاضل فتامل ذلك كله
فانه مهم اي مهم مع اني لم ار احدا اشار لشيء من ذلك و اقسم عليك ايضا بمعجزتك العظمى مع
علي كرم الله وجهه في غزوة خيبر لما برزت اليها ودفعت الراية وكانت سوداء لعلي رضي الله
عنه ففتح بعض حصونها وارسلت ابا بكر لحصن اخر فقاتل ورجع بلا فتح فارسلت عمر فقاتل ورجع
بلا فتح وقد جهدت فقلت رسول الله صلى الله عليه وسلم لاعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله يفتح الله على
يديه فتشوق كل احد لذلك فسالت له عن علي رضي الله عنه فقيل به رمد فدعوت عليا فدعاه فجاء
والانسان يقوده من شدة الرمد في تفلت بعينيه وكلتاهما معا
حال مؤكدة رمداء ثم قلت له خذ هذه الراية وامض بها حتى يفتح الله عليك فبرا تا لما حالا
ببريقك الذي هو الشفاء الاكبر فغدا اي ذهب بتلك الراية يضرب بعينيه المثل في حدة
الابصار كما يضرب ببصر العقاب الذي هو سيد الطيور كما في الكامل ومن ثم قال ناظرا بعيني
عقاب ومن امثال العرب ابصر من عقاب ولما غدا وهو كما ذكر هرول حتى ركز رايته
في رضم من حجارة تحت الحصن وقال له يهودي من باب الحصن من انت قال علي بن ابي طالب فقال اليهودي
علوتم وحق من انزل التورية على موسى بن عمران فما رجع حتى فتح الله على يديه وعند قتاله ضربه يهودي
فطرح ترسه من يده فاخذ بابا تترس به واستمر يقاتل به حتى فتح الله على يديه ومن كبر ذلك الباب ان
ثمانية ارادوا ان يقلبوه فلم يستطيعوا وحمل ايضا باب الحصن على ظهره حتى صعد المسلمون عليه ففتحوها
فجرته بعد ذلك فلم يحمله الا اربعون رجلا هذا كله في غزاة مشهودة من اعظم الغزوات واجل
الفتوحات وهي غزوة خيبر كانت مدينة كبيرة ذات حصون ومزارع على ثمانية برد من المدينة الى جهة الشام

وكانت سنة سبع لها العقاب لواء المراد باللواء الراية وهي العلم الضخم لان الذي كان
يومئذ راية لا لواء مع انه لم يعرف صلى الله عليه وسلم الرايات الا بخيبر وقبلها كانت الالوية فقط نعم قال القاضي
عياض في مشارقه اللواء الراية وعليه فلا تجوز في النظم وتلك الراية كانت تسمى العقاب لانها سوداء كلون
العقاب الاسود وكانت من برد لعائشة رضي الله عنها كما ذكر ذلك كله اهل السير وغيرهم كالحافظ الدمياطي
وغيره وبين عقاب والعقاب الجناس التام واما قول الاثر التي تسمى العقاب بيضاء وانها التي اعطاها
لعلي رضي الله عنه فهو مخالف لما مر به من كلام اهل السير على انه ناقض ذلك حيث قال وقوله لها العقاب
لواء يحتمل ان العقاب كانت تحوم على جموع القتلى كانها رايات مرتفعة وهذا احتمال لا يقوله الا من لم
يطلع على ما سبق ان راية صلى الله عليه وسلم يومئذ اسود تسمى العقاب ثم يحتمل ان هذه هي التي اعطاها
لعلي رضي الله عنه ويحتمل انه صلى الله عليه وسلم اعطاه غيرها كما اعطى اثنين رايتين غير راية علي كرم الله
وجهه ونقل بعض اهل السير عن ابن عباس رضي الله عنهما ان عليا رضي الله عنه هو الذي كان معه لواء
النبي صلى الله عليه وسلم في كل زحف وعن سعيد بن المسيب ان راية النبي صلى الله عليه وسلم يوم احد مرط
اسود وراية الانصار يقال لها العقاب وفي هذا نظر لما مر ان الراية لم تعرف الا يوم خيبر واما تسمية راية
الانصار يوم احد بالعقاب فهو جري على ما عليه اهل اللغة ان كل راية تسمى العقاب كما ان راية النبي صلى
الله عليه وسلم تسمى بذلك وعليه فقول الناظم لها العقاب لواء لا يختص بخيبر خلافا لما يوهمه صنيعه و
اقسم عليك ايضا بريحانتين وهما سيدنا الحسن وسيدنا الحسين كرم الله وجههما وفي التعبير
بذلك اقتباس من قوله صلى الله عليه وسلم الذي رواه البخاري هما ريحانتاي من الدنيا وفي رواية ان
ابني هذين ريحانتاي من الدنيا طيبهما حسا ومعنى وفضلهما على غيرهما انما هو حاصل
منك لانهما بضعتان منك مع ما لاحظتهما به من المزايا والخصوصيات وكان طيب رسول
الله صلى الله عليه وسلم معروفا شهد به الصحابة يضرب بها المثل وان لم يتطيب به بل كان شاما انس رضي

منها

منها ما اخذ من عرقه صلى الله عليه وسلم ليتطيبوا به لباهر ريحه الذي نعت لطيبهما اودعتهما
بالبناء للمفعول فاطمة الزهراء مبتدا خبره ما قبله وهو الصلة والموصول كذا ذكره الشارح ولا يصح
لخلو جملة الصلة من عائد الموصول مع جواز البناء للفاعل وان المفعول الثاني محذوف اي الذي الزهراء
اودعتهما اياه وفيه قلاقة وحذف من غير دليل فالصواب ان الذي نعت للريحانتين بتاويلهما بالمذكور
او نحوه ونظير ما ذكر في الذي قوله صلى الله عليه وسلم الذي رواه ابو داود هذا امتي يعني الحسن والحسين ونظيره
ايضا قوله تعالى وخضتم كالذي خاضوا قال ابو حيان يجوز استعمال الذي بمعنى الذين لكن يجب كون
ضمير الصلة ضمير الجمع اعتبارا بمعناه ثم قال والذي نختاره انه في قوله تعالى كمثل الذي استوقد نارا
انه مفرد لفظا وان كان تحته افراد فيكون التقدير كمثل الجمع الذي استوقد وقد قيل في الاية الذي بمعنى
الجنس فلا يختص بالواحد وقيل حذفت نونه تخفيفا وقيل موصوفه لفظ مفرد وكل من ذلك
ياتي فيما نحن فيه فاستفده واشار بقوله اودعتهما الى ما هو من خصائصه صلى الله عليه وسلم ان اولاد
بناته صلى الله عليه وسلم ينسبون اليه في الكفاءة وغيرها ووجه تلك الاشارة انه جعل فاطمة
هي الذي اودعتهما تلك الذرية لتخرج منها منسوبة اليه وسميت بالزهراء لانها لم تحض كما في حديث
رواه النسائي وروى الخطابي ان بنتي فاطمة حوراء ادمية لم تحض ولم تطمث وانها سماها الله تعالى
فاطمة لان الله تعالى فطمها ومحبيها من النار وقد ذكر الناظم عليا وفاطمة وابنيهما ويأتي ذكر شيء
من فضائلهم بلا اسانيد وقد استوعبتها بذكر اسانيدها وبيان احكامها وما يتعلق بها في كتابي الصواعق
المحرقة لاخوان الضلال والرفضة والابتداع والزندقة الذي لم يؤلف في هذا الباب مثله ومنه واخرج
الطبراني والخطيب ان الله تعالى جعل ذرية كل نبي في صلبه وجعل ذريتي في صلب علي بن ابي طالب وفي حديث
رجاله ثقات الا واحدا مختلف فيه انه صلى الله عليه وسلم خطب هو محاصر للطائف فما قال ايها الناس اوصيكم
بعترتي خيرا وان موعدكم الحوض والذي نفسي بيده لتقيمن الصلوة ولتؤتن الزكوة او لابعثن

اليكم رجلا مني او كنفسي يضرب اعناقكم ثم اخذ بيد علي وقال هو هذا وفي كرم الله وجهه شهيدا وهو
خارج الى صلوة الصبح عن ثلاث وستين سنة ضربه ابن ملجم واسمه عبد الرحمن في جبهته ليلة الجمعة سابع عشر
رمضان سنة اربعين عن ثلاث وستين سنة وهو خارج الى صلوة الصبح بعد ان استيقظ سحرا
وقال للحسن اني رايت النبي صلى الله عليه وسلم الليلة فشكيت اليه ما القى فقال لي ادع عليهم فقلت اللهم ابدلني بهم خيرا منهم
وابدلهم بي شرا مني واكثر في تلك الليلة الخروج والنظر الى السماء وهو يقول والله ما كذبت ولا كذبت
وانها الليلة التي وعدت ومات ليلة الاحد واختلف في موضع قبره لانه اخفي خوفا من ان ينبشه الخوارج
وفي رواية انهم حملوه ليدفنوه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فند الجمل الذي حمله فلم يدروا اين ذهب فلذلك
قال اهل العراق انه في السحاب **كُنْتَ** على الدوام **تَاوِيهِمَا** اي تضمهما **اِلَيْكَ** لمزيد
محبتك لهما وشفقتك عليهما ومن ثم صح انه صلى الله عليه وسلم قال نظرت الى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم اصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما واخرج الترمذي والطبراني هذان ابناي وابنا ابنتي
اني احبهما فاحبهما واحب من يحبهما والترمذي احب اهل بيتي الي الحسن والحسين واحمد وابن
ماجة والحاكم من احب الحسن والحسين فقد احبني ومن ابغضهما فقد ابغضني وجاء من طرق صح
بعضها ابناي الحسن والحسين سيدا شباب اهل الجنة وابوهما خير منهما وفي قوله وابوهما خير
منهما حجة لما عليه اهل السنة ان الائمة الاربعة افضل من اهل البيت نعم ما فيهم من البضعة
الكريمة لا يعادله عمل وبه يوجه قول بعض المتاخرين بتفضيل الحسنين على غيرهما اي من حيث
تلك البضعة وان كان غيرهما ممن ذكر افضل منهما علما وعملا ومعرفة فتامله **تَنْبِيهٌ**
قوله صلى الله عليه وسلم سيدا شباب اهل الجنة مشكل لانهما ماتا غير شابين ولان الجنة ليس فيها شاب
لان الوارد ان جميع الناس من اهل الجنة يكونون على خلقة ابناء ثلاث وثلاثين سنة ثم يبلغون
وهم كلهم مستوون في هذا السن الذي هو سن الكهولة واول الاسنان واشرفها فلذلك اختير
كونهم

كونهم عليها وح فليس في الجنة شباب ولا كهول ولا شيوخ فاي شباب هما سيداهم ويجاب بان المراد بالشباب
الذين ماتوا شبابا فهما سيدا هؤلاء من غير استثناء بخلاف الكهول والشيوخ فانهما قد يسودانهم وهم الاكثر
وقد لا كابيهما والائمة الثلاثة قبله ونحوهم والحاصل انهما سادات شباب الناس على الاطلاق وبين
فيهم تفصيل فلذا ذكر الشباب فقط ويحتمل ان المراد شبابهما فرضا وحصول الان التفضيل انما تشوق
لمن هو على سنهما الذي قتلت فيه على غيرهما من اهل ذلك السن ثم رايت بعضهم قرر الاشكال بنحو ما ذكرته
لكن ما ذكرته اظهر في الاشكال ورايت عنه اجوبة ثلاثة من الائمة فيها بعض مخالفة سهلة لما ذكرته وزيادة
على ما ذكرته وسايرا لذلك منها اجوبة ثلاثة لابن الحاجب منها واستظهره انه سماهم باعتبار ما كانوا عليه عند
مفارقة الدنيا ولذلك يصح ان يقال للصغير الذي يموت انه من صغار اهل الجنة وللشيخ المحكوم بصلاحه
من شيوخ اهل الجنة فهما سيدا شباب اهل الجنة بهذا الاعتبار وحسن الاخبار عنهما بذلك وان كانا
لم ينفكا من الدنيا شابين لانهما كانا عند الاخبار كذلك انتهى وهذا يرجع من التامل الصادق الى
ويحتمل ان المراد شبابهما فرضا الخ بل ان مراده صدق تامله اي ان التعبير بما ذكرته امنح وجوابه الثاني ان المراد
انهما سيدا شباب اهل الجنة باعتبار ذلك الوقت الذي كانا فيه شابين قال ولا يرد على هذين الجوابين الالزام
انهما سيدا المرسلين لانهم شباب في الجنة لانهم غير داخلين في شباب اهل الجنة على المعنيين جميعا انتهى
وقوله ولانهم شباب في الجنة الذي بنى عليه ايضا بعض ما بعده ممنوع وانما الذي دل عليه الحديث كونهم
يدخلونها على سن ابناء ثلث وثلاثين وهو سن الكهولة اذ الشباب الى الثلاثين والكهولة الى الاربعين
ثم بعدها شيخوخة منها فخوخه وح صح ما اجيب به دون بعض ما اجاب به والجواب الثالث مبني على ان اهل
الجنة شباب وقد علمت ضعفه لان الواقع خلافه فلا حاجة لذكره على انه في ذاته فيه غموض وعدم الوفاء
بالمقصود ولذا سلمنا بناه عليه كما يعلم بتامله لمن وقف عليه واجيب ايضا بان معناه انهما افضل من مات
شابا في سبيل الله من اهل الجنة ولم يرد انهما من الشباب لانهما ماتا وقد كهلا بل لما يفعله الشباب

كما يقال فلان فتى وان كان شيخا يشير الى مروته وفتوته او انهما سيدا اهل الجنة الا ما سوى الانبياء
والخلفاء الراشدين وذلك لان اهل الجنة كلهم في سن واحد وهو الشباب فليس فيهم شيخ ولا كهل انتهى
وقوله وهو الشباب مردود واجيب عنه ايضا بانه يمكن ان يراد بهما الان سيدا شبابهم من اهل الجنة في
هذا الزمان انتهى وليس فيه كثير عمدح فيما في الغرض من ذكره صلى الله عليه وسلم ذلك مدحا لهما والحاصل
ان الذي يتجه في هذا المقام وبه يحصل الجواب الواضح ان الذي كتب لهم السعادة المعبر عنهم بكونهم
اهل الجنة شباب وكهول وشيوخ وان الحسنين تميزا في حال شبابهما بل في صغرهما بفضائل على من هو
في سنهما مما لا يحصى ولا يستثنى منهم احد بل في حال شبابهما فضلا جميع الشباب الموجودين ح من
استثناء بل الشباب مطلقا من غير استثناء ايضا اذ لا يعلم وهما في شبابهما ان شابا قبلهما او بعدهما
ساواهما فضلا عن كونه فضلهما واذا تقرر هذا فلاجل كونهما فضلا الشباب مطلقا من غير استثناء
بخلاف الكهول والشيوخ فانهما لم يفضلاهما على الاطلاق في حال من الحالات خص الشباب بالذكر
واضافهما الى الجنة باعتبار انه يقال لمن هو في حال شبابه وقد كتب سعيدا هذا من شباب الجنة اي من
المؤمنين الموصوفين الان بكونهم من الشباب وكونهم من اهل الجنة وح اتضح حكمة ذكر الشباب
لصحة اضافتهم الى الجنة واتضح انه لا يحتاج الى استثناء الخلفاء الاربعة فضلا عن الانبياء
واتضح ان في هذا من المدح لهما ورفعة قدرهما وبيان تميزهما ما لا يخفى عظيم رفعته فتامله فانه الشرح
به من تلك الاجوبة المطولة المردودة مع لخبطها تلبسا وتمام هذا الجواب الذي هو لصوبها واوضحها
كَمَا اَوَتْ بالمد فيتعين للوزن وان جاز القصر لانه اصل الكلمة **مِنَ اَلْخَطِّ** حال
من الفاعل **نُقْطَتَيْهَا اَلْيَاءُ** اي ايواء كايواء الياء لنقطتيها حال كونها من جملة
حروف الخط وكانه اخذ هذا التشبيه من حديث البخاري عن الحسن كان النبي صلى الله عليه وسلم
ياخذ بيدي فيقعدني على فخذه ويقعد الحسين على فخذه الاخرى ويضمهما ثم يقول اني ارحمهما
فارحمهما

فارحمهما ومما صح عن اسامة بن زيد رضي الله عنهما قال طرقت الباب على النبي صلى الله عليه وسلم ذات
ليلة فخرج وهو مشتمل على شيء قلت فما هذا فكشفه فاذا هو الحسن والحسين على وركيه ثم قال اللهم
هذان ابناي وابنا ابنتي اللهم اني احبهما فاحبهما واحب من يحبهما وصح انه صلى الله عليه وسلم اقبل
وحمل الحسن على رقبته فقال رجل نعم المركب ركبت يا غلام فقال صلى الله عليه وسلم ونعم الراكب هو
ووجه التخصيص بالياء انها خاتمة الحروف كما انه صلى الله عليه وسلم خاتمة الانبياء عليهم الصلوة و
السلام ولا نظر الى ان الالف افضل الحروف لانها مادة كل حرف فهي الحرف في الحقيقة كما انها الاول
كذلك وهذا شان نبينا صلى الله عليه وسلم فانه اولهم خلقا ورتبة واخرهم وجودا وختما فعنصره الكريم
مندرج ومنبث في جميع الانبياء بالفعل تارة بالنسبة لمن في عمود نسبه وبالقوة اخرى بالنسبة
لمن ليس في عموده **مِنْ** بيان للريحانتين وح فلا تجريد فيه خلافا لمن زعمه الى **شَهِيدَيْنِ**
اما شهادة الحسن وكانت ولادته في نصف شعبان بالمدينة سنة ثلاث من الهجرة فسببها ان يزيد عليه
ما يستحقه بن معاوية ارسل الى زوجته جعدة الكندية انها تسمه ويتزوجها وبذل لها مائة الف درهم
ففعلت فمرض اربعين يوما ومات فبعثت ليزيد بما وعدها به فابى واختلف في سنة موته على اقوال
كثيرة والاكثرون على انها سنة خمسين وجهد به الحسين ان يخبره بمن سمه فابى وقال الله اشد
نقمة واجد كبدي تقطع واني لعارف من اين دهيت فيحقي عليك لا تكلمت في ذلك بشيء ثم
واقسم عليك ان لا تريق في امري محجمة دم ومن جملة كلامه لاخيه لما احتضر قال يا اخي ان اباك
لهذا الامر مرة بعد المرة فصرفه الله تعالى عنه الى الثلاثة قبله ثم ولي فنوزع حتى جرد السيف فما صفت له
واني والله ما ادري ان يجمع الله فينا النبوة والخلافة وربما يستخلفنك سفهاء الكوفة فيخرجونك
وقد كنت طلبت من عائشة ان ادفن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجابت فاذا مت فاطلب
منها وما اظن القوم الا سيمنعونك فان فعلوا فلا تراجعهم فلما مات سال الحسين عائشة

رضي الله عنهما فقالت نعم وكرامة فمنعهم مروان لانه كان واليا على المدينة فلبس الحسين ومن معه السلاح
حتى رده ابو هريرة ثم دفن بالبقيع الى جنب امه رضي الله عنهما وكان مروان يكثر من اذيته فلما مات بكى
في جنازته فقال له الحسين اتبكيه وقد كنت تجرعه ما تجرعه فقال اني كنت افعل ذلك الى احلم من هذا واشار بيده
الى الجبل وكان مروان هذا اشد الناس بغضا لاهل البيت وكان هذا هو سر الحديث الذي صححه
الحاكم ان عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال كان لا يولد لاحد مولود الا اتي به النبي صلى الله
عليه وسلم فيدعو له فادخل عليه مروان بن الحكم فقال هو الوزغ بن الوزغ الملعون ابن الملعون وكذا
ايضا هو سر ما صح من جملة قول عائشة رضي الله عنها لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا مروان ومروان في صلبه
نعم في الحديث الصحيح انه صلى الله عليه وسلم سأل ربه ان من شتمه او لعنه او دعا عليه ان يكون ذلك
له زكوة وكفارة وطهارة ومن فضائل الحسن ما صح انه صلى الله عليه وسلم كان يحمله على عاتقه ويقول
اللهم اني احبه فاحبه وصح من احبني فليحبه وليبلغ الشاهد الغائب اللهم اني احبه واحب من يحبه
ثلاث مرات وفي رواية فجعل يفتح فمه ثم يدخل فمه في فمه ويقول ذلك وفي اخرى من احبني واحب
هذين واباهما وامهما كان معي في درجتي يوم القيمة وصح انه حج خمسا وعشرين حجة ماشيا وان الجنائب
لتقاد بين يديه وخرج من ماله مرتين وقاسم لله ماله ثلاث مرات وكرم باهر حكاياته منها انه لم
يسمع منه كلمة فحش قط الا قوله مرة لمن خاصمه ليس له عندنا الا ما رغم انفه وجاء من طرق كثيرة
بعضها صحيح انه صلى الله عليه وسلم قال وهو على المنبر ان ابني هذا الحسن سيد سيصلح الله به بين فئتين
عظيمتين من المسلمين وقد حقق الله له ذلك فان اباه كرم الله وجهه لما توفي تولى الخلافة بمبايعة
اهل الكوفة فكان اخر الخلفاء الراشدين بنص جده صلى الله عليه وسلم بقوله في الحديث الصحيح الخلافة
بعدي ثلاثون سنة فمدة خلافته هي ستة الاشهر الباقية منها عند بيعتها سار الى معاوية في اربعين الفا
فلما تراءى الجمعان علم الحسن انه لا يغلب احدى الطائفتين حتى يذهب اكثر الاخرى فرضي بالنزول

لمعاوية

لمعاوية من الخلافة شفقة على الامة بشروط قبلها معاوية فنزل له وصح صار هو الامام الحق وقبل ذلك
كان متغلبا لكن لاجتهاده لم يكن اثما بل كان ماجورا واما شهادة الحسين وكان ولادته لخمس خلون من شعبان
سنة اربع وفضائله رضي الله عنه حديث حسين مني وانا من حسين احب الله من احب حسينا
حسين سبط من الاسباط وفي رواية الحسن والحسين سبطان من الاسباط وجاء من طرق صحيح الحاكم
بعضها ان جبريل وفي رواية ان ملك القطر ولعلهما واقعتان جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره
ان الحسين مقتول واراه من تربة الارض التي يقتل فيها فاعطاه ام سلمة فاخبرها انه يوم قتله
يتحول دما فكان كذلك وشم صلى الله عليه وسلم ذلك التراب فقال ريح كرب وبلاء وفي رواية فاشار اليه
جبريل بيده الى الطف ارض بالعراق بناحية الكوفة ولا تخالف لان ذلك الموضع يسمى بكربلاء وبالطف
كذا قال بعضهم وقال غيره كربلاء قريب من موضع يقال له الطف بقرب الكوفة وروى الطبراني واما
حسن فله هيبتي وسؤددي واما حسين فله جراتي وجودي وروى البغوي وغيره سميتهم هرون
ابنيه شبرا وشبيرا واني سميت ابني الحسن والحسين وجاء ان العرب لم تسم بهما في الجاهلية
فسيطا ان يزيد لما استخلف سنة ستين ارسل لعامله بالمدينة ان ياخذ له البيعة على الحسين
ففر لمكة خوفا على نفسه فارسل اليه اهل الكوفة ان ياتيهم ليبايعوه ويمحي عنهم ما هم فيه من الجور
فنهاه ابن عباس وبين له غدرهم وقتلهم لابيه وخذلانهم لاخيه وامره ان لا يذهب باهله
فابى فبكى ابن عباس وقال واحسيناه واحبيباه وقال له ابن عمر نحو ذلك فابى فقبل ما بين عينيه
وقال استودعك الله من قتيل وكذلك نهاه ابن الزبير رضي الله عنهم بل لم يبق بمكة من احد الا من حزن
لمسيره ولما بلغ اخاه محمد بن الحنفية بكى حتى ملأ طستا ابيض بين يديه وقدم امامه مسلم بن عقيل فبايعه
من اهل الكوفة اثنا عشر الفا فارسل اليه يزيد ابن زياد فقتله وسار الحسين غير عالم بذلك فلقي
الفرزدق فساله فقال قلوب الناس معك وسيوفهم مع بني امية والقضاء ينزل من السماء

لما قرب من القادسية تلقاه من اخبره الخبر وامره بالرجوع فهم بالرجوع فقال اخو مسلم المقتول
لا نرجع حتى ناخذ بثارنا او نقتل ثم سار فلقيه اوائل خيل ابن زياد فعدل الى كربلاء فجهز اليه ابن
زياد عشرين الف مقاتل فلما وصلوا اليه التمسوا منه نزوله على حكم ابن زياد وبيعته ليزيد فابى
فقاتلوه وكان اكثر مقاتليه المكاتبين اليه والمبايعين له فلما جاءهم فروا عنه الى العدو فحارب ذلك العدد
الكثير ومعه من اهله نيف وثمانون فثبت في ذلك الموقف ثباتا باهرا ولولا انهم حالوا بينهم وبين
الماء ما قدروا عليه ولما استحر واستمر القتل في اهله حتى بلغ حسين فصاح اما ذاب يذب عن حرم
رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج يزيد بن الحارث رجاء شفاعة جده صلى الله عليه وسلم فقاتل
بين يديه حتى قتل ثم فني اصحابه وبقي بمفرده فحمل عليهم وقتل منهم كثيرا من شجعانهم فكثروا عليه
حتى حالوا بينه وبين حرمه فصاح رضي الله عنه كفوا سفهاءكم عن النساء والاطفال فكفوا
ثم لم يزل يقاتلهم الى ان اثخنوه بالجروح لانه طعن احدى وثلثين طعنة وضرب اربعا وثلثين
ضربة ومع ذلك غلب عليه العطش الى ان سقط الى الارض فحزوا راسه يوم الجمعة عاشر المحرم عام
احدى وستين ووضعه قاتله بين يدي عبد الله بن زياد منتجيا بكونه قتل خير الناس فامر بضرب
عنقه وقال اذا علمت انه كذلك فلم قتلته وقتل معه من اخوته وبنيه وبني اخيه الحسن ومن اولاد
جعفر وعقيل تسعة عشر رجلا قال الحسن البصري رحمه الله تعالى ما كان على وجه الارض لهم يومئذ
شبيه وجعل ابن زياد الراس في طست فجعل يضرب ثناياه بقضيب ويدخل انفه رضي الله عنه
ويتعجب من حسن ثغره فبكى انس رضي الله عنه وقال كان اشبههم برسول الله صلى الله عليه وسلم وقال
له زيد بن ارقم ارفع قضيبك فوالله لطالما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل ما بين الشفتين
فبكى فاغلظ عليه ابن زياد وهدده بالقتل وقال لاحدثنك بما هو اغيظ عليك من هذا رايت
رسول الله صلى الله عليه وسلم اقعد حسنا على فخذه اليمنى وحسينا على فخذه اليسرى ثم وضع

صلى الله عليه وسلم

صلى الله عليه وسلم يده الكريمة على يافوخهما ثم قال اللهم اني استودعك اياهما وصالح المؤمنين فكيف كانت
وديعة النبي صلى الله عليه وسلم عندك يا ابن زياد ولما دخل قصر الامارة بالكوفة امر بالراس فوضع على
ترس عن يمينه والناس سماطان ثم انزله وجهزه مع رؤس اصحابه وسبايا ال الحسين الى يزيد فلما وصلوا
اليه قيل ترحم عليه والمشهور انه جعل ينكت الراس بالخيزران وجمع بانه اظهر الاول واخفى الثاني قيل
والعجب كل العجب من ضرب يزيد ثنايا الحسين بالقضيب وحمل ال النبي صلى الله عليه وسلم على اقتاب الجمال
موثقين بالحبال والنساء مكشفات الوجوه والرؤس انتهى ولا عجب لان يزيد بلغ من قبائح الفسق
والانحلال من التقوى مبلغا لا يستكثر عليه صدور تلك القبائح منه بل قال احمد بن حنبل بكفره
وناهيك به ورعا وعلما يقتضيان بانه لم يقل ذلك الا لقضايا وقعت منه صريحة في ذلك ثبتت عنده
وان لم تثبت عند غيره كالغزالي فانه اطال في رد كثير مما نسبت اليه كقتل الحسين فقال لم يثبت من طريق
صحيح انه قتله وامر بقتله ثم بالغ في تحريم سبه ولعنه وكابن العربي المالكي فانه نقل عنه ما يقشعر منه
الجلد فانه قال لم يقتل يزيد الحسين الا بسيف جده اي بحسب اعتقاده الباطل انه الخليفة والحسين
باغ عليه لان البيعة سبقت ليزيد ويكفي فيها بعض اهل الحل والعقد وبيعته كذلك لان كثيرين اقدموا
عليها مختارين لها هذا مع عدم النظر الى استخلاف ابيه له اما مع النظر لذلك فلا يشترط موافقة
احد من اهل الحل والعقد على ذلك ويرد بان هذا انما هو بعد استقرار الاحكام وانعقاد الاجماع على
تحريم الخروج على الامام الجائر اما قبل ذلك فكان الامر منوطا بالاجتهاد واجتهاد الحسين رضي الله عنه
اقتضى جوازه او وجوب الخروج على يزيد لجوره وقبائحه التي تصم عنها الاذان فهو على الحق
بالنسبة لما عنده لا سيما ان راى احد من كفره ويرد ايضا ما قيل ونظير ذلك حال معاوية مع الحسن
رضي الله تعالى عنه قبل نزوله عن الخلافة ومع علي كرم الله وجهه فانه كان متغلبا باغيا عليهما لكنه
غير اثم لاجتهاده فالحسين كذلك انتهى فتامل ذلك فان كلام الائمة فيه كالمشافي ولا يزال الاشكال

الا بما ورد به فاستفده ومما يبطل توجيه تلك الكلمة ما ذكرته في مختصري لتاريخ الخلفاء للحافظ السيوطي
ان رجلا سمى يزيد امير المؤمنين فامر عمر بن عبد العزيز خامس او سادس الخلفاء الراشدين وان اريد
الحسن على الذين عدوا بالاول وان كان منهم بنقل الحديث الصحيح على ان الخلافة بعده صلى الله عليه وسلم
ثلثون سنة وتمامها فيه ستة اشهر تكملة لهذه الثلثين لا تمام نظل ولم يرد له ما دان للاربعة
من تاكيد الاسلام فكان اندرج في خلافة ابيه كانهما كرجل واحد فهو من الاربعة وح تعين ان
خامسهم عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه بضربه عشرين سوطا فهذا صريح في انه كان متغلبا بالشوكة
لا اماما لان الذين هم اهل الحل والعقد حقيقة اكره اكثرهم على بيعته كما صرحت به في المختصر المذكور
تبعا للاصل واقلهم من اجلاء الصحابة هربوا الى مكة ويأتي قريبا بعض ذلك مع زيادة عليه ولما
دخل قصر الامارة بالكوفة امر بالرأس فوضع على ترس عن يمينه والناس سماطان ثم امر به وبجثث مع
رؤوس اصحابه وسبايا الحسين الى يزيد فلما وصلوا اليه قيل ترحم عليه والمشهور انه جعل ينكت الرأس بمخصرة ان
وجمع بانه اظهر الاول واخفى الثاني وقيل العجب كل العجب من ضرب يزيد ثنايا الحسين بالقضيب
وحمل آل النبي صلى الله عليه وسلم على اقتاب الجمال موثقين في الحبال والنساء مكشوفات الوجوه والرؤس
انتهى الى هنا ولما وصلوا الدمشق اقيموا على درج الجامع حيث تقام الاسارى والسبي وقيل ان يزيد
ارسل برأس الحسين ومن بقي من اهله الى المدينة فكفن رأسه ودفن عند قبر امه بالبقيع وقيل اعيد
الى الجثة بكربلاء بعد اربعين يوما من قتله ثم سلط الله على ابن زياد وقومه من قتلهم شر قتلة ولما نزل
الذين ارسلهم ابن زياد بالرأس اول منزل جعلوا يشربون بالرأس فخرجت عليهم يد من الحائط معها
قلم من حديد فكتبت سطرا بدم وهو قوله اترجو امة قتلت حسينا شفاعة جده
يوم الحسابا فهربوا وتركوا الرأس اي ثم عادوا فاخذوه واخذ غيرهم وقدم به على يزيد
ومما ظهر يوم قتله من الايات ان السماء امطرت دما وان اوانيهم ملئت دما وان السماء اشتد سوادها

لانكسان

لانكسان
الشمس ح حتى رؤيت النجوم واشتد الظلام حتى ظن الناس ان القيامة قد قامت وان الكواكب ضرب
بعضها بعضا وانه لم يرفع حجر الا ورؤي تحته دم عبيط وان الورس انقلب رمادا وان الدنيا اظلمت ثلاثة
ايام ثم ظهرت فيها الحمرة وقيل احمرت ستة اشهر ثم لا زالت الحمرة ترى بعد ذلك وعن ابن سيرين
اخبرنا ان الحمرة التي مع الشفق لم تكن حتى قتل الحسين وقال ابن الجوزي وحكمته ذلك ان غضبنا
يؤثر حمرة الوجه والحق منزه عن الجسمية فاظهر تاثير غضبه على من قتل الحسين بحمرة الافق اظهارا
لتعظيم الجناية ولما اظهر الله عظيم الجناية على الحسين بذلك الامر الباهر اظهره على ولده ولد الحسين
زيد صاحب المذهب المشهور رضي الله عنه فان بني امية استخفوا به فقتلوه وحرقوه فانتقم الله ممن
فعل به حتى سلط الله عليهم من فعل به مثل ما فعل بزيد وافتح بكثير كما هو مبسوط في قصته مع هشام المشهور في
وفيهما من الكرامات الباهرة لاهل البيت ما اوجب كل اهلها النظلع انها المحب فتزداد محبتك او
المبغض فتتوب وترجع الى الله تعالى اعلم اني ذكرت في كتابي اسنى المطالب في صلة الاقارب ما لفظه
تنبيه اخر مما يؤيد ما ذكرته في التنبيه الذي قبل هذا ما وقع لهشام بن عبد الملك حيث
قطع رحم زيد بن علي فقتله قومه الذين ارسلهم اليه وحرقوه بالنار فسلط الله عليه من اخرجه من قبره
وحرقه بالنار جزاء له وفاقا وشرح ذلك ان زيد بن علي بن زين العابدين بن الحسين بن علي
رضي الله عنهم كان يدخل على هشام بن عبد الملك بن مروان من فجار بني امية وظلمتهم وكان يقع
بينهما محاورات فيفحم زيد حتى يخجله بين يدي جنده وفي عز مملكته ومن ذلك انه قال له انت زيد
المؤمل للخلافة وما انت وذلك وانت ابن امة فقال له زيد ان الامة لو قصرت بولدها عن بلوغ الغاية
لما بعث الله نبيا هو ابن امة وجعله ابا العرب وابا خير النبيين وهو اسمعيل ابن ابراهيم صلى الله على
نبينا وعليه وسلم فكانت امه مع ام اسحق كامك مع امك وما تقصر برجل ابوه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وجده علي بن ابي طالب فلما خرج قال هشام لجلسائه الستم تزعمون ان اهل هذا البيت قد انقرضوا

الا لعمري والله ما انقرض قوم هذا خلفهم ودخل عليه مرة اخرى فراى عنده يهوديا يسب قيل كان يسب
النبي صلى الله عليه وسلم وقيل كان يسب الله فانتهره زيد وقال يا كافر اما والله لئن تمكنت منك لا تختطفن
روحك فقال هشام مه يا زيد اي كف لا تؤذي جليسنا فخرج قائلا من استشعر حب البقاء
استدثر الذل الى الفناء وهاج ح على الخروج على هشام فاطاعه من اهل الكوفة خمسة عشر الف مقاتل
وبايعه جماعة من الائمة قيل منهم ابو حنيفة رضي الله عنه وامده بمال عظيم فخرج اواخر المحرم سنة
اثنين وعشرين ومائة وخرج معه من القراء والفقهاء واهل البصائر جمع الا ان فيهم من لم يثبت الى ان
قتله ثم خذله الذين بايعوه وتأخروا عنه فقال ابن الناس فقيل له احتبسوا في المسجد فقال لا وسعهم
عند الله خذلانهم لنا فعاد اليهم وامرهم بالخروج فابوا فقال يا اهل الكوفة اخرجوا من الذل الى العز
والى خير الدنيا والاخرة فابوا فاقبلت جنود هشام فحمل عليهم زيد رضي الله عنه فقتل منهم قتلة عظيمة
فلم ينجع ذلك فيهم شيئا ودخل الكوفة فتفرقت اصحابه عنه فلم يبال بذلك وحاربهم يوم الاربعاء
والخميس فحمل عليهم وقتل من فرسانهم كثيرين فاصيب اخر يوم الجمعة بسهم العبد جبينه فجيء له بطبيب
فنزعها فمات من ساعته ودفن في قناة ماء واجرى عليه الماء لئلا يعرفوا قبره ثم دلوا عليه فصلب على
جذع نخلة عريانا فنسجت العنكبوت على عورته لوقته فلم يرها احد فكان ذلك من الكرامات الباهرة
ثم انزلوه وحرقوه حتى صار رمادا وذروه في الهواء فلما كان زمن السفاح اول خلفاء بني العباس
وهو عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس امر بامراة هشام المذكور فشدخ رأسها بالعمد
وامر بقطع ثديها وقتلها قصاصا في ام ولد او جمجمة كانت لزيد رضي الله عنه قتلها ثم امر بهشام
فنبش من قبره فوجد بحاله لانه كان طلي بالعنبر لئلا يتغير فاقامه وجلده حتى تناثر لحمه ثم احرقه
بالنار وفعل به كما فعل بزيد جزاء وفاقا فتامل نصرة الله تعالى حتى على يد الاعداء فان غالب
بني عباس كانوا يكرهون ذرية الحسين لانهم ينازعونهم في الملك ويحجرون عليهم كثيرا ومع ذلك

اظهر الله

اظهر الله الانتقام من هشام لزيد على يد من يكره بني زيد او بني عمه فاعتبر بذلك **ليس ينسى**
لكل مسلم كامل الايمان **الطف** اي يذكر ما وقع فيه وهو اسم ارض بالعراق مائة تسمى كربلاء او قرب
منها وقبره به معروف يزار ويتبرك به **مصابيهما** اي مجموعهما على حد يخرج منهما اللؤلؤ
والمرجان اذ هما انما يخرجا من الملح فقط اي مصاب الحسين لان قتله به واما قتل الحسن فانه كان بالمدينة
ولم يكن قتله بالسم ظاهرا وانما يؤثر منه قليل من الناس **ولا كربلاء** بل كل منهما يذكر في بلد
المصاب حتى انه تصور في كل ارض انها هي وظاهر انه مغاير للطف وكان الناظم لحظ هذا الى ما رواه ابن سعيد
عن الشعبي ان عليا كرم الله وجهه لما مر بكربلاء عند مسيره الى صفين وقف وسأل عنها فقيل له كربلاء فبكى
حتى بل الارض من دموعه رضي الله عنه ثم قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي القصة
الاتية انفا في شرح قوله فابكهم **ما رعى فيهما ذمامك** بالمعجمة اي حرمتك ايها
النبي الكريم مع انه يجب على كل احد رعايتها والوفاء بها ولا يحصل ذلك الا بالقيام بجميع ما لهما من العهود
والحقوق والحرمة والجلالة ومن بغض شانهما واعتقادانه على غاية من الحماقة والضلال والجرم و
مالتهور **مرؤوس** اي تابع بجعدة الكندية في الحسن وابن زياد واتباعه في الحسين رضي الله عنهما
والحال انه **قد خان عهدك الرؤساء** اي متبوعون من الظلمة الطغاة
المتمردين كيزيد فيهما التسبب في قتلهما لكنهما فازا بمنزلة الشهادة العظمى وباءوا بخزي الدنيا
والاخرة وقول بعضهم لا ملام على قتلة الحسين لانه انما قتل بسيف جده لانه خرج على البغاة وقاتلهم
لا يعول عليه لان يزيد لم تنعقد بيعته عند الحسين وغيره ممن لم يبايعه والمبايعون له مكرهون على
البيعة كما هو معروف فاية امر يزيد انه جائر فاسق متغلب وحرمة الخروج على الجائر التي حكى عليها
الاجماع محلها بعد استقرار الامور وانقضاء تلك الاعصار واما تلك الاعصار فكان اهلها مجتهدين
فلم يدخلوا تحت حيطة راي غيرهم ولذلك خرج على يزيد ايضا ابن الزبير ولم يبال ببيعته ولا اعتد بها

كجماعة اخرين استمعوا منها وهربوا ومن اتفقا ماله تعلق بذلك مع زيادة ما روى ابن السكن انه صلى الله
عليه وسلم قال وقد اشار الى الحسين ان ابني هذا يقتل بارض العراق فمن ادركه منكم فلينصره وبه يرد قول
البعض المذكور وتابرقه ايضا ما ترتب على قتل الحسين تمام بعضه وبين بهاء خان والمرقس و
الرقى شاجناس الطباق **ابدلوا** اي هولاء المذكورين **الود** بتثليث الواو اي المودة التي
حقهم الله عليها في الاية الاتية ببغضهم وقتالهم والحاق الايذاء لهم بكل طريق امكن حتى ان القرطبي
سباهم فابيعت الشريفة في عسكره باربعة دراهم والشريف بدرهمين لكثرة من سباه منهم **و** ابدلوا
ايضا **الحفظة** اي المحبة **في** نصر **القربى** محبتهم اي قرابة النبي صلى الله عليه وسلم
وهم اهل البيت النبوي يعني تركوا هذين واخذوا ضدهما فقطعوا مودتهم وتخلفوا عن نصرهم
ولم يمتثلوا قول الله في حقهم الدال على غاية رفعتهم قل لا اسئلكم عليه اجرا الا المودة في القربى اي
وقد اختلف المفسرون في القربى والذي جاء عن الحسن بن علي كرم الله وجهه بسند حسن انهم اهل البيت
فانه خطب الناس خطبة بليغة فيها ان الحسن بن محمد صلى الله عليه وسلم ثم قال انا ابن البشير انا ابن
النذير ثم قال وانا من اهل البيت الذي افترض الله عز وجل مودتهم وموالاتهم زاد في رواية على كل
مسلم فقال فيما انزل على محمد صلى الله عليه وسلم قل لا اسئلكم عليه اجرا الا المودة في القربى و
في رواية ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا قال اقتراف الحسنات مودتنا وجاء عن ابن
عباس رضي الله عنهما بسند فيه شيعي غال لكنه صدوق انها لما نزلت قالوا يا رسول الله من
قرابتك الذين وجبت علينا محبتهم قال علي وفاطمة وابناهما وروى غير واحد نحو ذلك عن
علي رضي الله عنه واخرج الطبراني عن زين العابدين انه لما جيء به اسيرا عقب مقتل ابيه الحسين
رضي الله عنه واقيم على درج دمشق قال بعض جفاة اهل الشام الحمد لله الذي قتلكم واستأصلكم
وقطع قرن الفتنة فقال له اما قرأت قل لا اسئلكم عليه اجرا الا المودة في القربى فقال و

انتم

وانتم هم قال نعم ولا ينافي ذلك ما هو المشهور عن ابن عباس واتباعه من حملها على غير ما ذكر كما في البخاري
وغيره عنه ان المراد ان لا تؤذوني يا معشر قريش بقرابتي فيكم وفي رواية عنه انهم لما ابوا ان يبايعوه انزل الله
عليه ذلك فقال صلى الله عليه وسلم يا قوم اذا ابيتم ان تبايعوني فاحفظوا قرابتي ولا تؤذوني فيهم ويؤيده ان
السورة مكية ورواية ... بالمدينة ضعيفة وان امكن ... كما قيل به في الفاتحة ووجه عدم
المنافاة ان من ذكره صلى الله عليه وسلم وخص قريش اقتصر على المقصود بالذات ومن ذكر اهل البيت
وعمم في كل مسلم ذكر ما هو المقصود بالتبع فكل من المرادين صحيح من غير منافاة ولا تعارض بينهما و
كان ابن جبير وهو من اجل تلامذة ابن عباس يفسر تارة بهذا وتارة بهذا وفي رواية عن ابن عباس رضي الله
تعالى عنهما الا ان تودوا الله ولا منافاة ايضا لان من جملة مودة الله تعالى مودة رسوله واهل بيته وا
نسخ الاية قول مردود لا يلتفت ولا يجوز اعتقاده كما قال البغوي وغيره وقد صح خلافا لما وهم فيه ابن الجوزي
حديث احبوا الله لما يغذوكم به من نعمه واحبوني لحب الله عز وجل واحبوا اهل البيت لحبي وصح ايضا
ما بال اقوام يتحدثون فاذا راوا الرجل من اهل بيتي قطعوا حديثهم والله لا يدخل قلب رجل منهم الايمان
حتى يحبهم الله تعالى ولقرابتهم مني وفي خبر احمد انه صلى الله عليه وسلم قال لمن اشتكى عليا والله لقد اذيتني
ثم قال من اذى عليا فقد اذاني وروى احمد والترمذي حديث من احبني واحب حسنا وحسينا
واباهما وامهما كان معي في الجنة زاد ابو داود ومات متبعا لسنتي وبهذا يعلم بطلان قول الرافضة
تنفع محبتهم مع مخالفة السنة **وابدت** اي اظهرت **ضبابها** ما ابدلها على البيت
والمراد بالضباب اليرابيع لان النافقاء لا يكون الا لها **النافقاء** هي احدى جحرتي اليربوع
يكتمها ويظهر غيرها وهو موضع من جحره يجعل الحاجز بينه وبين الفضاء رقيقا
حتى اذا دخل عليه من الجحرة الاخرى المسماة بالقاصعاء ضرب النافقاء براسه فانشق وخرج
هاربا منه ولهذا يقال نفق اليربوع تنفيقا ومنه اشتقاق المنافق في الدين كما في الصحاح وفي النظم

تشبيه المكرة بالحنين حتى فعلوا معهم ما فعلوا باليربوع في مكرها المذكور فهو استعارة تصريحية وفي
ذكر النافقاء استعارة ترشيحية او تشبيه ما فعل اولئك من النفاق بالنافقاء بالجامع الاتي فهي
استعارة مصرحة رشحت بذكر الضباب او تشبيه النافقاء بما فعل اولئك من النفاق الذي
حملهم على ان فعلوا باهل البيت ما فعلوا فتشبيه النافقاء بنفاق اولئك استعارة بالكناية والجامع
ان النافقاء يظهر اليربوع منها فيهرب من صياده وكذلك نفاق اولئك اظهرهم حتى هربوا من الدين
وفعلوا ما فعلوا واثبات اليربوع استعارة تخييلية ويصح ان تكون استعارة بالكناية ايضا التشبيه
الضباب باولئك المكرة واضافتهم الى ضمير النافقاء تخييلية **وقست** اي غلظت واشتدت
منهم اي المكرة الفجرة المذكورين وهو حال من قوله **قلوب** موصل اليها والى ذريتهما منهم غاية
الايذاء والاستهتار بحقهم الواجب رعايته عليهم فلم تكن لهم تلك القلوب فظ لان الله تعالى اراد لها
الشقاوة والعذاب الاليم **على من** اي اولئك الائمة الذين هم بدور الدنيا ومن ثم قال الحسن البصري
رحمه الله تعالى عن الذين قتلوا مع الحسين من اهله رضي الله تعالى عنهم ليس لهم شبيه على وجه الارض
بكت الارض فقدهم والسماء وهذا اقتباس من قوله تعالى فما بكت
عليهم السماء والارض اذ مفهومه ان تبكي عليه السماء والارض بمعنى انهما ياسفان على ما فاتهما من
اعمالهم وثوابهم اما الارض فمحال سجود المؤمن وعبادته واما السماء فمحال صعود اعماله واذا كان هذا
في مطلق المؤمن كما علم من الاية فما بالك بال البيت النبوي والشرف العلوي ويصح ان يكون المراد بكاء
بكاء اهلهما وهو واضح لكن الاول ابلغ ولا مانع من حمله على الحقيقة لانه ممكن وقد جاء الشرع بخروج ذلك
عن ظاهره الا بدليل **فابكهم** ايها السامع الصائح للخطب **ما استطعت** اي مدة
دوام استطاعتك تاسيا بنبيك محمد صلى الله عليه وسلم ثم بجبريل ثم بعلي روى ابن سعد عن الشعبي
قال مر علي كرم الله وجهه بكربلاء عند مسيره الى صفين فوقف وسأل عن اسم هذه الارض فقيل له كربلاء

فبكى

فبكى حتى بل الارض من دموعه ثم قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فقلت ما يبكيك
قال كان عندي جبريل انفا واخبرني ان ولدي الحسين يقتل بشاطئ الفرات بموضع يقال له كربلاء ثم قبض
جبريل قبضة من تراب تلك الارض شمني اياها فلم املك عيني ان فاضتا واخرج الترمذي ان ام سلمة
رأت النبي صلى الله عليه وسلم باكيا وبراسه ولحيته التراب فسألته فقال قتل الحسين انفا وكذلك رآه
ابن عباس رضي الله عنهما نصف النهار اشعث اغبر بيده قارورة فيها دم يلتقطه فسأله فقال دم الحسين
واصحابه لم ازل اتبعه منذ اليوم فنظروا فوجدوه قد قتل في ذلك اليوم فان قلت الامر بالبكاء ينافيه
الحديث الصحيح فاذا وجبت فلا تبكين باكية ومن ثم قال ائمتنا يكره البكاء بعد الموت قلت ليس المراد
بالبكاء المامور به هنا حقيقته بل لازمه من التاسف والحزن على ما حصل للدين واهله من استباحة
حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودم بنيه واهله ومن غاية الاستهزاء بحقهم والفرح بمصابهم ومن زوال
انوار النبوة وعلومها وتقاها وزهدها وكمالاتها بفقدهم وذلك كله مصائب لا يساويه مصاب فحق لكل
احد ان يحزن على ذلك وان يتاسف عليه وان يامر غيره ويدعو اليه فان قلت كيف نهى النبي صلى الله عليه وسلم
عن البكاء وبكى كما في الحديث المذكور قلت المنهي عنه انما هو البكاء بعد الموت لوقوع الياس به وعدم جدوى
البكاء حينئذ ... على نوع تبرم بالقضاء والواقع هنا البكاء منه صلى الله عليه وسلم قبله وهو محض رحمة
وبهذا تبين عدم الاحتياج للجواب بل عدم صحته بان المنهي عنه البكاء الاختياري وما وقع منه صلى الله
عليه وسلم لعله اضطراري وبيان للجواز اذا اطلق فيه البكاء على مجرد دمع العين وهو لا كراهة فيه ومن ثم لما
فعله صلى الله عليه وسلم على ابن لاحدى بناته فقيل له ما هذا قال وقد نهيت عن البكاء فقال انها رحمة و
انما يرحم الله من عباده الرحماء فتبين ان مجرد دمع العين لا محظور فيه ولا كراهة فتامله ثم تمم ما امر
من البكاء بما يصلح ان يكون دليلا حاملا عليه فقال **ان جزاء قليلا** اي قليل
مقابلة في عظيم من المصاب لا سيما مصاب الائمة بالحنين

واهل بيتهما رضي الله تعالى عنهم وبين قليل وعظيم طباق وفيه اشتفاق ورد العجز على الصدر **البكاء**
وان كثر وهو الصوت الذى يكون مع الدمع واما المقصور فهو الدمع فقط وهو القليل قتل قاتلهم و
دوام نصرتهم باشاعة ذكرهم وادامة الثناء عليهم والرد على اعدائهم وغير ذلك **كل يوم و**
كل ارض لكربي اى لاجل ما حصل لى من الكرب وهو الغم الذى ياخذ النفس بحيث
فوقها **منهم** اى بسبب ما حصل لهذين الامامين واهل بيتهما من القتل والاسر والسب
والايذاء **كربلاء** راجع لكل ارض **وعاشوراء** راجع لكل يوم ففيه لف ونشر
مشوش اى زاد بى ذلك الكرب حتى ان كل ارض حللت بها تصورت انها الارض التى قتل فيها الحسين
وكل يوم اصبح على تصورت انه يوم عاشوراء الذى قتل فيه فكربى تم جميع ما نافيه من الازمنة والامكنة
فلا يفارقنى بالانتقال من ارض لاخرى ولا من زمن لاخرى وبين كربى وكربلاء جناس شبه الاشتقاق
كهو وجناس الاشتقاق فى تاتى وناوين وفوضت وتفويضى وطبتم وطاب وصدتم وسود وتزيد
والنداء والقاسم واقسامى وابكيهم والبكاء **يا ال بيت النبى** هم مؤمنوا بنى هاشم والمطلب و
وهم المذكورون فى قوله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا و
اكثر المفسرين انها نزلت فى على وفاطمة والحسنين رضى الله عنهم وقيل نزلت فى نسائه صلى الله عليه وسلم
ونسب لابن عباس رضى الله عنهما وكان مولاه عكرمة ينادى به فى السوق ورد بتذكير ضمير عنكم وما بعده
وقال جمع نزلت فيهما ورجحه جمع بانهن سبب النزول فيدخلن قطعا ويدل له ما صح عن ام سلمة
رضى الله عنها ويدل له ما صح عن ام سلمة رضى الله عنها قلت يا رسول الله انا من اهل البيت قال بلى
ان شاء الله تعالى ولدخول ال البيت خبر مسلم انه ادخل اولئك الاربعة تحت كساء وقرء الاية و
صح انه صلى الله عليه وسلم جعل هؤلاء تحت كساء وقال اللهم هؤلاء اهل بيتى وخاصتى اذهب عنهم
الرجس وطهرهم تطهيرا وفى حديث حسن انه صلى الله عليه وسلم اشتمل على العباس وبنيه بملاءة

ثم قال

ثم قال يا رب هذا عمى وصنو ابى وهؤلاء اهل بيتى فاسترهم من النار كسترى اياهم بملاءتى هذه فقالت
اسكفة الباب وحوائط البيت امين ثلاثا فعلم ان المراد باهل البيت فى الاية اهل بيت سكنه صلى الله عليه وسلم
وهن امهات المؤمنين واهل بيت المؤمنين واهل بيت نسبه وهم مؤمنوا بنى هاشم وبنى المطلب وصح
هذا عن زيد بن ارقم والاشهر ان هؤلاء هم ال المذكورون فى قوله اللهم صل على محمد وعلى ال محمد وقيل
المراد بالال هنا كل مؤمن واختير وخبر ال كل مؤمن تقى ضعيف بالمرة وال البيت الذين حرمت عليهم الصدقة
هم المرادون فى جميع ما جاء فى فضل ال البيت والال او ذوى القربى واولئك الاربعة هم المرادون فى
اية المباهلة كما يصرح به ما صح عنه صلى الله عليه وسلم فيها **ان فؤادى** اى قلبى **ليس يعد**
جامد معناه نفى مضمون الجملة فى الحال ونفى غيره بالقرينة وقيل هى لنفى الحال وغيره وقواه ابن الحاجب بقوله
تعالى الا يوم ياتيهم ليس مصروفا عنهم وقال ابن مالك وترد للنفى العام المستغرق المراد به الجنس كلا
التبرئة وهو مما يغفل عنه وخرج عليه ليس لهم طعام الا من ضريع انتهى ويصح ارادة هذا المعنى الا
نعم هذا النظم **ليسلبه عنكم التاساء** بفوقية اوله اى ما يحصل لى من الشدة والحزن
وفى القاموس ساءه اذاه واستخف به بل يحبكم فيه مقيمة على الدوام لان لها محبة ولا ينقصها شدة وفى
الحديث والذى نفسى بيده لا يؤمن عبد حتى يحبنى ولا يحبنى حتى يحب ذوى قرابتى انا حرب لمن حاربهم
وسلم لمن سالمهم وعدو لمن عاداهم الا من اذى قرابتى فقد اذانى ومن اذانى فقد اذى الله تعالى
وفى الحديث ايضا انى تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتى فتامل كونه صلى الله عليه وسلم
قرنهم بالقران وان التمسك بهما يمنع الضلال ويوجب الكمال واشار الى ان ما عنده ما لازم له
لايفارقهم بسلو ولا تسل ولا يعزهم من الوفاء بحقهما والتحزن والتحسر لما صابهم انما هو مع تفويضه
الامور الى بارئها كما قال **غير** اى الا **انى** فهو استثناء منقطع **فوضت امرى**
فذلك كله **الى الله** الفاعل لما يشاء والمقدر لما يريد لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون

وتفويضى الامور الى من هو مقدرها وميسرها **براء** اى مبرئ للمفوض و
اعتماده على شى من حوله وقوته وذلك متعين على كل مسلم فضلا عن كامل ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم
لا حول ولا قوة الا بالله براءة من الشرك وكنز من كنوز الجنة وفى فوضت وتفويضى جناس الاشتقاق
وجملة تفويضى الى اخره تذييل **رب** للتقليل **يوم بكربلاء مسيء** باعتبار
وقع فيه من قتل الحسين ومن معه بها **خففت بعض وزره** اى ثقل ذلك الخطب
الجسيم والمصاب العظيم على النفوس التى عندها غيرة لال البيت النبوى **الزوراء** فيهما ومنه
شبه الاشتقاق وهى ناحية ببغداد اى ما وقع من خلفائها من بنى العباس الذينهم من جملة ال البيت من
اخذهم بعض ثار ابن عمهم الحسين وغيره من اهل البيت بالخروج على بنى امية لانهم عاشوا وجاروا
ولم يراقبوا الله ولا رسوله لحظة عين فى ال البيت الطاهرين المطهرين الكاملين المكاين بين الجامعين بين
علوم الشريعة والمعارف الربانية والاسرار الالهية والكرامات الباهرة والمعانى الفاخرة ثم تنزع الخلافة
منهم بعد ان نصرهم الله عليهم فقتلوهم شر قتلة كما قال **والاعادى** الذينهم املاك الفقه
الفجرة **كان كل طريح** اى مطروح **منهم** الى الارض بوارق السيوف ولوامع الا
الموجبة لتوالى الحتف **الزق** المنتفخ الملقى بالارض الذى **حل عنه الوكاء**
وهو ما يشد به راس الزق ولا زالوا يتبعونهم حتى قطعوا دابرهم عن اخرهم فقطع دابر القوم الذين
ظلموا والحمد لله رب العالمين وهذه القصة مبسوطة فى التواريخ كتاريخ الخلفاء للسيوطى ثم
فى اختصارى له فعليك بتطلبها من محلها ان شئت **ال** فهو منادى واصله اهل ابدلت الهاء
همزة ساكنة وقبلها همزة متحركة فابدلت الساكنة الفا على القاعدة ولا يضاف الا الى الاشراف كما
وانما قيل ال فرعون لانه كان متصورا بصورة الاشراف **بيت النبى** ومن القابيانهم
طبتم اصولا ونفوسا وافعالا واقوالا وصفات وظاهر النظم ان المراد بالطيب وبرجها تين لهما

طريح

منك

منك غير المراد به هنا وهو محتمل ويحتمل ان فى الموضعين للطيب ظاهرا وباطنا وان الطيب ثم لهما وهنا
للباقين وهو الاوجه لان ذلك مخصوص بهما وهذا فى عموم اهل البيت كما دلت عليه الاية السابقة
وهو قوله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا اذ هى منبع فضائلهم
لاشتمالها على غرر من ماثرهم والاعتناء بشانهم بحيث بدئت بانما المفيدة لحصر ارادته تعالى اذهاب
الرجس عنهم وهو الاثم والشك فيما يجب الايمان به وتطهيرهم من سائر الاخلاق والاحوال المذمومة
وفى احاديث تحريمهم على النار وهو فائدة ذلك التطهير وغايته اذ منه الهام الانابة الى الله تعالى وادامة الاعمال
الصالحة ومن ثم لما ذهبت عنهم الخلافة الظاهرة لكونها صارت ملكا عضوضا ولذا لم تتم للحسن عوضوا
عنها الخلافة الباطنة حتى ذهب قوم الى ان قطب الاولياء فى كل زمن لا يكون الا منهم ومحكمة ختم الاية
بتطهيرا المبالغة فى وصولهم لاعلاه وفى دفع التجوز عنه ثم تنوينه تنوين التعظيم والتنكير المشير الى انه تطهير
بليغ ليس من جنس ما يتعارف ويالف ثم اكد صلى الله عليه وسلم ذلك بقوله وقد جعل على على وفاطمة و
الحسنين كساء وقرا الاية وقال اللهم هؤلاء اهل بيتى اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا وفى رواية
اللهم ان هؤلاء ال محمد فاجعل صلاتك وبركاتك على ال محمد انك حميد مجيد وفى رواية انه قال اللهم هؤلاء
اهلى اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ثلاثا وصح حديث ان مثل اهل بيتى مثل سفينة نوح من ركبها
نجى ومن تخلف عنها هلك وحديث خيركم خيركم لاهلى من بعدى وحديث سالت ربى ان لا ازوج
الى احد من امتى ولا يتزوج الى احد من امتى الا كان معى فى الجنة فاعطانى ذلك وحديث واحبونى لحب
الله واحبوا اهل بيتى لحبى وحديث انا حارب لمن حاربهم وسلم لمن سالمهم قاله لعلى وفاطمة وابنيهما
وحديث ان لكل بنى اب عصبة ينتمون اليها الا ولد فاطمة فانا وليهم وعصبتهم وهم عترتى خلقوا
من طينتى ويل للمكذبين بفضلهم من احبهم احبه الله ومن ابغضهم ابغضه الله وحديث والذى نفسى بيده
لا يبغضنا اهل البيت احد الا اكبه الله فى النار **فطاب المديح لى فيكم** اذ انا لم استوف ما

حقكم ومعالى صرفكم لان الله تعالى ورسوله اثنيا الثناء عليكم بما ينقطع الاعناق دون الوصول الى غايته
والاحاطة بشئ من نهايته وطاب لى فيكم الرثاء وهو تعداد محاسن موتاكم ودفن طيبهم وطاب
الاشتقاق والمدح والرثاء الطباق ان احسان مدحكم فاذا انخت
المشبه الاعتناء بمدحكم على اقصى ما يمكن من وجوه البلاغة وقوانين الفصاحة بحسان ابن ثابت شاعر رسول
الله صلى الله عليه وسلم الذى كانت ينصب له منبر فى مسجده ينافح عليه كفار قريش ويرد عن رسول الله صلى
ويدعو له بقوله اللهم ايده بروح القدس ومن بلاغته انه لما اراد ان يهجو قريشا اخبر النبى صلى الله عليه وسلم بانه
نامن بطن من بطون قريش الا وله اليها قرابة فقال لاسلنك منهم كما تسل الشعرة من العجين ومر اعمر رضى
الله عنه لينشد شعرا فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر اليه شزرا فقال له كنت انشده فيه بين يدى
رسول الله صلى الله عليه وسلم من هو خير منك وهو يقول اللهم ايده بروح القدس ثم استشهد ببعض الصحابة
على ذلك فشهدوا له فاذا انخت عليكم اى رفعت صوتى بالبكاء فاننى الخنسا
بنت عمرو بن الشريد من سراة قبائل منهم قيس بن عيلان قيل قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع
قومها بنى سليم المؤلفين له صلى الله عليه وسلم ولذا حضر معه منهم فى يوم فتح مكة وحرب حنين الف رجل ونظرت
عائشة رضى الله عنها عليها ثوب الخز فاخبرتها بانه صلى الله عليه وسلم نهى عنه فاعتذرت بانها لم تعلم بالنهى ثم
ذكرت سببه وهو ان زوجها افتقر فسألت اخاها فقاسمها ماله فافتقر فسألته فقاسمها ماله ثم الثالث
كذلك ثم الرابعة كذلك فعاتبته زوجته فاجابها بانها اكفته عارها ولو هلك مزقت خمارها ولبست
من شعر صدرها فالت فلما هلك اتخذت هذا الثوب قيل لجرير من اشعر الناس قال انا لولا هذه قبله
بما فضلتك قال بقولها ان الزمان وما تفنى عجائبه ابقى لنا ذنبا واستوصل الراس
ابقى لنا كل مجهول وفجعنا بالحالين فهم هام وارماس ان الجديدين فى طول الخلاف وفيها
لا يفسدان ولكن يفسد الناس فاجمع علماء الشعراء انه لم تكن امرأة قبلها ولا بعدها اشعر منها
اى فاننى

اى فاننى
شبيهة فى نوحها على اخيها صخر ورثائها له بالمعانى البديعة والمبانى البليغة ومحاسن الثناء وجوامع
الرثاء ومنها الا يا صخر ان ابكيت عينا لقد اضحكتنى دهرا طويلا الى ان قالت اذا قبح البكاء
على قتيل رثيت بكاءك الحسن الجميلا ومنه ايضا يورقنى التذكر حين امسى ويردعنى
عن الاحزان نكسى على صخر واى فتى كصخر ليوم كريهة وطعان حلسى ثم قالت ولا تبكون
مثل اخى ولكن اعزى النفس عنه بالتاسى ومنها ايضا اعينى جودا ولا تجمدا الا
تبكيان لصخر الندا الا تبكيان الجرى الجميلا الا تبكيان الفتى السيدا طويل النجاد رفيع
المعاد ساد عشيرته حال امردا ومنه ايضا وان صخرا لتأتم الهداة به كانه علم فى راسه نار
وسئل الخليفة المهدى المفضل عن افخر بيت قالته العرب فذكر له هذا فاعطاه ثلاثين الف درهم بعدله
شكى ان عليه دين عشرة الاف درهم ورأها عمر بن الخطاب رضى الله عنه تطوف باكية لاطمة لخدها
معلقة نعل صخر فى خمارها فوعظها فقالت وذيت فارسا لم ير احد مثله فقال لها ان فى الناس من
هو اعظم رزية منك وان الاسلام قد غطى ما كان قبله وانه لا يحل لك لطم وجهك ولا كشف راسك
فكفت وحضرت حرب القادسية مع بنيها الاربعة رجال فحرضتهم على الثبات ابلغ تحريض ثم قالت
فاذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها وجللت نارها على اوراقها فتيمموا وطيسها وجالدوا راسها
تظفروا بالنعيم والكرامة فى دار الخلد والمقامة فتقدموا حتى قتلوا كلهم فقالت الحمد لله الذى شرفنى
بقتلهم وارجوان يجمعنى مستقر الرحمة وكان عمر رضى الله عنه يعطيها ارزاقهم الاربعة بها الى ان
حتى قبض رضى الله عنه سدتم الناس اما الحسنان وذريتهما فالمراد بالناس بالنسبة
اليهم الكل لكن بالنسبة اليهم لما فيهم من البضعة الكريمة التى لا يعادلها شئ واما بقية ال البيت فالمراد
بالناس بالنسبة اليهم من عدا الصحابة هذا كله بالنظر الى النسب واما بالنظر الى السيادة بالتقى فهو
خاص بالمتقين منهم وخصهم بذلك لا ترجاء عن كثيرين منهم من التقوى والزهد والعبادة و

العلم والمعرفة مالا يحصى من غيرهم وبهذا يجاب عما يورد على النظم ان السيادة من حيث التقى لا تختص بهم
والكلام انما هو فيما اختصوا به ووجه الجواب تميزهم على اكثر الناس بتقى لم يصل اليه غيرهم والمعنى
سدتم الناس بالنسب وتمم بزيادة التقى الذى لا يوجد فى غيركم وعن ان جماعة قالوا ان نبيا
لا يكون الا منهم ومع ذلك كله ففى النظم ايهام الا ان يقال سيادتهم الناس بالنسب اشهر من ان تذكر
ودليل الاول اعنى السيادة من حيث النسب الذى هو اشرف الانساب اية المباهلة قال بعض محققى
المفسرين فيها دليل اقوى من هذا على فضل على وفاطمة وابنيهما رضى الله تعالى عنهم اى لانها لما
نزلت دعاهم صلى الله عليه وسلم فاحتضن الحسن واخذ بيد الحسين ومشت فاطمة خلفه وعلى
خلفها فعلم انهم المراد من الاية وان اولاد فاطمة وذريتهم يسمون ابناءه وينسبون اليه نسبة
حقيقية نافعة فى الدنيا والاخرة لذلك ويدل ما صح انه صلى الله عليه وسلم خطب فقال ما بال اقوام
يقولون ان رحم رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينفع قومه يوم القيمة بلى والله ان رحمى موصولة فى الدنيا
والاخرة الحديث واخرج الطبرانى حديث ان الله عز وجل جعل ذرية كل نبى فى صلبه وان الله جعل
ذريتى فى صلب على ابن ابى طالب رضى الله تعالى عنه وروى غيره نحو ذلك من طرق وفى بعضها زيادة
واذا كان يوم القيمة دعى الناس باسماء امهاتهم سترا من الله عليهم الا هذا وذريته فانهم يدعون
باسمائهم لصحة ولادتهم وذكر ابن الجوزى ذلك فى العلل المتناهية مردود بان كثرة طرقه
ترقيه الى درجة الحسن بل الصحة ويؤيده ما صح عن عمر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
كل سبب ونسب ينقطع يوم القيمة ما عدى سببى ونسبى وفى رواية زيادة الصهر والحسب وكل
بنى انثى عصبتهم لابيهم ما عدا ولد فاطمة فانى انا ابوهم وعصبتهم وجاء فى حديث اخر بسند رجاله
من اكابر اهل البيت عمر رضى الله عنه قال ذلك لما تزوج على ابنته من فاطمة ام كلثوم منه
وانكار جماعة من متاخرى اهل البيت ان عليا لم يزوجها لعمر ليس فى محله واقرار الصحابة لعمر
ع

على هذا الاستدلال صريح فى رد ما وقع منه من اقاويل شاذة فى هذه المسئلة لا سيما ما لبعض بنى امية
فى ذلك ودليل الثانى اعنى النظر الى السيادة بالتقوى ما صح انه لما نزل فى قوله تعالى وانذر عشيرتك
الاقربين دعا صلى الله عليه وسلم جميع بطون قريش فعم وخص وقال للكل لا اغنى عنكم من الله شيئا غير
ان لكم رحما سابلها ببلالها اى سأصلها بصلتها ومعنى ذلك انه لا يملك لاحد نفعا ولا ضرا لكن
الله يملكه نفع اقاربه بل وامته بشفاعته الخاصة والعامة واخرج الطبرانى حديث ان اهل بيتى هؤلاء
يرون انهم اولى الناس بى وليس كذلك ان اوليائى منكم المتقون من كانوا وصح الحاكم حديث وعدنى
ربى فى اهل بيتى من اقر منهم بالتوحيد ولى بالبلاغ ان لا يعذبهم واخرج احمد حديث والذى بعثنى
بالحق نبيا لو اخذت بحلقة الجنة ما بدأت الا بكم وجاء فى احاديث ضعيفة ان فاطمة رضى الله عنها
فرجها فحرمها الله وذريتها على النار وفى رواية ان عليا قال يا رسول الله لم سميت فاطمة فاطمة قال لان
الله تعالى فطمها وذريتها على النار نعم اخرج الطبرانى بسند رجاله ثقات ان الله غير معذبك ولا احدا
من ولدك وورد يا عباس ان الله غير معذبك ولا احد من ولدك ولا ينبغى لاحد من ال البيت ان يغتر
بذلك لانه استفيد من قوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث السابق ان اهل بيتى هؤلاء يرون انهم اولى الناس
وليس كذلك ان اوليائى المتقون الخ وحديث البخارى ومسلم ان ال بنى فلان ليس باوليائى انما وليى الله
وصالح المؤمنين ان نفع رحمه وقرابته وشفاعته للمذنبين من اهل بيته وان لم ينتف لكن ينتفى عنهم بسبب
عصيانهم ولاية الله ورسوله لكفرانهم نعمة قرب النسب اليه صلى الله عليه وسلم بارتكابهم ما يسوءه صلى الله عليه وسلم
عند عرض عملهم عليه ومن ثم تعرض صلى الله عليه وسلم عن بعض من يقول منهم فى القيمة يا محمد يريد ان يشفع له
فيقول صلى الله عليه وسلم لا املك لك من الله شيئا كما فى الحديث وتامل قول الحسن بن السبط رضى الله
عنهما لبعض الغلاة فيهم ويحكم احبونا لله فان اطعنا الله فاحبونا وان عصينا الله فابغضونا
ويحكم لو كان الله نافعا بقرابة من رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير عمل بطاعته لنفع بذلك من هو اقرب

اليه منا اى كابي طالب والله انى لاخاف ان يضاعف للعاصي منا العذاب ضعفين وان يؤتى المحسن
منا الجر مرتين وكانه اخذ ذلك من قوله تعالى يا نساء النبي من يات منكن بفاحشة مبينة يضاعف
لها العذاب ضعفين وقال موسى بن على بن الحسين بن على عن ابيه عن جده انما شيعتنا من
اطاع الله وعمل اعمالنا وبه يعلم ان الفرقة المسماة بالشيعة ليسوا بشيعة آل البيت وانما هم من شيعة
ابليس لعنهم الله كان الحديث الذى رواه الدارقطنى وقال ان له عنده طرقا كثيرة يا ابا الحسن انت وشيعتك
فى الجنة وان قوما يزعمون انهم يحبونك يصغرون الاسلام ثم يلفظونه يمرقون منه كما يمرق السهم من
الرمية لهم نبز يقال لهم الرافضة فان ادركتهم فقاتلهم فانهم مشركون وفى رواية قالوا يا رسول الله ما العلامة فيهم
قال لا يشهدون جمعة ولا جماعة ويطعنون على السلف **وسواكم** الذين يدعون سيادة و
ينقمون عليكم لا سيادة لهم كسفهاء بنى امية اما المراد وسواكم اى غيركم الذين لم يعلوا بعلمكم لا سيادة
لهم فى الدين اصلا بل ولا فى الدنيا عند الكمل وانما **سودته** عند الجهلة مثله وامرد الغير نظرا
للفظ سوى **البيضاء** اى الفضة البيضاء **والصفراء** اى الذهب اى طمع الناس فى
ماله فتخصيص هذين لشدة الاحتياج والتطلع اليهما اكثر من غيرهما وفى سدتم وسودتم الا
والبيضاء والصفراء التدبيج **و** اقسم عليك **باصحابك** جمع صاحب وهو من اجتمع مؤمنا
ولو طفلا واعمى بالنبى صلى الله عليه وسلم فى حيوته مؤمنا ومات مؤمنا وحذف الشارح كشيخه الجلال المحلى
رحمهم الله تعالى لهذا الاخير فيه نظر وابهام وان وقع فى صنيع احمد بن حنبل رضى الله تعالى عنه
ستره ما يؤيد ذلك كما بينته فى محل اخر **الذين هم بعدك فينا**
الهداة اى الدالون للامة على الله تعالى بما يجب له ويجوز ويستحيل عليه وعلى رسله كذلك
وعلى شريعته وعلى تهذيب النفوس وكمال الاخلاق والجهاد فى الله تعالى وغير ذلك مما يليق بكل ما ذكره
هذا مقتبس من قوله صلى الله عليه وسلم اصحابى كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم واستعملهم هذا اللفظ

اخص

اخص اراده بذلك فقال اقتدوا باللذين من بعدى ابى بكر وعمر **والاوصياء** اى الذين
وصيتهم بالقيام بامور الدين والمجاهدة عليها ففتحوا الامصار والبلاد وساسوا الامة ونشروا فيها علوم
الكتاب والسنة حتى خضعت الرؤس لمعالمهم وباد واهل الزيغ من اخرهم فلم يبق منهم رئيس ولا مرؤس
وانما حملت الاوصياء على من ذكر ردا على من زعم انه صلى الله عليه وسلم وصى بالخلافة لابى بكر او على ورد
الرد ان الذى دلت عليه صريح السنة ووقع عليه اجماع من يعتد به انه صلى الله عليه وسلم لم يوص فى امر الخلافة
بشيء صريح الا لهلكت الامة لو خالفوا ذلك النص فاقتضت المصلحة العامة وشفقته صلى الله عليه وسلم الى
اتها لابى بكر باشارات تقرب من التصريح كما بينتها فى الكتاب السابق ذكره ولعل تلك المصلحة التى ذكرناها
علم التصريح هى التى ظهرت له صلى الله عليه وسلم لما طلب فى مرض موته دواة وقرطاسا ليكتب فيه ما لا يضلون
معه فكثر عنده اللغط فى مريد الكتابة ليقع التصريح وينقطع العذر ومن غير يد عنها كعمر خشية
من مخالفة النص المؤدية الى هلاك المخالف فلذا ترك صلى الله عليه وسلم الكتابة والدليل على انه انما ترك
لمصلحة انه مكث بعد ذلك المجلس اياما ولم يذكر ذلك ولا طلبه ولو كان فيما طلبه ولو كان مصلحة
على احد لم يترك ذكره وان وقع اعظم ما وقع فسكوته كذلك صلى الله عليه وسلم اوضح دليل على ما تقرر
بعدك الخلافة منك **فى الدين** بالقيام بجميع ما يجب ويحسن من اقامة منار
الظاهر والباطن حيث اجمعوا على استخلاف ابى بكر رضى الله عنه ثم على استخلافه لعمر ثم على استخلاف اهل
الشورى لعثمان ثم على مبايعة على ثم ابنه الحسن ثم بعد نزول الحسن لمعاوية على ولاية معاوية رضى الله
عنهم اجمعين وحيث نصبوا انفسهم كلهم نفوسهم بمجاهدة الاعداء ونشر العلوم الى ان حملها منهم التابعون
ثم من بعدهم جزاهم الله عن الاسلام والمسلمين خيرا **وكل** منهم **لما تولى** فى حيوته صلى الله
عليه وسلم وبعد وفاته صلى الله عليه وسلم من الخلافة او الامارة او القضاء او تجهيز الجيوش وحفظ الثغور
الحصون وغير ذلك من امور الدنيا والدين بل على ان جميع امورهم انما كانت للدين لا غير **اذاء**

بكسر الهمزة وفتح الذال ككتاب اى قيم بما تولاه واهل له فى اتى بقيمة امور من كان كيف وهم جميعهم عدول
كما نطق به القران ومن وقعت منهم له هفوة فقد كفرت عنه بجدا وتيرتهم **اغنياء نزاهة**
اى من جهة حيثية النزاهة والتعفف عن جمع المال وان كان من جهة يقطع بحلها لان محط
نظرهم انما هو التجرد المطلق من سائر القواطع عن الله تعالى وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم ليس الغنى
بكثرة العرض اى المال فانما الغنى غنى النفس اى بالله عما سواه سواء كان بيده مال ام لا ومن كان منهم
بيده مال كابن عوف وعثمان والزبير فانما كان خازنا لله تعالى يصرفه فى مصارفه الشرعية فهو مقتنيه
لذلك لا للفخر ولا للمباهات ولا لمحبة جمع لذلك الحطام الفانى حطام و لذلك جاء ان عبد الرحمن
بن عوف اعتق ثلاثين الف رقيق وتصدق هو وعثمان فى غزوة تبوك بما ابهر العقل وكان للزبير
الف عبد يؤدون اليه الخراج وما مات الا وعليه دين كثير جدا من الديون وعن ابن عوف ربع ثمنه ثمانون
الف دينار لا ينافى ما تقرر انه انما كان خازنا لله تعالى لان الخازن ليس معناه انه يخرج جميع ما فى يده
دفعة واحدة بل يبقيه ويخرج منه ما هو المطلوب منه فى كل حال او زمن واما اخرجه صلى الله عليه وسلم
لجميع ما كان يدخل يده دفعة واحدة فهو لا لاحتياجه لذلك لشدة ضرورات اصحابه او لان حالة
فى الامور الخارقة للعادة لا يقدر غيره على التاسى به فيها ولا يكلف مما انعم به عليه او جبر الخاطر الفقراء
بذلك فكل ذلك غير قادح فى فضله رضى الله عنه ثم هم **فقراء** اى غالبهم بل كلهم لان ذوى الغنى
منهم كانوا فقراء الى الله تعالى كما مر وانما يعدون من الاغنياء الا باعتبار الصورة واما باعتبار الحقيقة فهم
على غاية من الافتقار الى الله تعالى بواطنهم وظواهرهم لا يشهدون لنفوسهم مالا ولا غنى وانما يعدون
انفسهم خزنة او غيره بما يقرره معنى غناهم وفقرهم يعلم ان الغنى الشاكر افضل من الفقير الصابر
هى مسئلة كثر الاختلاف فيها والحق منها ما قررته لما علمت ان الغنى هو الذى ختم به امره صلى الله
عليه وسلم وهو كان واكمل الطرق والكمالات فلولا ان الغنى مع الشكر افضل من الفقر مع الصبر لما

ختم

ختم له به صلى الله عليه وسلم قبل موته وقيل محل الخلاف فى الفقر مع الصبر كما تقرر واما الفقر مع الرضى فهو افضل قطعا
انتهى وفيه نظر واضح لانه صلى الله عليه وسلم كان فى ابتداء امره مع فقره على غاية من الرضى لم يصل اليها غيره
ومع ذلك لم يختم له الا بالغنى مع الشكر كما تقرر وبفرض صحة هذا القول فغالب فقراء الصحابة يفضلون
اغنياءهم لانهم راضون بفقرهم قطعا وبين اغنياء وفقراء التضاد وكذا بين ائمة وامراء وبين الرخص
الاملاء الاتيان هم **علماء ائمة** لانهم ورثوا من علومه صلى الله عليه وسلم ما تميزوا به عن جميع من جاء
بعدهم وفى الحديث اصحابى كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وهذا بالنسبة لاكثرهم والا فقد جاء ان
الحسن البصرى رحمه الله تعالى كان يفتى الصحابة فى زمنه بتركهم للدنيا وقد قال صلى الله عليه وسلم فى الحديث
المتفق عليه فى خطبة حجة الوداع رب مبلغ اى بفتح اللام اوعى من سامع **امراء** اى كثيرون منهم تولوا
الامارة فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم فى زمن الخلفاء الراشدين فقاموا بحقوقها وبروا وعدلوا
ومن ثم لما رمى بعض المتهورين سعد بن ابى وقاص رضى الله عنه لما كان اميرا على الكوفة بعدم العدل فيهم
دعا عليه بدعوات استجيب فيه عاجلا حتى صار عبرة للناس ومنها ان الله تعالى يطيل عمره ويعرضه للفتن
فكان اهدب حاجبيه قد سقطا على عينيه من الكبر يتعرض للجوارى فى الاسواق ويقول شيخ سوء اصابتنى
دعوة العبد الصالح سعد بن ابى وقاص رضى الله عنه ودما يدل على انهم اغنياء نزاهة لا غير انهم **زهدوا**
فى الدنيا بضم الدال وحكى ابن قتيبة كسرها فعلى من الدنو اى القرب لسبقها للاخرى وقيل لدنوها
من الزوال وهى ما على وجه الارض وقيل كل المخلوقات من الجواهر والاعراض ويطلق على كل من ذلك مجازا
كما هنا فان المراد بها هنا الاموال وتوابعها من نحو الجاه والكبر والفخر والخيلاء ولفظها مقصور بلا
تنوين حيث لا لام فيها وحكى تنوينها واستشكل ابن مالك استعمالها منكرة كما فى الحديث واجاب بانها تخلعت
على الوصفية واجريت مجرى ما لم يكن وصفا قط كرجعى ثم الصحابة رضى الله عنهم فى الزهد فيها وفى اخذ ما
يحتاج اليه من الحلال وترك ما لا يحتاج اليه منه على قسمين فاكثرهم تركوا السعى فى تحصيلها بالكلية واشتغل

بالعلوم والمعارف ونشرها وبالعبادات حتى لم يبق من اوقاتهم شئ الا وهو مشغول بشئ من ذلك وفي كناية منهم حصلوها لكن كانوا خزانا لله تعالى كما مر وهذا لا ينافي زهدهم فيها لانهم لم يمسكوها لانفسهم بل لا على مستحقها بحسب نظرهم واجتهادهم واذا تقرر ان زهدهم بتسميتهم فيها حقيقي **فما عرف الميل اليها منهم** بنوع التفات ولا اقبال لحقارتها في اعينهم **والرغباء** اي الزيادة في تحصيلها وهذا علم من نفي الميل بالاولى فذكره مجرد ايضاح وفيه من البديع ذكر النظير و التذييل ولا ينافي هذا ثناءه صلى الله عليه وسلم على المال بقوله نعم المال الصالح في يد الرجل الصالح ودعاءه صلى الله عليه وسلم بركة ناس من الصحابة كابن عوف وانس وغيرهما فكثرت اموالهم جدا لان المال له جهتان جهة خير كصرفه في الطاعات والثناء به على قيام امور الديانات وبالنظر اليها يثني عليه وجهة شر كصرفه في ضد ذلك وبالنظر اليها يذم ويقبح ولهذا قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الوارد بسند حسن خلا لمن وهم فيه اللهم من احبني فاقلل ماله واكثر ولده الحديث وقد بسطت الكلام على ذلك مع استيعاب ما ورد في مدح الدنيا وذمها والجمع بين تلك الاحاديث في كتابي سعادة الدارين في صلح الاخوين بما لا ينبغي من مراجعته **ارخصوا في الوغا** اي بسبب الحرب الواقع منهم لاعدائهم في الوقائع المشهورة ان الملاقاة الوغا على الحرب مجاز لا حقيقة **نفوس ملوك** كثيرين فكيف بغيرهم **حاربوها** بقوة عزام منهم وشدة جزم وصدق نية واخلاص طوية فنصرهم الله عليهم بقتل بعضهم تارة وازالة ملك اخرين اخرى **اسلابها** بفتح الهمزة جمع سلب بفتح اللام وهو ثياب القتيل وفرسه وما عليها من الات والسلاح والنقد والجنيبة تقاد بين يديه وليس المراد خصوص جمع القلة لانه جمع مضاف للملوك الذي هو جمع الكثرة واضافة الجمع تفيد عمومه في الافراد وهو التخصيص في الجمع عليه كثيرون **اغلاء** بكسر الهمزة اسم مصدر لغلاء السعر بمعنى اسم الفاعل اي غالية الاثمان وفي بعض النسخ ضبطه بفتح الهمزة وكانه جمع غال كداء واداء وبه يندفع قول الشارح وجه له انتهى بل وجهه

اظهر

اظهر من الاول لان حمل المصدر واسمه على الجمع يحتاج لتاويل كما اشرت اليه بخلاف حمل الجمع على الجمع وما قيل على المعنى الاول ان المعنى انه لما كان القتل خاصا للنفوس فالاسلاب احق بها الملائكة لا سلاب و قيل على المعنى الاول ايضا وكان الناظم يقول انهم كما ارخصوا نفوس محاربيهم بالقتل فقد اغلوا اسلابهم بواسطة كثرة ما سلبوه واجتمع عندهم من الاسلاب فقابل بين ارخاص الانفس واغلاء الاموال التي هي الاسلاب الماخوذة ممن قتلوه لكثرة ما قتلوه وسلبوه نفي كل من المعنيين بعد وحفاء والوجه ان المعنى عليه انهم كما ارخصوا تلك النفوس عوضهم الله تعالى بتلك الاسلاب الغالية الاثمان على حد رجل عدل اي عادل او حال عدل اي عادلون فكما ان المصدر هنا اول باسم الفاعل فكذا فيما نحن فيه ياول الاغلاء بالغالية هذا هو المعنى على فتح الهمزة فساوى المكسر المفتوح **كلهم في احكامه** جمع حكم والحكم الشرعي خطاب الله المتعلق بفعل المكلف بالاقتضاء او التخيير وحكم الحاكم يظهر ذلك ويطلق ايضا عند الاصوليين على النسب التامة المثبتة تارة والمنفية اخرى كما في قولهم الفقه العلم بالاحكام الشرعية وهذا هو المراد هنا خلافا لما يوهمه كلام الشارح **ذو اجتهاد** صحيح لتوفر شروط الاجتهاد كلها في جميعهم بزيادة ولذلك لم يعرف من احد منهم انه قلد غيره في مسئلة من المسائل وكان الناس يستفتون كل من رأوه منهم فيفتيه باجتهاده ولا يعترض احد منهم على احد الا ان كان هناك نص صريح خالف فيذكره لهم فمنهم من يرجع اليه ومنهم من يتقلد او يعارضه بمثله وبهذا رد على قوم سلبهم الله الدين والعقل وسلط عليهم الحمق والجهل فاعتقدوا انهم ذووا هوى او تعنت او حظ او بغض حاشاهم الله من ذلك بل لم يختارهم لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم الا وهم على اكمل الاوصاف واجلها **و** ذو **صواب** يعني ذو ثواب ولو عبر به لكان اولى لان ابقاءه على حقيقته انما ياتي على القول الضعيف ان كل مجتهد مصيب وان حكم الله تابع لظن المجتهد اما على الاصح ان المصيب واحد وان له اجرين كما صح به الخبر او عشرة اجور كما في رواية والمخطئ اجر واحد كما صح به الحديث ايضا فلا يقال كلهم ذو صواب بل صوابه ذو ثواب كما تقرر فتامله فعلى الاول كل من علي ومعاوية رضي الله عنهما

وعلى الثاني علي مصيب له اجران او عشرة اجور ومعاوية في حرب علي مخطئ له اجر واحد والاجتهاد بذل الوسع في تحصيل المقصود ثم ان وافق ما عند الله فهو صواب والا فخطاء فان قلت يمكن تاويل النظم بان المراد ذو صواب عند نفسه باعتبار انه يجب عليه العمل بما ظنه وان لم يكن صوابا في نفس الامر قلت وهو تاويل بعيد على ان هذا لو كان مراده لم يسغ له فيه هذا الاطلاق الموهم **وكلهم اكفاء** اي متكافئون في اصل الصحبة والفضيلة والعلم والاجتهاد وابراز الاحكام لله تعالى لا لحظ ولا لهوى وانما يتفاوتون في الزيادة في ذلك وح فلا ينافي ذلك قول ابن عمر ابو بكر اعلمنا ولا سؤال عمر لعلي فيجيبه فيقول لا ابقاني الله لامر لست فيها يا ابا الحسن ولا تقديم عمر لابن عباس على اكابر شيخة المهاجرين والانصار لما كان يجد عنده من العلم ببركة دعاء النبي صلى الله عليه وسلم بان الله يفقهه في الدين ويعلمه التاويل لما ليس عندهم ولا سؤال معاوية لعلي بالارسال اليه بالمشكلات فيجيبه ولقد قال له احد بنيه لم تجيب عدوك فقال اما يكفينا ان احتاجوا الينا وسئلنا واجمعوا على ان افضل الناس بعد الانبياء عليهم الصلوة والسلام ابو بكر ثم عمر ثم علي والاصح عثمان ثم علي ثم بقية العشرة المبشرين بالجنة ثم اهل بدر ثم اهل بيعة الرضوان وقيل اهل احد **رضي الله عنهم ورضوا عنه** اقتباس من قوله تعالى والسابقون الاولون الى قوله رضي الله عنهم ورضوا عنه ورضى الله عن العبد اثابته من تخطيه واجلاله تعالى داركرمه ورضى العبد عنه ان لا يختلج في سره ادنى حزازة من وقوع قضاء من اقضية الحق به بل يجد ذلك في قلبه برد اليقين وثلج الصدر وشهود المصلحة العظمى بزيادة الطمانينة وبين رضي ورضوا اشتقاق كيخطو وخطاء الاتيين **فسبب** ما ذكر من اوصافهم وختمها بما في الاية في حقهم **اني** استفهام انكاري تعجبي اي كيف **يخطو** اي يصل **اليهم** اذ الخطوة ما بين القدمين **خطاء** وهو بالمد للوزن لغة في الخطا بالقصر نقيض الصواب يعني لا يخطي ما احد منهم خطأ ياثم به لما مر انهم كلهم مجتهدون وان المجتهد اذا اخطا له اجر وهذا كالذي قبله ماخوذ من عدة

احاديث

احاديث ذكر فيها في الصواعق السابق ذكرها مع ذكر مخرجيها وها انا اذكر منها جملة مجردة عن ذلك اتكالا على اسانيدها ثم منها ان الله تعالى اختارني واختار لي اصحابا فجعل لي منهم وزراء وانصارا واصهارا فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين ولا يقبل الله منه يوم القيمة صرفا ولا عدلا اي لا فرضا ولا نفلا وفي رواية من حفظني فيهم حفظه الله في الدنيا والاخرة ومن لم يحفظني فيهم تخلى الله عنه ومن تخلى الله عنه يوشك ان ياخذه واذا اراد الله برجل من امتي خيرا القى حب اصحابي في قلبه اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم الله الله في اصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن احبهم فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن اذاهم فقد اذاني ومن اذاني فقد اذى الله ومن اذى الله يوشك ان ياخذه ما شانكم وشان اصحابي ذروا لي اصحابي فوالذي نفسي بيده لو ان احدكم انفق مثل احد ذهبا ما ادرك مثل عمل احدهم يوما واحدا وفي رواية للشيخين وغيرهما لا تسبوا اصحابي فوالذي نفسي بيده لو ان احدكم انفق مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه ومن لم يحفظني في اصحابي لم يرد علي الحوض خير الناس قرني الذي انا فيهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم الحديث والباقي ارذال اي غالبهم وفي رواية متفق عليها خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم الحديث وهم اول داخل في قوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس ولا مقام اعظم من مقام قوم ارتضاهم الله تعالى عز وجل لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم ونصرته **جاء** الى النبي صلى الله عليه وسلم **قوم** من الصحابة رضي الله تعالى عنهم **من بعد قوم** وهم السابقون الاولون ثم الذين يلونهم في تبعهم وهكذا الى وفاته صلى الله عليه وسلم وكان الناظم اشار بهذا الى ما في اول صحيح البخاري من هرقل لما سئل ابا سفيان رضي الله عنه عن اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ايزيدون ام ينقصون فقال بل يزيدون واذ قال يرتد احد منهم سخطة لدينه فقال لا فبين له ان من شان الرسل ان اصحابهم كذلك فعلم ان مجيء الصحابة قوما من بعد قوم من علامات نبوته صلى الله عليه وسلم واندفع ما قد يقال اي فائدة في هذه الجملة من كلام الناظم وهل هي الا

مجرد اخبار بلا قمع لا يترتب عليه فائدة اذ لا فرق بين مجيئهم اليه دفعة او دفعات وكلهم متلبسون **بحق** فلا طعن فيهم لطاعن واما نقمة الرافضة ونحوهم عليهم فلم يصح شيء منه اصلا وانما هو من مقالات الجاهلية ووضع المفترين **وعلى المنهج** اى الطريق الواضح **الحنيفي** اى المستقيم الذى لا انحراف فيه ولا اعوجاج **جاؤا** كلهم وتابعوهم باحسان وكذا لا يزال طائفة من امتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتيهم امر الله وهم على ذلك **ما لموسى** كليم الله تعالى **ولا لعيسى** روح الله صلى الله على نبينا وعليهما الصلوة والسلام **حواريون** جمع حوارى وهو الناصر وجعل ذلك علما بالغلبة على اصحاب عيسى عليه السلام لانهم كانوا يحورون الثياب اى يقصرونها او من الحور وهو الابيض لبياض الوانهم **فى فضلهم** بشهادة نص آية كنتم خير امة اخرجت للناس وحديث خير القرون قرنى وفى رواية خير الناس قرنى وحديث المناجاة ان موسى رأى لهذه الامة فى اللوح اوصافا باهرة فقال يا رب اجعلنى منهم **ولا نقباء** فى فضلهم ايضا وهو لف ونشر مشوش اذ الحواريون لعيسى والنقباء لموسى ولما اقسم بالصحابة كلهم اجمالا خص العشرة المقطوع لهم بالجنة مرتبا للاربعة الاول منهم على ترتيبهم فى الافضلية والاحقية بالخلافة فقال واقسم عليك **بابى بكر** الصديق رضى الله تعالى عنه فهو عطف على المعلوم بحذف حرفه ويصح انه وما بعده ابدال تفصيلية من باصحابك **الذى** تميز من سائر الصحابة رضى الله تعالى عنهم بما كان كالصريح فى انه الخليفة الحق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه افضلهم بل وافضل الخلق ما عدا الانبياء والمرسلين كما صح بحديث ما طلعت الشمس ولا غربت على احد بعد النبيين والمرسلين افضل من ابى بكر وبما **صح** من طرق كثيرة بحيث اشتهر بل تواتر معنويا بالضرورة كما قاله الاشعرى ولذا لم يسمع احد من المبتدعة انكاره **للناس به فهو الاقتداء** فالفاعل صح والظرف متعلق به فمن تلك الطرق ما اخرجه الشيخان اشتد مرض النبى صلى الله عليه وسلم فقال مروا ابا بكر فليصل بالناس فقالت عائشة رضى الله عنها يا رسول الله انه رجل رقيق القلب

اذا قام

اذا قام مقامك لم يستطع ان يصلى بالناس فقال مرى ابا بكر فليصل بالناس فعادت فقال مرى ابا بكر فليصل بالناس فانكن صواحب يوسف فاتاه الرسول فصلى بالناس فى حيوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى رواية انها لما راجعته فلم يرجع لها فقالت لحفصة قولى له يأمر عمر فقالت له فاشتد غضبه وقال مروا ابا بكر وفى اخرى ان الحامل لعائشة على ذلك خوفها تشاؤم الناس به بقيامه مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مرضه الذى مات فيه وفى اخرى انه امرهم بالصلوة وكان ابو بكر غائبا فتقدم عمر رضى الله عنه فكبر وكان صيتا فقال صلى الله عليه وسلم بعد ان اخرج رأسه مغضبا لا لا يأبى الله والمسلمون الا ابا بكر ثلاثا وفى اخرى انه فجر الاثنين يوم موته كشف سجف حجرته فراهم فى صلوة الصبح وابو بكر يصلى بهم فتبسم فضحك فنكص ابو بكر على عقبيه ظنا انه يريد الخروج اليهم وهم المسلمون ان يفتتنوا فى صلوتهم فرحا به فاشار اليهم بيده ان اتموا صلوتكم ثم دخل الحجرة وارخى الستر فتوفى ضحى وفى البيت تلميح الى هذه القصة قال العلماء فيه اوضح دليل على انه افضل الصحابة مطلقا واحقهم بالخلافة واولاهم بالامامة ومن ثمة اجمعوا على ذلك لان تقديمه بحضرة المهاجرين والانصار مع قوله يؤم القوم اقرأهم لكتاب الله تعالى اى اعلمهم بالقرآن صريح فى انه اعلمهم مطلقا وقد استدل الصحابة انفسهم بهذا على انه احق بالخلافة منهم حتى قال على لقد امر النبى صلى الله عليه وسلم ان يصلى بالناس وانى لشاهد وما انا بغائب وما بى مرض فرضينا لدنيانا ما رضيه النبى صلى الله عليه وسلم لديننا وما احسن قول من قال صلى بالناس ثمانية ايام والوحى ينزل فسكت الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وسكت المؤمنون ومن الظواهر والقرائن على خلافته ايضا ما اخرجه مسلم انه صلى الله عليه وسلم قال لعائشة فى مرض موته ادعى لى ابا بكر واخاك حتى اكتب كتابا فانى اخاف ان يتمنى متمن ويقول قائل انا اولى بها ويأبى الله ورسوله والمؤمنون الا ابا بكر وفى رواية اكتب لابى بكر كتابا لا يختلف عليه احد ثم قال دعيه معاذ الله ان يختلف المؤمنون فى ابى بكر وصح ان قوما سئلوا النبى ان يسئل لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى من يدفعون اليه زكوتهم بعده فسئله فقال الى ابى بكر واخرج الشيخان

ان امرأة اتته صلى الله عليه وسلم فامرها ان ترجع اليه فقالت ارأيت ان جئتك ولم اجدك كانها تقول الموت بعده فقال صلى الله عليه وسلم ان لم تجدينى فاتى ابا بكر ومنها ما اخرجه الشيخان ايضا من عدة طرق انه صلى الله عليه وسلم رأى انه على بئر لم تطو ونزع منها بدلو فاخذ الدلو من يده ابو بكر فنزع بها ذنوبا او ذنوبين ثم اخذها عمر من ابى بكر فاستحالت فى يده غربا اى دلوا كبيرة فاستسقى منها حتى ضرب الناس بعطن اى حتى رووا واقاموا حول الماء. هذا اشارة الى خلافة ابى بكر رضى الله عنه وقصر مدته وطول مدة عمر رضى الله عنه وكثرة الفتوح وظهور الاسلام فى زمنه وبقيت ادلة اخرى صحيحة آيات واحاديث كثيرة تدل على حقية خلافته وانه اعلمهم وافضلهم بينتها اتم تبيان فى كتابى الصواعق المتقدم ذكره **والمهدى** اى المسكن للفتنة والاضطراب فى امر الخلافة **يوم السقيفة** التى لبنى ساعدة من الانصار حين اجتمعوا بعد وفاته صلى الله عليه وسلم فيها الى سعد بن عبادة سيد الخزرج ليولوه **لما** اى حين **ارجف الناس** اى اضطربوا فى امر الخلافة وبين المهدى اى المسكن وارجف والقرب والابعاد نوع ويسمى المطابقة **انه** تعليل للمهدى ولا ينافيه كسر ان لانها مع كونها للاستيناف قد تفيد التعليل ايضا كما صرحوا به فى ان الحمد والنعمة لك فى التلبية **الله داء** اى المسكن للاضطراب لا غيره وكان مراده انه المشهور قديما وحديثا فانه يسكن الفتن ويجلى كربها اه فى الصحيحين عن عمر رضى الله عنه انهم لما دفنوا النبى صلى الله عليه وسلم تخلف على والزبير ومن معهما فى بيت فاطمة وتخلفت الانصار باجمعها فى سقيفة بنى ساعدة واجتمع المهاجرون الى ابى بكر فقال له عمر انطلق بنا الى الانصار فذهبوا اليهم فلما جلسوا قام خطيبهم فخطب واثنى على الله تعالى ثم مدح الانصار والحسب بحيث لم يترك شيئا ثم اتى منهم الا ذكرها ثم ذكر ان قوما يريدون ان يستبدوا بالامر عليهم ثم سكت فاراد عمر ان يخطب بما زوره فى قلبه اى جمعه فاشار اليه ابو بكر بالسكوت ثم خطب واثنى على الانصار ثم بين ان الخلافة لا تكون الا فى قريش واحتج بالحديث الصحيح الائمة من قريش ثم قال قد رضيت لكم اما عمر واما ابا عبيدة فاخذ بيديهما

وقال

وقال بايعوا من شئتم منهما وقال الحباب بن المنذر وتحمس وتزعم ثم قال منا امير ومنكم امير فكثر اللفظ وخيفت الفتنة فبادر عمر وقال لابى بكر ابسط يدك فبسطها فبايعه فتبعه المهاجرون ثم الانصار فقال قائل قتلتم سعد بن عبادة اى لانه كان به بعض مرض فقال عمر قتله الله اى لان الاجتماع عنده ربما كان سببا للفتنة فساغ لعمر اجتهاده وانه بالنسبة اليه كالشيخ بالنسبة الى تلميذه ثقة به بما يراه ان يقول نحو ذلك وصح ان عمر احتج على الانصار بامامة ابى بكر فرجعوا عما كانوا فيه وقالوا نعوذ بالله ان نتقدم على ابى بكر ولما بايعوه صعد وجلس على المنبر فقام عمر فتكلم قبله فحمد الله ثم اثنى على ابى بكر ثم قال قوموا فبايعه الناس البيعة العامة فخطب ابو بكر ثم قال وليت عليكم ولست بخيركم فان احسنت فاعينونى وان اسأت فقومونى اطيعونى ما اطعت الله ورسوله فاذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم ثم نظر فلم ير الزبير فدعى به فجاء فتكلم عليه فقال لا تثريب يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعه فلم ير عليا فدعى به فتكلم عليه فقال لا تثريب يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعه واستدل كل منهما على احقيته بالخلافة بانه صاحب الغار وتقديمه للامامة وحكى ابن سعد وغيره ان الصحابة اجمعوا على خلافة ابى بكر لم يتخلف عنها احد منهم ثم تبعهم من بعدهم من اهل السنة والجماعة الى الآن ثم هلم وكذا اكثر الفرق واقسم عليك بابى بكر الفاعل لذلك حال كونه كرم الله وجهه **انقذ** بالقاف والذال المعجمة **الدين** وهو ما جاء به النبى صلى الله عليه وسلم اى نجاه بازالة كل شبهة عنه واهله بازالة اسباب الفساد بينهم **بعد ما** مصدرية **كان** اى وجد **للدين** متعلق هو وما بعده باسمها وهو اشفاء **على كل كوبة** اى ثم باخذ النفس ويصح كونهما قصة وللدين خبرا **اشفاء** اى اشراف وقرب بحيث يخشى منه ان لا يجتمع للاسلام بعده شمل ابدا ومن ثمة قال ابو هريرة رضى الله عنه والله لولا ابو بكر ما عبد الله بعد محمد صلى الله عليه وسلم ابدا وايضا فكلهم يوم وفاته صلى الله عليه وسلم طاشت عقولهم حتى تكلموا بكلمات غير منتظمة الا ابا بكر فانه كان غائبا فلما حضر دخل وكشف عن الوجه الكريم فقبله وقال لقد طبت حيا وميتا لا يجمع الله عليك بين موتتين ثم خرج

فتلا عليهم قوله تعالى وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل افان مات الى الشاكرين فلما
سمعوها رقت اليهم مقولهم فتلوها وقالوا حتى عمر فانه انكر موت النبي صلى الله عليه وسلم وقال ذهب
الى ربه فاسكته ابو بكر فسكت فاقبل على الناس فصغوا اليه وترك عمر فقال ايها الناس من كان
يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت ثم تلا الآية فقالوا كانا
لم نسمعها الا حينئذ فكان هو المثبت لهم حتى ولا لم يجتمع لهم شمل وايضا اختلفوا في محل دفنه صلى الله
عليه وسلم اختلافا شديدا لهاداان يفضي الى الفتنة فروى لهم ابو بكر الحديث ان كل نبي يدفن في المحل الذي
توفي فيه فرجعوا اليه وزال الملام بينهم وايضا اختلفوا في ارثه اختلافا كثيرا شديدا حتى روى لهم الحديث
المشهور نحن معاشر الانبياء لا نورث ما تركناه صدقة فرجعوا اليه وبهذا علم انه كان احفظهم للسنة
وانما سبب قلة الرواية عنه قصر مدة خلافته واشتغاله بقتال المرتدين ومانعي الزكوة ومسيلمة الكذاب
وحال كونه **انفق المال** الكثير الذي كان يملكه اي صرفه في مصارف الخير حتى نفد جميعه
في اي بسبب ومن اجل **رضاك** يا رسول الله كما جاء في القرآن قال الله تعالى وسيجنبها الاتقى
الذي يؤتي ماله يتزكى الى اخر السورة قال ابن الجوزي اجمع المسلمون على انها نزلت في ابي بكر ففيها
التصريح بانفاقه المال وبانه الاتقى وهو الاكرم بدليل ان اكرمكم عند الله اتقاكم والاكرم هو الافضل
كما صرح به الحديث الصحيح باصحب النبيين والمرسلين اجمعين ولاجل ذلك اي المذكور سمي الصديق
اي حبيب النجار افضل من ابي بكر وصح حديث انه ليس من الناس احد امن على في نفسه وماله من ابي بكر
ولو كنت متخذا خليلا غير ربي لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن خلة الاسلام افضل سدوا عني كل
خوخة في هذا المسجد الا خوخة ابي بكر اي لانه سيصير خليفة يحتاج الى ملازمة المسجد واخرج الترمذي
حديث ما لاحد عندنا يد الا وقد كافأناه بها ما خلا يد ابي بكر فان له عندنا يدا يكافيه الله بها يوم القيمة
وما نفعني مال احد قط ما نفعني مال ابي بكر والطبراني ما احد عندي اعظم يدا من ابي بكر واساني بنفسه وماله

الكحني

الكحني ابنته والترمذي رحمه الله تعالى ان ابا بكر زوجني ابنته وحملني الى دار الهجرة واعتق بلالا من ماله وما نفعني
مال في الاسلام ما نفعني مال ابي بكر وما لاينافيه حديث البخاري انه صلى الله عليه وسلم لم ياخذ من الراحلة الى الهجرة
الا بالثمن لاحتمال انه ابراه منه وصح انه كان بينه وبين عمر شيء فسأله ان يغفر له فابى فذكر ذلك للنبي
صلى الله عليه وسلم فندم عمر فاتى منزل ابي بكر فلم يجده فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فجعل وجهه يتمعر حتى اشفق
ابو بكر فجثى على ركبتيه فقال يا رسول الله انا كنت اظلم منه مرتين فقال صلى الله عليه وسلم ان الله بعثني اليكم
فقلتم كذبت فقال ابو بكر صدقت وواساني بنفسه وماله فهل انتم تاركوا لي صاحبي فما اوذي ابو بكر بعدها
وفي رواية في قصة نظيرة هذه الا تدعون لي صاحبي ما شانكم وشانه فوالله ما منكم رجل الا على باب بيته ظلمة الا باب
ابي بكر فان على بابه النور ولقد قلتم كذبت وقال ابو بكر صدقت وامسكتم الاموال وجاد لي بماله وواساني واتبعني
واخرج احمد واخرون عن الجماعة من الصحابة انه صلى الله عليه وسلم قال ما نفعني مال قط ما نفعني الا مال ابي بكر
فبكى ابو بكر رضي الله عنه وقال هل انا ومالي الا لك يا رسول الله وفي رواية عن ابن المسيب مرسلا وكان صلى الله
عليه وسلم يقضي في مال ابي بكر كما يقضي في مال نفسه واخرج ابن عساكر انه اسلم وله اربعون الف دينار وفي رواية
اربعون الف درهم فانفقها على رسول الله صلى الله عليه وسلم والبغوي وابن عساكر انه كان عند النبي صلى الله عليه
وسلم وعليه عباءة قد خللها في صدره بخلال فنزل عليه جبرئيل فقال يا محمد ما لي ارى ابا بكر عليه عباءة
قد خللها في صدره بخلال فقال يا جبرئيل انفق ماله على قبل الفتح قال فان الله يقرأ عليه السلام ويقول
قل له اراض انت عني في فقرك هذا ام ساخط فقال ابو بكر رضي الله عنه اسخط على ربي انا عن ربي راض
ثلثا وسنده غريب ضعيف جدا وفي رواية ان جبرئيل هبط متخللا بعباءة واخبر ان الله تعالى امر
ملائكته ان يتخللوا بها كابي بكر قال الحافظ ابن كثير وهذا منكر جدا ولولا انه كالذي قبله يتداوله كثير من
الناس لكان الاعراض عنهما اولى وصح عن عمر رضي الله عنه امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نتصدق فوافق
ذلك مالا عندي فقلت اليوم اسبق ابا بكر مع اني ما سبقته يوما فجئت بنصف مالي فقال يا رسول الله

صلى الله عليه وسلم ما ابقيت لاهلك فقلت مثله النصف فاتى ابو بكر بكل ما عنده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يا ابا بكر ما ابقيت لاهلك فقال ابقيت لهم الله ورسوله فقلت لا اسبقه الى شيء ابدا **و** الحال انه **لم تمن**
منه عليك فيما انفقه وان كثر وانما المنة لك عليه وعلى غيره كما اعترف بذلك هو وغيره والمن ذكر المنعم على
الافتخار ومن ثم حرم تحريما غليظا على نحو متصدق المن على المتصدق عليه بان يعدد عليه العطاء لانه
لمن لا يحب الله ملامة عليه قال الله تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى **واعطى** لله تعالى عطاء
جما اي كثيرا في وجوه الخير العامة والمصالح التامة منها العطاء في ثمن محل مسجد النبي صلى الله عليه وسلم
كما جاء في حديث الهجرة انه صلى الله عليه وسلم لما وصل قباء واقام بها بضعة عشر يوما ركب ناقته ونهى ان ياخذ
احد بزمامها وقال دعوها فانها مأمورة واستمرت الى ان بركت عند محل مسجده صلى الله عليه وسلم ثم صارت
وهو عليها حتى باب دار ابي ايوب الانصاري من بني النجار احد اخوال جد النبي وهو عبد المطلب كانت دارهم
اوسط دور الانصار وافضلها ثم قامت وبركت في مبركها الاول والقت بالارض عنقها بالارض ثم صوتت
من غير ان تفتح فاها فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها وقال هذا المنزل ان شاء الله تعالى ثم ساوم
بني النجار في تلك البقعة فاشتراها منهم بعشرة دنانير دفعها من مال ابي بكر وكان قد خرج بماله كله وكان
من السبب في ذلك المسجد الاعظم ما اقتضى وصول ثوابه الى حد لا يقدر قدره واشترى ايضا جماعة
اسلموا يعذبهم اهل مكة العذاب الاليم منهم بلال وغيره واعتقهم **ولا اكدى** اي ولم يقطع
اعطاءه بل استمر عليه حتى توفاه الله تعالى **وابي** اي اقسم عليك بابي **حفص الذي**
اظهر الله به الدين كما جاء في سبب تسميته الفاروق اخرج ابو نعيم قال الدلائل وابن عساكر عن ابن عباس
انه سئل عن سبب تسميته بالفاروق فذكر ان حمزة اسلم قبله بثلثة ايام وانه خرج الى المسجد فسب ابو جهل
النبي صلى الله عليه وسلم فاخبر حمزة فاخذ قوسه وجاء فضرب بها احد صدغي ابي جهل فقطعه فسالت الدماء
فاصلحت بينهما قريش مخافة الشر والنبي صلى الله عليه وسلم مختف بدار الارقم فانطلق حمزة فاسلم وبعد ثلثة

ايام

ايام انكر عمر على من اسلم فقال له ان اختك وختنك اي سعد بن زيد احد العشرة المبشرين بالجنة قد اسلما
فجاء فضرب راس اخته فادماه فقالت له كان ذلك على رغم انفك فاستحيى حين راى الدماء وجلس وسالها
ان تريه الكتاب فقالت لا يمسه الا المطهرون فاغتسل فاخرجت اليه صحيفة فيها بسم الله الرحمن الرحيم
طه ما انزلنا عليك القرآن لتشقى الآية فعظمت في صدره فقال له خباب وكان النبي صلى الله عليه وسلم ارسله
لتعليم اخته وزوجها اني لارجو ان يكون الله خصك بدعوة نبيه صلى الله عليه وسلم فاني سمعته امس يقول
اللهم اعز الاسلام بعمرو بن هشام اي ابي جهل وبعمر بن الخطاب فقال دلني عليه فتوشح سيفه وذهب الى
النبي صلى الله عليه وسلم فضرب الباب فاجتمع القوم فقال لهم حمزة ما لكم قالوا عمر قال عمر افتحوا الباب فان اقبل
قبلناه وان ادبر قتلناه فسمع ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فخرج فتشهد عمر فكبر اهل الدار تكبيرة سمعها
اهل المسجد فقلت يا رسول الله السنا على الحق قال بلى قلت ففيم الاختفاء فخرجنا صفين انا في احدهما
وحمزة في الاخر حتى دخلنا المسجد فنظرت قريش الي والى حمزة فاصابتهم كآبة شديدة فسماني رسول الله
صلى الله عليه وسلم الفاروق يومئذ وفرق الله بي بين الحق والباطل وفي رواية انه لما اظهر اسلامه صاروا
يضربونه ويضربهم حتى اجاره خاله قال فما زلت اضرب واضرب حتى اعز الله الاسلام وصح انه لما اسلم نزل
جبرئيل فقال يا محمد قد استبشر اهل السماء باسلام عمر وان المشركين قالوا قد انتصف القوم
اليوم منا وانزل يا ايها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين وان ابن مسعود قال ما زلنا
اعزة منذ اسلم عمر وقال ايضا كان اسلامه فتحا وهجرته نصرا وامامته رحمة ولقد رايتنا وما نستطيع ان نصلي
الى البيت حتى اسلم عمر فقاتلهم حتى تركونا وسبيلنا وان حذيفة قال لما اسلم عمر كان الاسلام كالرجل
المقبل لا يزداد الا قوة فلما قتل كان الاسلام كالرجل المدبر لا يزداد الا ضعفا **فبسبب** قوته في الله
وشدة شكيمته كما علم مما تقرر **ارعوى** اي رجع وانقلع وانكف **الرقباء** اي
الاعداء عما كانوا عليه من الافساد في الدين وعدم النصح لدينهم **والذي تعرب**

الاباعد في الله اليه ويبعد القرباء وهو ايضا الامام العدل
القوي في الله الذي ينطق الحق على لسانه وقلبه فلذلك يقرب الاباعد
عنه في النسب في اي بسبب ولاجل رضى الله اليه متعلق بتقرب فيكونون بذلك اولى
عنده من اقاربه الذين ليس كذلك كما قال انفا فاتي و في هذا البيت من انواع البديع العكس نحو لا هن
حل لهم الاية وبالاكتفاء وهو حذف شيء دل عليه ما قبله كما قدرته وبرد العجز على الصدر وبالارصاد وهو ان
يتقدم على الروي ما يشعر به نحو قوله تعالى وما ظلمناهم الاية ويبعد عنه القرباء اي قرابته
اذا لم يوافقوه على طاعة الله تعالى فعلم انه لا يحابي قريبا ولا صديقا وانه لا رياء عنده ولا سمعة ولا
حمية ولا عصبية وان محط نظره انما هو الله لا غير وطاعة ربه هي المقربة منه وضدها هو المبعد منه
عمر بن الخطاب من قوله الفصل ومن
حكمه السوي السواء عمر بن الخطاب من مولده
قوله الفصل اي الفاصل بين الحق والباطل ومن حكمه السوي الذي لا اعوجاج فيه السواء تاكيد
اي المعتدل وهذا اولى من جعل الشارح السوي صفة حكم والسواء خبره لاقتضائه تغاير همائه ليس
فر منه الشيطان اذ كان فاروقا فللنار من
ابتراء فر اي هرب منه الشيطان اي ابليس وكل عات متمرد حتى انه متى اذا اي لاجل انه كان فاروقا
ظاهره ان سبب تلقيبه بالفاروق كون الشيطان فر منه وليس مرادا انما المراد ان سببه ان الله فرق به بين
الحق والباطل كما صحت به الاحاديث فبسبب ما منحه من النور الذي يفرق به بين الحق والباطل يفر الشيطان
منه بسببه للنار التي هي اصل الشيطان من سناه بالقصر اي ضوئه ابتراء اي انمحاء والاصل في ذلك
احاديث صحيحة منها حديث يا ابن الخطاب والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكا فجا قط الا
سلك فجا غير فجك وحديث ان الله تعالى جعل الحق على لسان عمر وقلبه وانه ما نزل بالناس امر قط
فقالوا

فقالوا وقال الا نزل القران على نحو ما قال وحديث لو كان بعدي نبي لكان عمر ابن الخطاب وحديث
ان الله وضع الحق على لسان عمر يقول به وحديث ان الشيطان ليفرق منك يا عمر وفي رواية اني لانظر الى شياطين
الجن والانس قد فروا من عمر وفي اخرى اتاني جبريل فقال اقرئ عمر السلام وقل له ان رضاه حكم
وان غضبه عز وفي اخرى الحق بعدي مع عمر حيث كان وفي اخرى ان الشيطان لم يلق عمر منذ اسلم الا خر
لوجهه وفي اخرى الصدق بعدي مع عمر حيث كان وفي اخرى عمر معي وانا مع عمر والحق بعدي
مع عمر حيث كان وصح حديث ما طلعت الشمس على خير من عمر وروى احمد وغيره انه صلى الله عليه وسلم
قال له يا اخي اشركنا في صالح دعائك ولا تنسانا والشيخان انه صلى الله عليه وسلم قال بينا انا نائم شربت لبنا
حتى انظر الى الري يجري في اظفاري فناولته عمر قالوا فما اولته يا رسول الله قال العلم وانه راه وعليه قميص
يجره قالوا فما اولته يا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الدين وصح انه من الملهمين الذين ينطق الحق على
لسانهم وابن عفان ذي الايادي التي طال الى
المصطفى بها الاسداء وابن عفان اي واقسم عليك بذي النورين ابي
عمرو عثمان بن عفان ذي اي صاحب الايادي اي النعم وهذا في اليد بمعنى الجارحة جمع ايد وفي النعم جمع يد
فاتى به الناظم في اليد بمعنى النعمة ايضا التي طال اي عظم وامتد الى المصطفى على الخلق كلهم اي المختار من
الاصطفاء وقيل المصطفى المنقى من كل شيء وكدر فهو من التصفية بها متعلق بقوله الاسداء اي الاعطاء
حفر البئر جهز الجيش اهدى الهدى لما ان
صده الاعداء حفر البئر اي بئر رومة وذلك انها كانت ليهودي يبيع ماءها فقدم
صلى الله عليه وسلم المدينة وليس بها ماء يستعذب غيرها فقال صلى الله عليه وسلم من حفر بئر رومة او من اشتراها
فله الجنة فاشتراها عثمان بعشرين الف درهم وحفرها فهي موجودة الى الان فثوابها مستمر له الى قيام
الساعة وفي رواية ان عثمان رضي الله عنه لما سمع قوله صلى الله عليه وسلم فيها انها نعم البئر اشترى نصفها

بمائة بكرة وتصدق بها واقتسماها يوما لهذا ويوما لهذا فجعل الناس يستقون منها في يوم عثمان ليومين فلما
راى صاحبها ان قد امتنع منه ما كان يصيبه من ثمن الماء الذي يبيعه منها باع من عثمان النصف الثاني بشيء
يسير فتصدق بها عثمان كلها تنبيه تعبير الناظم بالحفر تبع فيه بعض الرواة وكانه لم يبال بقول
من قال ذكر الحفر وهم من بعض الرواة وانما المعروف انه اشتراها ثم زاد في تعميقها مبالغة في تكثير مائها لعموم
شدة احتياج الناس اليها ثم رايت بعض المتاخرين صرح بنحو ذلك وفي رواية ان القربة منها كانت تباع
بمد وانه صلى الله عليه وسلم طلب من صاحبها ان يبيعها له فاعتل بان له عيالا وليس له غيرها فبلغ عثمان فاشتراها
بخمسة وثلاثين الف درهم جهز الجيش اي جيش العسرة في غزوة تبوك واخرج الترمذي
انه صلى الله عليه وسلم حث على جيش العسرة فقال عثمان يا رسول الله على مائة بعير باحلاسها واقتابها في
سبيل الله ثم حض على الجيش فقال عثمان يا رسول الله على مايتا بعير باحلاسها واقتابها في سبيل الله
ثم حث صلى الله عليه وسلم فقال عثمان يا رسول الله على ثلث مائة بعير باحلاسها واقتابها في سبيل الله فنزل
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول ما على عثمان ما فعل بعد هذه وفي رواية حمل عثمان في جيش العسرة
على الف بعير وسبعين فرسا وصح انه جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم بالف دينار حين جهز جيش العسرة
فنثرها في حجره فجعل يقلبها بيده ويقول ما ضر عثمان ما فعل بعد اليوم ما ضر عثمان ما فعل بعد
اليوم وفي رواية انه بعث بعشرة الاف دينار فصبت بين يديه صلى الله عليه وسلم فجعل يقلبها ويقول
غفر الله لك يا عثمان ما اسررت وما اعلنت وما هو كائن الى يوم القيمة ما يبالي ما عمل بعدها وصح انه
لما حوصر اشرف عليهم فقال انشدكم بالله ولا انشد الا اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الستم تعلمون
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من جهز جيش العسرة فله الجنة فجهزتهم الستم تعلمون ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال من حفر بئر رومة فله الجنة فصدقوه بما قال وصح عن ابي هريرة اشترى عثمان
الجنة من النبي صلى الله عليه وسلم مرتين حيث حفر بئر رومة وحيث جهز جيش العسرة وصح انه
استشهد

استشهد قوما من الصحابة على ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من يشتري هذا المربد ويزيده في مسجدنا
وله الجنة واجره في الدنيا ما بقي درجات له فاشتريته بعشرين الفا وزدته في المسجد فتشهدوا له فقال
الخوارج عليه صدقت ولكنك غيرت ثم ذكر تجهيز الجيش وحفر البئر فصدقوه فقال الخوارج عليه
ولكنك غيرت فقال ويلكم كيف يكون من هذا له مغيرا ثم ذكر انهم سيقولون ذلك ويخرجون فكان كذلك
وعلى حين خرجوا عليه فاستشهد الصحابة على خصوصيات فشهدوا له فقالوا صدقت ولكنك غيرت
وفي رواية ان محمد بن ابي بكر لما دخل على عثمان وكان مع الخارجين عليه استشهده ان النبي صلى الله عليه وسلم
زوجه ابنتيه رقية وام كلثوم رضي الله عنهما وقال لو كان عندنا ثالثة زوجناه وانه بايع عنه في بيعة الرضوان وانه
قال من يشتري هذا النخل فيقيم قبلة المسجد وله مثله في الجنة فاشتراه عثمان وان المسلمين اشتد جهدهم
فبسط لهم على انطاع الجواري بالسمن والعسل فكان اول خبيص الحلوى في الاسلام وانهم ظمؤا ظماء
فحفر لهم بئر رومة فانفق عليها النفقة ثم تصدق بها على المسلمين الضعيف فيها والقوي سواء وان الميرة
انقطعت عن المدينة فجاع الناس فاشترى خمسة عشر راحلة طعاما فاخذ ثلثه واعطى النبي صلى الله عليه وسلم
ثنتي عشرة فدعا له بالبركة فيما اعطى وما امسك وانه اتى النبي صلى الله عليه وسلم بالعصفر فصبها في حجره فقال
ما ضر عثمان ما فعل بعد اليوم وانه كان مع النبي صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر وعلي وطلحة والزبير
بحراء فرجف بهم فضربه بقدمه وقال اثبت حراء فانما عليك نبي او صديق او شهيد كل ذلك ومحمد
يقول نعم تنبيه قال ابن مالك من احسن شواهد قول الكوفيين الاخريين ان اما قد تجيء
الا وهذا الحديث الاخير اهدى الهدى اي الهدي الى مكة ارسل اليها عام الحديبية حين
توجه صلى الله عليه وسلم اليها ومعه الف واربعمائة في ذي القعدة سنة ست يريد العمرة فقعدت قريش
من دخول الحرم لما اي حين ان صده صلى الله عليه وسلم عن الدخول اليها الاعداء
اي المشركون وكان وجه تخصيصه بذلك ان هديه وصل الى مكة بخلاف هدي غيره لكن انما ذلك

لعزة قوم بها دون غيره ودون غيره ففي الحصر حينئذ تأمل بل قضيته اذ لم يرا لائق من تركه للطواف ترك
ارسال الهدى حيث لم يرسله صلى الله عليه وسلم ويجاب باحتمال ان اخر هديه لغيبته حتى حضر بعد ذلك
لهديهم نحو لم يرسله الا وقد يئسوا من ارسال هديهم فلا مخالفة فيه للادب وتفسيري لما هذه
بحين هو ما ذهب اليه جماعة وقال ابن مالك انها بمعنى اذ لانها مختصة بالماضي وبالاضافة الى الجملة وهي
تقتضي جملتين وحذفت الثانية عن وجود الاولى ولذا يقال فيها حرف وجود لوجود وجوابها اما ماض او جملة
اسمية مقرونة بالفاء او باذا الفجائية ويجاد لناقل ما ذهب ابراهيم الروع الاية مؤول بجادلنا خلافا
لابن عصفور وقد ترد للاستثناء نحو ان كل نفس لما عليها حافظ في قراءة من شدد الميم وفي هذا كالتي
والسواء وبعد والاباعد وتقرب والقربى وادب والادباء جناس الاشتقاق او شبهه **وابى**
ان يطوف بالبيت اذ لم يدن منه الى النبي فناء
وابى رضي الله عنه لما ارسله النبي صلى الله عليه وسلم الى اهل مكة ومعه الكتاب الذي فيه ما وقع بين النبي صلى الله عليه وسلم
وسهيل بن عمرو المرسل اليه من اهل مكة ليقع الصلح بينهم على انه يرجع في هذه السنة ولا يدخل مكة لئلا
يقول الناس انه دخلها كرها على اهلها ثم يعود اليها معتمرا في السنة القابلة ويدخلها والاسلحة في
غلفها ليكون ذلك علامة على الصلح وعلى وضع الحرب بينهم عشر سنين ثم نقضوا الصلح فكان ذلك سببا
لفتح مكة في السنة الثامنة ولما ارسله اسلم سهيل بن عمرو عند بلاله وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم
قال لعمر اذهب فاستاذن لنا لنخلوا بيننا وبين الكعبة فقال يا رسول الله ليس هناك احد من بني
عمي يمنعني ولكن ارسل عثمان فان بني عمه يمنعونه فارسله ليكلم اشراف قريش في ان يرجعوا عن صدهم
عن دخول مكة وان يمكنوه من دخولها لاداء ما جاء بقصده من الاعتماد وتعظيم البيت ما ابعد ذلك
الهدي دون القتال فكلمهم فلم يمتثلوا وعلى كل من القولين احتبسوه عندهم وقالوا له ان شئت ان تطوف
بالبيت فطف فابى امتنع **ان يطوف بالبيت اذ** تعليلية **لم يدن** اي
يقرب

يقرب منه اي البيت الى النبي متعلق بيدن فناء وهو ما امتد من جوانبه ولما احتبسوه بلغ النبي صلى الله
عليه وسلم ان عثمان قتل فدعا الناس الى بيعة الرضوان تحت الشجرة على الموت وقيل على ان لا يفروا ذكره
الحافظ مغلطاي ولما بايعه الناس على ذلك وضع يمينه على شماله وقال هذه عن عثمان وفي البخاري
فقال النبي صلى الله عليه وسلم بيده اليمنى هذه بيعة عثمان فضرب بها على يده اليسرى الحديث وفي رواية
الترمذي ان عثمان في حاجة الله وحاجة رسوله فضرب باحدى يديه على الاخرى فكانت يد رسول الله
صلى الله عليه وسلم لعثمان خيرا من ايديهم لانفسهم ولما سمع المشركون بهذه البيعة خافوا وارسلوا عثمان وجماعة
من المسلمين وفي هذه البيعة نزل قوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم
وقوله تعالى لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة **فجزته عنها**
بيعة رضوان يد من نبيه بيضاء فبسبب ما وقع من عثمان
من امتثاله امر النبي صلى الله عليه وسلم وذهابه الى العدو ولم يبال باحتمال كونهم يقتلونه لشدة حملهم
عليه من عداوتهم للمسلمين لا سيما الاكابر كعثمان ومن تأدبه مع النبي صلى الله عليه وسلم الادب البالغ بتركه
للطواف مع اذنهم له فيه جزته عنها اي عن تلك الفعلة التي فعلها من الذهاب اليهم والامتناع من الطواف
ببيعة اي في بيعة رضوان سميت بذلك لما في الاية الثانية من رضي الله عنهم بسببها يد من نبيه اي
بيضاء اي بالغة في الكرم الذي عم الانام منها الى ان بلغ ضوء الشمس وعمومه للعالم ولم تجازيه تلك اليد
البيضاء بذلك والذي وقع منه من الامتناع من الطواف لاجل غيبة النبي صلى الله عليه وسلم وعدم تمكينهم له
من الدخول **ادب عنده تضاعفت الاعمال بالترك**
حبذا الادباء ادب عظيم جدا عنده رضي الله عنه ومن عجيب هذا الادب انه حصل فيه
امر عظيم وفضل مستغرب جسيم وذلك انه مع كونه تركا للفعل العبادة تضاعفت الاعمال التي في ذلك الفعل
وهو الطواف اي ثوابها بسبب الترك لذلك الفعل لاجله صلى الله عليه وسلم فكان الترك هنا افضل من الفعل

لو وقع منه لانه ليس فيه هذا الادب الذي بلغ به عثمان من السبق ما لم يبلغه غيره فلذا حق ان يقال فيه
وفي امثاله على سبيل المدح حبذا الادباء فهو تتميم بديع وعثمان رضي الله عنه من اجل الادباء لانه كان
عنده من الحياء الذي هو منشأ الادب ما لم يكن عند غيره وهو من اجلهم كيف وقد صح انه صلى الله عليه وسلم
قال في حقه وقد استحيى صلى الله عليه وسلم منه لما دخل عليه في بئر اريس فجمع ثيابه الا استحيي من رجل تستحيي منه
الملائكة وروي من طريق اشد امتي حياء عثمان بن عفان احيى امتي واكرمها عثمان حيي ستير
تستحيي منه الملائكة ان الملائكة لتستحيي من عثمان كما تستحيي من الله ورسوله انما شبه عثمان بابينا
ابراهيم منهن عثمان وليتيم الدنيا والاخرة لو ان لي اربعين ابنة زوجته واحدة بعد واحدة حتى لا يبقى
واحدة وما زوجته الا بالوحي من الله وصح انه صلى الله عليه وسلم ذكر فتنة فقال يقربها فمر عثمان فقال
هذا يومئذ على الهدى وانه قال له ان الله مقمصك قميصا اي مولّيك الخلافة فان ارادك المنافقون على
خلعه فلا تخلعه حتى تلقاني فلذلك قال لهم يوم الدار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد الي عهدا
وانا صابر عليه وفي البخاري ان بعض اعداء جاء الى ابن عمر وعدّ عليه انه فر يوم احد وانه تغيب عن بدر وعن
بيعة الرضوان فرد عليه ابن عمر بان الله عفا عنه وعفا عنه ما وقع منه يوم احد وبان تغيبه عن بدر انما كان
باذن رسول الله صلى الله عليه وسلم لتمريض بنته صلى الله عليه وسلم رقية رضي الله عنها وقال له ان لك اجر من
شهد بدرا وسهمه وبان غيبته عن بيعة الرضوان انما هو لكونه كان في مكة فارسله في حاجة فكانت بيعة
الرضوان فضرب صلى الله عليه وسلم احدى يديه على الاخرى فقال هذه لعثمان رضي الله عنه قال
العلماء ولا يعرف احد تزوج ابنتي نبي غيره ولهذا سمي ذا النورين وقال وهو محصور بداره قتل انه لخبأ
عند ربه عشرا انه رابع اربعة في الاسلام وانكحه صلى الله عليه وسلم ابنتيه وما تغنى ولا تمنى ولا وضع يمينه
على فرجه منذ بايع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وما مرت به جمعة منذ اسلم الا واعتق فيها رقبة اي جملة ما اعتقه
الفان واربعمائة رقبة تقريبا ولا زنى ولا سرق جاهلية ولا اسلاما وجمع القران على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعلى

وعلى صنو النبي ومن دين فؤادي وداده و
الولاء اي واقسم عليك بعلي وسبق من الاقسام به ايضا واتما لم يكتف به لان ذلك وقع تبعا
للمعجزة المقصودة بالذات وهو برؤ عينيه بتفله صلى الله عليه وسلم فيهما وليبين ما هو مذهب اهل السنة و
اكثر الفرق من ان الخلافة والافضلية بينهم على هذا الترتيب فاحق الصحابة بالخلافة وافضلهم ابو بكر ثم عمر
وهذا اجماع من الصحابة ومن بعدهم كما حكاه جماعة من الائمة منهم الشافعي رضي الله عنه قطعي لا نزاع فيه
يعتد به ثم عثمان ثم علي وهذا ما عليه الاكثرون فهو ظني لا قطعي وخالف فيه سفيان الثوري ومالك
وغيرهما فقالا بافضلية علي وان كان عثمان احق منه بالخلافة لاجماع اهل الشورى ثم الصحابة على خلافته
مع الاشارة اليها من النبي صلى الله عليه وسلم كما سبقت الاشارة الى ذلك ومما يصرح بافضلية علي على
ما صح عن ابن عمر كنا نخير بين الناس في زمن النبي صلى الله عليه وسلم فنخير ابا بكر ثم عمر ثم عثمان بن عفان
وعن ابي هريرة كنا معاشر اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن متوافرون نقول افضل هذه الامة
بعد نبينا صلى الله عليه وسلم ابو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم نسكت وهل يجب محبتهم برعاية افضليتهم فيه
تفصيل وهو انها ان كانت من حيث الدين والعلم ومحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وجب ترتيبها
كترتيبهم المذكور وان كانت لنحو قرابة واحسان لم يجب رعايتها كذلك صنو النبي صلى الله عليه وسلم اي مثله
من حيث اجتماعهما في اصل واحد هو عبد المطلب فهما كنخلتين اصلهما واحد وفي حديث الترمذي
فان عم الرجل صنو ابيه وهو من هذا القبيل ومن اي الذي دين الاعتقاد فؤادي اي قلبي وداده
اي حبه والولاء اي مناصرته والذب عنه والرد على من نازع في خلافته ولم يبال بوقوع الاجماع عليها
وعلى من خرجوا عليه ونازعوه الامر ورموه بما هو بريء منه وذلك عملا بما صح عنه صلى الله عليه وسلم
وهو اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وان عليا مني وانا منه وهو ولي كل مؤمن بعدي ولنا كد
الذب عنه لكثرة اعدائه من بني امية والخوارج الذين بالغوا في سبه وتنقيصه حتى على المنابر خمسين

الناظم بذلك ولهذا اشتغل جهابذة الحفاظ ببث فضائله نصحا للامة ونصرة للحق ومن ثمة قال احمد
ما جاء من الفضائل لاحد ما جاء لعلي وقال اسماعيل القاضي والنسائي وابو علي النيسابوري لم يرد في حق احد
من الصحابة بالاسانيد الحسان اكثر مما ورد في حق علي ومن ذلك صح ان الله يحبه وان رسوله يحبه بل
روى الترمذي انه كان احب الناس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والظاهر ان المراد بالناس بنوهاشم
حتى لا ينافي ما مر ان ابا بكر كان احب الناس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وان اية المباهلة لما نزلت
دعا صلى الله عليه وسلم عليا وفاطمة وابنيهما وقال اللهم هؤلاء اهلي وانه قال انا سيد ولد ادم وعلي
سيد العرب لكن اعترض تصحيح الحاكم لهذا وانه قال من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه
وعاد من عاداه رواه ثلاثون صحابيا وان الله امره ان احب اربعة واخبره انه يحبهم منهم علي وانه
لا يحبه الا مؤمن ولا يبغضه الا منافق وان من سبه فقد سب النبي صلى الله عليه وسلم وانه
يقاتل على القران كما قاتل صلى الله عليه وسلم على تنزيله وانه يهلك فيه اثنان محب مفرط ومبغض مبهت
وان قاتله اللعين عبد الرحمن ابن ملجم اشقى الاخرين كما ان عاقر الناقة اشقى الاولين **وزير**

ابن عمه في المعالي ومن الاهل تسعد الوزراء

وزير ابن عمه النبي صلى الله عليه وسلم اي ناصره وحامل كل ثقل نابه صلى الله عليه وسلم ونائب عنه في المعالي
الدينية والدنيوية جمع العلا وهي الرفعة والشرف واصل هذا الحديث الصحيح انه لما خلفه على المدينة في غزوة تبوك قال يا رسول الله خلفتني مع النساء والصبيان فقال اما ترضى ان تكون مني
بمنزلة هارون من موسى الا انه لا نبي بعدي ومر الكلام عليه في شرح اودعتهما الزهراء وقال صلى الله
عليه وسلم فيما اخرجه احمد والترمذي والنسائي وابن ماجة علي مني وانا منه ولا يؤدي عني الا علي
والترمذي انت اخي في الدنيا والاخرة والخطيب علي مني بمنزلة راسي من بدني وابن عدي علي
يعسوب المؤمنين والمال يعسوب المنافقين والبزار علي يقضي ديني والنسائي والحاكم ان كل

بني

نبي اعطي سبعة نجباء واعطيت انا اربعة عشر علي والحسن والحسين وجعفر وحمزة وابو بكر وعمر
الحديث وانه قال انت اخي وابو ولدي تقاتل على سنتي الحديث قال ابن عباس نزلت في علي ثلاثمائة اية و
الوزارة خاصة به رضي الله عنه فقد اخرج الترمذي حديث ما من نبي الا وله وزيران من اهل الارض فاما
وزيراي من اهل السماء فجبريل وميكائيل ووزيراي من اهل الارض فابو بكر وعمر وصح حديث
هذان السمع والبصر وفي رواية انهما مني بمنزلة السمع والبصر من الراس واخرج الطبراني وابو نعيم
ان الله امدني باربعة وزراء اثنين من اهل السماء جبريل وميكائيل واثنين من اهل الارض ابي بكر و
عمر وابن عساكر ان لكل نبي وزيرين ووزيراي صاحباي ابو بكر وعمر بل قد يستشكل ذكر الوزارة
فيه دونهما مع انها لم ترد فيه لفظا وصحت فيهما وقد يجاب بانها وردت فيه معنى على وجه ابلغ
من لفظها وهو قوله انت مني بمنزلة هارون من موسى فان هذه الوزارة المستفادة من هذا النص
كوزارة هرون لاخص من مطلق الوزارة الواردة فيهما ومن ثم اخذ منها الشيعة انها تفيد النص
على انه الخليفة بعده وهو كذلك لولا ما ياتي قريبا المبطل لذلك الاستنباط ومما يؤيد هذه الوزارة
الخاصة كونه صلى الله عليه وسلم اخاه دون غيره وارسله مؤذنا على الناس ببراءة في الموسم مع ان الخليفة
على الحجيج ابو بكر لان العرب لا يقبلون من يبلغ على الكبير الا ان كان من اهله وجلدته وانه استخلفه
بمكة عند الهجرة حتى ادى ودائعه وقضى ما عليه واتاه باهله فهذه كلها مؤذنة بوزارة خاصة
لم توجد في غيره فلذا ذكرها فيه فقط على انه وصفها بما هو اعظم منها واجل **ومن الاهل**
تسعد الوزراء تذييل مناسب لما قبله وفيه رد العجز على الصدر ومن تلك
السعادة ما امده صلى الله عليه وسلم من المواخاة فقد اخرج الترمذي اخى صلى الله عليه وسلم بين الصحابة
فجاء علي تدمع عيناه فقال يا رسول الله اخيت بين اصحابك ولم تواخ بيني وبين احد فقال
صلى الله عليه وسلم انت اخي في الدنيا والاخرة ومن العلوم التي اشار اليها بقوله انا مدينة العلم وعلي

بابها وفي رواية فمن اراد العلم فليات الباب وفي اخرى عند الترمذي انا دار الحكمة وعلي بابها وفي
اخرى عند ابن عدي علي باب علمي واختلفوا في حكم هذا الحديث فجماعة منهم النووي على انه موضوع
والحاكم صححه وصوب بعض الحفاظ المطلعين انه حديث حسن وصح انه صلى الله عليه وسلم ارسله
الى اليمن ليقضي بينهم فقال لا ادري ما القضاء فضرب صدره بيده ثم قال اللهم اهد قلبه وثبت لسانه
قال علي فوالذي فلق الحبة ما شككت في قضاء بين اثنين وقال له ما لك اكثر الصحابة حديثا فقال اني
كنت اذا سالته انباني واذا سكت ابتداني وكان عمر يتعوذ من معضلة ليس فيها ابو الحسن يعني عليا
ولم يكن احد من الصحابة يقول سلوني الا علي وذكر عند عائشة فقالت انه اعلم من بقي بالسنة وقال
انتهى علم الصحابة رضي الله عنهم الى عمر وعلي وابن مسعود وقال والله ما نزلت اية الا وقد علمت فيم نزلت
واين نزلت وعلى من نزلت ان ربي وهب لي قلبا عقولا ولسانا ناطقا وقال سلوني عن كتاب الله
فانه ليس من اية الا وقد عرفت بليل نزلت ام بنهار ام في سهل ام بجبل ولاجل هذه العلوم الكثيرة
التي افيضت عليه من تلك الحضرة النبوية **لم يزده كشف الغطا يقينا**

بل هو الشمس ما عليها غطاء لم يزده كشف الغطاء يقينا كما اخبر
بذلك عن نفسه بقوله لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا اي لان عنده من البراهين القطعية
على حقيقة التوحيد ومتعلقاته والايمان وصدق الرسل فيما جاءوا به ما لا يزيد اليقين وفيه
رواية ذلك عيانا واحترز بنفي زيادة اليقين نفسه عن زيادة ثمراته فان عاقلا لا يشك ان عين
اليقين اقوى من علم اليقين وان حق اليقين اقوى من عين اليقين ودليله اولم تؤمن قال
بلى ولكن ليطمئن قلبي فاثبت لنفسه حقيقة الايمان ويقينه وطلب زيادة الطمانينة برؤية
العيان فلا منافاة فيه لما قاله علي كرم الله وجهه خلافا لمن وهم فيه بل للانتقال هو اي علي في فضله

وعلم

وعلمه وهديه وتقدمه على من عدا الخلفاء الثلاثة قبله وحقيقة خلافته وقيامه فيها بما قام به من قبله
من زيادة الشمس اي مثلها في الظهور والاضاءة التي لا يلتفت فيها الى تقول متقول ولا عناد معاند
كيف وهو مع ذلك ما عليه غطاء ساتر بل هو ظاهر لكل احد وقد اخرج الطبراني عن ابن عباس قال
كانت لعلي ثماني عشرة منقبة ما كانت لاحد من هذه الامة وابو يعلى عن عمر قال اعطي علي ثلاث
خصال لان يكون لي خصلة منها احب الي من ان اعطى حمر النعم تزوجه ابنته وسكناه المسجد و
اعطاؤه الراية يوم خيبر وصح عن ابن عمر نحو ذلك واخرج الطبراني والخطيب حديث ان الله جعل
ذرية كل نبي في صلبه وجعل ذريتي في صلب علي بن ابي طالب وما احسن قول حكيم له لما دخل الكوفة
يا امير المؤمنين لقد زينت الخلافة وما زانتك ورفعتها وما رفعتك وهي احوج اليك منك اليها وقال
احمد وقد ساله ولده عن علي ومعاوية اعلم ان عليا كان كثير الاعداء ففتش له اعداؤه شيئا فلم يجدوا فالتجؤوا الى رجل
قد حاربه وقاتله فاطروه كيادا منهم له وصح خلافا لمن نازع فيه ان النبي صلى الله عليه وسلم نام في حجره
وهو يوحى اليه فغربت الشمس ولم يصل العصر فلما سري عنه صلى الله عليه وسلم وعلم انه لم يصل دعا الله
ان يرد اليه الشمس فعادت حتى ظهر ضوءها على الحيطان فصلى ثم غابت وفي هذا له كرامة باهرة و
لعل الناظم اشار اليها بتشبيهه بالشمس **تنبيه** مما يدل على ان الله سبحانه وتعالى اختص عليا
من العلوم بما يقصر عنه العبارات قوله صلى الله عليه وسلم اقضاكم علي وهو حديث صحيح لا نزاع فيه
وقوله انا دار الحكمة وفي رواية انا مدينة العلم وعلي بابها قد كثر اختلاف الحفاظ وتناقضهم فيه بما
يطول بسطه والمحققون منهم فيه اربعة اراء صحيح وهو ما دل اليه الحاكم ويوافقه قول الحافظ العلائي
وقد ذكر له طرقا وبين عدالة رجالها ولم يات احد ممن تكلم في هذا الحديث بجواب عن هذه الروايات
الصحيحة عن يحيى بن معين وبين ردها طعن به في بعض رواية كشريك القاضي بان مسلما احتج به
وكفاه بذلك فخرا له واعتمادا عليه وقد قال النووي في حديث رواه في البسملة ردا على من طعن فيه

يكفينا ان نحتج بما احتج به مسلم ولقد قال بعض معاصريه ما رأيت احدا قط اورع منه في علمه حسن وهو
التحقيق ووافقه قول شيخ الاسلام الحافظ ابن حجر رجاله رجال الصحيح الا عبد السلام الهروي فانه ضعيف
عندهم انتهى وسبقه الى نحو ذلك الحافظ العلائي فقال عن الهروي هذا تكلموا فيه كثيرا انتهى ويعارض ذلك
تصويب ابي زرعة على حديثه ونقل الحاكم عن يحيى بن معين انه وثقه فثبت انه حسن مقارب للصحيح لما
علمت من قول ابن حجر ان رواته كلهم رواة الصحيح الا الهروي وان الهروي وثقه جماعة وضعفه آخرون
ضعيف اي بناء على رأي من ضعف الهروي موضوع وعليه كثيرون من ائمة حفاظ كالقزويني وابن الجوزي
وجزم ببطلان جميع طرقه والذهبي في ميزانه وغيره وهي الا كذلك وان كانوا ائمة اجلاء لكنهم تساهلوا
كثيرا كما علم مما قررته وكيف ساغ الحكم بالوضع مع ما تقرر ان رجاله كلهم رجال صحيح الا واحدا فيهم
وانه يجب تأويل كلام القائلين بالوضع بان ذلك لبعض طرقه لا كلها وما احسن قول بعض الحفاظ
في ابي معاوية وهو احد رواته المتكلم فيهم بما لم يسمع هو ثقة مأمون من كبار المشائخ وحفاظهم وقد تفرد
به عن الاعمش فكان شاذا واي استحالة باذا اي استحالة في انه صلى الله عليه وسلم يقول مثل هذا في حق علي قال
بعض المحققين تمسك الشيعة بهذا الحديث على ان اخذ العلم والحكمة مختص بعلي لا يتجاوزه الى غيره
الا بواسطته لان الدار انما يدخل اليها من بابها ولا حجة لهم فيه اذ ليس دار الجنة باوسع من دار الحكمة
ولها ثمانية ابواب انتهى وفي حديث عند الواحدي لكنه ضعيف وعلي بابها وابو بكر محرابها الحديث
واحتج به بعض من لا تحقيق عنده حتى على الشيعة بان علي اسم فاعل من العلو اي عال بابها فعلك مثال
لكل احد وهو بتعسف اشبه لا سيما وفي رواية رواها ابن عبد البر في استيعابه انا مدينة العلم وعلي
بابها فمن اراد العلم فليأته من بابه اذ مع تحقيق النظر في هذه الرواية لا ينبغي تردد في بطلان ذلك الرأي
فاستفد هذا وعلم مما قدمته ان الحق بالخلافة بعد الائمة الثلثة بالاجماع ولا التفات
الى من زعم ان لا اجماع على خلافته وهو اول من اسلم قال بعض الحفاظ اجماعا اي من الصبيان

واعتقد

واعتقد باسلامه لان الاحكام اذ ذاك كانت منوطة بالتمييز ولم يعبد وثنا قط ومن ثمة اختص
بكرم الله وجهه والحق به الصديق في ذلك وآخاه النبي صلى الله عليه وسلم وزوجه فاطمة بالوحي وهو
احد العلماء الربانيين والشجعان المشهورين والزهاد والخطباء المعروفين وحفظ القران وعرضه
على رسول الله صلى الله عليه وسلم واختلى بعد موته صلى الله عليه وسلم وكتب كتابا فيه العلوم الجمة حتى قال
ابن سيرين لو ظفرت بذلك الكتاب لظفرت بالعلم كله ولما هاجر صلى الله عليه وسلم امره ان يقيم
بعده بمكة حتى يؤدي عنه ودائعه ثم يلحقه على باهله ففعل وارسله صلى الله عليه وسلم في السنة
التاسعة وكان الامير فيها على الحج ابا بكر فاذن في الناس في الموسم بمنى بسورة براءة لان العرب لا يعتدون
بما يجيء على لسان الكبير الا اذا كان الرسول قريبه من اهله ومن ثمة جاء في حديث رجاله ثقات الا واحدا
فيختلف فيه انه صلى الله عليه وسلم خطب يوما وهو حاضر عقب فتح مكة فكان مما قال اوصيكم بعترتي
خيرا وان موعدكم الحوض والذي نفسي بيده لتقيمن الصلوة ولتؤتن الزكوة او لابعثن اليكم رجلا
مني او كنفسي يضرب اعناقكم ثم اخذ بيد علي وقال هو هذا وشهد معه صلى الله عليه وسلم المشاهد كلها
وكان له فيها اليد الطولى البيضاء الا تبوك لانه استخلفه على المدينة وقال له لما قال اتخلفني مع النساء
والصبيان اما ترضى ان تكون مني بمنزلة هرون من موسى الا انه لا نبي بعدي وبكونه انما قال له ذلك
حيا يبطل تمسك الشيعة به على انه الخليفة المقدم على الكل على ان هرون مات في حيوة موسى على نبينا
وعليهما الصلوة والسلام فلا دليل فيه للخلافة بعد الموت اصلا وتوفي كرم الله وجهه شهيدا سنة
ثلثة وستين سنة ضربه اللعين عبد الرحمن بن ملجم بسيف مسموم في جبهته فاوصله دماغه ليلة
الجمعة سابع عشر رمضان سنة اربعين وهو خارج الى صلوة الصبح بعد ان استيقظ سحرا وقال
للحسن انه رأى النبي صلى الله عليه وسلم تلك الليلة فشكى اليه ما لقي فقال ادع لي فدعا ان يبدله خيرا منهم
وانهم يبدلون شرا منه واكثر تلك الليلة من الخروج والنظر الى السماء وهو يقول والله ما كذبت ولا

كذبت وانها الليلة التي وعدت وكان عنده اوز فلما خرج للصلوة صحن في وجهه فطردن عنه فقال دعوهن
فانهن نوائح وقيل انه لم يعش الا ليلة الاحد وله اسوة بالخليفتين قبله عمر وعثمان رضي الله
عنهما فان كلا منهما قتل شهيدا مظلوما اما عمر فقتله مجوسي عبد المغيرة بن شعبة الكوفي شكى عليه
ثقل خراجه فلم يشكه لعلمه بقدرته عليه وزيادة لكثرة صنائعه فكمن له الى ان ضربه بخنجر مسمومة له
وهو في ثاني ركعة من صلوة الصبح يصلي بالمسلمين ومن تمام سعادته دفنه مع النبي صلى الله عليه وسلم
فانه ارسل ولده بعد ان طعن يستاذن من عائشة في ذلك فقالت كنت اعددت هذا المكان
لنفسي ولاوثرنه به فاشتد فرحه بذلك واما عثمان فاجتمع على قتله اوباش اربعة الاف مجموعون
من مصر وغيرها فحاصروه الى ان قتلوه في اوسط ايام التشريق والمصحف بين يديه سنة خمس وثلاثين
وهو ابن ثمان وثمانين سنة وقيل اكثر وقيل اقل لتوهمهم انه اراد قتل محمد بن ابي بكر رضي الله
عنهما وهو بريء من ذلك وانما فعله بعض اهله وكان الصحابة يمكنهم الدفع عنه لكنه منعهم
من ان يقاتلوا محاصريه لما قال له زيد بن ثابت ان الانصار بالباب يقولون ان شئت كنا انصار الله
مرتين فقال لا حاجة لي في ذلك كفوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد الي عهدا وانا صابر عليه
ومن ثمة كان عنده في الدار ما يكفه الكثيرون فارادوا ان يمنعوا عنه فقال من اغمد سيفه
فهو حر لانه علم باخبار النبي صلى الله عليه وسلم انه مقتول مظلوم وانه على الهدى وانه مخلص له
من القتل وامره ان لا يعزل نفسه كما صح في الحديث وهو يا عثمان انك ستؤتى الخلافة من بعدي
وسيريدك المنافقون على خلعها فلا تخلعها وصم في ذلك اليوم تفطر عندي كما مر ذلك في الفضائل
وصح ان عثمان اشرف من كوة فقال لعلي يا ابا الحسن ما هذا الذي ركب مني فقال اصبر يا ابا
عبد الله فوالله ما غبت عن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم حين كنا على احد فتحرك الجبل وعليه نحن
فقال اثبت احد فانه ليس عليك الا نبي او صديق او شهيد وايم الله لتقتلن ولاقتلن

اي بعولك

اي بعولك ولتقتلن طلحة والزبير **تنبيه** ورد في مناقب علي حديث كثر كلام
الحفاظ فيه فاردت ان الخص المعتمد منه ولفظه عن انس كان عند النبي صلى الله عليه وسلم طير فقال صلى
الله عليه وسلم اللهم ائتني باحب خلقك اليك يأكل معي الطير فجاء علي فاكل رواه الترمذي والمعتمد عند
محققي الحفاظ فيه انه ليس بموضوع بل له طرق كثيرة قال الحاكم في المستدرك رواه عن انس اكثر من ثلثين
نفسا انتهى وصح فيتقوى كل من تلك الطرق بمثله ويصير سنده حسنا لغيره والمحققون ايضا على ان
الحسن لغيره يحتج به كالحسن لذاته وفي جملة طرقه طريق رواتها كلهم ثقات الا واحدا قال بعض الحفاظ
لم ار من وثقه ولا من جرحه وطريق اخرى رواتها كلهم ثقات ايضا الا واحدا قال النسائي فيه ليس
بالقوي وهو معارض بان غير واحد ثقة وذكر الحاكم انه صح عن علي وابي سعيد وسفينة لكن تساهله في
التصحيح معلوم فالحق بما تقرر ان كثرة طرقه صيرته حسنا يحتج به ولكثرة جدا خرج الحافظ ابو بكر بن
مردويه فيها جزءا واما قول بعضهم انه موضوع وقول ابن طاهر طرقه كلها باطلة معلولة فهو الباطل وابن
طاهر معروف بالغلو الفاحش وابن الجوزي مع تساهله في الحكم بالموضوع كما هو معلوم ذكره في كتابه
العلل المتناهية له طرقا كثيرة واهية ولذلك لم يذكره في موضوعاته فالحق ما تقرر اولا انه حسن
يحتج به على انه لا يلزم عليه محذور لانه مؤول قطعا والا لاقتضى انه احب الى ربه من نبيه صلى الله عليه وسلم
فهو عام مخصوص وقد صح من الاحاديث جملة مستنكرة يخرج الحاكم عنه ايضا فاستفد ذلك
كله فانه مهم **تنبيه** اخر مما كثر الاختلاف فيه اهو موضوع ام لا حديث يا علي لا يحل لاحد
يجنب في هذا المسجد غيري وغيرك ومعنى يجنب فيه يمكث فيه جنبا ويتعين انه وارد من عن بيته طرقه
جنبا لان الاستطراق بظاهره حلال ولا خصوصية فيه لاحد ثم هذا الحديث كثر الاختلاف فيه
ايضا فقال بعض الحفاظ انه موضوع وبعضهم كالحافظ العلائي ضعيف لا ينتهي الى الوضع وقال الترمذي
انه حسن لكن اشتد انكار الحافظ عليه في تحسينه له بان فيه ثلثة ضعفاء وكل منهم شيعي متهم بالكذب

قيل ومما يدل على انكار هذا الحديث انه صلى الله عليه وسلم لم يختص عن الامة بشيء من الرخص فيما يقتضي
باحد القيام باختلاله اصلا وانما كان يختص في الامور الدنيوية كاباحة ما وراء الاربع في النكاح و
نحو ذلك فلم يكن صلى الله عليه وسلم يختص عنهم باباحة الجلوس في المسجد جنبا ابدا انتهى وقال
الحافظ ابن حجر العسقلاني الترمذي بان له شاهدا عند البزار ورواته ثقات قال والسبب في ذلك
ان بيت علي كان كبيته صلى الله عليه وسلم في كونه مجاورا للمسجد وبابه منه فقد صح من طرق انه صلى الله عليه وسلم
لما امر بسد الابواب الشارعة في المسجد الا باب علي شق على بعض الصحابة فاجابهم بعذره في ذلك

وبباقي اصحابك المظهر الترتيب فينا تفضيلهم والولاء

واقسم عليك بباقي اصحابك العشرة المبشرين بالجنة في الاحاديث الصحيحة منها ان عمر لما جعل
الامر شورى بين الستة انكر عليه بانهم ليسوا رضى فقال ما عسى ان تقولوا في علي سمعت النبي صلى الله
عليه وسلم يقول لربك في يدي تدخل معي يوم القيمة حيث ادخل وذكر في عثمان حديث انه يوم يموت
تصلي عليه ملائكة السماء وان ذلك له خاصة وفي طلحة ان رحل النبي صلى الله عليه وسلم سقط في ليلة
فقال من يسوي لي رحلي وهو في الجنة فبدر طلحة فسواه فقال يا طلحة هذا جبرئيل يقرئك السلام
ويقول انا معك في اهوال يوم القيمة حتى انجيك منها وذكر الزبير انه جلس يذب عن وجه النبي صلى الله
عليه وسلم وهو نائم حتى استيقظ فقال له يا ابا عبد الله لم تزل قال لم ازل بابي انت وامي قال هذا جبرئيل
يقرئك السلام ويقول انا معك يوم القيمة حتى اذب عن وجهك شرر جهنم وذكر في سعد بن ابي
وقاص انه صلى الله عليه وسلم قال له يوم بدر وقد اوتر قوسه اربعة عشر مرة يدفعها اليه فداك ابي
وامي وذكر في عبد الرحمن بن عوف ان الحسنين اشتد بكاؤهما جوعا فقال صلى الله عليه وسلم من
يصلنا بشيء فطلع عبد الرحمن ابن عوف بصحفة فيها حيسة ورغيفان بينهما اهالة فقال
صلى الله عليه وسلم له كفاك الله امر دنياك واما امر اخرتك فانا لها ضامن ومنها ان جبرئيل

وعلى

وعلى الخلفاء الاربعة وطلحة والزبير وابن عوف وسعد وسعيد فقال النبي صلى الله عليه وسلم
اسكن حراء فما عليك الا نبي او صديق او شهيد ومنها من رواية سعيد بن عمرو بن نفيل ابو بكر في الجنة
وعمر في الجنة وعثمان في الجنة وعلي في الجنة وطلحة في الجنة والزبير في الجنة وعبد الرحمن بن عوف في الجنة
وسعد بن ابي وقاص في الجنة وتاسع المؤمنين في الجنة فنشدوه بالله عنه فقال انا اذا انشدتموني
فانا تاسع المؤمنين ورسول الله صلى الله عليه وسلم العاشر ثم قال لموقف احدهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
يغبر منه وجهه افضل من عمر احدكم ولو عمر عمر نوح المظهر اي المبين الترتيب بينهم من النبي صلى
الله عليه وسلم وهو مفعول فينا اي لنا تفضيلهم على حسب مراتبهم التي بينها شرفهم صلى الله عليه وسلم
وهو فاعله ويمكس في ذلك والاول اظهر والمظهر في ذلك بينهم لنا ايضا الولاء اي الموالاة والمناصرة
الواجبة علينا لهم بحسب مراتبهم ومن ثمة سئل بعض محققي المتأخرين عن محبة الخلفاء الاربعة هل
تجب ان يكون على حسب فضلهم فقال محبتهم من حيث الدين والقرب الى الله عز وجل تجب ان يكون فضلهم
ومن حيث نحو قرابة او احسان لا يجب ان يكون كذلك وما قاله في الخلفاء الاربعة يأتي في بقية الصحابة رضوان الله
تعالى عليهم اجمعين

طلحة الخير المرتضيه رفيقا واحدا يوم فرت الرفقاء

طلحة بن عبيد الله القرشي التيمي احد العشرة المشهود لهم بالجنة واحد الثمانية
السابقين الى الاسلام واحد الستة اصحاب الشورى في امر الخلافة بعد عمر الذين توفي صلى الله عليه وسلم
وهو عنهم راض واحد الخمسة الذين اسلموا على يد ابي بكر لكونه السبب في اسلامهم وسماه النبي صلى الله عليه وسلم
طلحة الخير وطلحة الفياض وطلحة الجود فكان غاية فيه بحيث باع ارضا له بسبعمائة الف فبانت عنده
فلم ينم مخافة من حسابها فاصبح ففرقها وفي رواية فرقها في ليلته على فقراء المدينة وجاءه رجل فسأله
برحم فاعطاه ثلاث مائة الف وكان مغله بالعراق في كل سنة اربعمائة الف وكان يكفي ضعفاء قومه
ابي بكر بني تيم ويقضي ديونهم ويرسل الى عائشة في كل سنة عشرة آلاف درهم وتصدق في يوم بمائة الف

ثم لم يجد ثوبا يذهب فيه الى المسجد يصلي فيه وهو ان لم يشهد بدرا فقد جعله صلى الله عليه وسلم كمن شهدها
اجرا وسهما وقيل لانه كان بالشام للتجارة والصحيح انه صلى الله عليه وسلم ارسله هو وسعيد بن زيد رضي
الله عنهما للتجسس عن خبر عير قريش وخرج لبدر فرجعا الى المدينة فوافياه منصرفا من بدر وصح انه
صلى الله عليه وسلم اقبل عليه وعلى الزبير فقال يا طلحة ويا زبير ان لكل نبي حواري وانتما حواريي اي ناصراي
وان الخلفاء الاربعة وطلحة والزبير وابن عوف وسعدا وسعيدا كانوا امام رسول الله صلى الله عليه وسلم
في القتال وخلفه في الصلاة في الصف وليس احد من المهاجرين والانصار يقوم مقام واحد منهم غاب
او شهد المرتضيه اي الذي ارتضاه النبي صلى الله عليه وسلم وما جرى عليه الناظم من اضافة اسم الفاعل
معموله الضمير العائد على ال المقترنة به هو الاصح نحو الضاربه الرجل والساقيه ومنع المبرد هذه الصورة
واوجب النصب لئلا يلزم عليه اجتماع اداتي التعريف ويرده ان اضافة الصفة الى معمولها لا تفيد تعريفا
بل تخفيفا فلا فمن ثم جاز اقتران هذا المضاف دون غيره بال ان كان مثنى او جمعا على حده كالضاربا زيد
والضاربو زيدا واضيف لمعرف بال نحو الضارب الرجل والمضاف اليه كالقاصد باب الكريم او الى ضمير مرجعه
كما هنا ومن قال التقدير الذي ارتضى هو النبي صلى الله عليه وسلم فقد وهم لامتناع الاضافة حينئذ لانها
الى ضمير مرجعه ال كما هنا فتنبه له رفيقا واحدا هو ما في اكثر النسخ وفي نسخة احد وهو الفاعل اي الذي
ارتضاه احد رفيقا ففيه اسناد مجازي وفي اخرى احد وهو منصوب على نزع الخافض اي في احد يوم
ظرف لاسم الفاعل وقول الشارح بدل من احدا اي بناء على النسخة الثانية بعيد فرت الرفقاء على النبي
صلى الله عليه وسلم وهو يوم احد وغيره كسعد وسعيد والامة واتاه واتا وتمسكت واستمسكت وانطوت
وانطوى واعتنا والعوث والغيث الابيات جناس الاشتقاق او شبهه وفي ذكر واحد في اكثر النسخ
نظر بل المنقول في السير وغيرها ان الذين ثبتوا مع النبي صلى الله عليه وسلم لما انكشف عنه الناس اربعة
عشر سبعة من المهاجرين وسبعة من الانصار وفي البخاري لم يبق معه صلى الله عليه وسلم الا اثنا عشر رجلا

لكن

لكن ظاهر كلام بعض اهل السير ان طلحة وقع له بعد ذلك انفراده معه صلى الله عليه وسلم ثم تتابعت بعده الناس
فانه قال وكانت لطلحة اليد البيضاء يوم احد وقى النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ لما ضرب بالسيف فشج
وجهه الكريم بيده فشلت واستمرت شلاء وكان الصديق رضي الله عنه اذا حدث عن يوم احد بكى
وقال ذلك كله لطلحة وقد قال له صلى الله عليه وسلم يومئذ اوجب طلحة اي وجبت له الجنة ومن ذلك انه
صلى الله عليه وسلم كان قد ظاهر بين درعين فاراد ان ينهض وهما عليه ليصعد صخرة هنالك فما استطاع
فبرك له طلحة فصعد على ظهره واستوى عليها فقال صلى الله عليه وسلم اوجب طلحة وثبت مع النبي صلى
الله عليه وسلم يومئذ وبايعه على الموت ووقاه بنفسه وعن عائشة رضي الله عنها انها قالت قال ابو بكر كنت
اول من جاء يوم احد فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولابي عبيدة بن الجراح عليكما بصاحبكما يريد
طلحة وقد نزف فاصلحنا من شان رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اتينا طلحة فاذا به بضع وسبعون او اقل
او اكثر بين طعنة وضربة ورمية واذا قد قطعت اصبعه فاصلحنا من شانه ثم رأيت حديثا صحيحا صريحا
بما في النظم على نسخة واحدا وهو لقد رايتني يوم احد وما في الارض قربي مخلوق غير جبرئيل عن يميني و
طلحة عن يساري ولما رجع صلى الله عليه وسلم من احد صعد المنبر فحمد الله واثنى ثم قرأ على المؤمنين رجال
الآية فقيل يا رسول الله من هؤلاء فقال هذا منهم واشار الى طلحة وصح عن الحاكم لكن نوزع فيه من اراد
ان ينظر الى شهيد يمشي على وجه الارض فلينظر الى طلحة بن عبيد الله وصح ايضا طلحة والزبير جاراي في الجنة
وكان رجل يقع فيه وفي الزبير بحضرة سعد بن ابي وقاص فنهاه فابى فصلى ثم دعا عليه ان كان سلطانه
يريد الله فيه ان يجعله للناس عبرة فخرج فاذا جمل هائج يشق الناس فاخذه بين يديه ورجليه حتى قتله
قال سعيد بن المسيب فانا رأيت الناس يتبعون سعدا ويقولون هنيئا لك يا ابا اسحق اجيبت
دعوتك وكان خرج هو والزبير على علي رضي الله عنهما فاجتمع بهما يوم الجمل فروى للزبير ما يأتي ووعظ
طلحة فتأخر ووقف في بعض الصفوف فجاءه سهم في ركبته فقتله في جمادى الاخرة سنة ست وثلثين

عن اربع وستين سنة على الاشهر ودفن بالبصرة وجاءه علي فجعل يمسح التراب عن وجهه ويقول رحمة
الله عليك يا ابا محمد يعز علي ان اراك مجدلا **وحواريك الزبير ابي القرم**
الذي انجبت بر اسماء وحواريك اي ناصرك الزبير بن العوام القرشي وامه صفية عمة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو احد الثمانية السابقين والستة اصحاب الشورى والعشرة المبشرين بالجنة
والشجعان المشهورين لم يلحقه كحمزة وعلي احد في الشجاعة والفروسية ولذلك لما كان يوم بدر تعمم
بعمامة صفراء نزلت الملائكة بعمائم صفر وهو اول من سل سيفا في سبيل الله لانه سمع ان محمدا اخذ
فخرج يشق الناس بسيفه فلقيه النبي صلى الله عليه وسلم باعلا مكة فقال له ما لك قال اخبرت انك اخذت
فصلى عليه ودعا له ولسيفه شهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وفتح اليرموك وكانت له
فيها اليد البيضاء والهمة العليا اخترق صفوف الروم مرتين من اولهم الى اخرهم وفتح مصر مع عمرو بن
العاص وصح انه اشتد الخوف يوم الاحزاب فندب صلى الله عليه وسلم من ياتيه بخبر عصيان بني قريظة فقال
انا فاعاد فقال انا فاعاد فقال انا فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان لكل نبي حواريا وحواريي الزبير وجمع له
صلى الله عليه وسلم بين ابويه فقال ارم فداك ابي وامي وصح عن عثمان انه قيل له وهو محصور لو استخلفت
قال لعلهم قالوا الزبير قيل نعم قال اما والله انه لخيرهم ما علمت وانه كان لاحبهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وفي رواية صحيحة اما والله انكم لتعلمون انه خيركم ثلاثا وكان له الف عبد يؤدون الخراج اليه في كل يوم
فيتصدق به في مجلسه ولا يقوم بدرهم منه وكان مع الخارجين على علي يوم الجمل فلما دنت الصفوف
خرج علي وهو على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم فنادى فقال ادعوا لي الزبير فدعا له فاقبل حتى
اختلطت اعناق دوابهما فقال له انشدك بالله اتذكر يوم مر بك رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن
في مكان كذا وكذا فقال يا زبير اتحب عليا فقال الا احب ابن خالي وابن عمي وعلى ديني فقال يا زبير
اما والله لتقاتلنه وانت ظالم له فقال بلى والله لقد نسيته منذ سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم

ثم

ثم ذكرته الآن والله لا اقاتلك ثم ادبر راجعا فقال له ولده عبد الله ما لك فذكر له القصة فقال له ما جئت
لتقاتل بل لتصلح بين الناس فابى وفي رواية انه قال له جبنا جبنا فقال له قد علم الناس اني لست بجبان
ولكن ذكرني علي شيئا فحلفت ان لا اقاتله وفي رواية ان سبب رجوعه انه قال لاصحاب علي افيكم عمار بن
ياسر قالوا نعم فاغمد سيفه وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لعمار تقتلك الفئة الباغية
ولا مانع انه قال ذلك ثم ذكر علي الحديث زيادة في اعلامه ثم سار فلما وصل وادي السباع نام فجاءه
رجل فقتله في جمادى الاولى سنة ست وثلثين وعمره سبع وستون سنة على الاشهر وقبل ان يجتمع بعلي
قال لابنه عبد الله ما اراني الا ساقتل اليوم مظلوما ثم الا عليه في ان يبيع امواله ويقضي دينه من ارضين له خلفها
منها الغابة وبضع عشرة دارا وقدر دينه الف الف ومائتا الف ولم يلي امارة قط ولا جباية ولا
ولا شيئا وما خلف درهما ولا دينارا فباع ابنه ماله ثم قال من كان له عليه دين فليأتنا فنقضيه عليه ثم
اقام اربع سنين ينادي كل موسم من له عليه شيء فليأتنا فلما لم يات احد اخرج ثلث ماله لانه اوصى به ثم
قسم الباقي بين ورثته وكان اربع نسوة فاصاب كل واحدة منهن الف الف ومائتا الف فجميع ماله خمسون
الف الف ومائتا الف هذا ملخص ما في صحيح البخاري لكن اعترض عليه بان الصحيح ان الذي تركه تماد في الثلث
والوصية وما ورث عنه تسعة وخمسون الف الف وثمانمائة الف وكان له صدقات كثيرة ومكارم
جليلة وماله كله حلال صرف كذا قيل ولا حاجة اليه بل اغنياء الصحابة كلهم كذلك لان اموالهم اما
من سلب او سهم من الغنيمة او الفيء او تجارة مبرورة فاوصى اليه سبعون من الصحابة باولادهم واموالهم
فحفظها وكان ينفق على اولادهم من ماله ومن مديح حسان فيه   فكم كربة ذب الزبير بسيفه عن
المصطفى والله يعطي فيجزل   فما مثله فيهم ولا كان قبله   وليس يكون الدهر ما دام يذبل ثناؤك
خير من فعال معاشر   وفعلك يا ابن الهاشمية افضل   **ابي القرم** بفتح القاف وسكون الراء
اي السيد الكريم عبد الله ابي خبيب وابي بكر **الذي انجبت** اي انتهى في غاية النجابة والشجاعة

الراي الجلاد والنحرير الصائب اسماء بنت ابي بكر الصديق ذات النطاقين بعد عشرين شهرا من الهجرة
بالمدينة وكان اول مولود بعد الهجرة واشتد فرح المهاجرين به لان اليهود قالوا لهم انهم عملوا لهم
ما ابطل نسلهم فلا ياتيهم ولد فلما ولد بان كذبهم ولما احتجم صلى الله عليه وسلم اعطاه دمه وقال غيبه
في موضع لا يراك فيه احد فلما جاء اليه قال ما فعلت بالدم قال شربته قال لا تلج النار بطنك وويل لك
من الناس وويل للناس منك فكان كذلك لانه سعى في الخلافة لما مات يزيد سنة اربع وستين
فاطاعه اهل اليمن والحجاز والعراق وخراسان هدم الكعبة لحديث سمعه من خالته عائشة
مرفوعا عن النبي صلى الله عليه وسلم لولا ان قريشا حديثو عهد بكفر لهدمت الكعبة وجعلتها على
قواعد ابراهيم وفتحت بابها الغربي وجعلت بابها الشرقي لاطيا بالارض كما كانت في زمن ابراهيم على
نبينا وعليه الصلوة والسلام فاعادها ابن الزبير كذلك بعد ان شاور الصحابة فمنهم من امره
بذلك ومنهم من نهاه عنه فلم يرجع اليه لسماعه الحديث المذكور وكان اجر ذلك البناء باقيا له
الى الان يعد بهاذ والشويقين فان البناء الموجود كله بناؤه الا الحائط الذي فيه الميزاب فان الحجاج لما حاصره
اول الحجة سنة اثنين وسبعين وحج بالناس ولم يزل محاصرا له الى ان قتله سابع جمادى الاولى سنة
ثلث وسبعين هدمه لما ان ادخله ابن الزبير من الحجر وهي ستة اذرع كما ادخله ابراهيم واخرج الستة
اخرج الجدار كما هو اليوم وسد الباب الغربي وعلى باب الشرقي كتغيير كما كانت في زمنه صلى الله عليه وسلم
لان قريشا لما بنتها قصر بهم المال الحلال عن ان يجعلوها كما كانت في زمن ابراهيم فجعلوها كذلك
وكان ابن الزبير صواما قواما يواصل الخمسة عشر يوما واكثر قوله ما الملس لا لحية له من دهاة العرب المشهورين
وشجعانهم الموصوفين واحد العبادلة الاربعة المتقاربين سنا وعلما وذكاء وفهما والثلثة
عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو بن العاص وليس منهم ابن مسعود لانه
اكبر منهم سنا فليس في طبقتهم **والصفيين قواما الفضل سعد**

وسعيد

وسعيد ان عدت الاصفياء والصفيين تثنية صفي وهو
المصطفى المتخلص من الحظوظ والشهوات قوام الفضل من اقامت المروة ودلت اثنين اي
الفضل انجبها الكثرة ما قام بهما ولو قال قواما الفضل كان اوضح ومعناه انهما لما اشتركا في
الفضائل الجليلة صار كانهما مولودان في حل واحد سعد ابي اسحاق ابن ابي وقاص مالك القرشي
الزهري وهو احد الستة اصحاب الشورى والثمانية السابقين الى الاسلام بل هو ثالث الاسلام
واقام كذلك سبعة ايام والعشرة المشهود لهم بالجنة والشجعان المشهورين وهو اول من رمى
بالسهم في سبيل الله واول من اراق دما في سبيل الله ومن ثمه كان له يقال فارس الاسلام شهد
المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ورمى يوم احد الف سهم وولاه عمر العراق فكان الذي
في فتح مدائن كسرى ميزها ومن كرامته الظاهرة انه قطع بجيوشه البحر على ظهر الخيل ولم يبلغ
الماء منها الى حزمها والناس في غاية الطمانينة كانهم سائرون بالبر وكان الذي يسايره سلمان
الفارسي رضي الله عنه وكذلك عثمان ولاه ولايات جليلة وكان صلى الله عليه وسلم يناوله النبل
يوم احد ويقول ارم فداك ابي وامي واقبل والنبي صلى الله عليه وسلم جالس مع اصحابه فقال هذا سعد
خالي فليرني امرؤ خاله وقال له اجلس يا خالي فان الخال والد ودعا له فقال اللهم سدد رميه واجب
عليه واجب دعوته وفي رواية صحيحة اللهم استجب لسعد اذا دعاك فلم تسقط له دعوة بعد ذلك فكان
مجاب الدعوة واشرف على الموت فاخبره النبي صلى الله عليه وسلم انه يعيش فقال لعل الله ان ينفعك
فينتفع بك اقوام ويضر بك اخرون واعتزل الفتنة بعد قتل عثمان فلم يدخل فيها ولم يحضر شيئا
من تلك الحروب توفي بقصره بالعقيق على عشرة اميال من المدينة فحمل اليها رضي الله عنه مروان بن الحكم
وهو يومئذ والي بالمدينة وصلى عليه امهات المؤمنين في حجرهن ودفن بالبقيع سنة خمس وخمسين عن
تسع وسبعين وكان اوصى ان يكفن في جبة صوف لقي المشركين فيها يوم بدر وقال انما كنت اخباها

لذلك وهو اخو المهاجرين سوّى فى سلمان ايه ولا تطرد الذين يدعون ربهم نزلت فى ستة منهم سعد وابن مسعود وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل القرشى العدوى احد العشرة المشهود لهم بالجنة وشهد المشاهد كلها وعده البخارى فيمن شهد بدرا ومر فى ترجمة طلحة انهما لم يشهدها وما عليه الاكثرون وقد يجمع بانه لم يشهدها حسا وشهدها حكما اجرا وسهما وهو ابن عم عمر وزوج اخته والسبب فى اسلام عمر وكذلك لم يدخل فى اهل الشورى كولده عبد الله لئلا يظن به انه حابى قرابته واخرج الشيخان ان امرءة ادعت عليه عند مروان انه اخذ لها قطعة ارض فقال ما كنت لافعل بعد ان سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من اخذ شبرا من ارض ظلما طوقه الله من سبع ارضين فقال مروان لا اسئلك بينة بعد هذا ثم قال سعيد اللهم ان كانت كاذبة فاعم بصرها واقتلها فى ارضها فذهب بصرها وبينما هى تمشى فى ارضها وقعت فى حفرة فماتت زاد مسلم انها قالت اصابتنى دعوة سعيد وفى رواية انه كان جارها بالعقيق وانه اعطاها الذى ادعته ثم دعا عليها مات بالعقيق فى سنة خمسين عن بضع وسبعين سنة ودفن بالمدينة وابوه زيد لم يدرك الاسلام بل مات فى الجاهلية لكن جاءت احاديث تدل على انه من اهل الجنة منها لكنه مرسل غفر الله لزيد بن عمرو ورحمه ومنها وهو صحيح سئل صلى الله عليه وسلم عنه فقال ياتى يوم القيمة امة وحده بينى وبين عيسى ابن مريم الاصفياء فتلك من اكابرهم كيف فى اسمهما ما يشعر ببلوغهما مرتبة عظمى من مراتب السعادة

وابن عوف من هوّنت نفسه الدنيا ببذل بمدّه اثراء

وعبد الرحمن بن عوف بن الحارث بن زهرة القرشى الزهرى احد الثمانية السابقين للاسلام والستة اهل الشورى والعشرة المبشرين بالجنة والخمسة الذين اسلموا على يد ابى بكر وصح انه كان بينه وبين خالد شئ فبلغ ذلك النبى فقال لا تسبوا اصحابى فوالذى نفسى بيده لو انفق احدكم مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه اى نصفه وفى رواية الواقدى وابن عساكر يا خالد ذروا لى اصحابى ما انه خلفه قال

مافيض

ما قبض نبى حتى يصلى خلفه رجل صالح من امته وانه صلى الله عليه وسلم بابى بكر ايضا لكنه اخرج نفسه من الامامة لتاخره وقال لما قال له النبى صلى الله عليه وسلم متى يبلك انف حرٌ ينفقه بينك المرء ولو كان احد ذهبا لاحدكم فيرا طا فى سبيل الله لم يدرك غدوة ولا روحة من غزوات احدهم وشهد مع النبى صلى الله عليه وسلم المشاهد كلها وكان ممن ثبت يوم احد وبعثه صلى الله عليه وسلم الى دومة الجندل الى بنى كلب وعممه بيده الكريمة وسدلها بين كتفيه وقال ان الله فتح عليك فتزوج ابنة ملكهم او قال شريفهم ففتح عليه وتزوج بنت شريفهم الاصبغ فولدت له ابا سلمة وصح انه صلى الله عليه وسلم ائتم به فى غزوة تبوك فصلى وراءه ركعة من صلوة الصبح وهذه منقبة لم توجد لصحابى غيره وسببها انه صلى الله عليه وسلم ذهب لحاجته فخاف فوت الوقت فاقاموا الصلوة فتقدمهم عبد الرحمن ولما اتم صلى الله عليه وسلم ما منعك ان تثبت وقد قلت اليك لكان ينبغى لابن ابى قحافة ان يتقدم بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فان قلت لم لم يفعل عبد الرحمن ذلك قلت الظاهر انه لم يعلم باقتدائه صلى الله عليه وسلم به واقتدا صلى الله عليه وسلم بجبرئيل عند باب الكعبة بجانبه من ناحية الحجر بكسر الحاء فصلى به الخمس مرتين فى يومين صبيحة الاسراء والذى يليه وكان كثير الانفاق فى سبيل الله اعتق فى يوم واحد احدا وثلثين عبدا حتى جاء ان جملة ما اعتقه ثلثون الفا وفى حديث انه امين فى السماء امين فى الارض وكان كثير المال محظوظا فى التجارة قال لام سلمة خفت ان يهلكنى كثرة مالى فقالت يا ابنى انفق قال الزهرى تصدق على عهد النبى صلى الله عليه وسلم بشطر ماله اربعة الاف دينار ثم اربعين الف دينار ثم حمل على خمسمائة فرس ثم خمسمائة راحلة وفى رواية الف وخمسمائة راحلة واوصى لامهات المؤمنين بحديقة بيعت باربعمائة الف واوصى بخمسين الف دينار فى سبيل الله ولكل واحد ممن بقى ممن شهد بدرا باربعمائة دينار وكانوا مائة من جملتهم عثمان فاخذها وهو امير المؤمنين وبالف فرس فى سبيل الله وكان اهل المدينة عيالا عليه ثلث يقرضهم وثلث يقضى دينهم وثلث يصلهم وقدمت له عير من الشام سبعمائة راحلة فسمعت

عائشة رضى الله عنها اصواتها فروت حديث يدخل ابن عوف الجنة حبوا فبلغه فاتاها فحدثته فقال اشهدك بانها باحمالها واقتابها واحلاسها فى سبيل الله عز وجل وباع ارضا من عثمان باربعين الف دينار فقسمها فى فقراء بنى زهرة وفقراء المساكين وامهات المؤمنين وروى انه صلى الله عليه وسلم قال له لن يدخل الجنة الا زحفا فاقرض الله عز وجل قرضا حسنا يطلق لك قدميك قال ما الذى اقرضه قال تتبرأ من كل مالك فهم بذلك فاتاه جبرئيل فقال مره فليضيف الضيف وليطعم المسكين وليعط السائل فاذا فعل ذلك كان كفارة لما هو فيه والذى صح من ذلك ان جبرئيل فقال مر ابن عوف فليضيف الضيف وليطعم المسكين وليعط السائل وليبدأ بمن يعول فاذا فعل ذلك كان تزكية لما هو فيه وفى حديث ابن عدى وغيره اكرموا عبد الرحمن بن عوف فانه من خيار المسلمين وروى ابو نعيم وغيره ان رجلا لين الصوت قرأ عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فما بقى احد الا فاضت عينه غير عبد الرحمن بن عوف فقال صلى الله عليه وسلم ان لم يكن فاضت عينه فقد فاض قلبه وفى حديث ضعيف اول من يدخل الجنة من اغنياء امتى عبد الرحمن بن عوف والذى نفس محمد بيده لن يدخلها الا حبوا وفى اخرى رواه احمد والطبرانى رايت عبد الرحمن بن عوف يدخل حبوا وفى رواية لاحمد قد رايته يدخل الجنة حبوا لكن ذكره ابن الجوزى فى الموضوعات وفى رواية لابن سعد وابن عساكر انى رايت عبد الرحمن بن عوف على الصراط يميل مرة ويستقيم اخرى حتى يفلت اى يخلص ولم يكد بعد ما يعن ذلك بلاء وله جاءه انه صلى الله عليه وسلم قال له كفاك الله امر دنياك واما اخرتك فانا ضامن لها وسببه ان الحسنين بكاء من الجوع فقال صلى الله عليه وسلم من يصلنا بشئ فاتاه بصحفة فيها حيس ورغيفان بينهما اهالة توفى عن اثنين او خمس وسبعين سنة اثنين وثلثين فى خلافة عثمان رضى الله عنه وصلى عليه وقيل الزبير لانه كان هجر عثمان لما امر اقاربه فقال الناس هذا فعلك فدخل عليه ولامه وقال انما وليتك لتسير بسيرة الشيخين فقال كان عمر يقطع اقاربه فى الله وانا اصلهم فى الله فنذر ان لا يكلمه

ابدا

ابدا وترك من الذهب ما جاء ربع ثمنه ثمانين الف دينار ولما تقرر من كثرة انفاقه وصدقاته وماله كثرة فيهما يفوق الحصر قال من بذل من اقبله هوّنت نفسه الدنيا اى صيرت امو الها واسعتها رخيصة عندها بسبب بذل لها فى وجوه الخير والقربات بذلا دائما مستمرا كثيرا ايسر العقل ويرفع الى الله العلى بحارى الاحاديث وذلك البذل الكثير يمده اثراء اى كثرة المال الذى فتح الله به عليه واكثره من التجارة لانه كان محظوظا فيها بحيث لو امسك التراب صار ذهبا

والمكنى ابا عبيدة اذ يعزى اليه الامانة الامناء

والمكنى ابا عبيدة وهو عامر بن الجراح القرشى الفهرى امين هذه الامة كما صحت به الاحاديث وفى رواية وامينى وفى اخرى امينا ايتها الامة واحد العشرة والرجلين اللذين عينهما الصديق يوم السقيفة للخلافة والثانى عمر واحد الخمسة الذين اسلموا فى يوم واحد على يد الصديق وبقيتهم عثمان بن مظعون وعبيدة بن الحارث وعبد الرحمن بن عوف وابو سلمة بن عبد الاسد زوج ام سلمة شهد مع النبى صلى الله عليه وسلم المشاهد كلها وثبت يوم احد مع النبى صلى الله عليه وسلم ونزع يومئذ باسنانه حلقتين دخلتا فى وجنتى رسول الله صلى الله عليه وسلم من حلق المغفر فوقعت ثناياه لانه تحامل عليهما خوفا من ايلامه صلى الله عليه وسلم فكان من احسن الناس هتما والهتم الهاء مقدم الاسنان وولاه ابو بكر لما ارسل جيشا الى الشام ثم جعل خالدا اميرا عليه وعلى غيره لعلمه بالحروب ولما ولى عمر اعاده لكن امره ان يستبرئ خالدا وهو اول من سمى امير الامراء بالشام وروى انه صلى الله عليه وسلم اقرع على مرتبة فيها ابو بكر وعمر وتعرض له ابوه يوم بدر فاعرض عنه فلازمه فلما اكثر عليه قتله فانزل الله فيه لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر الاية ولما قال له الصديق يوم السقيفة مد يدك لابايعك قال ما كنت لاتقدم رجلا قدمه رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى بنا حتى قبض وقال عمر لئن ادركنى اجلى وهو موجود استخلفته لانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان لكل امة امينا وامين هذه الامة ابو عبيدة

بن الجراح ولما قدم عمر الشام تلقاه الناس فقال ابن اخي ابو عبيدة فقالوا الساعة يأتيك واتاه
على ناقة مخطومة بخطام ليف فنزل عمر عن راحلته واعتنقه وقال للناس انصرفوا عنا ثم دخل
الى بيته فلم يجد فيه سوى سيفه وترسه وفرسه ورحله فبكى عمر وقال لاصحابه تمنوا فقال رجل وددت
هذه الدار ذهبا انفقه في سبيل الله وقال الاخر جوهرا انفقه كذلك فقال عمر وانا اتمنى لو ان هذه
مملوة رجالا مثل ابي عبيدة وله فتوحات كثيرة ووقعات مع المشركين هائلة وصح عن الحسن مرسلا
ما من احد من اصحابي الا لو شئت لاخذت عليه في بعض خلقه غير ابي عبيدة بن الجراح توفي في سنة
ثماني عشرة شهيدا بالطاعون في طاعون عمواس قرية بين الرملة وبين بيت المقدس اول ما وقع
بها ثم انتشر بالشام وقبره معروف ثم قال الامام النووي رحمه الله تعالى ذكره فرايت منه عجبا
ورايت عليه من الجلالة ما هو لائق به اذ ظرف لاقسم المقدر او تعليل له يعزى اي ينسب اليه اي الى ابي عبيدة
الامانة الامناء واجلهم نبينا صلى الله عليه وسلم فانه قال كما صح عنه لكل امة امين وامين هذه الامة ابو عبيدة
بن الجراح وفي رواية امين وفي اخرى امينا ايتها الامة واعلم ان هذا كقوله صلى الله عليه وسلم في ابي ذر ما اصدق من
اظلت الخضراء واقلت الغبراء لا يقتضي تفضيله على الخلفاء الراشدين لان اولئك كملت فيهم
الصفات كلها واعتدلت فلم يترجح بعضها على بعض وهذان فكملت فيهما صفة الامانة والصدق
فتميزا فيهما على من لم يكملا فيه ولو سلمنا زيادتهما فيهما على اولئك لم يقتض ذلك تفضيلا ايضا
لان المفضول قد يتميز بمزية بل مزايا لا توجد في الفاضل لانه تختلف تلك المزايا من وزايا اخرى
احلى منها واعظم محصل مناط الافضلية فيه وان خلا عما يتميز به المفضول **وعميك**
نيوى فلك المجد وكل اتاه منك اتاء واقسم عليك بعميك
اخوي ابيك لابيه وهما الحمزة والعباس رضي الله عنهما وكل منهما اسن من النبي صلى الله عليه وسلم
بنحو السنتين نيرى تثنية نير وهو الكوكب المضيء فلك هو ما يتردد فيه الكواكب المجد اي الكرم

والحب

والتشبيه المجد بالسماء واثبت لها ما هو من لوازمها وهو الفلك اذ كل سماء تسمى فلكا فهي استعارة
بالكناية واستعارة تخييلية ورشح لها بذكر النيرين وشبههما بالشمس والقمر واثبت لهما ما هو من
لوازمهما وهو الاضاءة فهي ايضا استعارة بالكناية واستعارة تخييلية وفيها ايضا استعارة
تجريدية بذكر المجد الملائم للعمين وكل منهما اتاه اي حصل له منك اتاء بوزن كتاب وهو النخ
من الشجر والثمار كما في القاموس وقال الشارح وهو ما يستفاد من النعم والخيرات من غير تعب كحل
النخل وثمار الاشجار ولعل له تفسير مراد اما حمزة ويكنى ابا عمارة ويلقب باسد الله واسد رسوله
فكان عظيما شجاعا اخا للنبي صلى الله عليه وسلم من الرضاعة اسلم بعد يمان سبب اسلامه ان اللعين
ابا جهل شتم رسول الله صلى الله عليه وسلم فانصرف ابو جهل الى نادي قريش عند الكعبة واقبل حمزة فاخبر
واشتد شكيمة فغضب حمزة فشجه في رأسه شجة منكرة وقال اتشتمه وانا على دينه فقامت اليه
رجال من بني مخزوم فمنعهم ابو جهل خشية الفتنة وهو اول من اتخذ له صلى الله عليه وسلم لواء حين بعثه
الى سيف البحر بكر الستين من جهينة استشهد باحد نصف شوال ثالث سني الهجرة بعد ان قتل
احدا وثلاثين كافرا قتله وحشي عبد لعقبة السلمي قال رايته يهد الابطال هدا فاختفيت له
فلما تمكنت منه رميته رمية بحربتي فاصبته ووليت هاربا فتبعني ثم سقط وبعد ذلك اسلم
وحشي هذا فقبله صلى الله عليه وسلم وقال له غيب وجهك عني اي خشية ان يصيبه منه شيء اذا تذكر
قتله لحمزة وخرج يوم اليمامة فشارك رجلا في قتل مسيلمة الكذاب فكان يقول هذه بتلك
ومع ذلك وقد اصابه بالاصابة لما صح عن ابن المسيب انه قال كنت اعجب لقاتل حمزة كيف ينجو حتى
مات غريقا في الخمر وقال ابن هشام بلغني انه لم يزل يحد في الخمر حتى خلع من الديوان فكان عمر يقول
لقد علمت ان الله لم يكن يدع قاتل حمزة ولما راى صلى الله عليه وسلم حمزة قتيلا بكى ولما راى
ما مثل به شهق وقال لن اصاب بمثلك ابدا ما وقفت موقفا اغيظ الي من هذا وروى ابن

شاذان عن ابن مسعود ما راينا رسول الله صلى الله عليه وسلم باكيا قط اشد من بكائه على حمزة وضعه
في القبلة ثم وقف على جنازته وبكى حتى كاد يغشى عليه يقول يا حمزة يا عم رسول الله صلى الله عليه وسلم
يا اسد الله واسد رسول الله يا حمزة يا فاعل الخيرات يا حمزة يا كاشف الكربات يا حمزة يا ذاب عن وجه
رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس في هذا نوح ولا تعديد لشمائله بل اخبار بعض شمائله ومما ثلة رضي
الله عنه وصح حديث انه سيد الشهداء يوم القيمة وانه لولا جزع النساء لتركته حتى يحشر من
بطون الطيور والسباع وحديث رحمة الله عليك فقد كنت وصولا للرحم فعولا للخيرات وصح
الحاكم حديث والذي نفسي بيده انه لمكتوب عند الله تعالى في السماء السابعة حمزة بن عبد
المطلب اسد الله واسد رسوله لكن تعقب وورد من طرق ان الملائكة غسلته وصححه الحاكم
لكن تعقب واما العباس وكنيته ابو الفضل فكان جليلا جوادا ذا راي وكمال عقل معظما
بين الصحابة وعند النبي صلى الله عليه وسلم رئيسا في قريش قبل الاسلام وكانت اليه عمارة المسجد الحرام
والسقاية وكان مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم العقبة فعقد له البيعة على الانصار وكان صلى الله
عليه وسلم يثق به في امره كله امر بدر لقوله صلى الله عليه وسلم من لقيه فلا يقتله فانه خرج مستكرها
وسمعه صلى الله عليه وسلم انينه لكونهم شدوا وثاقه فلم ينم فقيل له ما يسهرك يا رسول الله قال
انين العباس فقام رجل فارخى من وثاقه واوثاق البقية وفادى نفسه وعقيلا ابن اخيه بعد ان
قال ما معي شيء فقال له صلى الله عليه وسلم واين المال الذي قلت لام الفضل اي زوجته حين خرجت
اذا انا مت فافعلي به كذا فقال من اعلمك بهذا ولم يطلع عليه غيري وغيرها فاسلم سرا وكتم ايمانه
الى قبيل فتح مكة فخرج الى النبي صلى الله عليه وسلم ولقيه بالابواء وبه ختمت الهجرة وكان ردا
للنبي صلى الله عليه وسلم بمكة يكاتبه باخبار اهلها وكان المسلمون بمكة يثقون به وكان يحب القدوم
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتب اليه ان مقامك بمكة خير لك ولما قالت الانصار اترك لابن

اختنا

اختنا عباس الفداء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حنينا وثبت
معه حين انهزم الناس وكان عمر يستسقي به الغيث اذا قحط الناس فيقول اللهم انا كنا نتوسل اليك
بنبيك فتسقينا وها نحن نستسقي بعم نبيك فاسقنا فيسقون توفي بالمدينة ثاني عشر رجب
او رمضان سنة اثنين وثلاثين وله نحو من ثمانين وثمانين سنة وقبره مشهور بالبقيع وصح حديث
العباس مني وانا منه لا تسبوا اموتنا فتؤذوا الاحياء وحديث انه سأل النبي صلى الله عليه وسلم ان
يستعمله على الصدقة فقال ما كنت لاستعملك على غسالة ذنوب الناس وحديث من اذى العباس
فقد اذاني فانما عم الرجل صنو ابيه وحديث اوصاني الله بذي القربى وامرني ان ابدأ بالعباس بن عبد المطلب
واخرج الدارقطني في الافراد ليكونن في ولد العباس ملوك يكونون اولى امتي يعز الله بهم الدين
وابن عساكر اللهم اغفر له ذنبه وتقبل منه احسن ما عمل وتجاوز عنه شيء ما عمل واصلح له في ذريته و
لا تؤذوا العباس فتؤذوني من سب العباس فقد سبني وفي حديث ضعيف قال ابن الجوزي موضوع
العباس وصيي ووارثي واخرج الرافعي الا ابشرك يا عم ان من ذريتك الاصفياء ومن عترتك
الخلفاء ومنك المهدي في اخر الزمان به ينشر الله الهدى به تطفى نار الضلالة ان الله فتح بنا
هذا الامر وبذريتك يختم وابو نعيم في الحلية الا ابشرك يا ابا الفضل ان الله عز وجل افتتح بي
هذا الامر وبذريتك يختم وكون المهدي من ولده يحمل على ان فيه شعبة منه لما صح انه من ولد فاطمة
وصح انه من ولد الحسن وجاء انه من ولد الحسين ولا تعارض لان فيه شعبة من ولد الحسين ايضا
فهو حسيني وقيل حسني وفيه شعبة من ولد الحسن وشعبة من العباس والترمذي وقال حسن
غريب اللهم اغفر للعباس وولده مغفرة ظاهرة وباطنة لا تغادر ذنبا اللهم احفظه في ولده
والخطيب وابن عساكر اللهم اغفر للعباس وولد العباس ولمن احبهم وابن عساكر اللهم
اغفر للعباس ما اسر وما اعلن وما ابدى وما اخفى وما كان وما يكون منه ومن ذريته الى يوم

القيمة والخطيب يا عباس انت عمي وصنو ابي وخير من اخلف بعدي من اهلي اذا كانت سنة خمس
وثلثين ومائة فهي لك ولولدك منهم السفاح ومنهم المنصور ومنهم المهدي وبام

السبطين زوج علي وبنيها ومن حوته العبا

واقسم عليك بام السبطين الحسن والحسين فاطمة وهي اصغر بناته صلى الله عليه وسلم زوج
جده عن التابعة الا الافصح على تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم ثاني سني الهجرة بوحي من الله
بذلك كما ورد وبنى بها بعد تزوجها بسبعة اشهر ونصف في ذي الحجة على راس اثنين وعشرين
شهرا وكان سنها خمسة عشر سنة وخمسة اشهر ونصف وقيل نحو عشرين سنة وسن علي احدى
وعشرين سنة واشهر قال ابن عبد البر هي وام كلثوم افضل بناته صلى الله عليه وسلم وكانت فاطمة
احب اهله اليه وكان يقبلها في فيها ويمصها لسانها واذا اراد سفرا يكون اخر عهده بها واذا قدم اول ما
يدخل عليها وتوفيت بعده صلى الله عليه وسلم في رمضان سنة احدى عشر فبينهما نحو ستة اشهر وسنها
تسع وعشرون سنة اي على القول الثاني وقد اسر اليها النبي صلى الله عليه وسلم انها اول اهل بيته لحوقا به
فسرت بذلك دفنها علي ليلا بوصية منها واختلف في محل دفنها والاشهر انها في قبة ولدها الحسن
قرب محرابها وكان القطب ابو العباس المرسي يجزم بهذا قيل فلعله كوشف به وروى احمد في
المناقب والدولابي انها اغتسلت ولبست ثيابا جددا واضطجعت وقالت انا مقبوضة الان
فلا يغسلني احد ولا يكشفني فماتت فامتثل علي وصيتها لكن يعارضه انها امرت فاطمة بنت
بنت عميس بانها تغسلها وهذه مقدمة لان الاصل عدم الخصوصية وبنيها يعني اولادها
الحسن والحسين ومحسنا وهذا مات صغيرا وام كلثوم وزينب واولادهم الى قيام الساعة
ولم يكن له صلى الله عليه وسلم عقب الا منها فانتشر نسله من جهة السبطين فقط وام كلثوم ولدت
لعمر ذكرا وانثى وماتا صغيرين ثم بعد عمر بعون بن جعفر ثم بعد موته باخيه محمد ثم

باخيه

باخيه عبد الله ولم تعقب منهم شيئا ثم تزوج الاخير باختها زينب فولدت له عدة منهم علي وام كلثوم
وانتشر نسلهما ولهم شرف اعلى من شرف اولاد عبد الله من غير زينب واولاده من شرف اولاد الحسنين
بمزيتهما بما ورد فيهما وللعباسيين والطالبيين شرفا ايضا ومن ثمة لقب بالشرف كل عباسي
ببغداد وعلوي بمصر ولجعفر الصادق ولد اسمه اسحاق تزوج السيدة النفيسة بنت الحسن
بن زيد بن الحسن بن علي كرم الله وجهه وله منها ولدان لم يعقبا ومن حوته العبا وهم النبي
صلى الله عليه وسلم وفاطمة وعلي وابناهما ومن لبعض هؤلاء فضائل كعلي وابنيه رضي الله عنهم ومن
فضائل فاطمة ما صح عن ابيها القائل تعالى في حقه وما ينطق عن الهوى انما فاطمة بضعة مني يؤذيني
ما اذاها ويشني من شانها احب اهلي الي فاطمة اذا كان يوم القيمة ينادي مناد من وراء الحجب يا
اهل الجمع غضوا ابصاركم عن فاطمة بنت محمد حتى تمر ان فاطمة احصنت فرجها فحرمها الله و
ذريتها على النار فاطمة بضعة مني يغضبني ما يغضبها ويبسطني ما يبسطها وان الانساب تنقطع يوم
القيمة غير نسبي وصهري فاطمة سيدة نساء اهل الجنة الا مريم بنت عمران اما ترضين ان
تكوني سيدة نساء اهل الجنة قالت فاطمة نزل ملك من السماء فاستاذن الله ان يسلم علي فبشرني
ان فاطمة سيدة نساء اهل الجنة يا فاطمة الا ترضين ان تكوني سيدة نساء العالمين وسيدة نساء
المؤمنين وسيدة نساء هذه الامة وخبر اتاني جبريل بسفرجلة من الجنة فاكلتها ليلة اسري بي
فعلقت خديجة بفاطمة فكنت اذا اشتقت الى رائحة الجنة شممت رقبة فاطمة قال الائمة ردا
على تصحيح الحاكم له انه كذب موضوع جلي الوضع لان فاطمة ولدت قبل النبوة فضلا عن الاسراء
وصح انه صلى الله عليه وسلم جعل على علي وفاطمة وابنيهما كساء وقال اللهم هؤلاء اهل بيتي وخاصتي
اي خاصتي اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا فقالت ام سلمة وانا منهم فقال انك على خير
وفي رواية القى عليهم كساء ووضع يده عليها وقال اللهم ان هؤلاء ال محمد فاجعل صلواتك

وبركاتك على آل محمد انك حميد مجيد وفي اخرى ان الآية اي انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا انزلت ببيت ام سلمة فارسل صلى الله عليه وسلم اليهم وجللهم بكساء ثم قال نحو ما مر وفي اخرى انهم جاؤا واجتمعوا فنزلت فان صحت فهي نزلت مرتين وفي اخرى ان ام سلمة قالت الا لست من اهلك قال بلى وانه ادخلها الكساء بعدما قضى دعاءه لهم وفي اخرى صحيحة انها قالت يا رسول الله انا من اهل البيت قال بلى ان شاء الله تعالى وفي اخرى ان واثلة قال لما سمعته صلى الله عليه وسلم يصلي عليهم وهم تحت الكساء وقلت يا رسول الله فقال اللهم وعلى واثلة وفي اخرى صحيحة قال واثلة وانا من اهلك قال وانت من اهلي قال واثلة وانها لمن ارجى ما ارجو قال البيهقي وكانه جعله في حكم الاهل تشبيها بمن يستحق هذا الاسم لا تحقيقا واشار المحب الطبري الى ان التجليل بالكساء لمن ذكر تكرر منه صلى الله عليه وسلم في بيت ام سلمة وبيت فاطمة وغيرهما وبه يجمع بين اختلاف الروايا في هيئة اجتماعهم وما جللهم به وما دعا به لهم وما اجاب به واثلة وام سلمة وفي اخرى سندها حسن انه اشتمل على العباس وبنيه بملاءة ثم قال يا رب هذا عمي وصنو ابي وهؤلاء اهل بيتي فاسترهم من النار كستري اياهم بملاءتي هذه فامنت اسكفة الباب وحوائط البيت فقالت آمين ثلاثا وبازواجه

اللواتي تشرفن بان صانهن منك البناء

بازواجك اللواتي تشرفن بان صانهن عن النار والنقائص لما صح عنه صلى الله عليه وسلم ان الله لم يزوجه الا من سيكون معه في الجنة منك حال من قوله البناء اي دخول وظاهر كلامه ان من تزوجها ولم يدخل بها لم يحصل لها الامن ذلك الشرف وينبغي تخريجه على حرمتها على غيره فان قلنا بحرمتها وهو الاصح حصل لها الشرف وبحل لم يحصل لها وهن احدى عشرة متفق عليهن ست قرشيات واربع عربيات واسرائيلية الاولى خديجة تزوجها صلى الله عليه وسلم بعد زوجين ولدت لكل منهما ولها اربعون سنة وله خمس وعشرون عند الاكثرين وكانت قدمت

نفسها

نفسها عليه كما مر وهي اول من آمن به من النساء وفي الصحيحين ان جبريل قال يا محمد هذه خديجة قد اتتك باناء فيه طعام وادام او شراب فاذا هي اتتك فاقرا عليها السلام من ربها ومني وبشرها ببيت في الجنة من قصب لؤلؤ مجوف لا صخب فيه ولا نصب واولاده صلى الله عليه وسلم كلهم منها الا ابراهيم واختلف في عدتهم وجملة ما اتفق عليه منهم ستة القاسم ولد قبل النبوة وبه كان يكنى ومات بعد نحو سنتين على خلاف فيه واربع بنات زينب هي اكبرهن وماتت سنة ثمان من الهجرة عند زوجها ابن خالتها ابي العاص بن الربيع ولدت منه عليا كان رديفه صلى الله عليه وسلم يوم الفتح ومات قبل الاحتلام وامامة التي حملها في صلوته تزوجها علي بعد فاطمة رضي الله عنهم ثم رقية توفيت وهو صلى الله عليه وسلم ببدر ولما عزي بها قال الحمد لله دفن البنات من المكرمات خرجه الدولابي ثم ام كلثوم توفيت سنة تسع من الهجرة تزوجها اي رقية وام كلثوم عثمان رضي الله عنه بعد ابني ابي لهب ثم فاطمة الزهراء البتول قال ابن عبد البر ولدت سنة احدى واربعين من مولده صلى الله عليه وسلم والذي رواه ابن اسحق انها ولدت قبل النبوة زاد ابن الجوزي قبلها بخمس سنين وسميت فاطمة والزهراء لما مر وبتولا لان الله قطعها عن النساء حسبا وفضلا او لانقطاعها الى الله تعالى واختلف في انه صلى الله عليه وسلم هل ولد له غير اولئك البنت فقيل الطيب والطاهر وعبد الله وقيل الاولان لقبان للثالث ومات صغيرا وهو الاصح وقيل عبد مناف قبل المطهر واما ابراهيم فمن سريته مارية القبطية ولد في ذي الحجة سنة ثمان وسماه ابراهيم باسم ابيه قبل السابع او فيه روايتان وجمع بانها وقعت قبله مخفية واظهرت فيه وكان صلى الله عليه وسلم يذهب اليه وهو في العوالي عند ظئره الحداد فياخذه ويقبله ثم يرجع ثم توفي وله سبعون يوما وقيل ستة وعشرة اشهر وقيل غير ذلك وفي رواية انه لم يصل عليه اي بنفسه بل امرهم فصلوا عليه وفي حديث لو بقي لكان نبيا لكنه لم يبق لان نبيكم آخر الانبياء لكن بالغ النووي

جارية فاخذها فقيل العطية سيدة قريظة والنضير لا تصلح الا لك نخشى عليهم الفتنة فاعطاه غيرها ثم اعتقها وتزوجها وبنى بها وهو راجع الى المدينة وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم قال لها هل لك في رغبة قالت يا رسول الله اني كنت اتمنى ذلك في الشرك وكان بعينها خضرة فسالها عنها فقالت كانت نائمة وراس زوجها ملكهم في حجرها فرايت قمرا وقع في حجرها فاخبرته فلطمها وقال تمنين ملك يثرب ماتت في رمضان سنة خمسين ودفنت بالبقيع فهؤلاء نساءه المجمع عليهن واختلفوا في ثنتي عشرة امراة فبعضهن الاصح فيه انه طلق قبل الدخول وبعضهن الاصح فيه انه لم يتزوجه ومحل بسط ذلك كتب السير الامان

الامان الامان ان فؤادي من ذنوب اتيتهن هواء

الامان اي اقسم عليك بهؤلاء المذكورين وما منحتهم به ان تبلغني حضرتك بواسطة شفاعتك في الى من لا يخيب شفاعتك وان تؤمنني الامان الامان تاكيد اي من عقاب الله لما اقترفت من الذنوب وقطيعة ما جمعت من العيوب ان بالفتح تعليلا او بالكسر استينافا وفيه ايماء الى العلة ايضا فؤادي من اجل ذنوب اتيتهن هواء اي خال عن فهم ما ينفعني في ديني ودنياي لفرط الحياء والخجل من الله والدهشة من خوف عقابه وسخطه وفي نسخة هباء اي لا وجود له فيرجع لمعنى الاول ومما يعطفك علي حتى يزيد امتنانك بي وامدادك لي

اني قد تمسكت من ودادك بالحبل الذي استمسكت به الشفعاء

قد تمسكت اي توثقت واعتصمت من ودادك اي محبتي لك والمحبة تستلزم الاتباع انما هو اعلى كما يدل عليه حديث يا رسول الله المرء يحب القوم ولما يعمل بعملهم فقال المرء مع من احب وان المستلزم لذلك هو كمالها وان ذلك من الناظم من هضم النفس بتقدير انه لم يقع واقعا كما هو شان الخوف المراعي مطلقا او في بعض الاحوال بالحبل اي السبب الاقوى وهو العهد الوارد عنك في الاحاديث الصحيحة ان المرء مع من احب وان لم يعمل بعملهم الذي

استمسكت

استمسكت به الشفعاء من الانبياء والاولياء والعلماء والصلحاء فلم يحصل لهم مرتبة الشفاعة الا بواسطة محبتهم لك واذا اورثتهم محبتك مرتبة قبول شفاعتهم في الاغيار امدتني وقوع شفاعتك في بجامع اني احبك كما يحبونك وان اختلف مقدار المحبة في الطرفين واعلم ان العلماء والكبراء اختلفت عباراتهم في المحبة وكثرت ولكن ليس اختلافا في حقيقتها بل في احوالها وثمراتها اذ حقيقتها من المعلومات التي لا يحل بها الجوهر عليه المحققون وانما يعرفها من قامت به وجدانا لا يمكن التعبير عنه ومن ثم قال صاحب مدارج السالكين كغيره هي لا تحد بحد اوضح منها فالحدود لا تزيدها الا خفاء وجفاء وانما تكلم الناس في اسبابها وموجباتها وعلاماتها وشواهدها وثمراتها واحكامها فحدهم ورسومهم دارت على هذه الشرطية وتنوعت بهم العبارات وكثرت الاشارات بحسب الادراك والمقام والحال وقد وضعوا لها حرفين مناسبين لها غاية المناسبة الحاء التي هي من اقصى الحلق والباء الشفهية التي هي نهايته فللحاء الابتداء وللباء الانتهاء وهذا شان المحبة وتعلقها بالمحبوب فان ابتداءها منه وانتهاءها اليه واعطوا الحب الضم الذي هو اشد الحركات واقواها للمطابقة لشدة حركة مسماه وقوتها واعطوا الحب وهو المحبوب الكسر لخفتها للمطابقة لخفة المحبوب وذكره على القلب واللسان وهذه مناسبة عجيبة بين الالفاظ والمعاني تطلعك على ان لغة العرب لا تلحقها لغة واعلم ايضا انه صح في الحديث لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من ولده ووالده وماله والناس اجمعين قالوا المراد بمحبته صلى الله عليه وسلم الميل اليه اختيارا لا طبعا وكل من كان ذا نفس مطمئنة كان حبه راجحا وامارة كان مرجوحا وفي كلام عياض ان هذا شرط لصحة الايمان ورد بانه حمل المحبة على معنى التعظيم والاجلال وليس مرادا هنا اذ اعتقاد الاعظمية لا يستلزم المحبة اذ قد يجد الانسان اعظام شيء مع خلوه من محبته وانما المراد الميل كما تقرر فمن لم يجد ذلك الميل لم يكمل ايمانه وفي صحيح البخاري ان عمر قال يا رسول الله انت احب الي من كل شيء الا من نفسي التي بين جنبي فقال له صلى الله عليه وسلم

فلا يلزم من بطلانه وردّ بانه ما ذكر من طرق والاشكال فيه لان القضية الشرطية لا تستلزم الوقوع
بل ولا الامكان توفيت خديجة قبل الهجرة بنحو ثلاث سنين ودفنت بالحجون عن خمس وستين سنة
ثم تزوج سودة بنت زمعة بعد موت ابن عمها رضي الله عنهما اخي سهيل بن عمرو بمكة لما ان
رجعا من الحبشة بعد عقده على عائشة ودخل بها قبل عائشة ما جمع بين الخلاف في ذلك واراد
طلاقها لما اسنّت فوهبت نوبتها لعائشة رضي الله عنهما فامسكها توفيت بالمدينة في شوال ولربع خمسين
ثم عائشة بمكة في شوال سنة عشر من النبوة ودخل بها في المدينة في شوال على راس ثمانية عشر شهرا
وهي بنت تسع سنين ولم يتزوج بكرا غيرها واحبها صلى الله عليه وسلم اكثر من بقية نسائه ولما فقدها
في بعض اسفاره قال واعروساه خرجه احمد وكانت فقيهة عالمة حافظة فصيحة ماتت بالمدينة سنة
سنة سبع وخمسين وكناها صلى الله عليه وسلم ام عبد الله بابن اختها عبد الله بن الزبير لا بسقط سقطه
منه صلى الله عليه وسلم لان ذلك لم يثبت وهو خديجة افضل امهات المؤمنين ثم الاصح ان خديجة
افضل لما صح ان عائشة لما قالت له قد رزقك الله خيرا منها قال لا والله ما رزقني الله خيرا منها
آمنت بي حين كذبني الناس واعطتني مالها حين حرمني الناس ولانه صلى الله عليه وسلم اقرأ عائشة
السلام من جبريل وخديجة السلام من الله والاصح ايضا ان فاطمة افضل من خديجة لما فيها
من البضعة الكريمة التي لا يعادلها شيء والخبر المقتضي لخيرية خديجة اجيب عنه بانه من حيث
الامومة لا السيادة وممن جرى على ذلك الامام المجتهد التقي السبكي فقال الذي نختاره وندين الله به
ان فاطمة افضل من خديجة ثم عائشة رضي الله عنهن اجمعين واختار ايضا ان مريم افضل
من خديجة للخلاف في نبوتها ثم حفصة بنت عمر سنة ثلاث من الهجرة بعدما رجعت من هجرة
الحبشة وتوفي زوجها بعد غزوة بدر وطلقها صلى الله عليه وسلم فامره الله تعالى ان يراجعها فانها
صوامة قوامة وانها زوجتك في الجنة توفيت سنة خمس واربعين ثم ام سلمة هند بعد موت ابي سلمة

سنة

سنة اربع وكانت من اجمل النساء ماتت سنة تسع وخمسين ودفنت بالبقيع ثم ام حبيبة رملة
بنت ابي سفيان بن حرب بعد ان مات زوجها عبيد الله بن جحش بالحبشة مرتدا سنة ست زوجها
النجاشي لعمرو بن امية الضمري وكيله صلى الله عليه وسلم واصدقها عنه اربع مائة دينار وبعث بها
اليه صلى الله عليه وسلم فدخل بها سنة سبع ماتت بالمدينة سنة اربع واربعين وتزوج زينب بنت جحش
بعد زيد زوجه الله اياها فدخل عليها بغير عقد كما دلت عليه الاية وكانت تفتخر بذلك على امهات
المؤمنين سنة خمس وقيل ثلاث وهي اول من مات منهن بعده صلى الله عليه وسلم وصح عن عائشة
لم تكن امرأة خيرا منها في الدين واتقى لله واصدق حديثا واوصل للرحم واوسع صدقة واشد ابتذالا
لنفسها في العمل الذي تتصدق به وتتقرب به الى الله وهو الدباغ رواه مسلم ماتت بالمدينة سنة عشرين وتزوج زينب
بنت خزيمة الهلالية وكانت تسمى في الجاهلية ام المساكين لاطعامها اياهم سنة ثلاث ثم ماتت بعد
ثلاثة اشهر وتزوج ميمونة بنت الحارث الهلالية سنة سبع بعد خيبر بسرف وبنى بها فيه وكان حلالا
ورواية محرما معناها انه في الحرم على ان من خصائصه صلى الله عليه وسلم ان له ان ينكح وهو محرم وماتت
فيه سنة احدى وخمسين وقبرها به مشهور يزار ويتبرك به وتزوج جويرية بنت الحارث الخزاعية وكانت
وقعت في سهم ثابت بن قيس بن شماس الانصاري فكاتبها فجاءت تسأل النبي صلى الله عليه وسلم
وعرفته بنفسها فقال هل لك الى ما هو خير من ذلك اؤدي عنك كتابتك واتزوجك قالت نعم
فسمع الناس بذلك فاعتقوا ما في ايديهم من قومها قالوا اصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت
عائشة رضي الله عنها فما رأينا امرأة كانت اعظم على قومها بركة منها اعتق في سببها مائة اهل بيت من بني
المصطلق اخرجه ابو داود وعن ابن شهاب انه اختارها من السبي فحجبها وقسم لها وكانت بنت عشرين
سنة توفيت سنة خمسين وتزوج صفية بنت حيي بن اخطب من نسل هارون على نبينا وعليه الصلوة
والسلام وعلى سائر الانبياء والمرسلين وهي من سبي خيبر اذن صلى الله عليه وسلم لدحية في اخذها

لن يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من نفسه فقال عمر والذي انزل عليك الكتاب
لانت احب الي من نفسي التي بين جنبي فقال له صلى الله عليه وسلم الآن يا عمر فهذه المحبة ليست
باعتقاد التعظيم فقط فانه حاصل لعمر قطعا وانما وقف لان حب الانسان نفسه طبعي وغيره
اختياري بواسطة الاسباب وهذا هو الذي اراده من عمر اذ سبيل الى قلب الطبع وتغيير ما جبلت عليه
النفوس فجواب عمر اولا بحسب الطبع ثم تامل فعرف بالدليل انه صلى الله عليه وسلم احب اليه من نفسه نظرا
لكونه الذي انقذه من هلاك الدنيا والآخرة فاخبر بما اقتضى الاختيار فاجابه بالآن اي عرفت
فنطقت بما يجب ومن علامة محبته صلى الله عليه وسلم ايثار مأموره ومنهيه على جميع اغراضه قال القرطبي
وكل من آمن به ايمانا صحيحا لا يخلو عن وجدان شيء من تلك المحبة الراجحة ولكنهم يتفاوتون فيها
تفاوتا ظاهرا وكثير من العامة يؤثر رؤيته على اهله وماله وولده وكذا زيارته بل زيادة آثاره لما وقر
في قلوبهم من محبته غير ان ذلك سريع الزوال لتوالي الغفلات والشهوات عليهم **وابى الله**
ان يمسني السوء بحال ولي اليك التجاء وابى الله اي لم يرد كما جرت
به عادة كرمه وفضله وجوده كما دل عليه ما تفضل به عليك بقوله عز قائلا ولسوف يعطيك
ربك فترضى والمعلوم المستقر من اخلاقك الجميلة والذي دلت عليه آثارك الجليلة ان من
لجأ اليك لا تخيبه من شفاعتك ولا يحرمه ربك من فضله مسارعة الى رضاك ومن ثم
اخبرنا عنه انه سبحانه يقول لك في ذلك الجمع الاكبر على رؤوس الاشهاد قل تسمع لك وسل تعط
واشفع تشفع ان يمسني السوء بحال اي في حال من الاحوال الدنيوية والاخروية والحال اني
لي اليك التجاء اي استناد لمزيد محبتي لك وخدمتي لجنابك ومن هو كذلك حقيق بانه لا يناله
منه تبرم عذاب ولا سخط ولا حرمان ولا قطيعة ولاجل ذلك **قد رجوناك للامور**
التي ابردها في فؤاد نار مضاء فرجوناك معشر محبيك حذاك تهما لنا

الكريم

الكريم اي املنا فيك للامور الخطرة العظيمة من الذنوب والمخالفات والغفلات والشهوات
التي ابردها اي ابرها في فؤاد مضاء اي نار تتقد من شدة خوف المؤاخذة بما اكتسبته قلوبنا والسنتنا
وجوارحنا وبين ابردها وبين مضاء والفقر والغنى المطابقة **وآتيناك اليك فقر**
حملتنا الى الغنى انضاء وآتيناك بقلوبنا اي وجهناها الى الاستعاذة بك من
كل مكروه او الى قبرك المكرم حال كونها انضاء جمع نضو بكسر النون اي مهازيل فقر من الاعمال الصالحة
فلكثرة ما حملناه من الذنوب ضعفنا عن حمله وهزلنا بسبب ثقله حملتنا الى حضرتك التي فيها الغناء
الاكبر اي كاشف مهازيل اجهدها طول السير وشدة الاسراع بها الى الوصول الى حضرتك الحلية اغتناما
للوقوف بساحة كرمها والتملي بشهود احسانها ونعمها **وانطوت في الصدور**
حاجات نفس ما لها عن ندى يديك انطواء اي استترت
في الصدور اي القلوب حاجات نفس املت
وحظيت بحلول نظرك منها الاعداد والتوسل والتشفع
بك الى مولاك لانه لا وسيلة اليه اقرب منك اليه ولا احد بعدك يعول الكل فضلا عن غيرهم عليه
ثم كانت تلك الحاجات ما لها عن ندى اي عطايا يديك الكريمتين انطواء اي استتار واستغناء
بل لا تقضيها الا جاهك الواسع ولا يمن بها الا عطاؤك الهامع فلا ارتحال لنا عن واسع جودك
ولا انصراف عن ساحة كرمك بل لا نزال مقيمين بجوارك مستمطرين لندى آثارك طامعين في
حصول كل ما املناه بشفاعتك التي هي مطمع المقربين ووسيلة المقصرين **فاغثنا يا من**
هو الغوث والغيث اذا اجهد الورى اللاواء فاغثنا
بما لتقصير جميع حاجاتنا الوفور جاهك وعظيم منزلتك عند ربك يا من هو الغوث للمكروبين
والملجأ للمنقطعين المنقذ لهم من الشدائد والغيث المريع للمضطرين المشبع للجائعين

المجزل لهم من العوائد فلنزل شكوانا وارفع لك ما نالنا اذ الجهد الورى اللأواء اى الضيق على الخلق
الجدب حتى اشرفوا على التلف **والجواد الذى به تفرج الغمة عنا**
وتكشف الحوباء والجواد الاعظم الذى لم يخلق الله من يصل الى مراتب جوده فضلا
عن ان يساويه فيه به اى بسببه تفرج الغمة عنا معشر امته وتكشف الحوباء بفتح اوله وضمه
اى الاثم اى عقابه والشدة والحاجة والحالة القبيحة وفى نسخة به تفرج الكربة عنا وتكشف الغماء
وهى بمعنى الاولى لتساوى الغمة والكربة اذ هما الكرب الذى يشتد على النفس الى ان يكاد يقتلها والحوباء
والغماء فى معانيها المذكورة من ثم الهلاك اذا استره الغيم ونحوه والحيل استيجم **يا رحيما**
بالمؤمنين اذ اما ذهلت عن ابنائها الرحماء يا
نداء يتضمن غاية الاستعطاف والتحنن والترحم وهو معطوف على النداء قبله بحذف حرف العطف
او مستانف لكنه بعيد رحيما من الرحمة وهى رقة القلب غايتها التفضل والانعام او ارادته وما مر
فى باسماء فى اول ابيات هذه القصيدة ما يتعين استحضاره هنا بالمؤمنين مقتبس من قوله تعالى
بالمؤمنين رؤف رحيم وكان بالمؤمنين رحيما ومر فى شرح قوله رحمه كلها ما يعلمك بسعة رحمته
لا سيما بالمؤمنين وباهر رغبته لا سيما على الضعفاء والمكلفين والايمان التصديق الاجمالى فى الا
والتفصيلى فى التفصيلى بجميع ما علم من دين محمد صلى الله عليه وسلم بالضرورة عندنا اذ لو نكره منكر
عن الضرورى وهو ما يستوى فى معرفته الخاص والعام اى بالاجماع وان لم يكن ضروريا لان انكار المجمع عليه
عن الضرورى كفر عنده غيرنا بل وجماعة منا ولا يكفى التصديق وحده بل لا بد معه من الاقرار بالشهادتين
باللسان فان تركه مع القدرة عليه كان كافرا مخلدا فى النار كما نقله النووى عن اهل السنة لكن اشار
الغزالى رحمه الله عليه الى اختيار جمع محققون غير انه من اهل الجنة وتركه التلفظ معصية فقط لان
قلبه مملو بالتصديق فكيف يخلد فى النار والكلام فيمن لم يمتنع مجردا وانكارا كان كافرا اجماعا

والاعمال

والاعمال من الايمان عند نا كما كثر المحدثين اى من كماله فالميت مؤمنا فاسقا تحت المشية قال الله تعالى
ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقالت الخوارج انه كافر والمعتزلة انه لا كافر
ولا مؤمن وهو عندهما مخلد فى النار لانتفاء الايمان المتكفل بدخول الجنة **تنبيه**
مهم يتعين الحاطة به لعظم جدواه وعزة نحواه اعلم ان رحيما صيغة مبالغة بل ذكر غير واحد انه ابلغ
من الرحمن وانه يستعمل فى الله وفى غيره لكن فى استعمال صيغة المبالغة فيه تعالى اشكال ومن ثمة قال بعض
الائمة صفات الله تعالى التى على سبيل المبالغة كلها مجاز لاستحالة حقيقة المبالغة فيها لان المبالغة ان تثبت
للشىء اكثر مما له وصفاته تعالى متناهية الكمال وايضا فهى انما تكون فى صفة تقبل الزيادة والنقص
وصفاته تعالى منزهة عن ذلك واستحسن ذلك التقى السبكى وغيره فاشكل والله على كل شىء قدير
بانه لما فيه من المبالغة يستلزم الزيادة على معنى قادر وهى محال واجاب الزركشى عن الاول بان صيغة
المبالغة اما بحسب زيادة الفعل وتعدد المفعولات وهذا لا يوجب للفعل زيادة لان الفعل الواحد
قد يقع على متعدد وعلى هذا انحمل صفات الله تعالى بلا اشكال ولهذا قال بعضهم فى حكيم معنى المبالغة
فيه تكرر حلله بالنسبة الى الشرائع وفى الكشاف المبالغة فى التواب اى فى نحو وهاب وتواب لدلالته على
كثرة من يتوب عليه من عباده او فى قبول التوبة حتى ينزل صاحبها بمنزلة من لم يذنب قط لسعة كرمه
ويرد الزركشى عن الثانى بما يؤول لما قاله الزركشى وهو ان المبالغة لما تعذر حملها على كل فرد وجب صرفها
الى مجموع الافراد التى دل السياق عليها فهى بالنسبة الى كثرة التعلق لا الوصف واعلم ايضا ان نفى المبالغة
فى الفعل لا يستلزم نفى اصل الفعل ويشكل عليه وما ربك بظلام للعبيد وما كان ربك نسيا
واجيب عن الاول بان ظلاما وان كان للكثرة لكنه جىء به فى مقابلة العبيد الذى هو جمع كثرة
ويشهد قوله تعالى علام الغيوب عالم الغيب فاتى به الا ول للمبالغة فى الجمع وفى الثانى صيغة اسم
الفاعل الدالة على اصل الفعل بالواحد وبانه نفى الظلم الكثير لينتفى القليل ضرورة لان الظالم بعضه

وح فمفهومه يشمل شيئين انه عاص وحده وانه عاص هو وغيره لانك اذا قلت ليس سوى زيد هو القائم
احتمل مفهومه ان زيدا هو القائم وحده وانه هو وغيره قائمان واذا فهم النظم ذلك لم يصح قوله لكن
الخ لانه ابتت على احتمال العصيان لغيره معه وهو خلاف قصده من انه العاصى وحده اى ادعاء
هضما للنفس لا حقيقة لان الواقع بخلاف ذلك ثانيهما ان التنكير هنا لا يلائم انه يفيد الاستحياء
ولئن افاده فشان السائل عدم الحياء لان المطلوب من المحتاج ان يرفع حاجته مبينا النفسه حتى
يعرف حاله فيستعطف عليه فابهامه لنفسه عن الاولى ولك ان تجيب عن الاولى بان من الواضح
ان سوى كغير فلا تتعرف بالاضافة الا اذا وقعت بين ضدين بل قال جماعة لا تتعرف فيهما
واذا الا العاصى للعهد الذهنى فهى للجنس على حد ولقد امر على اللئيم يسبنى فيأتى فيها التعريف
تارة والتنكير اخرى وح زال الحصر المفهم لمفهوم ما مر وصار المعنى وما سواى عاصيا انا العاصى وحدى
وعن الثانية بان السائلين على اقسام منهم من يغلب عليه الحياء والخجل من ارتكابه ما كان سببا لسؤاله
فليستر نفسه حياء وخجلا من المواجهة بالتصريح بارتكاب القبائح وسترا واحتشاما من اعراضه بالنقائص
والفضائح خشية من ان يظهر عليه ما يعين سبب سؤاله فيكون مقتضيا لحرمانه والناظم رحمه الله تعالى
لمزيد اجلاله للنبى صلى الله عليه وسلم راعى ذلك فنكر نفسه وذكر الوصف المقتضى لسؤاله على جهة الابهام
لا التفصيل حياء من ان يبين نفسه او معصيتها فيكون ذلك سببا لرده **تنبيه**
لا زلت اطلب ان ماذكره هنا من ان سبب التنكير قد يكون الاستحياء هل صرح به احد
غيره حتى وجدتهم صرحوا بما يقرب منه وهو قولهم لكل من التنكير والتعريف مقام لا يليق بالاخر فسر
التنكير ارادة الوحدة نحو وجاء رجل من اقصا المدينة يسعى اى وحده او ارادة النوع نحو هذا ذكر
نوع من الذكر وعلى ابصارهم غشاوة اى نوع غريب من الغشاوة لا يتعارفه الناس بحيث غطى ما لا يغطيه
شىء من الغشاوات وما يحتملها والله خلق كل دابة من ماء اى كل نوع منها من كل نوع منه او كل فرد

معن

من افرادها من افراد النطف وارادة التعظيم بمعنى انه اعظم من ان يعين ويعرف نحو فاذنوا بحرب وهم
عذاب اليم ان لهم جنات وسلام عليها وارادة التكثير نحو قوله تعالى ان لنا لاجرا اى وافرا جليلا او ارادة
التقليل نحو قوله تعالى ورضوان من الله اكبر اى رضوان قليل منه اكبر من الجنان بما فيها او ارادة التحقير
بمعنى انحطاط شانه الى حد لا يمكن ان يعرف نحو من اى شىء خلقه اى من شىء حقير مهين ثم بينه بقوله
من نطفة خلقه وهذا المعنى يقرب من الاستحياء الذى ذكره الناظم وهنا فائدة يعم نفعها وهى ان الاسم
اذا ذكر مرتين فان كانا معرفتين فالثانى عين الاول غالبا دلالة على المعهود الذى هو الاصل فى اللام او
الاضافة نحو قوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين او نكرتين فالثانى غير الاول غالبا وقد اجتمعتا
فى فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا قال صلى الله عليه وسلم لن يغلب عسر يسرين فهو تصريح بما ذكر
فى القسمين او الاول نكرة فقط فكالقسم الاول نحو رسولا فعصى فرعون الرسول او بعكسه حكت الفرانش
نقضت هذه القاعدة بايات كثيرة نحو قوله تعالى هل جزاء الاحسان الا الاحسان اى العمل الا الثواب الذى ع الثماء
اله وفى الارض اله ويؤت كل ذى فضل فضله وبرده ما مر وبين من انها اغلبية على ان بعض المحققين بين
ان جميع ما اورد عليه من الايات من جملة افرادها وانه لم يشذ عنها شىء لكن فى بعضه تكلف **وتداركه**
بالعناية ما دام له بالذى ما ام منك ذماء وتداركه اى تداركه
بالعناية منك له بان تمده بسوابغ كرمك وتفرغ عليه سجال حلمك حتى لا يبقى قط بمفوة ما دام له بالذى ما
متعلق بمجمتين قسم بتداركه والا لزم خلوه من معنى يليق بالسياق اى تداركه بجوهر منك الى انعم الله
بها عليك ما دام له منك ذماء بالمعجمة اى تعلق واصله بقية الروح فى المذبوح اى ما دام فيه ادنى تعلق وتمسك
بك لانك اكرم الكرماء من الخلق وعادة الكريم ان من تعلق به نجا من كل ما يخافه من اليم العذاب وتعجيل الحجاب
ولا وقد **اخرته الاعمال والمال عما قدم الصالحون**
والاغنياء اخرته اى ذلك المعاصى الاعمال السيئة التى ارتكبها والمال الفانى الذى سكه

بظلم الانتفاع بما يأخذه فاذا ترك الكثير مع زيادة نفعه فالقليل اولى وبانه بمعنى ذى ظلم ونسب
للمحققين وبانه بمعنى فاعل فلا كثرة فيه وبان اقل القليل لو وقع منه تعالى لكان كثيرا كما يقال زلة
العالم كبيرة وبان المراد ليس بظلام ليس بظالم تاكيدا للنفى فعبر عن ذلك بليس بظلام وورد بانه ورد ردا
على من قال ظلام فلا مفهوم له وبان صيغة المبالغة وغيرها فى صفاته تعالى سواء فى الاثبات فجرى النفى على ذلك
وبانه تعريض بان ثمة ظلاما للعبيد من ولاة الجور وهذه كلها تصلح جوابا عن الثانى ويزيد عاشر وهو
مناسبة رؤس الآى اذا اطرف لرحيما ما رايته ذهلت اى غفلت عن ابنائها الرحماء مقتبس من قوله
تعالى يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس
سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد وتقييد رحمته بالمؤمنين بهذا ليس لانتفائها
فى غيره بل لانها فى هذا اليوم اظهر واتم لان الله تعالى يظهر له من العظمة والسودد والتقدم على جميع الانبياء
والمرسلين وتخصيصه بالشفاعة العظمى فى فصل القضاء بما يعلم جميع اهل ذلك الموقف انه لا
على اقرب منه الى ربه وان كل سبب منقطع فى ذلك اليوم الا حسبه ونسبه وفى الرحيم والرحماء رد العجز
على الصدر والرنام والزماء وصاعدات وصعداء وانتفى وانتفاء وعزة وعزاء وينتفى والاد نقاء
وذرعات وذرعاء والعرج والعرجاء ورضى والرضى وحب وحباء جناس الاشتقاق او شبهه و
وبالجناس ناقص وبطل وبطاء لاحق وحز والحزن محرف ياشفيعا فى المذنبين
اذا ما اشفق من خوف ذنبه البراء ياشفيعا من الشفاعة وهى
السعى فى اصلاح الحال المشفوع فيه عند المشفوع اليه فى المذنبين فى غفران ذنوبهم وكشف كربهم
اذا اظرف لشفيعا وفيما فى الذى قبله ما زائدة اشفق اى خاف اذ الشفق يطلق على المشقة وشان من حصلت
له المشقة الذلة والدهشة وحمله على هذا هو الصواب واما تفسير الشارح له بالخوف فهو وان كان موضوعا
له ايضا لكنه لا يناسب الا بتكلف قوله من اجل خوف عقاب ذنبه ما قدمه للبراء المتقدم رتبة
وازاده

وازاده نظرا للفظ او للمعنى او لكون المراد الجنس على حد قوله صلى الله عليه وسلم خير نساء ركبن الابل نساء
قريش احناه على طفل الحديث البراء من الكبائر جمع برىء بوزن فعيل ذكرهم لان خوفهم من الصغائر
فقط يدل على شدة ذلك اليوم ومناقشة الحساب فيه وان الخوف فيه من الذنوب يعم اكثر الناس لانهم لا
يخلون عن صغيرة بل صغائر بل لا يخرج من ذلك الا المعصومون ويلحق بهم المحفوظون ومع ذلك يعمهم
الخوف ايضا وان لم يكن لهم ذنب كيف والانبياء شعارهم فى ذلك اليوم اللهم سلم سلم جد للعاصى
وما سواى هو العاصى ولكن تنكيرى استحياء جد يامن
عملى بكمال الرحمة ونهاية الشفاعة بجاهك الواسع فانه لا اوجه منك عند ربك للعاصى المستأسرة
الخطايا اى احاطت به المحن والبلايا والاصل لى ولكنا فهو تجريد والتفات وانه فيه التنكير لما ياتى ولم
يعين بجود به عليه قصدا للعموم المسئول بان يجود عليه فى ذلك اليوم بايصال شفاعته له الى كل مرغوب
وصرفه عن كل مرهوب وما نافية سواى اى غيرى هو العاصى ولكن تنكيرى الواقع فى قولى للعاصى
استحياء منك ان اذكر لك نفسى بلفظ يدل عليها بخصوصها مواجها لك بالتصريح بارتكابها ما
نهيتها عنه وحمل الاستحياء على التنكير مبالغة كرجل عدل فان قلت ذا انما يصح ان يحذف هذا
قلت المراد التشبيه من حيث ان حمل الخبر فى كل محتاج لتاويل لان الحمل شرطه المساواة وهى غير موجودة
هنا التباين مدلوليهما اذ تعبير بذا به وفيه مؤاخذتان احدهما الذى عليه الجمهور ان ضمير الفصل
انما يفيد قصر المسند على المسند اليه وكذا تعريف الخبر على ما ذكره صاحب المفتاح ويشهد له لان
نحو ان الله هو الرزاق اى لا رازق سواه وفى الفائق وكلام الكشاف بميل اليه ايضا ان تعريف الخبر
قد يكون لقصر المسند اليه وقد يكون لقصر المسند بحسب المقام فعلى الاول ان هو العاصى دال على حصر
العصيان فى سواى كزيد هو القائم والمستفاد من النفى الداخل على الجملة نفى ذلك الحصر بناء على ما
هو المشهور ان النفى يتوجه للقيد فان توجه للمقيد ايضا توجه الاعتراض الاول من باب اولى

عنه فهو في وجوه الخير وجمع من وجوه الشر حتى اشتغل به قلبه وطاش لبه في جمعه ولم يبال من اين ما جمعه ولا باي وصف اكتسبه **عما قدمه الصالحون** جمع صالح وهو القائم

بحقوق الله وحقوق العباد وهو يشمل حتى الملائكة ومن ثمه اخبر النبي صلى الله عليه وسلم ان المصلي اذا قال السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين اصابت كل عبد لله صالح في السماء والارض وبين اخرته وقدمه

جناس التطابق كالحسنات والسيئات والملح والفرات والاستقامة والاعوجاج والنوم واليقظة والمام والصيف والشتاء والحر والبرد ويوم وليلة والرجا والخوف والاقوياء والضعيف الاثبات و

الاغنياء من الاعمال الصالحة والانفاق في وجوه الخيرات وهذا لف ونشر مرتب لان الاول للاعمال والثاني للمال ثم اعترف بذنوبه لان الاعتراف مظنة العفو قال الله تعالى واخرون اعترفوا بذنوبهم

الاية متندما عليها للحديث الصحيح الندم توبة فقال **كل يوم ذنوبه صاعدا وعليها انفاسه صعداء** كل يوم وليلة ذنوبه صاعدات مع ملائكة الليل

والنهار الذين يرفعون عملا العباد فيهما الى الله تعالى اظهار العظيم فضل الطائع وقبيح فعل العاصي وعليها اي من اجلها انفاسه صعداء اي متواترة ممدودة من شدة ما يلقى من كرب الندم وفرط الاسف

عليها وسبب الوقوع في ورطتها انه **الف البطنة المبطئة السير بدار بها البطان بطاء** الف البطنة بالكسر اي ملاء بطنه من الطعام والشراب كذا قاله

الشارح والذي في القاموس انها الاشر والبطر وقال في البطر انه النشاط والاشر وقلة احتمال النعمة و

والحيرة والطغيان بالنعمة وكراهية الشي من غير ان يستحق الكراهية انتهى وكل ذلك صحيح هنا وقال في البطن بوزن كتف انه الاشر المتمول ومن همه بطنه والرغيب لا ينتهي من الاكل المبطئة السير الى الله

تعالى اي المعوقة عن الاجتهاد في مرضاته باستفراغ الوسع في الاعمال الصالحة التي هي سبب هدايته وتنزيه النفس عن كل وصف دني وخلق رذيل ولهذا لم تكن من شوم البطنة الا ما اشار اليه صلى الله عليه وسلم

بقوله

بقوله المؤمن ياكل في معي واحد والكافر ياكل في سبعة امعاء من انها تفسد العقل باذهاب فطنته والبدن باذهاب نشاطه وقوته بدار وهي الدنيا بها اي فيها البطان جمع بطن كالكرام جمع كريم بطاء جمع

بطي على وزان الجمع قبله فهم متاخرون عن الفائزين متخلفون عن السابقين **فبكى ذنبه بقسوة قلب نهت الدمع فالبكاء** فبسبب عصيانه بكى ذنبه بقسوة قلب

اي مع شدته وغلظته المؤدية الى ان البكاء صوري لا حقيقي ومن ثمه نهت تلك القسوة الدمع من ان يبرز منه شي غير ذلك الباكي فبسبب هذا النهي انقلب البكاء عن حقيقته وهي بون يعتري القلب فيحصل له

من الهيبة والقلق المزعج والخوف المقلق ما يجري الدمع وينتج الرجوع وصار ذلك البكاء كالمكاء بالتخفيف اي كالصفير بجامع ان كلا صوت يجري على اللسان ولا يتاثر به القلب وبين البكاء والمكاء الجناس المضارع

وغدا يعتب القضاء ولا عذر لعاص فيما يسوق القضاء وغدا اي صار ذلك العاصي بعدما وقع منه من المعاصي والبكاء الذي لا يفيد لمزيد قسوة قلبه يعتب من عتب

عليه وجد عليه القضاء امر قضاه صنعه وقدره اي يقول لم او كيف قدر علي هذا والحال انه لا عذر لعاص يحتج به على الله حتى يسقط اثمه ويندفع مواخذته فيما يسوق اليه القضاء والقدر من المعاصي لان الله تعالى

اجرى عادته الالهية في هذا العالم على اسباب ومسببات تناط بتلك الاسباب وينسب وقوعها اليها نظرا للصور الوجودية وان كان الكل في الحقيقة انما هو بقضائه وقدره كما يدل على ذلك كله قوله تعالى وما رميت

اذ رميت ولكن الله رمى فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم فاسند تعالى اليه الرمي واليهم القتل باعتبار نسبة الصورة الوجودية ونفاهما عنهم باعتبار الحقيقة الايجادية اشارة الى انه يجب علينا رعاية المقامين بان

الافعال الى فاعليها صورة ليمدحوا ويذموا باعتبار جريان تلك الصور عليهم والى الله تعالى حقيقة من حيث عجز العبد عن ذلك وانفراد الحق تبارك وتعالى به وان نعتقد بطلان مذهب القدرية

الذين ينفون قدرة الحق ويثبتون قدرة العبد تخيلا منهم انهم فروا بذلك عن نسبة القبيح الى الله تعالى

وغفلة عن انه يلزمهم ما هو اقبح من ذلك وهو ان يجري في ملكه تعالى ما لا يشاؤه على ان نسبة افعال العباد
الى الله تعالى لا تستلزم نسبة القبيح اليه لان الشيء انما هو قبيح بالنسبة لفعلنا لا لفعله تعالى لانه يتصرف في
ملكه بما يشاء ولا يسئل عما يفعل وهم يسئلون وان نعتقد بطلان مذهب الجبرية ايضا لانه يلزم عليه
ان لا ثواب ولا عقاب ولا مدح ولا ذم لان المجبر المكره على الشيء من كل وجه لم يقع منه فعل ينسب اليه
حتى يدار عليه حكم وقد علم من الشريعة الغراء ان الله تعالى اسند الافعال للعباد ومدحهم عليها تارة وذمهم
اخرى فنتج ما قلناه من التوسط بين المذهبين بان نظرنا الى الافعال من حيث الصورة وانطنا بها احكامها
ومن حيث الحقيقة وانطنا بها احكامها لان هذا هو العدل السوي والطريق الواضح الجلي ونظيره
مذهب الرافضة والناصبية واهل السنة فالرافضة سبوا الشيخين وعثمان واكثر الصحابة ووالوا عليا
وشيعته والناصبية سبوا عليا وشيعته ووالوا اولئك الاكثرين واهل السنة عدلوا فوالوا الكل
وترضوا عنهم وكانوا في الجنة وكان كل من ذينك هنا وفيما مر في النار فان قلت قوله ولا عذر لنا فيه
احتجاج ادم بالقضاء والقدر في قضيته المشهورة مع موسى على نبينا وعليهما الصلوة والسلام لما قال له
موسى انت ابونا ادم الذي اخرجتنا من الجنة بخطيئتك اي بالنسبة لمقامك والا فهي ليست بخطيئة حقيقة
لانه نبي كما في الاية وايضا فلعموم عصمة الانبياء فقال له كم تجد في التورية قد قدر علي ذلك قبل ان
اخلق قال باربعين سنة فقال اتلومني على ذنب قدره الله علي قبل ان اخلق باربعين سنة قال نبينا
صلى الله عليه وسلم كما في الحديث الصحيح فحج موسى ادم وكذلك احتج عمر على ابي عبيدة بالقدر لما ذهب الى
الشام فراى فيها طاعونا فاراد الرجوع فقال له ابو عبيدة افرارا من قدر الله يا امير المؤمنين فقال له عمر
لو غيرك قالها يا ابا عبيدة لاوجعته ضربا نعم نفر من قدر الله الى قدر الله قلت لا ينافي ما ذكر اما الاول
فلان الاحتجاج بالقدر ان كان قبل الوقوع في الذنب ليكون وسيلة للوقوع فيه لم يجز وان كان بعد الوقوع
فيه وقبل ان يتوب منه ما وجب به ليمنع بذلك مؤاخذته به لم يجز ايضا وان كان لا يمنع ذلك بل يمنع

تغييره

تعييره به ساغ كذلك كما صرح به قوله صلى الله عليه وسلم فحج ادم موسى واما الثاني فالواقع من عمر ليس من
الاحتجاج بالقدر في ذلك وانما هو بيان لاسرار ما جاءت به الشريعة المطهرة لان الشارع نهى عن دخول
بلد الطاعون مع انه ان قدر موته بذلك الطاعون لم ينفعه عدم الدخول او لم يقدر فذلك الدخول فبين
عمر رضي الله عنه ان المسببات منوطة باسبابها من غير نظر في عواقبها وان الله تعالى كما قدر على الناس الموت بالطاعون
قدره على اخرين بعدم الموت به فالامتناع من الدخول وارد من القدر الى القدر الاخر والدخول تجاسر على العلة
يكون فتنة للداخل فانه لو وقع به ربما نسب موته الى فعله فحرم عليه خشية الفتنة فان قلت والممتنع
من الدخول اذا سلم ربما نسب السلامة الى فعله ايضا قلت هذا اخف لان الاول القاء باليد الى التهلكة وهي
منهي عنه في الكتاب والسنة والثاني بمنزلة التداوي والفرار من المهلك وهذا محمود في الكتاب والسنة فان
قلت لم جاز الفرار قبل الدخول لا بعده مع استوائهما في المعنى المعلل به فيما مر قلت لا مساواة بينهما
لانا لو جوزنا الفرار لاهل البلد لخرجوا وتركوا المرضى من غير حافظ ولا متعهد وذلك يؤدي الى هلاكهم
غالبا فاقتضت المصلحة العامة منع الناس من الخروج واما من لم يدخل فلا يترتب على عوده مفسدة
فجاز ثم رايت الغزالي ذكر ما قررته في الجواب عن كلام عمر رضي الله عنه ونقله عنه النووي وغيره واقروه حيث
قال فان قيل ما فائدة الدعاء مع ان القضاء لا يرد فاعلم ان من جملة القضاء رد البلاء بالدعاء فالدعاء
سبب لرد البلاء ووجود الرحمة كما ان الترس سبب لرد السلاح والماء سبب لخروج النبات من الارض
فكما ان الترس يدفع السهم فيتدافعان فكذلك الدعاء والبلاء وليس من شرط الاعتراف بالقضاء
ان لا يحمل السلاح وقد قال الله تعالى وليأخذوا حذرهم واسلحتهم وقدر الله تعالى الامر وقدر سببه
انتهى فتامل هذا المحل فانه نفيس وفيه شبه كثيرة انه الهام نحمد الله على هذا التقرير الواضح لمن الهم رشده
واسعده الله جده وخلصه من ورطات الفتن وعوائد البدع والمحن حقق لنا هنا ذلك بعشر وكرم
واذا تقرر انه لا عذر فيما سبق به القضاء بالمعنى السابق سواء كان المعصية صغيرة او كبيرة فكيف يعلم من

او ثقته من الذنوب ديون شددت فى اقتضائها
الغرماء او ثقته اى حبسته فى الدنيا من الخلوص من التبعات وفى الاخرة عن مقامه الكريم
من الذنوب حال متقدمة على صاحبها وهو ديون اى ديون من اكتسب عليه ناشئة من كثرة ذنوبه وتفريطه
فى حقوق الله وحقوق عباده شددت فى اقتضائها اى طلبها منه الغرماء اى من حقوق الادميين مبنية
على المشاححة والمضايقة ما له حيلة سوى حيلة الموثق اما توسل
او دعاء ما له حيلة اى طريق فى التخلص من تلك الديون سوى حيلة الموثق اى الاسير الذى صار
على هرب ولا تخلص وحيلة من هو كذلك تنحصر فى شيئين لا ثالث لهما لانها اما توسل الى الله تعالى فى
خلاصه بما سبق له من عمل صالح او بشفاعة الشافعين او دعاء اليه فان يرضى عنه غرماءه ويسبل عليه
ذيل عفوه وحلمه ورضاه راجيا ان تعود اعماله السوء بغفران
الله وهى هباء راجيا حال من غارم وضمائره المذكورة اى مؤملا الله قريبا ان تعود اعماله
السوء عليه بغفران الله له مغفرة عامة لا تبقى عليه وصمة ذنب والله كريم فلست قلبت الحال ان تلك الاعمال
اى فى جنب الغفران هباء اى مثله فى انها لا وجود لها اذ هو غبار يرى فى شعاع الشمس اذا دخلت من
منكوة او يرى سيئاته حسنات فيقال استحالت
الصهباء اى الخمر من الخمرية والنجاسة الى الخلية والطهارة فتشبيه السيئات بالخمر والحسنات
بالخل استعارة مصرحة والاستحالة التى هى من لوازم المشبه به تخييلية كل امر تعنى به
تقلب الاعيان منه وتعجب البصراء كل امر تعنى اى تعتنى وتهتم انت
يا رسول الله به وتلتفت اليه تقلب الاعيان جمع عين وهو الجسم وهو معنى تغيرها بان تصير منقلبة
بنفسه فيه بان تتحول من صفتها التى لا تريدها الى الصفة التى تريدها وتعجب البصراء جمع بصير حسا ومعنى
اى ذوى البصائر والبصر من ذلك القلب الخارق للعادة والمشاهدة بالابصار الذى لا يعارض بجحود ولا

او ان ترى سيئاته حسنات
منة عليه بالله راجيه فى سلك
الا من تاب وامن وعمل صالحا
عملا فاولئك يبدل الله سيئاتهم
حسنات فيقال عنده فى ذلك
استحالتها الصهباء صح صح

انكار

انكار وشاهده ما وقع لك فى ذلك بالفعل اذ رب عين تفلت فى مائها الملح
فاضحى وهو الفرات الدواء رب هى هنا للتكثير قال الشارح عين من عيون
الماء اى عيون كثيرة تفلت اى بصقت فى مائها الملح الذى لا يساغ لاحد فاضحى ماؤها الملح والحال انه
هو الفرات اى العذب السائغ للشاربين او وهو كالنهر المسمى بالفرات الذى هو احد الانهار الاربعة النازلة
من الجنة كما صح به الحديث الدواء بالفتح اى الذى يحصل بقليله الرى قال الكامل لشارحه قال الشيخ وهو الفرات
الدواء الجملة خبر اضحى انتهى وهو جار فى ذلك على مذهب الاخفش وتبعه ابن مالك لشبهها بالجملة الحالية لكن
الجمهور انكروا ذلك وتاولوا الجملة على الحال والفعل على التمام ولعل نسخته بلا واو قيل هو تنبيه
لم ار لخصوص التفل فى ماء عين ملح فانقلب عذبا بافضاله كثرة التى قالها الشارح سلفا ويحتمل ان الناظم اخذ
ذلك مما رواه ابو نعيم صلى الله عليه وسلم بصق فى بئر دار انس فلم يكن فى المدينة بئر اعذب منها فوجود الاعذب
فيه من بركة بصاقه صلى الله عليه وسلم فيها من نزل منزلة ماء ملح صار عذبا وفى حديث سنده حسن انه صلى الله عليه وسلم
قدم المدينة وليس بها ماء يستعذب غير بئر رومة وهذا يقتضى ان ماء بئر رومة من بقية ابار المدينة كانت
فيها ملوحة منعت الاستعذاب منها ومن جملتها هذه بئر دار انس وقد صارت ببركة تفله فيها اعذب بئر بالمدينة
فصار ماؤها الذى تقرر انه ملوحة اعذب بئر بالمدينة فينتج من هذا صحة ما قاله الناظم رحمه الله تعالى فتامله
ثم رايت للبغوى فى المصابيح عن بئر الاسلمى ان المهاجرين لما قدموا المدينة استنكروا الماء الى ان بئر السابق فى
بئر رومة فتغير فانكرهم ما بها مالا على ان فيها ملوحة وما تقرر فى بئر انس يدل على ان الملوحة بها
ما قاصلت اعذب حتى من بئر رومة ثم رايت الشريشى شارح مقامات الحريرى ذكر ان النبى صلى الله عليه وسلم
تفل فى بئر اريس فعاد ماؤها عذبا بعد ان كان اجاجا وما ذكره غير صحيح فقد قال الحافظ الكبير الزين العراقى
انه لم ير اصلا لحديث تفله صلى الله عليه وسلم فى بئر اريس قال غريم ومن الغرائب قول العز بن جماعة صح
صلى الله عليه وسلم تفل فيها فخ ما قال الشريشى لا اصل له ولا عند ابن جماعة لان فيه زيادة كونه اما كان ا

اى لحيتى شمطاء اى اختلط بياضها بسوادها وما تقرر فى زمن الشباب ولانه محل قرب التوبة والانزجار
بادنى واعظ وتنبيه لانه محل للغفلات والهفوات لا تنافى بينهما لانه وان كان محل الهفوة والزلة لكن صاحبه
يتنبه سريعا الى ذلك ثم ويرجع عنها لحاله كان العود الرطب يستقيم اعوجاجه بادنى عمل بخلاف زمن الشيخوخة التى هى
فانه زمن الامساك عن كل هفوة وزلة لكن صاحبه المرتكب للمعاصى الى ان شاب يعسر عليه الرجوع والتوبة
فى الان عوده قسى وصلب فلا يستقيم اعوجاجه الا بعد اليابس ويشهد لذلك الحديث ان قيل لك
ان جبلا تحول عن مكانه فصدق وان قيل لك ان انسانا تحول عن طبعه فلا تصدق وتماديت
اقتفى اثر القوم فطالت مسافة واقتفاء وقد بلغت هذا السن
الذى يعرض فيه التوبة كان نفسى تماديت اى ان طلبت اقتفى اى اتبع اثر القوم الصالحين السابقين
الى المراتب العلية والفائزين بنيل المطالب السنية فطالت على مسافة بينى وبينهم لبعدى عن الدرجات التى فازوا
بها واقتفاء الاعمالهم واخلاقهم لانهم استغرقوا فيها اوقاتهم وانقطعوا فيها الى الله تعالى عن كل علقة
فوق السائرين وهو امامى سبل وعرة وارض غراء
فبسبب طول المسافة التى بينى وبينهم وخبر مقدم السائرين اى السائرين ليلا من السرى وهو السير
ليلا وعدل اليه عن نائمهم الذى هو القيام لبعيدا انهم احيوا الليل بالعبادات وامتلاؤا فيه
بلذيذ المناجات وهو اى ذلك الوراء امامى جملة معترضة للتصريح بما علم من قوله اقتفى الخ انه
مع طول المسافة بينهم بينه تعذر اتباعه لهم صار بينه وبينهم موانع ايضا سبل مبتدا اى طرق
وعرة اى يعسر سلوكها الان اولئك القوم كلفوا انفسهم من الاعمال الصالحة والتخلق بكرائم الاخلاق
والاحوال ما اوجب لعجزهم عدم اللحوق بهم لعدم قدرتهم على القيام بما قام به اولئك وارض غراء
او لما اى فضاء واسعة حمد المدلجون غب سراهم وكفى من
تخلف الابطاء حمد اولئك القوم المدلجون اى السائرون من اول الليل والقابس

حمدوا

حمدوا ايضا فعدل الى الاظهار ليبين انهم على فريقين منهم من يحيى بعض الليل ومنهم من يحيى كله اوكثره
فان هذا القسم الثانى افضل واكمل الفهم لما ينحمد به حالهم ممن لم يره من قبلهم غب اى عاقبة سراهم من
الفوز برضى الله وقربه والاطلاع على حقائق معرفته والتمتع بشهوده وهذا مقتبس من قولهم عند الصباح
يحمد القوم السرى وكفى من تخلف عنهم فى سيرهم وهذا راجع لقوله فوق السائرين وقوله حمد راجع لقوله
للسائرين ففيه لف ونشر مرتب الابطاء اى التانى فى السير المفوت لادراك منازلهم وفى ذكره هذا ايماء
الى غاية التحسر والتالم بذكره حالهم التى حمد واعقباها وفاته لعجزه عن ادراكها لما هو عليه مما لا يوصله الى
الغرض لبعده عن تلك اللطائف وتقاعده عن بلوغ المعارف كيف وما هو عليه من الجد فى السير الى الله تعالى رحلة
لم ازل ينثنى الصيف اذا ما نويتها والشتاء
رحلة عظيمة عن مواطن الشهوات وبواطن الشبهات وقبائح الارادات وقواطع البطالات ورحلتهم
بانى عزمت على ان اقتفيهم فيها الا انى لم ازل يفند اى يكذب على او يضعف رايى الصيف اذا ما اى زائدة نويتها
والشتاء كذلك اى اذا جاء الشتاء ارجى الى الصيف لان الشتاء يكثر فيه البرد والثلوج والامطار
ينحسر السير فيها واذا جاء الصيف اقول اصبر بها الى الشتاء لان الاعمال يتيسر فيه اكثر ومن ثم قال صلى
الله عليه وسلم الشتاء ربيع المؤمن طال ليله فقامه وقصر نهاره فصامه وفى سنده من ضعفه جماعة
ووثقه اخرون والاوجه توثيقه فى هذا السند بخصوصه ومن ثم صححه ابن خزيمة ويشهد له احاديث
منها مرحبا بالشتاء فيه تنزيل الرحمة اما ليله فطويل للقائم واما نهاره فقصير للصائم وحديث لم ينزل
عذاب قط من السماء على قوم الا عند انسلاخ الشتاء وتما وجب بطاى عن تلك الرحلة انه يتقى
وجهه الحر والبرد وقد عز من لظى الاتقاء يتقى هو بلاد
من الوجه الحر والبرد باتقائه عنهما خوفا من مشقتهما وهما كنايتان عن مشقة العبادة فى الشتاء
والصيف كان ما فى البيت الذى قبله كذلك والحال انه قد عز اى صعب على من لظى اى جهنم متعلق بقوله

فصار ملحا وهذا لم ينقل فيه ابن ماجة ولا غيره انه ورد فضلا عن كونه صح ولعل الناظم رأى ذلك في كلام
مثل كلام القرشي ممن لا يعتد به في الحديث فاعتمده ثم رأيت الحافظ السيوطي ذكر ذلك بلا سند فقال
وريقه صلى الله عليه وسلم يعذب به الماء الملح انتهى ويحتمل ان مراده كما يؤخذ من تعبيره بيعذب لا باعذب ان
ريقه فيه قوة ذلك فلا يكون فيه دليل لما في النظم اصلا واذ قد فرغت مما سبقت الاشارة اليه فلنأخذ
القوم الندم والتوجع منه والتأوه عليه بان اقول على الدوام والاستمرار واه من ماذا
ان كان يغني الف من عظيم ذنب وهاء واه كلمة توجع اي توجعي عظيم
تندمي زائد دائم من اجل ما جنيت على نفسي من الذنوب وقبائح العيوب ان هي بمعنى اذ على حد وخافوني
ان كنتم مؤمنين ولما قررته ان ذلك التوجع يفيد الندم الوارد فيه عنه صلى الله عليه وسلم انه توبة اي معظمها
المتكفل بباقيها غالبا كالحج عرفة كان يغني الف من عظم ذنب من اضافة الصفة للموصوف وها اي سماها
وهو التوجع المفيد للندم المفيد للتوبة كما مر ويصح ان يكون ان على حالها من الشك لانا وان سلمنا ان كلمة
اه تفيد التوبة لكن قبولها ظني لا قطعي على الاصح وذلك ان تمنعه بانه يكفي في كونها بمعنى اذ ان قبولها ظني
لان ظن الوقوع ينافي وضع ان من التردد فيه وللمعترض بوقوع التوبة صرح برجائها فبين ان الاهتمام منه
منع من الاكتفاء بها بالتعريض فقال ادنجي التوبة النصوح وفي القلب
نفاق وفي اللسان رياء ادنجي اي اؤمل بحسن ظني بمولاي بقوله صلى الله عليه وسلم في
الحديث الصحيح لا يموتن احدكم الا وهو يحسن الظن بربه وبقوله انا عند ظن عبدي بي فلا يظن بي الا خيرا التوبة وهي الندم
على الذنب من حيث هو ذنب بخلاف الندم عليه لغرض آخر كاطلاع الناس عليه وصرف دراهم فيه فان ذلك
لا يعتد به والاقلاع عن المعصية بترك ملابسة فعلها من حيث الندم عليها لا لغرض آخر ايضا وعزم ان
لا يعود اليها ما عاش لذلك ايضا لا لنحو قطع ذكره والخروج عن كل مظلمة عصى بها بقضي ما عصى بتركه اداؤه
فورا او باداء ما عصى باخذه ظلما الى مالكه او وكيله او وارثه بعد ان قدر والا عزم عزما جازما انه متى قدر على

الخروج

الخروج منه خرج منه لعوده والتوبة ولو من الصغائر واجبة اجماعا وتصح على الاصح من ذنب دون ذنب
وتصح على الاصح ايضا وان نقضها توبة من ذلك الذنب ثم عود اليه وان تكرر ذلك النصوح اي التي لا يعود
من حصلت له الى ذنب بل الموفي بها خالصة عن كل شائبة من شوائب الحظوظ بان تكون لله وحده لا لغرض
آخر ولو اخرويا كما ان تاب لاجل دخول الجنة فان ذلك لا يؤثر في صحة اصل التوبة وانما يؤثر في كمالها لانها
مشوبة بغرض للنفس بخلاف الخالصة لوجه الله تعالى قال تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين
له الدين لكن اني يفيد هذا الترجي والحال اني متلبس بما ينافيها في القلب نفاق من حيث العمل فانه
قد يبطن خلاف ما يظهر لا من حيث الاعتقاد لان ذلك انما يصدر قدمهما قد يكون فيه شوب نظر الى طلب
رفق او ثناء من مخلوق ومع ذلك لا اترك التوبة ورجائي قبولها لاجل ذلك قالت رابعة واستغفارنا
وان كان يحوج الى استغفار لا يجب ترك الاستغفار ومتى يستقيم قلبي وللجسم
اعوجاج من كبرتي وانحناء ومتى للاستفهام التعجبي يستقيم قلبي بان لا يبقى
فيه نظر الا الى محبة الله من اهل ومال او جاه او غير ذلك بل الى الله وحده والحال اني وصلت الى حالة تدل
على غلظ القلب وشدته وعدم قبوله للخروج عما جبل عليه من الغفلة واللهو وتلك الحالة هي انه حصل للجسم اعوجاج
من اجل كبرتي اي كبر سني وهو علمي من كبر بكسر الباء اي اسن وانحناء لقامتي وهو من عطف الرديف او
الاخص او لان الاعوجاج يعم الاعضاء كلها والانحناء يختص بالقامة اذ هو تقوس الظهر وبعد استقامة
بخلاف ايام الشباب فان العود رطب والقلب لين فادنى وعظ يؤثر فيه وادنى زجر يرده عما هو متلبس به
فيبادر الى التوبة سريعا وانما اخرت التوبة الى هذا الزمن لاني كنت في نومة الشباب
فما استيقظت الا ولمتي شمطاء كنت في نومة الشباب الذي يكثر فيه
الغفلات وتتوالى على اهله الهفوات فاستحكمت غفلتي حتى صرت كالنائم المستغرق الذي لا يفيق
من نومه الا بتحريك قوي فما استيقظت من تلك الغفلة في حال من الاحوال الا والحال ان لمتي

الانقاد لاني متلبس بما يؤول بي اليها الا ان يتغمدني الله برحمته ولاجل هذا **ضقت ذرعا**
مما جنيت فيومي قمطرير وليلتي دردعاء ضقت ذرعا بالمعجمة من
اجل ما موصولة او مصدرية جنيت اي ضعف طاقتي من ان تحملت جنايته ولم اجد من يخلصني من ثقله
واصل الذرع الخلق فيومي قمطرير اي شديد وهذا كذكر دردعاء والرحلة والصيف والشتاء وضقت ذرعا
فيه اقتباس من الآيات المذكورة فيها ذلك وتلميح الى ما فيهما من القصص وليلتي دردعاء بالمهملة اي مظلمة
كناية عن شدة ما يلقى فيها واصل الدرعاء التي يطلع قمرها عند الفجر ومراده ان ذلك الضيق يلازمه
نهارا وليلا لا ينفك عنه واحد منهما **وتذكرت رحمة الله فالبشر لوجهي**
اني انحي تلقاء ولكن خفف عني عن ذلك اني تذكرت رحمة الله اي سعتها التي دل عليها
قوله تعالى ورحمتي وسعت كل شيء وانها سبقت غضبه كما دل عليه الحديث الصحيح ان الله كتب كتابا فهو عنده
فوق العرش ان رحمتي سبقت غضبي اي ان مظاهر الرحمة غلبت مظاهر الغضب وهذه العندية عندية
والمكانة لا المكان لتعاليه عنه علوا كبيرا فبسبب ذلك البشر اي الفرح والسرور لوجهي متعلق بخبر البشر
وهو تلقاء وهذا اولى من جعل اللام لخبر ايضا اني اي من اي مكان انحي اي اتوجه تلقاء اي مقابل اي فا
مقابل لوجهي منه اي مكان توجهت اليه لاني مستشعر لسعة الرحمة ومعول عليها مع نظري الى قول الصادق
المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى عن ربه انا عند ظن عبدي بي فلا يظن بي الا خيرا **فالحي الرجا**
والخوف بقلبي للخوف والرجاء احشاء فبسبب تذكري لما
جنيت المقتضي لمزيد الخوف ولسعة الرحمة المقتضي لسعة الرجاء الخ اي قام الرجاء والخوف بالقلب
فهما على حد سواء كما هو الراجح عند ائمتنا ان الانسان ما دام صحيحا فليكن رجاؤه وخوفه مستويين
وقيل يغلب الرجاء لئلا يغلب عليه داء اليأس من رحمة الله وقيل يغلب الخوف لئلا يغلب عليه
داء الامن من مكر الله ويرد بما انهما اذا استويا امنت غلبة احدهما فلا محذور يخشى بخلاف

غلبة

غلبة احدهما فانه يخشى منها المحذور الذي في مقابلته اما المريض فيغلب الرجاء لقوله صلى الله عليه وسلم لا يموتن
احدكم الا وهو يحسن الظن بالله اي يظن انه يغفر له ويرحمه وللخوف والرجاء اذا تواردا على القلب احشاء اي
استقصاء ومنازعة لتضاد مقتضاهما اذ مقتضى الخوف اعتراء شدة وحصر للنفس لا يطاق لان
من لازمه الكف عن كل محرم بل وعما فضل عن حاجته من الحلال كما هو شأن الزاهدين اذ لم يحملهم
على ذلك الا عظيم خوفهم ولو من هول السؤال ومقتضى الرجاء بسط النفس وانشراحها لان من لازمه استحضار سعة
الرحمة وان الذنوب وان كثرت وعظمت يغفرها الله تعالى ويتجاوز عنها بكرمه واذا تضاد مقتضاهما لزم ان
كلا يستقصي في مقتضاه ضد ما الآخر لكن قد تقرر ان الاولى الصحيح ان يستوي عنده المقتضيان لئلا
يغلب احدهما على الآخر فيخشى منه المحذور السابق آنفا ومن ثم قال ناهيا عن غلبة الخوف المقتضي لليأس
صاح لا تأس ان ضعفت عن الطاعة واستأثرت
بها الاقوياء صاح اي يا صاحبي فيه نوع تجريد اذ الاصل يا نفسي لا تأس من رحمة الله ان
ضعفت عن الدوام في الطاعة لضعف همتك وغلبت بطالتك وايثارك الراحة وغفلتك عن اهوال
القيمة واستأثرت اي انفردت بها الاقوياء بالهمة والنشاط وقهر النفس وتجريعها المكروهات حتى ثبتت
عليها فصارت منهم من الدنيا لوفاتها واعظم مطلبها **ان لله رحمة واحق الناس**
منه بالرحمة الضعفاء ان فيه شائبة تعليل للنهي عن اليأس ان ضعفت عن الطاعة
لله رحمة عظيمة ادخرها لبعض عباده من القوي والضعيف والشريف والوضيع واحق الناس منه بتحقق
بقوله بالرحمة الضعفاء اي الذين لا يعولون على اعمالهم ولا يغترون باحوالهم مع قيامهم بما لا بد منه
لله تعالى في عبادتهم فهم اقوى نية في العبادة وابعد عن الرياء فربما حصلت لهم بسبب ذلك نفحة سبقوا بها
الاقوياء وفي الحديث القدسي انا عند المنكسرة قلوبهم من اجلي اي لان مطلوبهم رضائي ومعتقدهم انه
لا عمل لهم ومما يؤيد ذلك انه صلى الله عليه وسلم في منامه الذي رآه لابي بكر وعمر فيما يتعلق بحالهما فانهما قد

مدة خلافة ابي بكر وطول مدة خلافة عمر اثبت لابي بكر مع انه افضل الناس بعد الانبياء نحو ذلك الضعف
فقال بعد ان بين انه على يقين انه ينزع منها بدلو وان ابا بكر اخذ منها فنزع بها دلوا او دلوين وفي نزعه
والذي يغفر له ضعفه فهو ليس ضعف يقين ولا عمل وانما هو اضعف انكسارا وافتقار وفي الحديث ان الله
لا ينظر الى الصور وانما ينظر الى الاعمال والقلوب اي لا الى الاعمال وحدها بل لما يصحبها من القلوب من اخلاص
وافتقار ومنه يعلم استدل على ان الضعيف قد يحصل له ما لا يحصل للقوي بمثال ظاهر في الوجود فقال

فابق في العرج عند منقلب الذود ففي العود تسبق العرجاء

فبسبب الحقية المذكورة للضعفاء ابق في الضعفاء المشبهين بنحو العرج جمع اعرج وهو من بجلده داء
يمنعه من استقامة المشي عند منقلب الذود اي عند رجوعه الى ربه وهو جماعة الغنم ففي العود تسبق
العرجاء اليه فتفوز منه بما سبق لها فتأخرها اوجب لها السبق فكذلك تأخرك من كثير الطاعات ربما
اوجب لك سبق المكثر منها لانه قد يصحبك من الذل والافتقار والاخلاص ما يخلف تأخرك بخلاف
المكثر قد يصحبه من العجب والافتخار ما يوجب تأخره ومن ثمه قال العارف المحقق تاج الدين ابن عطاء الله
رحمه الله رب معصية اورثتك ذلا وانكسارا خير من طاعة اورثتك عزا واستكبارا واعلم انه لم
ذات المعصية خيرا من ذات الطاعة بل لا يتوهم ذلك من كلامه وانما الذي افاده ان المعصية قد يصحبها
وصف خير من الوصف الذي صحب الطاعة فيكون ذلك مقتضيا العدم المؤاخذة بوصمة تلك وهذا
مقتضيا لسقوط هذه وعدم الاعتداد بها فكذلك كلام الناظم هذا وفيما قبل يتنزل على هذا فتنبه لم
واذا تأخرت عن الطاعة لضعفك عنها فلا زم الذل والانكسار **لا تقل حاسد الغير**

هذا اثمرت نخله ونخلي عفاء لا تقل حال كونك حاسد الغير الذي اكثر
منها اي متمنيا زوال نعمة التوفيق عنه هذا القوي لسبب قوته اثمرت نخله اي كثرت اعماله فتشبيهها
بالنخل استعارة مصرحة وذكر الاثمار ترشيح وانما التشبيه بالنخل لان النخلة من افضل الاشجار لانها
خلقت

خلقت من فضلة طينة ادم ومن ثمة قال صلى الله عليه وسلم اكرموا عماتكم النخل ولاجل هذا شابهت الادمي في كثير
من صفاته الحسية والمعنوية كما لا يخفى ونخلي اي اعمالي عفاء بالفتح اي كالتراب لا ثمر لها ولا يعتد بها بسبب ضعفي
لانك ح تعترض على الحكيم في فعله وتخصيصه لكل منكما بالارادة وقدره ومن ثمة كان الحسد كفرا بالنعمة المنعم
ويأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب وخرج بحاسد المنصرف الى الحسد المذموم الحسد المحمود والمسمى بالغبطة وهو ان
تتمنى ان يكون لك من النعم والخيرات مثل ما للغير مع بقائها له وهذا مطلوب كما اشار اليه صلى الله عليه وسلم بقوله
لا حسد الا في اثنين الحديث واحذر ان تتكل على رجائك فقط من غير عمل فانه لا ينفع رجاء الا مع عمل ومن ثمة
قال الي كل رجاء لم يصحبه عمل فهو مزور بل مع رجائك اجتهد **وات بالمستطاع من عمل**

البر فقد يسقط الثمار الاتاء وات بالمستطاع من عمل البر امتثالا لقوله
تعالى فاتقوا الله ما استطعتم الناسخ على الحق لقوله تعالى اتقوا الله حق تقاته فانه صلى الله عليه وسلم فسر
هذا بان يعبد فلا يعصى ويذكر فلا ينسى ويشكر فلا يكفر قالوا اينا يطيق ذلك فنزلت تلك مبينة لهم ان
المطلوب انما هو ما يقدرون عليه دون ما عداه ويصح ان يكون تلك مبينة للمراد من هذه فلا نسخ وهو الاولى
فقد ينتج القليل ما لا ينتج الكثير بواسطة مزيد اخلاص وانكسار كما انه قد يسقط الثمار الكثيرة والنفيسة
الاتاء اي النخيل الصغار اذا خلصت ارضه وزادت وخصبه ولا يسقطه ذلك الكبار فكذلك انت قد
بسبب ضعفك بالمعنى السابق بما لم يفز به القوي الناظر الى قوته ونفسه ففي كلامه هنا وفيما مر تمثيل
وتذييل وهو من ارق فنون البلاغة والطف طرق البراعة وتفسير الاتاء بالنخيل الصغار وقع في كلام
الشارح ولم يبين ضبطه اهو بفتح الهمزة او بكسرها والتاء بالمثناة او المثلثة ولم ار في القاموس هذا الذي
ذكره وانما الذي فيه في الاتاء بالفوقية كالكتاب تفسيره بما يخرج من الشجر والثمار وفي الاثاء كانا با
تفسيره بالحجارة والماشية وهذا يمكن تنزيل كلام الناظم عليه اي ان النخلة اذا طالت وصعب عليك رقيها
قد يمكنك ان تسقط بعض ثمرها بضربه بحجر **وبحب النبي فابغ رضى الله في**

حبه الرضى والحباء واعلم ان افضل الاعمال واسرعها انتاجا واعظمها وسيلة هو
مزيد محبة نبينا صلى الله عليه وسلم فانها سبب لكل خير دنيوي واخروي فعليك ان تكون ممن امتلأ قلبه
بحب النبي صلى الله عليه وسلم امتثالا لقوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ولقوله صلى الله
عليه وسلم لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من ماله واهله وولده والناس اجمعين ومر الكلام على ذلك
قريبا بما ينبغي مراجعته واذا حظيت بهذه المحبة فابغ اي اطلب رضى الله ففي حبه الرضى من الله تعالى المنعم
بما ليس فيه تحسب والحباء اي العطاء منه تعالى لجميع الخيرات الدنيوية والاخروية كالتوفيق للاعمال الصالحة
والفوز بالمقامات العلية فكن على رجاء من ذلك اذا طلبته بمحبته صلى الله عليه وسلم فانها نعم الوسيلة فاتبعوني
يحببكم الله ثم عاد الى الضراعة واظهار المسكنة والضعف وابداء التحسر والتحزن والاستغاثة بمن يجيب
المستغيثين به فقال متوسلا انه ببركة توسله به يتخلص من ورطات ذنوبه **يا نبي الهدى**
استغاثة ملهوف اضرت بحاله الحوباء يا نبي الهدى اي الدال
على الله بالنسبة للكل ومنه وانك لتهدي الى صراط مستقيم والايصال اليه بالنسبة للمؤمنين ومنه انك
لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء استغاثة بالرفع خبر مبتدأ محذوف اي سؤالي وهو نداء
من يخلص من شدة او يخففها والنصب مفعول مطلق اي استغيث بك استغاثة اي انا ديك نداء ملهوف
اي مضطرب متحير محتاج الى ما ينقذه مما يهلكه اضرت بحاله الحوباء اي اسكته ذنوبه وضعفت همته وذلك
لانه **يدعي الحب وهو يأمر بالسوء ومن لي ان تصدق**
الرغباء يدعي الحب لله ورسوله وهو اي والحال انه يصدر منه ما يكذب دعواه من مخالفتهما لانه لا يزال
يأمر نفسه او غيره بالسوء اي الاثم فعلا وتركا والمخالفة تنبئ عن عدم المحبة كما هو واضح لمن تأمل قل ان
كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ولهذا التشاء الذي ينبغي ان يصدق في دعوى محبتهما فقال ومن
اي من الذي يتكفل لي في هذه التنقلات ان تصدق مني الرغباء اي الرغبة المصممة والرجوع الى الله تعالى بالتوبة

والعمل

والعمل الصالح وادعاء المحب مع ظهور ما يكذبه نقص اي نقص ومما يكذبه ايضا دوام الغفلة من محبوبه حتى انه
لا يمر بباله ولا في النوم ومن هذا حاله **اي حب يصح منه وطرفي للكرى واصل**
وطيفك داء اي حب يصح منه في النفاق والحال ان طرف النفاق للكرى اي النوم واصل
لا ينفك النوم عنه في وقته وليس هذا شان المحب وطيفك اي خيالك داء اي محتجب عني كما احتجب الداء عن
واصل بن عطاء الرجل المشهور فانه هجرها فلم يتكلم قط بكلمة فيها راء بل يعبر ادفيها او بعقلها خشية من ان يعاب
بلثغته بالراء فصار هجر الشيء المستمر تمثيلا عندهم بهجر واصل للراء ففي النظم التورية لان واصلا بالنظر للكرى
اسم فاعل وللراء اسم علم وتلميح لانه اشار الى قصة واصل المشار اليها وفيه الاستفهام الانكاري اي كيف يصدق
محبتي وانا مواصل للكسل والنوم علما ان مواصلة النوم لا تؤثر في المحبة لانها امر وجداني فكيف يوجد مع
حضور خيال المحبوب بالضمير ولا في حالة النوم وهذا ينافي المحبة كما هو محسوس لاستلزامها ان طيف المحبوب لا يغيب
عن مخيلة المحب نوما ولا يقظة نعم قد يتخلف هذا الاستلزام لمانع ولذا تردد على ما قدمه وان فقد حضور الطيف
هل هو لذلك او لغيره فقال **ليت شعري ذاك من عظم ذنب ام حظوظ**
المتيمين حظاء ليت شعري اي ليتني علمت اذ ذاك اي لعدم ظهور طيفه بقلبي من اجل
عظم ذنب وقع مني وهو الظاهر ام حظوظ المتيمين اي المحبين حظاء جمع حظوة بالكسر والضم وهي المكانة
والقياس في الجمع الضم والكسر كعروة وعرى وبين حظوظ وحظي الجناس المطلق اي انصباءهم من المحبوب متفاوتة
فبعضهم يحظى بالقرب منه بكثير عمل وبعضهم لا يحظى به مع كثرة العمل **ان يكن عظم زلتي**
حجب رؤياك فقد عز داء قلبي الدواء ان يكن عظم زلتي التي
ارتكبتها حجب رؤياك اي رؤيا طيفك عني في النوم التي فقدتها فقد عز داء قلبي الدواء اي قل بل
عدم الدواء الذي يكون لمرض قلبي فلا يوجد له شفاء لا يوجد لانه لا يوجد له الا من جنابه صلى الله عليه وسلم فان
فرض انه اخذ انسانا بعظيم ذنبه لم يمكن احدا غيره ان ينقذه منه ثم هذا التردد في وجود المحبة الذي سبق

هو لمزيد الخوف وان الانسان على هد حبه ان يؤاخذ بذنبه وان كان محبا لا الزوال محبته بل هى ثابتة وراسخة في
مجبوبه واسع وان كانت ذنوبه كثيرة ودح **كيف يصدى بالذنب قلب**
محب وله ذكرك الجميل جلاء كيف يصدى اى يسود بسبب الذنب
الذى ارتكبه ذلك المحب قلب محب لك وهى للحال له اى لقلبه متعلق بجلاء ذكرك مضاف للمفعول
اى ذكره لك بالتصلية والتسليم عليك يا رسول الله وسؤال الوسيلة لك وغيرها مما يعود عليك بزيادة
القرب فان الخلق كلهم مفتقرون الى ذلك ويصح للفاعل اى ذكرك له الجميل العائد على الذاكر بما لم يكن
في حسبانه جلاء ولما غلب على ظنه ما اشار اليه الشارح فيه بان في قوله ان يكن الى آخره من ان سبب حجب الرؤيا عنه
عظم ذنبه صرح كما يصرح من وجد آخذا ماله او قاتل ابيه بعد ياسه منه فقال بهذه **عللى وانت**
طبيبى ليس يخفى عليك في القلب داء هذه علتى التى انحلت جسمى واذهبت
لبى لا غيرها والحال انك انت طبيبى العالم بها الماهر في ازالتها فانه ليس يخفى عليك في القلب داء
وانت لا احد من الخلق اكرم منك ولا اعلم فعجل لى بدواء ذلك المحصل للشفاء من مضمة جميع ما هنالك
فان شفاعتك لا ترد والمتوسل بك لا يخيب **ومن الفوز ان ابثك شكوى**
اليك وهى اقتضاء وانما رفعت اليك قصتى وشكوت اليك قلة حيلتى مما
جنيت على نفسى لان من الفوز اى النجاة والظفر بجميع المطلوب الذى لا فوز اعظم منه ان ابثك
من بث وابث نشر واظهر شكوى هى الاخبار من التضرر او الغير بسوء فعلها لكن هذه انما هى شكوى منى
لنفسى اليك لا الى غيرك اى انشر واظهر بين يديك في ضمن مدحى لك ما كاد ان يهلكنى من عظم ذنوبى
وقبيح عيوبى رجاء ان تلمحنى بنظرة تزيل عنى كل وصمة وتوجب لى منك كل رحمة لان رجائى فيك ولمدحى
ومحبتى لك متزايدة وهى اى تلك الشكوى الواقعة في ضمن ذلك المديح البديع اقتضاء اى طلب
من كرمك الواسع وفيضك الهامع ان تخلصنى من تلك الورطات والنجى من برائن سائر الدركات

ان

ان يحصل لى الشفاء من جميع الادواء فان جاهك متكفل بكل مطلوب محقق لكل مسؤول ومرغوب لا
سيما الخادم حضرتك الفانى في محبتك كيف وقد **ضمنتها مدائح مستطاب**
فيك منها المديح والاصغاء وضمنتها بالبناء للمفعول اى تلك الشكوى
اى لتقبل وتعود على بركة قبولها ما هو المقصود بالذات منها مدائح لجنابك بديعة جمع مدحة اى كلام متضمن
للثناء الجميل الذى هو المدح المباين للهجو او المرادف او الاعم منه والاخص منه اقوال ومرت مستطاب بالرفع
صفة مدائح الذى هو نائب الفاعل فيك منها اى من تلك الشكوى متعلقان بما قبلهما او بعدهما ومن تبعيضية
المديح لك والاصغاء من سامعيها اليك لان اوصافك الكريمة زينتها فصارت بها في غاية الكمال الذى
يشوق الاسماع ويجلو عين ارجاء القلوب والبقاع ومن استطابة ذلك المدح ان الله تعالى يسر وعلى في
هذه القصيدة البديعة ببركة التجائى اليك اذ **قل ما حاولت مديحك**
الا ساعد تهاميم ودال وحاء قل ما مصدرية حاولت تلك الشكوى
مديحك اى ابرازه مدح فيه لم اسبق اليه واسلوب من انواعه اللائقة بك والمطلوب فيهما ان يجرى على اعلى
سنن البلاغة وفنون البراعة الا وساعد تهاميم ودال وحاء اى مسمى هذه الاسماء وهو مدح
اى ما توقفت على معنى او نوع من تلك المعانى والانواع فوجهت همتى الى الاحسن منها الا وجدت الالفاظ بما هو
الدالة على مدحك تبادرنى الى تاديته بغاية اللطف وتساعدنى عليه بنهاية الاسعاف فتاتى في محى منه
ابدع وابلغ وكون ما مصدرية هو ذكره الشارح وعليه قال المعنى قلت محاولتها مديحك في حال كونها مساعدا في
بهذه الحروف الثلاثة فانها لا تصلح بلا نكتة انتهى ويلزم عليه وقوع الاستثناء المفرغ في غير نفى او شبهه وهو
النهى والاستفهام وهو ممنوع عند اكثر النحاة ومن جوزه في الموجب كقام القوم الا زيد ورد عليه بانه يلزمه الكذب
اذ تقديره ثبوت القيام لجميع الناس الا زيد وهو غير جائز بخلاف النفى فهم الا فراد فانه جائز فان قلت
جوز المبرد التفريغ في موجب يلزمه النفى معنى كلو ولولا نحو لولا القوم الا زيد لاكرمتك وههنا كذلك

لان قل يلزمه نفي ما عدا القليل فهو نفي في الجملة قلت ما ذكره يرد بان التفريغ يدخل في الجملة الثابتة التي هي
الاولى واما الجواب الذي هو منفي فخارج عما دخلت عليه الا على ان كون قل يفيد نفيا يشبه النفي الذي
في التفريغ ممنوع واذا تقرر ذلك تعين تاويل النظم بان يقال فاعل قل محذوف دل عليه المذكور وان ما
نافية والاستثناء مفرغ من اعم الاحوال والتقدير قل ان يستصعب على الردية في مدحك لاتي ملحا
في حال اعلى من الاحوال الا ساعدني مدحك على الحل ما ينبغي ويجعل هذا المساعدة المشتملة على ما اودعته
من انواع البلاغة **حقٌّ لي فيك أن أساجل قومًا سلمت منهم**
لدلوي الدلاء حق اي ثبت واستقر لي فيك اي في مدحك ما لم يكن في حسبا وهو ان اساجل
قوما هم الشعراء الذين مدحوك اي افاخرهم فاقول ما صنعته خير مما صنعتموه وابين لهم ذلك حتى
يذعنوا لي في ذلك ويصيرون قد سلمت منهم لدلوي الدلاء وحاصله افخرهم بابلغ ما فاز به وعبر بالغلبة
عن التسجل هو الدلو العظيمة المملوة مذكر واما الدلو فمؤنث ومن هذا قولهم الحرب بينهم سجال كالكتاب
اي يسجل منها على هولاء واخرى على هولاء ذكره في القاموس وعليه فالمساجلة تطلق على تنازع المتقين
على شيء بدلاء مختلفة ليرى كل منهم ان يظفر على اصحابه بملء دلوه قبل الاخرين شبه بهم المادحين له
في تنازعهم فيما يبرزونه وادعاء كل ان ما ابرزه خير مما ابرزه غيره فهي استعارة بالكناية واثبات المساجلة
استعارة تخييلية وذكر الدلو ترشيح ثم اشار الى علة اخرى لتميزه عليهم وتسليمهم لذلك فقال **إنّ
لي غيرةً وقد زاحمتني في معاني مديحك الشعراء** ان لي
غيرة بالفتح على مديحك اي حمية توجب لي ان لا احب ان غيري يسبقني فيه والحال انه قد زاحمني في معاني
الفاظ مديحك الشعراء وارادوا ان يسبقوني فيه **ولقلبي فيك الغلو وانى**
للساني في مدحك الغلواء والحال انه استحكم لقلبي فيك اي في محبتك
الغلو اي مجاوزة الحد الذي يبلغ اليه امثالي وانى يكون للساني في مدحك الغلواء اي الشباب والتقدم

علیهم

عليهم بما لا يصلون اليه لولا اسعافك وامدادك نظرك لي بما يميزني عليهم فانى استفهامية بمعنى كيف نحو انى
يحيي هذه الله بعد موتها او بمعنى من اين نحو انى لك هذا وترد ايضا بمعنى متى او حيث ويحتمل الكل
فأتوا حرثكم انى شئتم لكن الذي اختاره ابو حيان وغيره انها في الاية شرطية حذف جوابها لدلالة ما قبلها
عليه لا استفهامية والا لاكتفت بما بعدها كما هو شانها ان تكتفي بما بعدها ان يكون كلاما يحسن السكوت
عليه اسما كان او فعلا وبفتح كسر ان اي وانى فالياء اسمها لكن الاول ابلغ واظهر كما لا يخفى **فاثب
خاطرا يلذ له مدحك علما بانه اللألاء** فبسبب صدق
محبتي وشدة غيرتي ومزاحمة اقراني لي مع المراد تم التقدم على اثب خاطرا اي قريحة لي ملى هذا المدح البديع بان
نمدها بما يفوق به جميع مزاحمها وسابقها فانك اكرم من جازى محبيه واجود من جاد على مادحيه ولنا من
اصدقهم محبة وابلغهم مدحة وابلغهم مدحا كيف وقلبي يلذ له مدحك لذة تحمله على ان يبذل وسعه مع صدق
التوجه اليك وبك في اختراع ما لم يسبق اليه ولا حام احد قلبه عليه علما اي لاجل علمه بانه اي مديحك اللألاء
اي الفرح التام كذا في القاموس وغيره فان كان الفرح بالجيم فواضح او بالحاء المهملة ففيه بعد ويصح انه من
تلألأ البرق بمعنى لمع اي علما بان مديحك يضيء قلوب المادحين لا سيما ابلغهم حتى يأتي في مدحك بالمعاني
البديعة والاساليب العجيبة كما وقع لي في هذا النظم لتميزه على غيره بما سوغها انه **حاك من صنعة
القريض برودا لك لم يحك وشيها صنعاء** حاك
اي نسج ذلك الخاطر فيه من صنعة القريض اي الشعر برودا جمع برد وهو نوع من انواع الثياب اليمانية
فيه زينة لك لم يحك وشيها اي نقشها بالالوان المختلفة صنعاء مدينة باليمن مشهورة بجودة النسج
الوشي شبه المعاني البديعة وادهاشها للقلوب عند سماعها بالابراد الموشية المدهشة للابصار عند
رؤيتها واثبت لها ما هو من لوازم المشبه به وهو الوشي والحوك كما اثبت للمشبه به ما هو ملائم له وهو القريض
ففيه استعارة تصريحية مرشحة بذكر الوشي والحوك مجردة بذكر القريض ومنها انه قد **اعجز الدر**

نظمه فاستوت فيه اليدان الصناع والخرقاء

اعجز الدر نظمه اى ان نظم هذه القصيدة المشتملة من البلاغة على غاية لم يشتمل عليها غيرها فان الدر المنظوم الذى يدهش الفكر ويخطف البصر لضوئه وصفائه فاستوت فيه اى فى العجز عنه اليدان اى المرأتان الصناع بفتح الصاد المهملة وبالنون والعين المهملة اى الحاذقة الماهرة والخرقاء اى الغبية

فارضه افصح امرء نطق الضاد فقامت تغار منها الظاء

فبسبب ما عنيت بهذا النظم من غيره ارضه اى اقبله يا خير من امه المادحون ورجاه العارفون واكرم خلق الله واجودهم وتجاوز عما فيه وان كان فيه من الفصاحة ما لا يدركه غيرك يا افصح امرء نطق الضاد اى بها اى افصح العرب العرباء وهذا اقتباس من قوله صلى الله عليه وسلم انا افصح من نطق بالضاد الحديث وخصها لان غير العرب لا يحسن اخراجها من مخرجها والعرب وان احسنوا لكنهم متفاوتون فيه وكلهم لم يصل منهم الى الحد الذى كان صلى الله عليه وسلم يصل اليه فى ادائها وكان وجه هذا الاقتباس اظهار الناظم ان ما اتى به وان بالغ فى بلاغته لا يتاهل الى مدحه لان فصاحته معجزة لغيره فاتى ببلاغة تؤدى ما يليق بمكانته يقول يا افصح الفصحاء اقبل ما جئت به وان لم اتم دنى الحجة من واتم فصاحتك بل ولا وفاء بما يليق بكمالك ويؤيد هذا قوله الآتى ابذكر الآيات الخ فبسبب اختصاص الضاد من تعذرا وتعسر النطق بها على غير العرب وتعذر بغاية على غيره صلى الله عليه وسلم وقرب الظاء من مخرجها ولم تظفر بما ظفرت به الضاد قامت فاعله الظاء واشار بقامت الى انها تشبهت بالظاء القائم حال كونها تغار منها اى الضاد الظاء لكون الضاد غيرت عليها بتلك المرتبة العلية اى ارادت الظاء فضلا عن غيرها ان تحصل لها مرتبة تضاهى تلك المرتبة فلم يحصل لها فغارت ثم طلبى من كرمك يا اكرم الخلق الرضى بهذه القصيدة ليس لكونها وفت بحقوقك الواجب استقصاؤها فانى مدحك بل للطمع فى سعة حلمك وجودك

ابذكر الآيات اوفيك مدحا اين منى واين منها الوفاء

ابذكر الآيات فى هذا

النظم

النظم اى الخصائص والمعجزات التى علمنا بها الدالة على وصولك لما لم يصل اليه مخلوق اوفيك مدحا لا اذ لا يمكن ان يوفيك ذلك الا من احاط بمقامك وانى ذلك لغيرك مثلى اين منى الوفاء بذلك وانا من جملة العاجزين المقصرين واين منها الوفاء بذلك وهى محصورة وكمالاته صلى الله عليه وسلم غير محصورة

ام امارى بهن قوم نبى ساء ما ظنه بى الاغبياء

ام منقطعة امارى اى اجادل بهن اى بذكرى لتلك الآيات قوم نبى اى المادحين لنبيهم صلى الله عليه وسلم اى لم اذكر تلك الآيات بقصد انى اوفى بها حقه صلى الله عليه وسلم ولا بقصد ان اجادل بها امته ومن ظن بى واحدا منهما فهو غبى لا يفهم ولا يعقل شيئا وساء ما ظنه بى الاغبياء لا نعم لفظ فظنهم بى يجادلون على الناس بما هم بشرون منه

ولك الامة التى غبطتها بك لما اتيتها الانبياء

ولك استيناف او عطف على محذوف اى لك الآيات التى لا تحصى ولك الامة الوسط كما قال الله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس اى خيارا عدولا لتكونوا شهداء على الناس التى غبطتها من الغبطة وهى تمنى الانسان ان له من الخير مثل غيره من غير سلبه عنه والحسد ودّ ذلك مع سلبه عن ربه لما اى حين اتيتها اى ارسلت اليها الانبياء فانهم وان كانوا من امتك بنص قوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة الاية ومر الكلام عليها لكنهم ودوا ان يكونوا من اتباعك الذين بعثت فيهم ليفوزوا بغاية الفخر كما فازوا بذلك امتك الذين بعثت فيهم ما طاعوك فان قلت كان القياس غبطتك بها الانبياء لانها افضل من اممهم بنص قوله تعالى جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس اى وودوا ان يكونوا لهم مثلهم كما صرح به موسى فيما يأتى قلت هذا وان كان هو القياس لكنه ارتكب فيه القلب الذى هو من احلى انواع البديع خشية ان يتوهم من ذلك مدحه لنفسه لان مدح العام مدح لكل من افراده فتامله ثم رأيت ما يدل للقياس المذكور وهو ما رواه ابو نعيم ايضا ان الله تعالى لما ذكر لموسى صفات هذه الامة قال يا ربى فاجعلنى نبى تلك الامة قال نبيها منها قال فاجعلنى من امة

ذلك النبي قال استقدمت واستأخرت لكن سأجمع بينك وبينه في دار الجلال ولعلي نظرك اليها لم

يخف بعدك الضلال وفينا وارثو نور هداك

العلماء ، لم يخف بعدك الضلال عما تركتها عليه من الشريعة الواضحة البيضاء التي لا يزيغ
عنها الا هالك والحال ان فينا اعلام الهدى وهم وارثو نور هداك اي ما كنت عليه انت واصحابك
وهؤلاء هم العلماء الذين هم اهل السنة والجماعة وهم اتباع ابي الحسن الاشعري وابي منصور الماتريدي
رحمهما الله تعالى وذلك كما اخبرتنا به بقولك في الاحاديث الصحيحة لا تزال طائفة من امتي ظاهرين
على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتيهم امر الله وهم على ذلك اي وهؤلاء هم اهل العلوم الشرعية
والآلية من اهل السنة لان الناس مع وجودهم امنوا من كل محنة وضلالة دينية وبقولك ايضا
العلماء ورثة الانبياء ان الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وانما ورثوا العلم فمن اخذه اخذ بحظ
وافر صححه جماعة وفي رواية زيادة يحبهم اهل السماء وتستغفر لهم الحيتان في البحر وفي اخرى وانما
العالم من عمل بعلمه وفي اخرى اقرب الناس من درجة النبوة اهل العلم والجهاد وفي اخرى كاد حملة
ان يكونوا انبياء الا انهم لا يوحى اليهم وفي اخرى من حفظ القرآن فقد ادرجت النبوة بين جنبيه الا
انه لا يوحى اليه وفي رواية علماء امتي كانبياء بني اسرائيل لا اصل لها ولكن معناها صحيح لما تقرر ان العلماء
ورثة الانبياء وقوله تعالى وورث سليمان داود اي في العلم والحكمة والنبوة والرسالة ومنه قوله تعالى
فهب لي من لدنك وليا يرثني للخبر الصحيح انا نحن معاشر الانبياء لا نورث وما تركناه فهو صدقة
واشار الناظم بما ذكره الى ان الله تعالى خص هذه الامة في التوراة بخصائص لم يؤتها لغيرهم تكرمة
لنبيهم وزيادة في شرفهم ومنها كما في حديث ابي نعيم ان موسى لما رأى مدح هذه الامة في التوراة قال يا رب
اجد في الالواح امة هم الآخرون السابقون فاجعلهم امتي قال تلك امة احمد ثم ذكر ذلك مع اوصاف اخر
مكررا جوابه كذلك قال يا رب فاجعلني من امة احمد فقال يا موسى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي
الآية

الآية فقال رضيت يا رب وفي رواية انه سأل ربه هل في الامم اكرم عليك من امتي فبين ان فضلها على
سائر الامم كفضله تعالى على جميع خلقه ومنها ان احدا لا يدخل الجنة قبلهم ومنها الوضوء على الكيفية
المخصوصة والتيمم واباحة الغنائم وان كل ارض يصح الصلوة فيها ويجوز جعلها مسجدا الا محل سجد
ومجموع الصلوات الخمس والتأمين خلف الفاتحة كما صح به الخبر والركوع كخبر رواه البزار والطبراني
ثم قال جمع المفسرون ان صلوة من قبلنا لا ركوع فيها وقرروا اركعوا بصلوا واركعي مع الراكعين
مع المصلين وان صفوفهم في الصلوة كصفوف الملائكة رواه مسلم والجمعة رواه البخاري ومسلم
الاجابة في نهار رمضان عند الجمهور والتشبيه في الآية لمطلق الصوم وجزائه كتب على من قبلنا في سنده
ونظر الله اليهم اوله وتزيين الجنة فيه وخلوف افواههم اطيب من ريح المسك واستغفار الملائكة لهم حتى
وعموم المغفرة لهم اخر ليلة فيه رواه البيهقي بسند لا بأس به بلفظ اعطيت امتي في شهر رمضان خمسا
لم يعطهن نبي قبلي الحديث واستغفار الحيتان لهم حتى يفطروا رواه البزار والسحور وتعجيل الفطر
الشيخان واباحة الطعام والجماع الى الفجر والاسترجاع عند المصيبة قال سعيد بن جبير ورفع اثقال
التكليفات التي كانت على من قبلهم كتحتم القصاص حتى في الخطاء وقطع الاعضاء الخاطئة وموضع
وقتل النفس في التوبة والمؤاخذة بالخطاء والنسيان وما استكرهوا عليه كما صح به الخبر وان الله لم يجعل
في دينهم من حرج وان الاسلام وصف خاص بهم عند جماعة لكن الذي اعتمده ابن الصلاح وغيره خلافه
وان شريعتهم اكمل من سائر الشرائع كما ان نبيهم اكمل الانبياء وقد كان لموسى وشريعته من الجلال الشرف
فقط كما ان لعيسى وشريعته من كل وجه وشريعتنا اعدل فيها الامران فسلمت من شدة تلك ولين
هذه واعتدلت في جميع جزئياتها ومنزعها ووهب الله لهم من علمه وحلمه وجعلهم خير امة اخرجت للناس
واعطاهم مرتبة الشهادة على من سبقهم في القيامة فاقامهم مقام الانبياء في الشهادة عليهم وكمل لهم
من المحاسن ما فرقه في الامم كما كمل لنبيهم ما فرقه في الانبياء ولكتابهم ما فرقه في الكتب وانهم لا يجتمعون

على ضلالة كما في الحديث المشهور بأسانيده كثيرة وشواهد متعددة من المرفوع وغيره وان اجماعهم حجة وان خلافهم
رحمة وفي حديث ضعيف منقطع اختلاف اصحابي لكم رحمة وفي رواية اقتضى كلام الخطابي ان لها اصلا عنده
وبرية نعم كثير من الائمة انه لا اصل لها الاختلاف امتي رحمة للناس وان الطاعون شهادة لهم وعذاب على غيرهم
لخبر به رجاله ثقات وانهم حفظوا الاثار رسولهم على قوانين علم الحديث بما لم يوجد نظيره في امة وان فيهم
اقطابا واوتادا ونقباء ونجباء وابدالا كما جاء في الحديث في الابدال ونحوهم وانهم يخرجون من قبورهم بلا ذنوب
لاستغفار المؤمنين لهم رواه الطبراني وغيره وانهم اول من تنشق عنه الارض رواه ابو نعيم ويميزون يوم القيمة
بالغرة والتحجيل من آثار الوضوء رواه البخاري اي ينادون بهذا الوصف يكونون بهذه الصورة ويكونون
مع نبيهم على كوم مشرف في الموقف يغبطهم فيه جميع الامم رواه جماعة ويميزون بينهم السجود في وجوههم قال ابن
عباس رضي الله عنه وهي بياض شديد وقال شهر بن حوشب هو كالقمر ليلة البدر وقال الله تعالى
سيماهم في وجوههم من اثر السجود وقيل هذا في الدنيا وعليه قال ابن عباس السمت الحسن او سمت الاسلام
وخشوعه وقيل الصفرة في الوجه من اثر السهر ويؤتون كتبهم بايمانهم رواه احمد وغيره ويسعى نورهم
بين ايديهم وبايمانهم كما صح به الخبر ويصل لهم ما سعى لهم من صوم وحج وصدقة ودعاء وقراءة بل
وكل عبادة عند كثيرين واية وان ليس للانسان الا ما سعى منسوخ او في حق الكفار ويدخل منهم الجنة
سبعون الفا بغير حساب رواه الشيخان زاد الطبراني والبيهقي مع كل واحد منهم سبعون الفا **فانقضت**
اي الانبياء وآياتك في الناس ما لهن انقضاء فبسبب ان
في هذه الامة وادلى هديك المخصوصين بهذه الخصائص التي لم توجد لغيرهم من الامم انقضت اي
الانبياء اي معجزاتهم لانتساخ شرائعهم بموتهم وان كان من بعد موسى الى عيسى انما هو مرسل بكتاب
موسى وآياتك اي معجزاتك في الناس قبل وجودك ومعه وبعد وفاتك ما لهن انقضاء وفيه العكس
نحو لا هن حل لكم الاية ورد العجز على الصدر انه الاول فقدمت منها جملة منها في كتب الله من ذكره ونعته

وخروجه

وخروجه بأرض العرب ومخرج بين يدي ايام مولده ومبعثه من الامور العجيبة الموهنة للكفر واهله
والمؤيدة لشأن العرب كقصة الفيل وعقاب اهله وخمود نار فارس وسقوط شرفات ايوان كسرى وغيض ماء
بحيرة ساوة وخمود نارهم وما سمع من الهواتف القاطعة به صلى الله عليه وسلم وباوصافه وانتكاس الاصنام
المعبودة لولادته وتظليل الغمام له في سفره الى غير ذلك مما ورد في الاخبار الى بعثته مما هو تأسيس لنبوته وارهاص
لرسالته واما الاخير فكثير جدا اذ في كل حين يقع لخواص امته من خوارق العادات بسببه ما يدل على تعظم قدره
الكريم ما لا يحصى كما قال **والكرامات منهم معجزات حازها من نوالك**
الاولياء والكرامات الواقعة منهم اي الناس معجزات اذ كل منهما امر خارق للعادة وانما يفترقان
بالتحدي وعدمه لكنها في الحقيقة معجزات لك حازها من نوالك اي عطائك وكرمك الاولياء وكان
القياس حازوها لكنه اظهره ليبين ان مراده بمنهم العائد على الناس خواصهم وهم الاولياء جمع ولي فعيل
بمعنى فاعل لانه والى الله ورسوله فلم يخرج عن امرهما ونهيهما الى ما يغضبهما او مفعول لان الله تعالى
والاه بخوارق لعظيم رسوله ما لا يمن يليه وكوه وضابط الولي انه الدوام على فعل الطاعات واجتناب
المعاصي المعرض عن الانهماك في اللذات كذا قالوه ويتجه ان هذا ضابط للولي الكامل وان اصل الولاية تحصل
لمن وجدت فيه صفة العدالة الباطنة بالشروط المذكورة عند الفقهاء ومن معجزاته المتكررة الدائمة ايضا
ما يقع للمتوسلين به من خوارق العادات بسببه ما لا يحصى ايضا هذا كله مع قطع النظر الى القران الكريم فانه
البرهان معجزة الكبرى فقيه من المعجزات المتكررة بتكرر الازمنة ما لا يحصى ايضا واعلم انه صلى الله عليه وسلم كما
فضله الله تعالى في البداية بان جعله الله تعالى اول الانبياء خلقا واول اجابة يوم الست جعله اول من تنشق
عنه الارض واول شافع واول مشفع واول ناظر الى ربه واول نبي يقضي بين امته واولهم اجازة
بامته على الصراط وداخل الجنة وهم اول الامم دخولا اليها وزاده من لطائف التحف ونفائس الطرف ما
لا يحد كبعثه راكبا وتخصيصه بالمقام المحمود وهو الشفاعة العظمى في فصل القضاء وبلواء الحمد الذي

تحت آدم فمن دونه وبالسجود امام العرش ويفتح عليه ما لم يفتحه عليه ولا على احد قبله ولا يفتح ايضا
على احد بعده والنداء بيا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعطه واشفع تشفع وقيامه عن يمين
العرش الذي لم يقمه مخلوق ويغبطه فيه الاولون والآخرون وشهادته للانبياء على اممهم **تنبيه**
علم مما تقرر ان الكرامة ظهور امر خارق للعادة غير مقارن لدعوى النبوة على يد من عرفت ديانته واستقامته
وولايته باتباع نبيه في جميع ما جاء به والا فهي استدراج او سحر او اهانة كما وقع لمسيلمة الكذاب لعنه الله انه
جاءه اعور ليدعو له فدعا فعميت عينه الصحيحة ايضا وتسمى اهانة وقد يظهر الخارق على يد عامي تخليصا
له من فتنة وتسمى معونة وانكر جماعة محرومون كاكثر المعتزلة وان وافقهم بعض منا لكن يتعين تاويل كلامه
لان جلالته تابى ان يرضى بهذا الزيغ الذي انتحلوه جواز الكرامة ووقوعها وعليه قيل يمتنع كونها بقصد
اختيار لو دانها الى السقوط عن مرتبة الولاية وقيل يمتنع كونها من جنس معجزة نبي والا لالتبست بالمعجزة
ورده الفخر الرازي بان المرضي تجويز جملة خوارق العادات في معرض الكرامات والمميز لها عن المعجزة انما
هو ادعاء النبوة وكانه لم يرض قول جماعة منهم القشيري لا ينتهي الى احياء ميت ولا وجود ولد من غير اب
ومن ثم قال رد بعموم قولهم ما جاز ان يكون معجزة النبي جاز ان يكون كرامة لولي وليس من شرط المعجزة
عن القران ان لا يمكن نظيرها بل ان يعجز المعارضون عن نظيرها ومن ادلة الجواز ان الوقوع ممكن كالمعجزة
وقدرة الله تعالى شاملة لهما ولا يبعد ان الملك يصدق رسوله بخرق بعض العادات ثم يفعل مثل ذلك
ببعض اتباعه اكراما له ومن ادلة الوقوع النص القاطع بما وقع لمريم كلما دخل عليها زكريا المحراب الاية
وفي ولادة عيسى ولاصحاب الكهف ولوزير سليمان في عرش بلقيس ونظائر ذلك ومن ثم اتفق الكل حتى
على ان المعتزلة لا يقولون بما سلمناه بل لا يمنع تسمية ذلك كرامة على يد من ظهرت عليه بالتواتر المعنوي و
ان كانت التفاصيل احادا في كرامات الصحابة لا سيما ما وقع لعمر وعلي رضي الله عنهما وتابعيهم ومن
بعدهم الى زمننا بل ظهورها يكاد يلحق بظهور معجزات الانبياء ولا عجب من انكار المبتدعة ذلك فانهم

حرموا

حرموا مشاهدة شيء منها من انفسهم ومشايخهم وكثرة ظهورها لا يخرجها عن كونها خارقا خلافا لمن
زعمه لا تزيلهم ذلك في المعجزة على ان الكثرة فيها لا تنافي قلتها بالنسبة للعادة المستمرة وظهور الخارق
على يد اتباع الانبياء لا يخل بقدرهم بل يزيدهم في جلالة اقدارهم والرغبة في اتباعهم حيث قالت اممهم واتباعهم
مثل هذه الدرجة ببركة الاقتداء بشرعهم والاستقامة على طريقهم وتمامه ان الخارق لا يسمى كرامة
الا ان ظهر على يد من يعلم ان الكرامة لا تشتبه بالسحر اصلا لانا ننظر لحال من ظهر الخارق على يديه فان
توفرت فيه شروط الولاية فذلك الخارق كرامة في حقه والا فهو سحر او غيره تامل وزعم ان الساحر لا يمكن
ان يقلب عينا كلا ولا حجرا ولا قلب طبيعة بخلاف الولي ليس في محله بل الخلاف فيهما واحد فقال جمع
يستحيل عليهما ذلك وجمع يجوزه في حقهما ذلك وهو الاصح واما قوله تعالى فلا يظهر على غيبه
احدا الا من ارتضى الاية فالاستثناء فيه منقطع بدليل فانه الخ بل يتعين ان غيبه مفرد مضاف فهو للعموم
واستغراق النفي فيه لكل فرد فرد من المخلوقين اذ مدلول العام كلية لا كلي ولا كل خلافا لمن وهم فيه
فحمل الاية عليه باق على حقيقته اذ الغيوب كلها لم يطلع الله عليها احدا من خلقه وانما غاية من اطلعه منهم
ان اطلعه على جزئيات مخصوصة وبتقدير انه متصل وان المراد انه لا يظهر على بعض غيبه الا الرسول
فلا حجة لهم فيه لان قطع الضروري بوقوع الكرامات للانبياء والاولياء يعين ان المراد من الاية
غيب مخصوص اي فلا يظهر على ذلك الغيب المخصوص الا من ارتضاه من رسله واما البقية من الرسل
والانبياء والاولياء فلا يظهرهم على ذلك المخصوص بل على غيره واعلم ان من الكفر الصريح المحكي عن بعض
الكرامية ان الولي غير النبي قد يبلغ درجة النبوة وعن بعض المتصوفة الجهلة ان الولاية فوق رتبة
النبوة وان الولي قد يبلغ حالة يسقط عنه فيها التكليف قال الغزالي وقتل الواحد من هؤلاء خير
من قتل مائة كافر لان ضرر اولئك في الدين اشد وليس من اولئك العارفان العالمان المحققان
الوليان الكبيران المحيي بن عربي والسراج بن الفارض واتباعهما بحق خلافا لمن زل فيهم قدم وطغى

قبله الآن يكون اراد بما قاله الذب عن اعتقاد ظاهر عبارته المتبادر عند من لا يحيط باصطلاحهم

اِنَّ مِنْ مُعْجِزَاتِكَ الْعَجْزَ عَنْ وَصْفِكَ اِذْ لَا يَحُدُّهُ الْاِحْصَاءُ

ان تاكيد لقوله الحق انقضنا من معجزات الباهرة العجز من سائر الناس عن وصفك مفرد مضاف فهو للعموم اى عن الاحاطة بكل فرد فرد من اوصافك التى اختص الله بها اذ لا يحويه اى المذكور الاحصاء اى العد

كَيْفَ يَسْتَوْعِبُ الْكَلَامُ سَجَايَاكَ وَهَلْ تَنْزِحُ الْبِحَارَ الرِّكَاءُ

كيف يستوعب الكلام الصادر من واصفيك سجاياك اى ما فيك من الاخلاق الكريمة والفضائل والاوصاف البالغة اقصى ما يمكن البشر التى فى اليه وهى لا تحصى باعتبار انك لا تزال تترقى فى مراتب القرب فى الحيوة وبعد الممات وفى الموقف وفى الجنة الى ما لا نهاية له ولا انقضاء

وهل تنزح البحار المشبهة اوصافك بها فان بتلك قيام الوجود الحسى وبهذه قيام الوجود المعنوى لما انه صلى الله عليه وسلم روح الكون والخليفة الاكبر عن الله تعالى فى امداده الركاء المشبهة بها الالفاظ فان كلا يتوصل به الى حيازة بعض المطلوب دون انتهائه وبهذا تبين ان ما بين بما اشتمل عليه من الاستعارتين المرشحتين لهما ذكر النزح ان اوصافه صلى الله عليه وسلم لو عبر عنها من اول الزمان الى اخره لا يحصى وكيف

ومما يزيد ذلك بيانا وايضاحا قوله

لَيْسَ مِنْ غَايَةٍ لِوَصْفِكَ اَبْغِيهَا وَلِلْقَوْلِ غَايَةٌ وَانْتِهَاءُ

ليس من غاية لوصفك اى اوصافك توجد حتى ابغيها اى اطلبها وللقول اى منتهى غاية لما تقرر ان ذلك الترقى لا نهاية له اذ لا مطمع فى الاطلاع عليه ولبعضه لا تحده العبارة بخلاف القول منه فانه محدود ومتناه وبها اعنى قوله حتى اولا ومنه ثانيا مع ما تقرر يندفع ما اشار اليه من اشكال فى ذلك وانتهاء تاكيد والفرق بين الغاية والنهاية اعتبارى ومما يزيده بيانا وايضاحا ايضا ان تقول

اِنَّمَا فَضْلُكَ الزَّمَانُ وَآيَاتُكَ فِيمَا نَعُدُّهُ الْآنَاءُ

انما فضلك اى فضائلك الزمان اى تشبهه من حيث الاجمال

فيها

فيهما واما بالنسبة للتفصيل فجزئيات كل كجزئيات الاخر اذ اياتك اى معجزاتك وخصائصك فيما تعده وتحسبه الاناء جمع انى كمعا ومعاى كذا ذكره الشارح والذى فى القاموس الانا ويكسر والانو بالكسر الوقت والساعة من الليل وساعة منه والانا ساعات الليل وعلى كل النهار انتهى والمراد هنا مطلق الساعات اى اللحظات فكان هذا لا تتحقق فكذلك تلك هذا ولا نظن انى بالطالتى فى هذه القصيدة تعداد اوصافه صلى الله عليه وسلم اخالف ما قدمته انفا لانى اعتد لانى

لَمْ اُطِلْ فِى تَعْدَادِ مَدْحِكَ نُطْقِى وَمُرَادِى بِذَلِكَ اسْتِقْصَاءُ

لم اطل فى تعداد مدحك فيها نطقى والحال ان مرادى بذلك استقصاء اى حصر الاوصاف وانما مرادى بذلك برد العليل وشفاء العليل كما افاده قوله المشتمل على اداة الاستثناء الذى هو منقطع هنا

غَيْرَ اَنِّى ظَمْآنُ وَجْدٍ وَمَا لِى بِقَلِيلٍ مِنَ الْوُرُودِ ارْتِوَاءُ

غير انى لم ارد الحصر لكنى ظمان وجد اى من شدة متوق لسماع تلك الاوصاف غاية الظما والتعطش للارتواء من سماعها وما اى ليس يحصل لى بقليل من الماء الذى اشربه حال الورود منه ارتواء فما بى من العطش فاطالتى فى التعداد لطلب مزيد الارتواء من سماع تلك الاوصاف لا لطلب حصر لتعدده وفى كلامه استعارة مصرحة شبه شغفه بتعداد الايات وذكر افضل الصفات بظما شديد لا يرويه الا الماء الكثير ورشح لذلك بذكر الورود والارتواء

فَسَلَامٌ عَلَيْكَ تَتْرَى مِنَ اللّهِ وَيَبْقَى بِهِ لَكَ الْبَاءُ وَالْاِءُ

فبسبب حصول الارتواء لى من تلك الاطالة اختمها بما هو المتعين من الدعاء لك بالصلوة والسلام امتثالا لقوله تعالى صلوا عليه وسلموا تسليما فاقول سلام كريم شريف اى سلامة من كل افة ونقص كائنة عليك تترى اى تكرر ويتبع بعضه بعضا دائما وفى القاموس تترى ترى تترى كسكرى يرمى متتالى والترى عمل اعمال متواترة بين كل عملين فترة انتهى وقد يشكل على اشكال الناظم تترى هنا مرادا بانه ماذكر الان يجاب بانه اراد به اصل المعنى وهو مطلق

التتابع من غير اعتبار تراخ ولا فترة بقرينة المقام وقد يخرج البليغ عن المعنى اللغوي الا انه اخص
ادام منه للخروج مع الاستغناء بفهم ذلك الخصوص او العموم منه من قرينة المقام والسياق فتأمله
من الله وينتهي به اي بسببه على ممر الازمنة الى فنائها وما بعد ذلك الى ما لا منتهى له نحو لك البأواء
اي الفخر لان تسليم امتك عليك مع التكرر والدوام زيادة في شرفك وفخرك وانما ذكر سلام
الله عليك ابتداء مبادرة الى اشرفيته وسلام امتك ثانيا لانك في الحقيقة لا يكافيك من سلام الخلق
غير سلامك على نفسك نحو **وسلام عليك منك فما غيرك منه**
لك السلام كفاء وسلام عليك منك فما اي ليس غيرك من المخلوقين منه متعلق
بالسلام لك متعلق بكفاء السلام ولك بمعنى عليك كفاء اي مكافي لحضرتك من المكافاة وهي
المساواة اذ كيف يساويك سلام من هو دونك ولم يحط بفضائلك ومع ذلك لا يطلب من غيرك
عدم السلام عليك بل يطلب من كل احد السلام عليك وان لم يكافيك سلامه فمن ثمة قال :
سلام عليك من كل ما خلق الله ليحيى بذكرك
الاملاء وسلام عليك من كل ما خلق الله من كل نام وجامد وفي نسخة من فالاولى كما
غلبت غير العاقل لكثرته والثانية غلبت العاقل لشرفه على حد ولله يسجد من في السماوات و
انما جئت بهذا العموم ليحيى بذكرك الاملاء جمع ملأ وهو الجماعة من الاشراف وبالغ الناظم حيث
طلب السلام عليه صلى الله عليه وسلم منه مرة من نفسه ثم من سائر المخلوقات ليجتمع له صلى الله عليه وسلم شتى
وجوه السلام فيه وفي شريعته وامته وجميع آثاره ولاجل هذا العموم الذي يوجد في السلام دون
الصلوة خصه بالذكر وقد ذكرنا ما ذكرته في كتاب الجوهر المنظم في زيارة القبر المكرم الذي لم يصنف
في هذا الباب مثله ايثار الرعاية للسلام وتكرره دون الصلوة ما يؤخذ منه ما ذكرته فتأمله و
صلوة كالمسك تحمله مني شمال اليك او نكباء

صلوة

وصلوة وهي من الله الرحمة المقرونة بالتعظيم اي من الله ومنك ومن كل مخلوق نظير ما مر في السلام كالمسك
في الطيب والنفع البالغ تحمله اي ذلك المسك الذي هو عين صلوتي مني شمال وهي التي تهب من جهة القطب
الى المغرب اليك حتى يتعطر الوجود بعبيره ويحيى الارواح بعبيقه وسيره او نكباء وهي الصبا وتهب
من سهيل الى القطب والجنوب وتسمى الازيب هي التي تهب من سهيل الى المغرب والدبور وهي التي تهب
من المغرب سميت بذلك لانها تهب من ظهر الكعبة والحاصل ان الريح ان هبت من تجاه الكعبة
فالصبا وهي حارة يابسة او من ورائها فالدبور وهي باردة رطبة او عن يمينها فالجنوب وهي حارة رطبة
للشمال
او من شمالها فالشمال وهي باردة يابسة وهي ريح الجنة التي تهب عليهم رواه مسلم ولهذه الخصوصية
بدأ بها الناظم **وسلام على ضريحك تخضل به منه**
تربة وعساء وسلام على ضريحك اي قبرك المكرم وهو افضل البقاع حتى من الكعبة
بل من العرش ولكون المراد من الضريح هنا البقعة التي ضمت اعضاءه الشريفة لم تكن في افراده السلام
هنا كراهة لانه عين السلام الذي ضم اليه الصلوة فيما مر تخضل مجتمعين اي تبتل به منه اي القبر تربة
وعساء اي لينة ذات رمل شبه السلام بالماء الكثير الطيب البارد البالغ في النفع فهو استعارة مصرحة
وخيل له بذكر تخضل وثناء قدمت **بين يدي نجواي اذ لم يكن**
لدي ثراء وثناء في هذه القصيدة قدمت بين يدي نجواي اي سؤالي منك بلوغ
المأمول الواقع في هذه القصيدة بقولي جد لعاص الخ وفي غيرها اذ اي لاجل انه لم يكن لدي اي عندي ثراء
بالمثلثة اي مال اتصدق به امتثالا لقوله تعالى اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة
اذ الامر فيها كان للوجوب ثم نسخ بما بعدها وهو ءاشفقتم الاية وجاء انه لم يعمل بها قبل النسخ من تقديم الصدقة
بين يدي نجواه غير علي كرم الله وجهه ولا يلزم من نسخ الوجوب نسخ الندب ولذا يسن لمن يريد زيارته
صلى الله عليه وسلم ان يقدم بين يدي زيارته صدقة والناظم رحمه الله تعالى ظاهر كلامه انه كان يعتقد بقاء

العيب في الجاهل المغمور مغمور — وعيب ذي الشرف المذكور مذكور — كفوفة الظفر تخفى من حقارتها

العرفة بعد بين البياض الذي في الظفر الاحداث

الذنب فاعتذر بانه لا مال له يتصدق به بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه جعل حسن توسله و
ثنائه بدل المال الذي يتصدق به **تنبيه** تفسير لدى بعند لا فها شاملها في اكثر احكامها من كونها
ظرف مكان يستعمل في الحضر دان القرب الحسيين والمعنويين نحو عند مليك مقتدر عند ربهم ان الله
كتب كتابا فهو عنده فوق عرشه ان رحمتي سبقت غضبي ولا تستعمل الظرف فاعز ذلك فلا ينافي ذلك
افتراق نفارقهما في كثرة جر منه بمن خاصة وامتناع جر لدى مطلقا وفي ان عند تكون ظرفا للاعيان
والمعاني وتستعمل في الحاضر والغائب بخلاف لدى فيهما وتفارق عند ولدى لدن في ان ذينك يصلحان
فابتداء غاية وغيرها ويكونان فضلة نحو وعندنا كتاب حفيظ ولدينا بخلافها وفي لغة الاكثرين وجر لدن
اكثر من نصبها وقد لا تضاف وقد تضاف للجملة بخلافهما قال الراغب لدن اخص من عند وابلغ
لانه يدل على ابتداء نهاية الفعل **ما اقام الصلوة من عبد الله و**
قامت بربها الاشياء ما مصدرية ظرفية اقام الصلوة اللغوية والشرعية
من عبد الله وابد بهذا مع انقطاعه استغناء عنه بما بعدها على انا لا نسلم انقطاعه لان اهل الجنة
يتعبدون ويتعبدون كما علم من احاديث اقرأ وارق وغيرها لكن للتلذذ لا للتكليف ولا ينقض ذلك
التأبيد انقطاعه مدة يسيرة للخبر الصحيح لا تقوم الساعة وعلى وجه الارض من يقول الله الله ولا
ينافيه الخبر الصحيح ايضا لا تزال طائفة من امتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم الى ان تقوم الساعة
لان المراد قرب قيامها لما جاء ان الله قبيلها يرسل ريحا لينة فلا تمر على مؤمن ولا مؤمنة الا امتته
ثم تتمحض الكفرة فلا يبقى على وجه الارض مؤمن ثم تقوم الساعة وما قامت اي بقيت على ابلغ نظام
واتقن احكام بربها اي بايجاده وامداده الاشياء اي الموجودات في الدنيا والاخرة وابدها بالاول
مع انقطاعه بفناء هذه الدار لما مر للتبرك بذكر المتعبدين اخر كلامه وبالثاني الذي لا ينقطع
لدوام نعيم الجنة وعذاب النار ليجمع بين شرف الاول ودوام الثاني مع الاشارة بالختم بذكر الرب

٧١

وشلها في سواد العين مشهود [redacted]

الاستفتاح ابواب تربيته والاستمناح سوابغ لطفه وهدايته جعلنا الله ممن حقق له حقائق قربه ووداده
واسعافه واسعاده وامتنانا من كل فتنة ومحنة مسبغا علينا رضاه متفضلا بكل ما نتمناه انه هو الجواد الكريم
الرؤف الرحيم سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين اللهم
صل وسلم وبارك افضل صلواتك وافضل سلامك وافضل بركاتك على افضل مخلوقاتك سيدنا محمد واله وصحبه عدد
معلوماتك ابدا وعلينا معهم كلما ذكرك الذاكرون وغفل عن ذكرك وذكره الغافلون والحمد لله رب العالمين
الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله قد من الله تعالى علي باتمام هذا الكتاب المستطاب المسمى بشرح
الهمزية للعلامة المحقق المدقق الشيخ المشايخ الشيخ احمد ابن حجر المكي الشافعي تغمده الله بغفرانه واسكنه
بحبوحة جنانه في قرية بونل من محال تالش دولاب يكلان في ايام حكومة عاليجاه معلى جايگاه منبع الجود
والاحسان اعني به حسينقليخان ادام الله ايام دولته وشوكته مع العدل والاحسان الى اخر الزمان لاجل
المخدوم المعظم والملاذ المكرم اعني به ملا ابكان حفظه الله الملك المنان وانا الحقير براب اقدام المؤمنين
عبد الرحمن النولشتي الاورامي الكردستاني والمرجو من الناظرين اليه ان وجدت لهم عثرة من الاقلام
ان لا يتخذوني هدف الملام لان الجواد له عثرة لا يكلام

[redacted]

وصلى الله على خير خلقه محمد واله واصحابه
اجمعين واخر دعوانا ان الحمد
لله رب العالمين

[redacted]

فقط ١٢٢

توفي الشيخ الشارح طيب الله ثراه وجعل الجنة مثواه بمكة زادها الله شرفا وتعظيما اواسط رجب سنة اربع وسبعين وتسعمائة ودفن بالمعلى ٩٧٤

توفي الشيخ الم طيب الله ثراه وجعل الجنة مثواه بمكة زادها الله تعظيما وتشريفا اواسط رجب سنة اربع و سبعين وتسعمائة ودفن بالمعلى
فقط

لما قال ابو طالب لما خرج بنو هاشم وبنو المطلب في الشعب فرض ... وعمره نيف وثمانون سنة قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عم انك اعظم الناس علي حقا واحسنهم عندي يدا ولانت اعظم حقا علي من والدي فقل كلمة واحدة اشفع لك بها عند الله عز وجل يوم القيامة قال وما تلك الكلمة قال قل لا اله الا الله وحده لا شريك له فانشد هذه الابيات

والله لن يصلوا اليك بجمعهم — حتى اوسد في التراب دفينا
فاصدع بامرك ما عليك غضاضة — وابشر وقر بذاك منك عيونا
ودعوتني وعرفت انك ناصحي — ولقد صدقت وكنت ثم امينا
وعرضت دينا قد علمت بانه — من خير اديان البرية دينا
لولا الملامة او حذاري سبة — لوجدتني سمحا بذاك مبينا

شیخ احمد غزالی قدس سره

وهائم على اللوم في حب حبها

وقول الاعادی انه لخليع

اصم اذا نوديت باسمي وانني

اذا قيل لي يا عبدها لسميع

نقل من نفحات

معنی ابیات اینکه از ملامت روی یار مدهوشم

در محبت او و از [illegible] روح دشمنان

که در گذر و با اعتبار [illegible]

بی‌هوشم چون مرا به نام خود خوانند

چون مرا [illegible] مجنون کنند آن زمان

فلان معشوقه [illegible] شنیدم به جهت الغفور

[illegible] نفحات

الحمد مشتمل على ستة علامات الاول الحامد
والثاني المحمود به وهو اللفظ والثالث المورد [illegible]
والرابع المحمود عليه وهو الفعل الجميل الاختياري
وهو الانعام والخامس المحمود له وهو [illegible]
والسادس [illegible] الغاية
والرجاء [illegible]

هذا الفرق بين الكل والكلي فاعلم ان الكلي
ذو امور جزئيات يتحمل على جزئياته كقولنا زيد انسان
فانه يصدق [illegible] على كل جملة يحمل زيد وعمرو ثم
بخلاف الكل فانه لا يتحمل على اجزائه فلا يقال
مثلا الجدار بيت لان البيت
هو المجموع الجدار والسقف
لا الواحد فقط فتأمل

البيت ما كان مجموع [illegible] الجدار [illegible]
والمجموع [illegible] الكل [illegible]
[illegible]